

المحلل السندسية

في

الأخبار التونسية

تأليف

الشيخ العالم العلامة الأديب البارع الفاضل

أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي

شهر

الوزير

تغمة الله برحمته

طبعة أولى

سنة ١٢٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله الذي جعل في حوادث لا يام والسنين * اعظم عبرة للعقلاء
المعتبرين * وندب لتقديد اخبار سير الماضين * جهابذة من الفضلاء نقادين *
فمحسوا عن ابناء امم تلك القرون الماضية * وتصاريثهم في سيرتهم الحميدة
والعادية * فنظموا جوامع سير المحسنين في سلك الاحسان قلائد * وزوها
بصلاتهم في الدفاتر بما اغنى عن الصلة والعند * وادغموا الضد بعظيم ما
اجتري من المفاسد وخرق من متعارف العوائد * في امهال ذي القدرة
الباهرة على العناية والتكفين * القائل جل ذكره واملي لهم ان كيدي
متين * والشكر له سبحانه على الهام الفضلاء لاثبات تلك الوقائع في
الكتب والدفاتر * والتنبيه على حال من تقدم او تاخر في تلك المائر *
حتى صار النظر فيها والتمتع باخبارها اليهم احب من الانسة * ويرى
الناظر فيها القرون الماضية حاضرة واعظمهم دارسة * فسبحان من وفق
سن شاء بفضل لاقتناء الخصال الحميدة * وحسن تصريفه في سيرته المرضية
الرشيده * احبب بها ذكره على ممر لا يام وتعاقب الدهور * ولا شك
ان تخليد فضائل الفضلاء في الكتب حياة الى يوم النشور * فهم وان
بانوا عن الدنيا بالاجسام وفاتوا * فيما تركوا فيها من المآثر الحسنة
احياء ما ماتوا -
شعر -

انما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا وان وعى
افاد سبحانه من شكر منهم الاحسان من عوائد كرمه النعم الوافرة ❖
واباد بعدله من كفره من الطغاة والجبابرة ❖ فاصبح الكل وقد دار عليهم
كاس الحمام احاديث ❖ تسامر بها الضللاء في القديم والحديث ❖ ولله
در اشعر الانس والجن ابو العتاهية ❖ حيث يقول فيهم وفي امثالهم ما تعبه
كل اذن واعية ❖ - - - - - شعر -

حدث حديث القوم من فارس	ومن بني قبط ويونان
ومن بني الاصفر اعجب بهم	وسيد الانراك خاقان
والاقديمين الاعظميين كالي	من حير ابناء قحطيان
من تبع العرب ومن قيصر الر	وم وكسرى وال ساسان
من كل قوم شامخ انفسهم	وكل فرعون وهامان
وان نسيت اليوم شيئا فلا	تنسى قبيل اخوت كلدان
واذكر ملوك الارض من بعدهم	من عرب صيد وعجمان
من كل منصور اللوى اروع	شديد اطواق وتيجان
مجتمع الشمل على عسرة	شدت باسار واركان
قد زلزل الارض وراع السورى	من جيشه الضخم بطوفان
وذلل الخلق بساطتانه	كانه رب لهم ثنان
انظر اليهم هل ترى منهم	غير احاديث بافتنان
وانظر الى الموت واعماله	فيهم ترى الملك بيهان
وتبصر القوم وما ذا لقوا	بالموت من ذل وخسران
قد صفعتهم يده صفعت	خروا للاناف والاذنان
ودك في الارض يتيجانهم	والبسوا تيجان صمان
من حجر صلد ورخو ومن	ترب وحصباء وميسان
وانزلوا بطن الشرى بعد ما	كانوا قعودا فسوق كيان
واطعم الديدان لحمانهم	يا لك من لحم وديان

فكم هناك من فتى نسأله ومن فتاة ذات اردان
ومن هزبر مسرح في الوثى وطبقة تسرح في بسان
كانوا كذا ثم غدوا عبدة للنارح الدار وللـدان
ولم يدافع عنهم جفـل قد طبق الارض بفرسان
ولا بيوت ملئت كلها من اولو بحث وعقـسان
بل مر ذاك كـ مسرعا كالريح مرت بين قصبـان
واصبح الملك لمن ملكه باقى وكل غيره فـسان
واشهد ان لا اله الا الله وحده * شهادة من الهم رشده * وعول في
جميع المطالب عليه * وصرف همته في سيرته الى ما يقربه اليه *
ويهي له من الجزاء على الاحسان لديه * ليكون من الفائزين بين
يديه * والصلاة والسلام على من عمت بعثته سائر الامم * وقص عليه
اخبارها في كتابه المنزل عليه ذي الحكم * وكانت امته خيرا مـه اخرجت
للناس * ومنحت من الفضائل على غيرها ما لا يدخل تحت قياس * صلى
الله عليه وعلى آله واصحابه ما اتصلت بالاجسام لانفاس * ودامت
شريعته المطهرة داحضة للشرور والارجاس * وبعد فلما كان علم التاريخ
مما ترغب فيه النفوس الزكية * وتطرب لسماع ما احتوى عليه من
لاخبار افكارهم الالعية * اذ به تتضح احوال من تقدم من الملوك في
سيرتهم وتصرفاتهم * وتضبط به صفات علماء زمانهم من هدايتهم * وتعلم
به الهداة منهم القادة * والساكنون في مناهج الاخلاص في العبادة * ويتميز
به صحة الاسناد في العلوم * ويعلم به الصحيح في ذلك والموهوم * اذ
ببيان سير وفيات سن تقدم في الازمان * يعلم صحة اخذ المتأخر عن
السند اليه من الاعيان * ولولا لاندست الاخبار * واشتبه وضع الاشوار
على الاخبار * اردت ان اولف في هذا القطر الافريقي كتابا يحيط بحقيقته
ومن كانت له فيه دولة * مينا لفضلاء ملوكه من ذوي الهيبة
والصولة * مميذا لمتعبدائه المباركة بما وجد بها من الاسرار * ولعلماء كل
دولة

دولته وما احتوت عليه من السادات الاخيار * ذاكرا لعلومهم ومصنفاتهم *
 مبينا لتاريخ ولادتهم ووفاتهم * ممن كانوا فيه وبانوا من العرب * وحل
 فيه بعدهم من العجم حين عم الفساد من عربانه ولحمائه منه انسحب * ولما
 لم اجد له تاريخا لمن تقدم من الافاضل * جامعا لحلي من ملك فيه
 من الاولاد * اجعل للاعتماد عليه * واعول في الوقائع والقضايا على التحقيق
 بالاستناد اليه * بعد تطلي ذلك اشد الطلب * وجدي وسوالي عن ذلك
 سن نسل من كل حذب * اقتطعت هذه الاخبار فيه من رحلات افاضل سيمر
 بك ذكرهم في خلال هذا الكتاب * وننف من مجموعات ذكرت فيها بعض
 اخباره استطرادا من فضلائها لانجابه * ومسموعات من بعض الاخوان
 والاصحاب * وخبيات افكار امتلا بها الوطاب * فجاء بحمد الله نسجا
 ولا اقول انه بديع ولكل عويصة ذلل * بل هو بحسب قريحتي الجامدة
 وقصوري في العلوم نسج مهمل * ورحم الله الشاطبي - نظم
 اخي ايها المجتاز نظمي ببابه ينادي عليه كاسد السوق اجلا
 وطن به خيرا وسامح نسجه بالاغضاء والحسن وان كان هلهلا
 والمقصود من هذا المبارك ان شاء الله ذكر ما مضى من زمن فتحها *
 اذ تلك مقدمة لا يحيد عن شرحها * ثم ذكر ملوكها قبل الدولة العثمانية
 ثم ذكر حكامها بعد الفتح العثماني خلد الله لاعلاء كلمته الدين نصره *
 وشد بمنطقه اليقين في الحق ازرة * ثم تفصيل ما حدث من سنة اثنتين
 وتسعين والف لان وقائع اخبارها ابرار قضايا لم يفك ختامها * ونجائب
 هدايا لم ينحطم زمامها * واسأل الله من فضله ان يجعله خالصا لوجهه
 الكريم * وسببا للفوز بجنت النعيم * اذ مقصدي كاهم والله به اعلم اداء
 واجب شكر ما انعم الله به علينا من من هذا الملك الذي قلدنا في
 المضيق قلائد جوده الوافر * وازال ظما ازماننا بفيض احسانه الزاخر *
 ووشى صفحات الايام * بمآثر العلماء الاعلام * والله المستعان * وعليه
 التكلان * ورتبته على ثمانية ابواب وخاتمة الباب الاول في التاريخ

وفيه ثمانية فصول الفصل الاول في حد التاريخ الفصل الثاني في ذكر
 مبادي التاريخ قبل الاسلام الفصل الثالث في سبب وضع التاريخ الاسلامي
 الفصل الرابع في مبدا التاريخ الاسلامي الفصل الخامس في ذكر الاسوة
 فيه بنسج الفرعان العظيم والسنة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام
 الفصل السادس في ذكر فوائده وما ينشأ عن الجهل به والرد على من يرد
 عليه الفصل السابع في ذكر اسماء الاشهر والايام اذ لا ينضبط التاريخ
 إلا بمعرفتها وذكر مصطلح الامم الاول عليها وما جرت عادة الله في بعضها
 الفصل الثامن ذكر مدة العالم بالسباب الثاني في ذكر المغرب وفيه
 فصلان الفصل الاول في فصل المغرب عموما الفصل الثاني في حدة
 السباب الثالث في ذكر افريقية وفيه اربعة فصول الفصل الاول في
 فصل افريقية الفصل الثاني في حد افريقية وما اشتهر من مدنها وبلادها
 حسبما وقفت عليه الفصل الثالث في سبب تسميتها بلفظ افريقية الفصل
 الرابع في فتحها بالسباب الرابع في ذكر قرطاجنة وفيه ثلثة فصول
 الفصل الاول فيمن بنى قرطاجنة الفصل الثاني في الثناة التي بها الفصل
 الثالث في فتحها بالسباب الخامس في تونس وفيه ثلاثة فصول الفصل
 الاول في فتحها الفصل الثاني في مسجد هلال اعظم جامع الزيتونة وبعض
 ايمته ومدرسيه الفصل الثالث في ذكر اماكن تشرفت مدينة تونس بها
 حرسها الله تعالى السباب السادس في ملوكها قبل الدولة العثمانية
 وفيه خمسة فصول الفصل الاول في ملوك الاغالبة الفصل الثاني في
 الملوك العبيديين الفاطميين الفصل الثالث في الملوك الصنهاجية الفصل
 الرابع في ملوك بني عبد المؤمن بن علي الفصل الخامس في الملوك
 الحفصيين وهم ختام الجزء الاول السباب السابع في الامراء الذين تولوها
 تحت طاعة ال عثمان خلد الله للاسلام نصرهم * وادام على العداة
 الكافرين ظفرهم * الى دولة الشريف ابراهيم باي وفيه ختام الجزء
 الثاني والخاتمة في نظم سيرة حسين باي الامير الذي هو السر الجامع
 لفصل

لفصل هذا الكتاب ❦ والسبب الداعي للشرب من هذا المنهل المستطاب ❦
وان كانت مزاياه يحكم القياس بتقديمها فان عظماء الملوك يقدمها توابعها
والامور بخواتمها وختامه عند سنة سبع وثلاثين ومائة والف وهو آخر
الجزء الثالث الباب الثامن في استطراد اخبار مفصلة اولها من سنة
اثنين وتسعين والف سائرا بها على ترتيب السنين ومعهما عرضت ترجمته
بعض الاولياء او العللاء ندخلها في مسته حسب الامكان والله الموفق للصواب
واليه المرجع والاسباب والله يحفظنا فيه من النفس الامارة انه على ذلك قدير
وبالاجابة جدير وسميته -- الحلال السندسية ❦ في الاخبار التونسية -- ❦

الباب الاول في التاريخ وفيه ثمانية فصول

الفصل الاول في حد التاريخ

قال في التوقيف على مهمات التعريف التاريخ ذكر ابتداء مدة
الشي ليعرف به مقدار ما بين ذلك لا ابتداء وبين اي وقت اريد .
قال في سمط اللال ومنه قيل فلان تاريخ قومه اي الذي ينشئ اليه
شرفهم . وقال في القاموس ارخ الكتاب واريخه قال في سمط اللال
وهو اقصاها كما في عادات الكتاب واريخه وقته . وقال ابو محمد محمود
العيني التاريخ تعريف الوقت وكذلك التورينج . وقال الصيداوي اخذ
التاريخ من الارخ كانه شيء حدث كما يحدث الولد وقال الصاغانى
قال ابن شميل يقال للانى من بقر الوحش ارخ بالفتح وجمعه اراخ
كفرخ وفراخ وقال الصيداوي هو الارخ بالكسر وضعف الازهري قوله .
وقال الشيخ الامام ابو نصر اسماعيل بن حاد الجوهرى في كتابه الصحاح
ارخت الكتاب يوم كذا وورخته بمعنى . قال العيني فرق الاصمعي بين
اللغتين فقال بنو تميم يقولون ورخت الكتاب بالواو تورينجا وعلى كل من
المضعف وغير المضعف سواء كان مهموزا او واويا فانما اوتي به لتعرف
المدة كما سبق غير ان لغة بني تميم قال في سمط اللال وهي اقل اللغات
وقيس تقول ارخته تاريخا . وقيل التاريخ معرب مائة روز وكلامهما بالفارسي

ومعناه حساب الايام والشهور . وقال ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتاب الحذال انه ان تاريخ كل شيء اخره فيورخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة وقال الصاغاني قيل ان التاريخ ليس بعربي محض وانما المسلمون اخذوه من اهل الكتاب .

الفصل الثاني من الباب الاول في ذكر

مبادي التاريخ قبل الاسلام

واختلف في مبدا التاريخ اول الدنيا فقال الحافظ المحقق جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى رواية عن محمد بن صالح عن الشعبي قال لما اهبط الله آدم الى الارض وانتشر ولده ارج بنوه من هبوط آدم فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحا فارخوا من بعث نوح حتى كان الفرق فهلك كل من كان على وجه الارض . فلما نزل سيدنا نوح وكل من كان في السفينة قسم الارض بين اولاده اثلاثا فجعل لسان وسطا من الارض ففيها بيت المقدس والنيل . وجعل قسم يافث مما وراءه الى منحر ريع الصبا والفرات ودجلة وسيحان وجيحان ونواحي ذلك الى الشرق من النيل وما بين منحر ريع الجنوب الى منحر ريع الشمال . وجعل لحام قسم غربي النيل الى ما وراءه الى منحر الدبور فكان التاريخ من الطوفان الى نار ابراهيم عليه السلام . قال ابن الجوزي باسناده الى الشعبي قال لما كثر بنو آدم في الارض وانتشروا ارخوا من هبوط آدم عليه السلام وكان التاريخ الى الطوفان ثم الى نار الخليل وهو ابراهيم بن تارح وهو ازر بن ناحور ابن ساروع . وقد اختلف في معنى الصحف التي انزلت على ابراهيم الخليل فقد روى ابو زر عن النبي صلى الله عليه وسلم انها امثال فمناها ايها المسلط المغرور لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولا من كافر وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وسن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . واهرام اول سن اختتن واصاف الصيف

وليس السراويل . ثم استمر التاريخ منه الى يوسف عليه السلام ثم الى
خروج موسى عليه السلام من مصر بيني اسرائيل ثم الى زمن داوود عليه
السلام ثم الى زمن سليمان عليه السلام ثم الى زمن عيسى عليه السلام .
ورواه ايضا ابن اسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن العربي
رحمه الله تعالى ونفعنا به فاول تاريخ كان بهبوط آدم عليه السلام ثم نبهته
نوح عليه السلام ثم بالطوفان ثم بنار ابراهيم ثم ارخ بعث آدم ثم بعث
ادريس ثم ان بني اسحاق بن ابراهيم ارخوا بنار ابراهيم الى يوسف عليهما
السلام ومن يوسف الى بعث موسى عليهما السلام ومن موسى الى داود
وسليمان عليهما السلام ثم ارخوا بما كان من الكواثر وكان منهم من ارخ بوفاة
يعقوب ثم بخروج موسى من مصر بيني اسرائيل ثم بخراب بيت المقدس .
واما بنو اسماعيل فمن بناء الكعبة ثم بكل يوم اخرجوا من تهامة ثم بعام
الفيل . وقال صاحب المختصر في اخبار البشر ينبغي لتأمل التواريخ
القديمة ان يعلم ان الاختلاف فيها بين المورخين كثير جدا . قال ابن
الاثير في ذكر ولادة المسيح ان ولادة المسيح عليه السلام كانت بعد خمس
وستين سنة من غلبة الاسكندر عند المجوس واما عند النصارى فكانت
ولادته بعد ثلاث وستين وثلاثمائة سنة من غلبة الاسكندر وهذا تفاوت
فاحش . وكذلك عند ابي معشر وكوشيار وغيرهما من المنجمين ان بين
الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة عشر سنة وهو
الثابت في الزيجات مثل الزيج الماموني وغيره واما المحققون من المورخين
فيقولون ان بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع
وسبعين سنة فيكون التفاوت بينهما مائتين وتسعا واربعين سنة وسبب
هذا الاختلاف ان من هبط آدم الى وفاة موسى عليهما السلام لا يعلم الا
من التوراة والتوراة مختلفة على ثلاث نسخ . واما ما بين وفاة موسى عليه
السلام وابتداء ملك بختنصر فيعلم من المنجمين . قال ابو عيسى ويعلم من
قرانك زحل والمشتري في المثلثات وهم ايضا مختلفون في ذلك . ونسخ

التوراة ثلاث سامرية وعبرانية ويونانية ففي السامرية ان من هبوط
 آدم الى الطوفان الفس ثلاثمائة وسبع وستين سنة وان الطوفان لستمائة
 سنة خلث من عمر نوح وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتفاق فيكون
 نوح على حكم هذه التوراة قد ادرك من عمر آدم فوق مائتي سنة وانه
 ادرك جميع ابابته الى آدم وهذا غاية المنكر وقد ظهر فسادها من كونها
 تقتضي ادراك نوح آدم وعيشه معه المدة الطويلة . واما التوراة العبرانية
 فهي ايضا فاسدة وذلك لانها تنبي ان بين هبوط آدم وبين الطوفان الفس
 وخسمائة سنة وستا وخسين سنة وبين الطوفان وبين ولادة ابراهيم مائتان
 واثنان وتسعون سنة وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمس سنين
 باتفاق . فالتوراة العبرانية تنبي ان نوحا ادرك من عمر ابراهيم الخليل ثمانيا
 وخسين سنة وهذا ايضا غاية المنكر فان نوحا لم يدرك ابراهيم اصلا . واما
 التوراة اليونانية فهي التي اختارها المحققون من المورخين وليس فيها ما
 يقتضي لانكار من جهة الماضي من عمر الزمان وهي توراة نقلها اثنان
 وسبعون حبرا من قبل ولادة المسيح بقريب ثلاثمائة سنة لبطليموس اليوناني
 الذي كان بعد لاسكندر بطليموس واحد والذي تنبي به هذه التوراة
 اليونانية ان ما بين هبوط آدم والطوفان الفان ومائتان واثنان واربعون
 سنة وما بين الطوفان - وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح عليه
 السلام - وبين مولد ابراهيم الخليل الف واحد وثمانون سنة وبين مولد
 ابراهيم و وفاة موسى خسمائة وخمس واربعون سنة باتفاق نسخ التوراة جميعها
 وبين وفاة موسى وبين ملك بختنصر فيه خلاف بين المنجمين والمورخين
 واما بين ابتداء ملك بختنصر وبين الهجرة فهو الف وثلاثمائة
 وتسع وستون سنة وسبعة عشر يوما وليس فيه خلاف لان بطليموس اثبت
 واريخ به رمده فيكون بين الهجرة وبين هبوط آدم ستة آلاف سنة
 ومائتان وست عشرة سنة . وهذا القدر هو المختار وعليه المبني حسبما اعتمد
 المويد وبني عليه كتابه . واما الذي اختاره المنجمون واثبتوه في الزيجات

من المدة بين وفاة موسى وبين يختصر فائه ينقص عما ذكرناه مائتين وتسعا واربعين سنة . انتهى من المختصر . وقال الواقدي رحمه الله ان التاريخ كان من ادم عليه السلام الى الطوفان ثم الى نار الخليل ثم ارم ثم اسماعيل من بناء البيت ثم الى معد بن عدنان ثم الى كعب بن لوي ثم من كعب الى عام الفيل . وحكى محمد بن سعد عن ابن الكلبي ان حمير كانت تورخ بالتابعة وفسان بالسد واهل صنعاء بظهور الحبشة على اليمن ثم بغلبة الفرس . ثم ارمخت العرب بالايام المشهورة كحرب البسوس وفي الصحاح والبسوس اسم امرأة وهي خالة جساس بن مرة الشيباني كانت لها ناقة يقال لها سراب فرأها كليب وائل في جاه وقد كسرت بيض طير كان اجاره فرمى صرعها بسهم فوثب جساس على كليب فقتله فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها اربعين سنة حتى ضربت بها العرب المثل في الشوم وبها سميت حرب البسوس . وارخوا بداحس والغبراء وداحس اسم فرس مشهور لقيس بن زهير بن حذيفة العبسي ومنه حرب داحس وذلك ان قيسا وهذيفة ابن بدر الذبياني ثم الفزاري تراءى على خطر مشرين بعيرا وجعلوا الغاية مائة غلوة والمضمار اربعين ليلة والمجرى من ذات لاصاد فاجرى قيس داحسا والغبراء واجرى حذيفة الخطار والحفاء فوضعت بنو فزارة رط حذيفة كميناً على الطريق فردوا الغبراء ولطموها وكانت سابقة فهاجت الحرب بين عيس وذيان اربعين سنة . وارخوا بيوم ذي قار وهو يوم لبني شيبان وكان ابرويز غزاهم فظفر بنو شيبان وهو اول يوم انتصرت فيه العرب على العجم . وارخت العرب بالفجارات ونحوها وهو بكسر الفاء بعدها جيم وآخره راء ككتاب وهو يوم من ايام العرب وهي اربعة افجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية وكانت الدائرة على قيس . وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لانها كانت في الاشهر الحرم فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجزنا . وبين عام الفيل والفجار المذكورة عشرون سنة وبين الفجار وبناء الكعبة خمس

عشرة سنة وبين بناء الكعبة ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس سنين . وكان حرب الفجار في شوال كما قاله الواقدي وقيل في شعبان كما في الروض لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما قال ابن هشام وقال ابن اسحاق عشرين سنة . وكان قبل المبعث بعشرين سنة هاجت حرب الفجار بين قريش وبن معاوية كنانة وبين قيس عيلان وكان الذي هاجها ان عروة الرحال اجار لطيمة للنعمان ابن المنذر فقال البراء ابن قيس احد بني ضمرة انجبرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراء يطلب غفلته حتى اذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراء فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار . فاني انا قريشا فقال ان البراء قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل ان يدخلوا الحرم فاقتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم اياما . وكان لكنانة وقيس ستة ايام في مذكرة يوم شمطة - ويوم العلاء وهما عند عكاظ - ويوم الشرب وهو اعظمها يوما وفيه قيد ابو سفيان - وحرب ابناء امية بن عبد شمس الستة حرب وسفيان وابو سفيان وعمرو وابو عمرو قلت ذكر ستة وفي تسميتهم لم ار سوى خمسة - ويوم الحرية عند نخلة انهزم في قيس الا بنو نصر منهم فانهم ثبتوا . وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ايامهم اخرجهم اعمامهم معهم . وروى ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد حضرته يعني حرب الفجار مع عمومي ورميت فيهم باسهم وما احب اني لم اكن فعلت وكنت انبل على اعمامي . قال جامعهم رحمه الله ورايت لابي عبد الله محمد بن شاكر صلاح الدين ابي عبد الله بن احمد الداراني لاصل الكتيبي الصوفي المورخ المتوفي في شهر رمضان يوم السبت حادي عشر منه بدمشق سنة اربع وستين وسبع مائة كما نقل ذلك من تكملة ابن كثير لابي العباس احمد ابن ابي بكر بن خليل بن علي ابن عبد الله الطبراني الكاظمي رحمه الله

رحمه الله تعالى قال اعني ابن شاکر المترجم له وهو صاحب عيون التواريخ في الجزء الاول منه ما نصه فذكر الحوادث في سنة اربع عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم منها الفجار الثاني وكان بين هوازن وقريش وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كنت انبل على اعمامي يعني يناولهم النبل . وقد روي ان هذا الحرب كان ولرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون سنة وانما سمي الفجار لان بني كنانة وهوازن استحلوا الحرم ففجروا وكان سببه ان النعمان بن المنذر بعث بلطيمة الى سوق عكاظ للتجارة واجارها له الرحال عروة بن عتبة بن جعفر ابن كلاب فنزلوا على ماء يقال له اوراة فوثب البراض بن قيس احد بني بكر بن مناة بن كنانة وكان حليفا فأتكا على عروة فقتله وهرب الى خيبر بعد ما استاق العير ولقي بشر بن ابي حازم الشاعر المشهور فاخبره الخبر وامر ان يعلم بذلك عبد الله ابن جذعان وهاشم بن المغيرة وحرب بن امية بالخبر فاتي اليهم واخبرهم فتشاوروا فيما بينهم وقالوا نخشى من قيس ان يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به حليفا من بني ضمرة وكان البراض حليفا لقريش فاتفق رايهم ان ياتوا ابا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الاسنة وهو يومئذ سيد قيس وشريفها فيقولون له انه كان حدث حادث بين ارض نجد وتهامية وانه لم ياتنا علمه فابوه وقالوا له ذلك فاجار بين الناس واعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا يا اهل عكاظ انه قد حدث من قومنا بمكة حادث اتانا خبره ونخاف ان تخلفنا عنه ان يتهاقم الامر فلا يروعنكم تحملنا ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة فلما كان في اخر اليوم اتى ابا براء الخبر فقال غدرت قريش وخدعتني حرب ابن ابي امية ثم ركب في طلبهم حتى ادركهم بنخلة فاقتتل القوم وكانت الدائرة لقريش وكنانة على قيس فقتلوه قتل ذريعا ونادى عتبة بن ربيعة يومئذ وهو شاب الى الصلح فاصطاحوا وانصرفت قريش . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الفجار فقال حضرتي مع عمومي ورميت فيهم

باسمهم وما احب اني لم اكن فعلت انتهى . وكان اخوان الفجار ان هوازن
وكنانة تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فجاؤا للوعد وكان حرب بن امية رئيس
قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة يتيما في حجره فخص به واشفق من
خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر الا وهو على بعيرة بين الصفيين
ينادي يا معشر مضر علام تقاتلون فقالت هوازن ما تدعو اليه قال الصلح
على ان ادفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دماننا قالوا كيف ذلك قال ندفع
اليكم رهنا منا قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن انت قال انا عتبة بن
ربيعة بن عبد شمس فرضوا ورهيت كنانة ودفعوا الى هوازن اربعين رجلا
فيهم حكيم بن حزام . ولما رأت بنو عامر بن صعصعة الزهن في ايديهم
عنفوا عن الدماء واطلقوهم وانقضت حرب الفجار . وكان يقال لم يسد من
قريش مطلق يعني فقيرا غير عتبة واني طالب فانهما سادا بغير مال . وبين
حرب البسوس ومبعث نبينا صلى الله عليه وسلم ستون سنة . وقيل ان
الفرس ارحت باربع طبقات من ملوكها فالاول بكيومرث وقسيل طهمورث
ويقال كل شاه ومعناه ملك الصين ويعتقدون انه ادم . والثاني بيزدجرد .
وقال في مسالك الممالك اول الفرس الثانية ازديشير بن بابك بن ساسان
ابي اربعة الى ساسان بن بهمن . والثالث بازديشير ابن بابك وهو الذي
جمع ملوك الفرس بعد ان كانت طوائف طوائف . والرابع بانوشروان
العاقل . فمن عدله لما بنى لايران ووفدت اليه رسل الملوك بالهدايا كان
في جانيهم رسول قيصر فنظر الى لايران وحسن بنائه واعجاز صنعتهم وراى
بموضع منه اعوجاجا فسال عن معنى ذلك ف قيل له ان عجوزا لها منزل في
جانب الاعوجاج وان الملك راودها على بيعه ورغبها فابت فلم يكرهها فقال
الرومي هذا الاعوجاج احسن من الاستواء . وذكر القرطبي في مسالك
الممالك عن بعضهم انه قال رايت من انوشروان خصلتين متباينتين
جلس يوما للناس فدخل رجل من خاصته الملك فتعدى مرتبة فامر ان
يجب سنة ثم رايت يوما ونحن عنده في سر من تدبير المملكت وخدمته
خلف

خلف سرير ملكه يتحدثون فارتفعت اصواتهم حتى شغلونا عن بعض ما كنا فيه فقلت له في ذلك وسالته واخبرته بتفاوت الحالين ففسال لي لا تعجب فنحن ملوك على رعيتنا وحرمانا وخدامنا ملوك علينا يلون منا في خلواتنا ما لا حيلة لنا في التحرز معهم . وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتين واربعين سنة من ملكه ولما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة وخذت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بالف عام وغاصت بحيرة ساوة وراى الموبدان وهو القائم بامر دينهم ابلا صعبا تقود خيلا عربا حتى قطعت دجلة فافزع ذلك كسرى وقص عليه الموبدان ما راى فزاده ذلك ذعرا . فكتب انوشروان الى النعمان بن المنذر وقد ولاه امر العرب ان يوجه اليه رجلا من مشاهير العرب يساله عما يريد فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو بن حسان بن نفيلة الغساني . فلما قدم اليه اخبره بما راى فقال له ايها الملك لا علم لي بذلك ولكن جهزني الى خال لي بالشام يقال له سطيج فقال جهزه قال فانه وقد اشفى على الموت فسلم عليه وحياه فلم يجز جوابا فانشد عبد المسيح يقول -

اصم ام يسمع فطريف اليمن يا فاضل الخطبة اعيت من ومن
 اناك شيخ الحى من ال يزن ابيض فضفاض الذكاء والسدن
 رسول قيل العجم يهوي للوشن لا يرهب الموت ولا صرف الزمن
 فلما سمع سطيج قوله رفع اليه راسه وقال عبد المسيح على جل مشيح
 جاء الى سطيج وقد اوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاج
 الايوان وخمود النيران وروى الموبدان راى ابلا صعبا تقود خيلا عربا حتى
 اقتحمت في الواد وانتشرت في البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلابة وبعث
 صاحب الهراوة وفاص وادي السناوة وغاصت بحيرة ساوة فليس الشام لسطيح
 شاما ويعلمك منهم ملوك وملكات على عدد سقوط الشرافات وكل ما هو اات
 اات . ثم قضى سطيج نحبه وقدم عبد المسيح على كسرى فاخبره فقال له

ان يملك اربعة عشر ملكا تكون امور . تنبيه . انما ملت الى استطراد هذه القطعة الشريفة والحجة المنيفة التي برزت فيها بتصديق بعثة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم العدا اذ - الحق ما شهدت به الاعداء - استلذاذا بمرور سماعها واستجلاء بالحث على استماعها اذ هي من قوت قلوب المؤمنين وسراج افئدة المخلصين اذ هو العروة الوثقى والذروة العظمى والمأجى الاحمى والكهف اذا ضاقت المذاهب على المذنبين والسلسال الفياض اذا اشتد الظما بالعصاة المنهمكين . ولقد جذبني المغناطيس الايماني الى حضرة التفكر بضبط اسماء اباائه صلى الله عليه وسلم الطاهرين - محمد بن عبد الله - قال صاحب الصلة معنى عبد الله الخاضع لله الذليل له - ابن عبد المطلب - مفتعل من الطلب واسمه عند ابن قتيبة عامر . قال ابو عمرو بن عبد البر لا يصح وقال ابن اسحاق والجمهور اسمه شيبة وهو الاشهر والاصح . قال ابو عمرو لا نخالف انه يكنى ابا الحارث بابنه الاكبر . - ابن هاشم - اسمه عمرو وشريف المنصب فائض الجود مطعم في الشدائد وسمي عمرو العلاء وعليه قول المادح له -

عمرو العلاء هشم الثريد لاهله قوم بمكة مستئين عجاف

- ابن عبد مناف - اسمه المغيرة وقال مالك لا ادري ما اسمه قال ابو عمرو يكنى ابا عبد شمس قال الاستاذ ابو ذر الحشني مناف اسم صنم اضيف عبد اليه كما في عبد يغوث وعبد العزى - ابن قصي - اسمه عند الاكثر فيما يحكى ابو عمرو زيد مصدر زاد الشيء يزيد زيدا وقيل يزيد وسمي مُجَمَّعاً ايضاً لجمعه قريشا . قال الشاعر -

قصي لعمرى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

قال السهيلي وهو تصغير قصي يعني بالفتح اي بعيد - ابن كلاب - جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كسباع ونمار او هو منقول من مصدر كالت لعدو مكالته وكلاتا . وقد مثل بعضهم لم تسمون ابناؤكم بشر الاسماء كذئب وكنب وعبيدكم باحسنها كرباح ومرزوق فقال ابناؤنا لاعدائنا وعبيدنا

وعبيدنا لانفسنا اي الابناء عدة للعدو وسهام في نحورهم وكان يدعى ذا العزة لنوركان في وجهه يشرق يتعجب منه - ابن مرة - قال ابن دريد المرة شجرة قال السهيلي هو منقول من وصف الحنظلة والعقمة وكثيرا ما يسمون بهما - ابن كعب - منقول من الكعب الذي هو قطعة من السمن او من كعب القدم ورجحه السهيلي لقولهم ثبت ثبوت الكعب وهو الذي سمى يوم العروبة الجمعة - ابن لوي - قيل اصلها من تصغير لاي وهو البطء وفي صحيح اللغة اللاي اسم رجل وتصغيره لوي ومنه لوي بن غالب وغالب قال صاحب الاعلام كان صاحب عصرة في كرم فمخارة وجميل آثاره له مآثر ظاهرة واخبار شائعة سائرة - ابن فهر - قال صاحب الاعلام هو جماع قریش وليس احد منهم إلا من ولده ومنه افتقرت البطاح وقریش الظواهر وقاله السهيلي في كتاب التعريف لكنه استحسن انهم بنو النظر ابن كنانة على ما ياتي والفهر بكسر الفاء الحجر الاملس يملأ الكف وهو مونث وتصغيره فهيرة قاله ابن دريد . وفي الصحاح يذكر ويونث والجمع افهار - ابن مالك - قال ابن باديس لم اقف على شرحه - ابن النضر - النضر الذهب وكذلك النضارة والنضير وقيل النضار الخالص من كل شيء والنضر كلما استحسن وسمي بذلك لحسنه وجماله فنضار منقول منه . قال القضاي في عيون المعارف اسمه عامر وهو ابو قریش كلها ونحوه عن ابن دريد وان سن لم يكن من ولده ليس بقرشي . وقد تقدم ان فهار هو جماع قریش والخلاف ظاهر بينهما فلا نطيل بذكره هنا - ابن كنانة - قال صاحب الصلة الكنانة جعبة السهام . قال ابن دريد ان كانت من ادم فهي كنانة ومن خشب فهي جفير - ابن خزيمة - الخزم مثل الدوم تصغير خزيمة بالفتح او بالسكون واحدة الخزم . قال ابو حنيفة الخزم مثل الدوم يتخذ منه سعف الحبال ويصنع من اسافله خلايا النحل وله ثمر لا يأكله إلا الغراب ويستطيعه - ابن مدركة - قال صاحب الاعلام ذو فخر ظاهر وشرف باهر وذكر سائر وله مآثر قيل هو اسم فاعل من ادرك والهاء

للمبالغة كعلامة ونسابة واسمه عامر واخوه عمر ابن الياس قال صاحب الاعلام هو اول من اهدى البدن الى البيت قال ابن الانباري وهو بكسر الهمزة مثل اسم الياس النبي عليه السلام ويقال انما سمي السل داء الياس وداء ياس لان الياس بن مضر مات به وانشد في ذلك -

بي الياس او داء الهيام اصابني فايك عني لا يكن بك ما بيا
وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم بالهج - ابن مضر - قال صاحب الاعلام كان له من الشرف ونباهة
الذكر وقدم المجد وسمو العز ما يستغني عن التنبية وهو لا ينصرف
للعدل والمعرفة كعمرو وسمي به لبياضه وهو اول من سن حذاء الابل
وكان احسنهم صوتا سقط عن بعيره يوما فوثبت يده فكان يمشي خلف الابل
ويقول بصوت حنين وايداه يترنم بذلك فاعتقت الابل وذهب كلالها فمن
ذلك اتخذته العرب تنشيطا لها فيما زعموا - ابن نزار - بكسر النون من النزر
وهو القليل التافه - قال السهيلي كان ابو معد نظر الى نزار حين ولد
فشاهد نور النبوة بين عينيه وهو الذي كان ينتقل في الاصلاب ففروح
ونحر واطعم وقال ان هذا كله نزر لحق هذا المولود فسمي نزار لذلك
- ابن معد - مفعول من العد فاليم زائدة والتعدد تمام الشدة والقوة تعدد
الشيء اذا غلظ - قال الشاعر -

ريته حتى اذا تعدد وصار نهذا كالحصان اجودا

كان جزائي بالعصا ان اجلدا

- ابن عدنان - فعنان من عدن بالمكان بالفتح يعدن بالكسر اذا اقام به
ومنه جنات عدن ومنه سمي المعدن بكسر الدال لانه يقام فيه الشتاء
والصيف على طلب جواهره - وقال ابن قتيبة لعدون الذهب والفضة
وغيرهما فيه وعدن بلد - قال صاحب الاعلام وقد ذخر الله لعدنان بينيه
اوفر حظوظ الشرف واسناها وارفع مراتب المجد واعلاها - وقد اجاد ابن
الرومي في قوله -

كم من اب قد علا بابن له شرف كما علا برسول الله عدنان
 ويقال انه اول من كسى الكعبة انطاع لاديم . انتهى ما اتفق على
 صحته اجماع لامة . واما ما وقع فيه لاختلاف بين العلماء فاولهم
 - ادد ابو عدنان - وهو بضم الهمزة فعل كصرد من الود والهمزة بدل من الواو
 ويجوز ان يكون من لاد بالكسر وهو لامر العظيم ومنه - لقد جئتم شيئا ادا
 وقد ضبطه بعضهم غير مصروف - ابن مقوم - بكسر الواو ويضبط بفتحها
 - ابن ناحور - فاعول من النحر كجاروف من الجرف وضبطه بعضهم بالميم
 مكان النون وعزاه لرواية الخشني في السيرة - ابن تيرج - فيعل من الترحة
 وهو الحزن - ابن يعرب - بضم الراء المهملة بعد العين المهملة قيل من اعرب
 في كلامه اذا افصح فيه او من اعرب عن نفسه اذا ابان عنها - ابن
 يشجب - بضم الجيم من الشجب محركا وهو الهلاك او الحزن للاءداء - ابن
 فابت - بنون ثم باء موحدة مكسورة بينهما الف ءاخرة تاء مثناة من فوق
 اسم فاعل من نبت - ابن اسماعيل - قيل معناه مطيع الله - ابن ابراهيم - قيل
 معناه اب راحم - ابن تارح - بتاء مثناة فوق وراء مفتوحة وحاء مهملتين
 وهو عازر كما جاء في القرءان - ابن ناحور - بنون وحاء مهملة كلنظ لاول
 المتقدم - ابن ساروح - بسين وراء وحاء كلها مهملة - ابن راعر - براء وسين
 مهملتين وضبطه بعضهم بالمعجمة وقال معا - ابن فالخ - بفاء ولام مفتوحة
 وحاء معجمة وكسر بعضهم اللام ومعناه القسام - ابن عيبر - وزن خيبر بعين
 مهملة وياء ساكنة مثناة ثم باء موحدة ويقال عابر - ابن شالخ - بشين
 معجمة ولام مفتوحة وحاء معجمة وكسر بعضهم اللام قال السهيلي ومعناه
 الوكيل الرسول - ابن ارفخشذ - براء مهملة ساكنة بعد الهمزة ثم فاء مفتوحة
 ثم خاء معجمة ساكنة ثم شين معجمة مفتوحة ثم ذال معجمة قال السهيلي
 تفسيره مصباح - ابن سام - بسين مهملة وهو شهير - ابن نوح - عليه
 السلام واسمه عبد الغفار قيل وسمي نوحا لنوحه على نفسه والله اعلم - ابن
 لامك - بكسر الميم وفتحها ويقال لك قال السهيلي وهو اول من اتخذ حود

الغناء واتخذ مصانع الماء - ابن متوشلخ - بفتح الميم وضم التاء المشددة وفتح
 الشين المعجمة وبعدها لام ساكنة وقد تفتح ثم خاء معجمة وقد تضم الميم
 وتخفف التاء وتفتح هي والواو معا وتسكن الشين واللام مفتوحة وتفسيره
 مات الرسول لان اباة كان رسولا وهو خنوخ بنحائين معجمتين الاولى مفتوحة
 بعدها نون مضمومة قال ابن اسحاق هو ادريس . وذكر عن ابي ذر
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول من كتب بالقلم
 ادريس وعنه اول من كتب بالعبرانية اسماعيل - ابن يرد - بياء مثناة من
 اسفل مفتوحة ثم راء ساكنة بعدها دال مهملة ويقال يارد بفتح الراء
 وتفسيره الضابط - ابن مهلايل - بفتح الميم وسكون الهاء يهمز ويسهل ومعناه
 الممدح وفي زمانه كان بدء عبادة الاصنام - ابن قين - بفتح القاف وياء
 مثناة من اسفل ساكنة ثم نون الاولى مفتوحة وقد يقال قينان بالف
 وتفسيره المستوي - ابن يانش - بياء مثناة من تحت ثم نون مفتوحة
 بعد لالاف ثم شين معجمة قال السهيلي وهو اول من غرس النخلة وبوب
 الكعبة وبذر الحبة - ابن شيث - بكسر الشين المعجمة بعدها ياء ساكنة
 مثناة من اسفل اخرة ثاء مثلثة وتفسيره عطية الله - ابن عادم عليه السلام
 وهو ابو البشر ، هذا ما ادركناه من ذكر السلسلة التي طابت اصلا وزكت
 فصلا اه من حاشية ابن باديس على شرح الشريف للجرومية . وكانت وفاة
 ابن باديس المذكور رحمه الله في الثالث الاخير من ليلة الاحد ثاني المحرم
 سنة اربع ومائة والى كذا نقلته من خط ابنه . ومن كتاب الانوار في
 آيات النبي المختار تأليف العلامة ابي زيد عبد الرحمن بن محمد الشعالي
 رحمه الله في باب بعثه صلى الله عليه وسلم الى كسرى انوشروان ما نصه
 روى ابو سعيد النيسابوري بسنده الى عبد القادر ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله واثنى عليه وتشهد ثم
 قال اما بعد فاني اريد ان ابعث بعضكم الى ملوك الاعاجم فلا تختلفوا علي
 كما اختلفت بنو اسرائيل على عيسى فقال المهاجرون يا رسول الله لا
 نختلف

فختلف عليك ابدا فمرنا وابعثنا فبعث شجاع بن وهب الى كسرى فخرج
حتى قدم على كسرى وهو بالمدائن فاستاذن على كسرى فامر كسرى بايوانه
ان يزين ثم اذن لعظماء فارس ثم اذن لشجاع فلما دخل عليه امر كسرى
بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبض منه قال شجاع لا حتى
ادفعه انا كما امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كسرى ادن
فدنى فناوله الكتاب ثم دعا كاتباً له من اهل الحيرة فقراه فاذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى كسرى عظيم فارس
فاغضبه حيث بدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح وغضب
ومزق الكتاب قبل ان يعلم ما فيه وامر شجاع ابن وهب يخرج فلما راي
ذلك قعد على راحلته ثم سار وقال والله ما ابالي اذ اديت كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهبت عن كسرى سورة الغضب بعث الى
شجاع ان يدخل عليه فلم يجده فطلب الى الحيرة فلما قدم شجاع على النبي
صلى الله عليه وسلم اخبره بما كان من كسرى وتمزيقه الكتاب فقال صلى
الله عليه وسلم مزق كسرى ملكه . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما
قال فلما قراه كسرى مزقه قال فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ان
يمزقوا كل ممزق . قال ابو سعيد النيسابوري وروي في بعض الكتب
ان كسرى كان في مسير له ليلاً فتهوم على مركبه وطال حتى استثقل فمال
فخاف سن وراة السقوط فاقى رجل منهم فايقظه فانتبه مذعوراً لرويا
وعاها قطعها عليه الموقظ له وقال رايت قاتلاً يقول لي انكم غيرتم فقير
ما بكم ونقل الملك الى اجد . ورايت هذه الرويا في موضع آخر وان
كسرى عرض على الله تعالى فقال له سلم ما بيدك لصاحب الهراة فكان
يتوقع حادثه تحدث حتى كتب النعمان بن المنذر اليه بظهور رسول الله
صلى الله عليه وسلم . وروي ان كسرى خلا يوماً للذاتة ولهوة وامر ان لا
يبلغ اليه خبر يسوءة ولا يوصل اليه كتاب من احد من عماله ليامن على
سرورة قسألوا فينما هو كذلك اذ سمع صوت البريد فسال عنه فقالوا كتاب

عامل السواد فتعلق قلبه به وقال لهم ما ادري إلا ان قلبي متعلق بما ورد به حتى اعلم هذا اعظم علي مما انا فيه فاوصلوا الكتاب فقرأه فاذا الكتاب يخبره فيه العامل ان الفرات اتى بمد لم يسمع بمثله وانه فاض وغرق زروع الناس ومنازلهم وافسد ثمارهم فغمه ما نال رعيته من الضرر في اموالهم وما نال جنوده بذهاب الخراج الذي كان يجبي من السواد فسهل عليه وزراة ذلك وتسببوا للجنود في اموال كثيرة من وجوه ثم عاد للهوة . ثم سمع صوت بريد آخر فسال عنه فقالوا كتاب العامل على ارمينية فتعلق به قلبه ثم امر بايصال الكتاب اليه فاذا فيه ان الجنود شغبوا على عاملهم فقتلوه واستباحوا ما قبله من المال وجاهروا بالمعصية فغمه ذلك ايضا ثم سهل عليه وزراة وتضمنوا له اصلاح تلك الناحية بغير جند ينفذ حتى يعود الجند الى الطاعة وعاد الى للهوة . ثم سمع صوت بريد آخر فسال عنه فقالوا كتاب العامل على بعض ارمينية فتعلق به قلبه وامر بايصال الكتاب اليه فاذا هو كتاب النعمان بن المنذر يخبره بانه خرج رجل من ارض تهامة يخبر بانه رسول الى اهل السماء والارض كافة فافطعه ذلك واكبره وعلم انه ذلك الذي يتوقعه ويراه في منامه . قال الثعالبي رحمه الله تعالى قلت وكسرى هذا الذي مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم به بان الله وعده ان يقتل كسرى فكان الامر كذلك فقتله ولده شيرويه ومزق الله ملك فارس على ايدي اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وايضاح ذلك كما في اول كتاب الانوار في ذكر حديث باذان وما تضمنه من كرامة نبينا صلى الله عليه وسلم ما نصه - وذكر ابن اسحاق وغيره ان اهل اليمن لما طال البلاء عليهم بتغلب الحبشة خرج سيف بن ذي يزن يطلب الصرخة فقدم على قيصر فشكى اليه امر الحبشة وسار حتى اتي النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما والاها فشكى اليه امر الحبشة فادخله على كسرى وقال ايها الملك غلبنا على بلادنا لاغربة فقتل كسرى واي لاغربة الحبشة

أو السد فقال بل الحبشة فجتك لتصرفني ويكون ملك بلادي لك
قال بعدت منا بلادك مع قلته خيرها فلم اكن لاورط جيشا من فارس بارض
العرب لا حاجة لي بذلك ثم اجازة بعشرة آلاف درهم وكساه كسوة
حسنه فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينشر تلك الوراق للناس . فبلغ
ذلك الملك فقال ان لهذا لشانا فبعث اليه فقال له عمدت الى حباء
الملك تنشره للناس . فقال وما اصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت منها
إلا ذهب وفضة فرغبه فيها . فجمع كسرى مرازبته فقال ما ترون في هذا
الرجل وما جاء له . فقال قائل ايها الملك ان في سجونك رجالا للقتل فلو
انك بعثتهم معه فان يهلكوا كان الذي اردت بهم وان يظفروا كان ملكا
ازددته . فبعث كسرى معه سن كان في سجونهم واستعمل عليهم وهرز وكان
ذا شرف فيهم ومن افضلهم حسبا وبيتا فخرجوا في السفن ووصلوا ساحل
عبدن فخرج سيف الى وهرز سن استطاع من قومه وقال له رجلي مع
رجلك حتى نموت جميعا او نظفر فقال له وهرز انصفت ثم تقاتلوا مع الحبشة
وملكهم يومئذ مسروق بن ابرهة . فلما تواقف الناس على مصافهم قال لهم
وهرز اروني ملكهم فقالوا اترى رجلا عاقدا على راسه تاجا بين عينييه ياقوتته
جراة قال نعم قالوا ذلك ملكهم قال اني سارميه فان رايتهم اصحابه لم
يتحركوا فاثبتوا حتى اذنكم فاني قد اخطأت الرجل وان رايتهم القوم قد
استداروا ولاثروا به فقد اصبت الرجل فاجلوا عليهم ثم اوترقوسه وكانت
فيما يزعمون لا يوترها غيره لشدتها وامر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك
الياقوتة التي بين عينييه فتغلغلت النشابة بين عينييه حتى خرجت من
قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولائت به وجلت عليهم الفرس
فانهزموا وقتلوا وهربوا في كل وجه واقبل وهرز فدخل صنعاء . قال ابن
اسحاق فاقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الابناء
الذين باليمن اليوم . ثم مات وهرز فامر كسرى ابنه على اليمن ثم امر بعده
ابن ابنه باذان . فلم يزل على اليمن حتى بعث الله سيد المرسلين وخاتم

النبيئين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم . قال ابن اسحاق بلغني عن الزهري انه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغني ان رجلا من قریش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبّه فان تاب وإلا فابعث الي براسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وعدني ان يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا فلما اتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال . قال ابن هشام قتل على يد ابنه شيرويه وقال خالد بن حق -

وكسرى اذ تقسمه بنوه باسياف كما اقتسم اللحم
تمخضت المنون له بيوم انى ولكل حاملته تمام

قال الزهري فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام سن معه من الفرس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال السهيلي وكسرى هذا هو ابن هرمز وهو الذي غلب الروم حين انزل الله تعالى - اَلَمْ غَلِبْتَ اَلرُّومَ . وكان مقتل كسرى حين قتله ابنه ليلة الثلاثاء العشرين من جادى الاولى سنة تسع من الهجرة وكسرى هو الذي عرض في المنام على الله فقال له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذكورا مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بن المنذر بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم ان الامر سيصير اليه حتى كان من امر الله ما كان وهو الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم . قال السهيلي واسلم باذان باليمن في سنة عشر وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الابناء يدعوهم الى الاسلام فمن الابناء وهب بن منبه وطاووس وداؤويه وفيروز الذين قتلوا الاسود العنسي وقول خالد بن حق تمخضت المنون له بيوم ان المنون المنيّة وهو ايضا من اسماء الدهر قوله انى اي حان . قال الثعالبي وفي بعض النسخ لابن اسحاق اتى بالتاء المثناة فوق ومعناه صحيح . وذكر ابو

سعيد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن حذافة الى كسرى بن هرمز وكتب اليه - بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فاني انا رسول الله عز وجل الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحقق القول على الكافرين اسلم تسلم فان ابيت فعليك اثم المجوس - فلما قرأه تسفهم وقال يكتب الي بمثل هذا الكتاب . قال محمد بن اسحاق بن سار حدثني الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن ان عبد الله بن حذافة قدم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى فشقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكه حين بلغه انه شق كتابه . ثم كتب كسرى الى باذان وهو باليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتياني به فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وكان حاسبا كاتباً بكتاب فارس وبعث معه رجلا من الفرس وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامره ان ينصرف الى كسرى وقال لبانويه انظر ما الرجل وكلمه واثني بخبرة فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش تجارا فسالاهم فقالوا هو بالمدينة واستبشروا بهما وفرحوا وقال بعضهم لبعض ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل . فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بانويه فقال ان شهنشا ملك الملوك كسرى قد كتب الى الملك باذان يامره ان يبعث اليك سن ياتيهم بك وقد بعثني اليك لتتطلق معي فان فعلت كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان ايت فهو سن قد علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك . وقد دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما واعفيا شواربهما فكرة النظر اليهما وقال ويلكما سن امركما بهذا قالوا ربنا يعنينا كسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن ربي عز وجل

قد امرني باعفاء لحياتي وقص شواربي ثم قال ارجع حتى تأتياني غدا .
 فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ان الله تعالى قد سلط
 على كسرى ابنه شيرويه في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا وكذا
 من الليل فلما عادا اليه من الغد اخبرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقالا هل تدري ما تقول انا قد نعمنا عليك ما هو ايسر فنكتب هذا عنك
 ونخبر به الملك قال نعم اخبراه بذلك عني وقولا له ان سلطاني سيبلغ ما
 بلغ ملك كسرى وينتهي الى منتهى الخف والمحافر وقولا له ان اسلمت
 اعطيتك ماتحت يديك وملكتك على قومك من الابناء . ثم اعطى خرخره
 منطقة فيها ذهب وفضة كان اهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى
 قدما على باذان فاخبراه الخبر فقال والله ما هذا بكلام ملك وانى لارى
 الرجل نبينا كما يقول ولنظرن ما قد قال فلئن كان هذا حقا ما فيه
 كلام وانه لنبي مرسل وان لم يكن فسرى فيه رايضا . فلم يلبث باذان
 ان قدم عليه كتاب شيرويه - اما بعد فاني قد قتلت كسرى ولم
 اقتله الا غضبا لفارس لما كان يستحل من قوم اشرافهم فاذا جاءك كتابي
 هذا فخذ لي الطاعة من قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك
 فيه فلا تهجم حتى ياتيئك امري فيه - فلما انتهى كتاب شيرويه الى
 باذان قال - ان هذا الرجل لرسول - فاسلم باذان واسلمت الابناء من
 فارس سن كان منهم باليمن . وقد قال بانويه لباذان ما كلمت قط اهيب
 منه عندي فقال باذان هل معه شرط قال لا . وروي عن الحسن البصري
 رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما حجة الله على كسرى فيك قال بعث الله عز وجل
 اليه ملكا فاخرج يده من سور جدار بيته الذي هو فيه تتللا نورا فلما
 رءاها فزع فقال لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا
 فاتبعه تسلم لك دنياك وءاخرتك قال سأنظر في ذلك . وروى الزهري
 عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال بعث الله سبحانه وتعالى
 الى

ال كسرى ملكا وهو في بيت ايوانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه
إلا وهو قائم على راسه وفي يده عصا بالهاجرة في الساعة التي كان يقيل فيها
فقال يا كسرى اتسلم او اكسر هذه العصا فقال بهل بهل قال فانصرف
عنه قال ثم دعى حرسه وجبابه فتغيظ عليهم وقال سن ادخل علي هذا
الرجل قالوا ما دخل عليك لا رايناه حتى اذا كان العام القابل اتاه في
الساعة التي اتاه فيها وقال له كما قال المرة الاولى اتسلم او اكسر هذه العصا
قال بهل بهل قال فانصرف عنه قال ثم دعى حرسه وجبابه وتغيظ عليهم
وقال لهم كما قال اول مرة فقالوا ما راينا احدا دخل عليك حتى اذا كان
العام الثالث اتاه في الساعة التي جاءه فيها فقال له كما قال في الاولى
والثانية ثم قال له اتسلم او اكسر هذه العصا قال بهل بهل قال فكسر
العصا ثم خرج فلم يكن إلا تهوور ملكه وانبعاث ابناء فارس حتى قتلوه .
قال عبد الله ابن ابي بكر فقال لي الزهري حدثنا عمر بن عبد العزيز
هذا الحديث عن ابي سلمة بن عبد الرحمن فقال لي ذكر ان الملك انما
دخل عليه بقارورتين قال اتسلم فلم يفعل فضرب احدهما على الاخرى
فرضهما ثم خرج فكان من هلاكه ما كان . وقد ذكر ابو الربيع الكلاعي
حديث العصا من رواية الواقدي وفيه انه في المرة الاخيرة ضربه بالعصا
على راسه فكسرها وخرج من عنده قال فيقال ان ابنه قتله في تلك
الليلة والله اعلم . قال الثعالبي وقد مزق الله ملك فارس على ايدي
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . وروى مسلم في صحيحه عن انس
رضي الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى
قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله تعالى الحديث . وفي
صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث بكتاب الى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان
يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه مزقه
فحسبت ان ابن المسيب قال فدعى عليهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان يمزقوا كل ممزق . ورواه ايضا ابو داود والنسائي - انتهى من كتاب الانوار . وقد تقدم ما انشد عبد المسيح بين يدي سطيح بقوله اصم ام يسمع غطريف اليمَن النخ فقد رواها ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن الازدي الاندلسي من طريق آخر وهي -

اصم ام يسمع غطريف اليمَن ام فاد فظلم به شاوي العنن
يا فاضل الخطبة اعيت من ومن اتاك شيخ الحي من ءال سنن
وامه من ءال ذئب بن جنن ابيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يهوي للوثن لا يرهب الرعد ولا ريب الزنن
تجوب في الارض علنداة شدن ترفعني وجن وتهوي بي وجن
حتى اتى عاري الجأجي والقطن تلفه الريح بوغاء الدمــــن
كانما حشحت من حصني شكن

الغطريف هو السيد الشريف - فاد اي مات يقال منه فاد يفود - وازلم به اي قبض ويحتمل ان يكون بمعنى ولى يقال ازلام القوم اي ولوا فيكون مقصورا منه - وقوله شاوي العنن يريد الموت وما عن منه - الفضفاض الواسع - القيل الملك واصله قيل مثل سيد وهو الذي له قول نافذ - العلنداة الناقة الشديدة والبعية علندى - شدن اي غليظ - الوجن الثن من الارض - الجأجي جمع جوجو وهو الصدر فجعل كل موضع من الصدر جوجوا كما قال شابت مفارقه - البوغاء الثراب الهابي - الدمن جمع دمنة وهي الموضع القريب من الدار التي بليت - حشه على الشيء اي حصنه عليه واستحشه وحششه بمعناه - شكن اسم جبل . قال الازدي وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له ووجهه في صدره ولم يكن له راس ولا عنق ولا يقدر على الجلوس إلا اذا غضب انتفخ فجلس . وذكر عن وهب بن منبه انه قيل له انى لك هذا العلم فقال لي صاحب من الجن استمع اخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى فهو يودي الي من ذلك ما يودي - والله اعلم . ولنرجع لكمال الفصل - وروى هشام بن الكلبي عن ابيه اما الروم فارخت

فأرخت بقتل دارا الى ظهور الفرس عليهم والقبط ببختنصر الى قلاو بطرة صاحبة مصر واليهود ببيت المقدس والنصارى برفع عيسى . قال العيني واليونان بملك شلم بن فريدون ثم بظهور الاسكندر والمجوس بكيومورث ثم بظهور افريدون ثم بظهور ازديشير ثم بيزدجرد .

الفصل الثالث في سبب وضع التاريخ في الاسلام

قال السيوطي رحمه الله والمحموط ان الامر بالتاريخ من عمر بن الخطاب رضي الله عنه اخرج به البخاري في الباب المفرد والمحاكم عن مكحول بن مهران رفع الـ سيدنا عمر رضي الله عنه ورقة فيها شعبان فقال شعبان الذي نحن فيه او الذي مضى او لا اني قال قال سيدنا عمر رضي الله عنه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ضعوا للناس شيئا يعرفونه من التاريخ فكان عمر رضي الله عنه اول من حض على ذلك فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فقال ان الروم يطول تاريخهم يكتبون من ذي القرنين فقال اكتبوا على تاريخ فارس ولم يزل يدور الحديث الـ ان اجمع رأيهم ان الهجرة كانت عشرين فكتبوا التاريخ من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فكان عمر رضي الله تعالى عنه اول من وضع التاريخ واول من عمر بالليل والناس قيام واول من نهى عن بيع امهات الولد واول من جمع الناس في صلاة الجنازة على اربع تكبيرات وكانوا قبل ذلك يكبرون اربعا وخمسا وستا واول من جمع الناس على امام واحد يصلي بهم التراويح في شهر رمضان وكتب بذلك الـ سائر البلدان وامرهم به واول من جمع الدرة وضرب بها ودون الدواوين . وروى ابن السمرقندي ان ابا موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه كتب الى عمر رضي الله عنه انه تاتينا منك كتب ليس لها تاريخ فأرخ لتستقيم الاحوال فأرخ . وقال في سمط اللال ولم يكن في صدر الاسلام تاريخ الـ ان ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وافتتح بلاد العجم ودون الدواوين وجبا الخراج واعطى الاعطية فقيل له الا تورخ فقال وما التاريخ فقالوا شيء كانت تفعله الاعاجم

يكتبون في شهر كذا من سنة كذا فقال عمر رضي الله عنه هذا احسن فارخوا .
وقال ابن اليقطين رفع الى عمر رضي الله عنه صك محله في شعبان فقال
ايما شعبان هذا الذي نحن فيه ام الماضي ام الذي ياتي . وقال الهيثم
ابن عدي اول سن ارخ يعلى ابن امية كتب الى عمر رضي الله عنه
من اليمن كتابا مورخا فاستحسنه وشرع في التاريخ . انتهى .

الفصل الرابع في مبدا التاريخ الاسلامي

واما التاريخ الاسلامي ففي ابتدائه اختلاف فروى واسطة عقد الحفاظ
جلال الدين السيوطي رحمه الله ذكر التاريخ من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة وازكى التحية حديثا مسندا عن ابن شهاب ان النبي
صلى الله عليه وسلم امر بالتاريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع الاول رواه
يعقوب بن سفيان حديثا يسند عن ابن شهاب انه قال التاريخ من
يوم قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرا وقال ابن عساكر هذا هو
الصحيح والصواب . وروى ابن عساكر ايضا في تاريخ دمشق عن انس بن
مالك رضي الله تعالى عنه انه قال كان التاريخ من قدوم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة . وكذا قال الزهري قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة في ربيع الاول فارخوا . وقال الحافظ المحفوظ ان الامر بالتاريخ
من زمن عمر رضي الله عنه كما قدمناه في الفصل قبله . وقال ابن عباس
رضي الله عنهما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس لهم تاريخ فكانوا
يورخون بالشهر والشهرين من مقدمه صلى الله عليه وسلم فاقاموا على ذلك
الى ان توفي النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع التاريخ ومضت ايام ابي
بكر رضي الله تعالى عنه على هذا واربع سنين من خلافة عمر ابن الخطاب
رضي الله تعالى عنه ثم وضع التاريخ . وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لما عزم عمر على التاريخ جمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم واستشارهم
فقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ارخ لوفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ارخ لهجرته

صلى الله عليه وسلم فانها فرقت بين الحق والباطل . وقال آخرون لمولده صلى الله عليه وسلم . وقال قوم لنبوته صلى الله عليه وسلم وكان هذا الكلام في سنة سبع عشرة من الهجرة وقيل في ست عشرة فاتفقوا على قول علي رضي الله عنه وكرم وجهه . قال ابو العباس احمد بن احمد الطبري كان ذلك يوم الاحد اول يوم من المحرم وبينه وبين التاريخ الذي كان يورخ به الفرس قبل الهجرة ثلاثون سنة فارسية واولها يوم الاثنين اول يوم من فروردين ماه وبين اول تاريخ الهجرة وتاريخ الروم تسعمائة سنة واثنان وثلاثون سنة سريانية وزيادة مائة وستة وثمانين يوما . ثم اختلفوا في الشهر فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه ارخ من رجب فانه اول الاشهر الحرم . وقال طاحنة رضي الله تعالى عنه من شهر رمضان لانه شهر الامنة . وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه من المحرم لانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم . وقيل انما اشار بذلك اي بالمحرم عثمان رضي الله تعالى عنه والاول اصح . وقال ابن سيرين وابن المسيب ثبت التاريخ بمشورة علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه . وقال الاصمعي انما ارخوا من ربيع الاول شهر الهجرة وهو وهم .

الفصل الخامس في ذكر الاسوة فيه بالقرءان

العظيم والسنة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية اعلم ان الضرب الذي اهتمت به ارباب الحديث ان يكون المقصد فيه احوال الولاة والعلماء والقضاة وفضلاء الروساء واهل المقامات الشريفة والسيرة المحمودة المحمدية من اوقات ولاداتهم ووفياتهم وطرفا من مقالاتهم ورواياتهم ومشائخهم ورواتهم . قال نجامه عفى الله تعالى عنه والحمد لله ان هذا المبارك مقلد بعقود مآثر العلماء ومضمخ بعبير فضلاء الوقت والقدماء ومتوج ببيواقيت مدح المنزل عليه . وانك لعلی خلق عظيم - سراج الامنة وهاديهم - وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم - المتوج بالفضل العظيم المرتضى المبشر بقصارى الشفاعة - وسوف يعطيك ربك فترضى - صلى الله عليه

وعلى والده وصحبه وسلم تسليماً . قال في سطر اللال ما نصه قال الرافعي قد وضع الاستدلال بالتاريخ في الكتاب العظيم في قوله تعالى - قل يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده افلا تعقلون - وهذا من لطيف الاستدلال ونفائسه من حيث انه تعالى استدلل على بطلان دعوى اليهود في ابراهيم عليه السلام انه يهودي وبطلان دعوى النصارى في ابراهيم انه نصراني وقال الله جل جلاله وهو اصدق القائلين - وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين - . وقال عز من قائل - ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر - . وقال سبحانه وتعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء - وقال عز وجل - ونبئهم عن صيف ابراهيم - لاية وقال تبارك وتعالى - نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون - وقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ذكر الله التاريخ في كتابه العزيز فقال - ويسالونك عن لاهلته قل هي مواقيت للناس والحج - اي في حل دينهم وصومهم وفطرمهم وعدة نسائهم والشروط الالهية ان تنتهي الى اجل معلوم * -

واما ما جاء من الاسوة في التاريخ بالسنة المحمدية

على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

فقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث ام زرع وغيره مما جرى في الجاهلية والاسلام والاحاديث الاسرائيلية فحديث ام زرع حسبما رواه الشيخ الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله في الشمائل حدثنا علي بن حجر حدثنا عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جلس احدهم عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من اخبار ازواجهن شيئاً فقالت لاولى زوجي لحم جمل غث على راس جبل وعمر لا سهل

لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل قالت الثانية زوجي لا ابث خبره
 اني اخاف ان لا اذرة ان اذكرة اذكر عجرة وبجرة قالت الثالثة زوجي
 العشق ان اطلق اطلق وان اسكت اسكت قالت الرابعة زوجي كليل
 تهامة لاحر ولا قر ولا مخافة ولا سامة قالت الخامسة زوجي ان دخل
 فهد وان خرج اسد ولا يسأل عما عهد قالت السادسة زوجي ان اكل لف
 وان شرب آشف وان اضطجع آلف ولا يولج الكف ليعلم البت قالت
 السابعة زوجي عيائا او غيائا طباقا كل داء له داء شجك او فلك او
 جع كلا لك قالت الثامنة زوجي المس مش ارنب والريح ريح زرنب
 قالت التاسعة زوجي رفيع العماد عظيم الرماد طويل التجاد قريب البيت
 من الناد قالت العاشرة زوجي مالك فما مالك مالك خير من ذلك له
 ابل كثيرات المبارك قليلات المسارح اذا سمعن صوت المزهرايقن انهن
 هوالك قالت الحادية عشرة زوجي ابو زرع فما ابو زرع اناس من حلى
 اذني وملا من شحم عضدي وبجني فبجحت الي نفسي وجدني في اهل
 غنيمة بشقي فجعلني من اهل سهيل واطيط ودانس ومق فعنده اقول فلا
 اقبح وارقد فاتصبح واشرب فاتقمح ام ابي زرع فما ام ابي زرع عكومها
 رداح وبيتها فساح ابن ابي زرع فما ابن ابي زرع مضجع كمثل شطبة
 وتشبع ذراع الجفرة بنت ابي زرع فما بنت ابي زرع طوع ابيها وطوع
 امها وملء كساتها وغيظ جارتها جارية ابي زرع فما جارية ابي زرع لا
 تبث حديثنا تبثنا ولا تنث ميرتنا تنثنا ولا تمل بيتنا تعشينا قالت
 خرج ابو زرع ولاوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين
 يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلا
 سريا ركب شريا واخذ خطيا وراح علي نعما ثريا واعطاني من كل
 راحة زوجا وقال كلي ام زرع وميري اهلك فلو جعت كل شئ اعطانيه
 ما بلغ اصغراية ابي زرع قالت عائشة رضي الله عنها فقال لي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كنت لك كابي زرع لام زرع ، وحكي

مخائب ما رأى ليلة أسري به وعرج وقال حدثوا من بني إسرائيل ولا حرج . وذكر صاحب سبط اللال رواية ما في صحيح مسلم عن سماك ابن حرب أنه قال قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنهما أكننت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا لا يقوم من صلاة الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية ويضحكون ويتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح ما يقوم إلا إلى عظيم صلاة وقال تبارك وتعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - وروى السيوطي في الجامع الصغير - بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

وأما ما ورد من اهتمام الصحابة رضي

الله تعالى عنهم ومن بعدهم

قال أبو شامة رضي الله عنه ولم تزل الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعون ممن بعدهم يتفاوضون في حديث سن مضي ويتذاكرون ما سبقهم من الأخبار وانقضى ويستنشدون الأشعار ويتطلبون الآثار وذلك بين من أفعالهم لمن أطلع على أحوالهم وهم السادة القدوة فلنا بهم أعظم أسوة وما بعد ما قال في شأنهم سيدنا صلى الله عليه وسلم - أصحابي كالنجوم فبايهم اقتديتم اهتديتم - رضي الله عنهم أجمعين . ومما ذكر في المقدمة عن أبي شامة في خطبة كتاب الروضتين في أخبار الدولتين أنه قال - أما بعد فإنه بعد أن صرفت معظم عمري وجل فكري في اقتباس الفوائد الشرعية واقتناص الفرائد الأدبية عن لي أن اصرف إلى علم التاريخ بعضه فأحرز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداءً بسيرة سن مضي من كل عالم مرتضى فقال إمام من الأئمة ويحكى عنه من أخبار ما سلف فوائده جته قال منهم إمامنا إمام أبو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال في

حقه مصعب بن الزبير ما رايت احدا اعلم بآيام الناس من الشافعي يروى عنه انه اقام على تعليم ايام الناس ولادب عشرين سنة وقال ما اردت بذلك إلا الاستعانة على الفقه وذلك عظيم الفائدة جليل العائدة . وقال ابن شاكرو في عيون التواريخ التاريخ من اعذب علوم لادب منها واهناها مشربا وانورها مطلعا واحلاها من القلوب موقعا لم تزل محاسنه تروى وفوائد تفوق وفرائده تشوق يعرف اخبار سن سلف من العرب والعجم واحاديث ذوي المراتب والهمم وتستفاد منه محاسن لا عيان وتفهيم مواقف الشجعان ومقاتل الفرسان واوقات مواليدهم ومدد اعمارهم ومواضع منازلهم ومعاهد ديارهم وسيرة الكرماء في كل وقت وسن اختص بفيض هبائه بالهيبة وغيره بالمقت وكل عالم وعمن اخذ فنون علمه وكل اديب ومحاسن نشره وبديع نظم والنظر في السنة الشريفة واسماء رجالها ومراتب رواتها وطبقات فرسان مجالها حتى كان الواقف عليه قد ادرك كلا منهم في عصره ونظرة في ساعة ميدانه ومشيد قصرة وراى الايمة واصبح للعلوم من افواههم ملتقيا وعلم سن كان بجدة وبهزله الى ورود العليا مرقيا او كانه قد شاهد كسرى في ايوانه وهو يقص الرويا على موبذانه وعاصر سيف بن ذي يزن في اوانه وجالس ابن ابي الصلت ينشده على قصر غمدانه . وفي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من اخبار الامم السابقة وابناء القرون الخالية ما فيه عبر لذوي البصائر واستعداد ليوم تبلى السرائر . ومنه قبل هذا ما نصه رايت ان المطلع على اخبار المتقدمين كانه قد عاصرهم اجمعين وانه عندما يفكر في احوالهم يذكرهم كانه كان مشاهدهم وراى مشاهدهم فهو قائم له مقام طول الحيرة وان كان متعجل الوفاة . قال نعيم بن حجاج كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقليل له الا تستوحش فقال كيف استوحش وانا مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين . قال وانشدنا بعض الفضلاء —

كتاب اطالع مونس احب الي من لانسنة

وادرسه فيريني القرون حضورا واعظمهم دارسة

وقد اختار الله سبحانه وتعالى لنا ان نكون آخر الامم واطلعنا على اخبار من تقدم لتعظ بما جرى على القرون الخالية وتعيها اذن واعية ولتقتدي بمن تقدمنا من الانبياء ولائمة والصلحاء ونرجو بتوفيق الله تعالى ان نجتمع بمن يدخل الجنة منهم ونذاكرهم بما نقل اليها عنهم وذلك على رغم انفس من عدم الادب ولم يكن له في هذا العلم ارب . انتهى ما نقل من المحافظ ابي شامة رحمه الله تعالى . قلت واذا لم يكن بشرف الاتباع لهذا الفن الجليل الذي ملا رحاب الدفاتر بجميل ثماره واناظر ظلام سواد الرقوم باضواء نجومه الزواهر فازال صدا عبارة الا لاقتداء بسراج امامه الذي فتح الله له بالاسلام اعظم باب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر ابن الخطاب لكفى شرفا وكفى شرفا ما ذكره الشيخ ابو العباس اجد القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية ناقلا عن ابن القيم ان لاقلام اثني عشر قلما وانها متفاوتة في الرتب فاعلاها واجلها قدرا قلم القدرة الذي كتب الله به مقادير الخلائق كما في سنن ابي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ربي وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة . فهذا القلم اول الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي اقسم الله به . والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله والرابع قلم طب الابدان الذي يحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تناس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الاموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم وهو الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي يحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير وهي كتابت وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقائعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها

وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو علم الرد على الباطنيين ورفع شبه
المحرفين . فهذه لأقلام التي بها انتظام مصالح العام . انتهى ماخصا من
المواهب . ويكفي التاريخ ان خلق الله له قلم مخصوصا .

الفصل السادس في ذكر فوائد التاريخ وما ينشأ

عن الجهل به والرد على من يرد عليه

قال صاحب سبط اللآل ومن فوائد التاريخ واقعة رئيس الروساء مع
اليهودي عدو الله الذي كان اظهر كتابا فيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر باسقاط الجزية عن اهل خيبر فيه شهادة الصحابة منهم علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فحمله لرئيس الروساء ووقع الناس
في حيرة فعرضه على الحافظ ابي بكر الخطيب فتامله وقال هذا مزور فقيل
له من اين لك ذلك فقال لان فيه شهادة معاوية وهو اسلم عام الفتح
وكانت سنة ثمان وفتح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات
سعد يوم بني قريضة قبل خيبر بسنتين ففرج ذلك على الناس هما وغما .
قال جامعهم صفا الله عنه ونظيرتها ما حدثني به الاستاذ شيخنا سيدي
احمد برناز وذلك انه كان بمحضر علي خوجسته باني قسطنطينة سنة
سبع ومائة والف ووفدت عليهم طائفة اليهود بايديهم رق قديم به خط
بين مضمونه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى عليهم ان لا يضرهم
احد وفيه شهادة عدة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابو بكر وعمر وغيرهم
ومن جملتهم شهادة كعب الاحبار . فلما رآه الباي توقف وعرضه على
الشيخ فلما اطالع عليه قال قبح الله اليهود فان في هذه شهادة كعب
الاحبار وكعب الاحبار كان كافرا اذ ذاك ولا يكتب صلى الله عليه وسلم
شهادة كافر في كتابه وانما كعب الاحبار اسلم في ايام عمر رضي الله عنه .
فلما سمع الباي ذلك اراد ان يلقيه في النار فاستغاث اليهود فالتقاء اليهم .
انتهى من لفظه . ولقد اخبرني سن اثق بخبرة بغريبة تضارعها وهي
من قاعدة ارباب المتبحر من النصارى ان توضع ابناء اكابرهم بين ايدي

الشجار امثالهم يتعاطون انواع قواعد الرقوم وكيفية الحساب وجميع طرق
السبب بالسند حتى تجد الصغير منهم يدرك خفيات المتجر ولطيف استخراج
فروعه تصديقا للآية الكريمة - يعلمون طاهرا من الحياة الدنيا - واتفق
ان بعض المتعلمين منهم نصب شبكة خديعة لمعلمه الذي هو بين يديه
وذلك انه احكم التشبيه بخط معلمه غاية حتى صار لا يمكن لاحد ان يفرق
بين خطيهما وهو لا يظهر ذلك . ووجد قرطاسا به اسم معلمه بخط معلمه
فاحتال وركب عليه ما يقتضي ان بذمة معلمه للصانع مالا ذريعا وقدم
تاريخه ثم طلب استاذة في المال فانكره فالج عليه فانكره الى ان تقام
الامر وترافعا لشرعهما والقي الخط لصاحب الحكم فسال الحاكم المعلم وقال
انظر هذا الخط وما تقول فيه فقال الخط خطي ولا مزية غير انه ما
دفع لي ولا درهما ابدا وينظر الحاكم الى شدة حرقة الطالب في الحث
على ماله وشدة حرقة المنكر واشتبه الامر كذلك اذ اجتمع المعلم
برجل مسن وحكى له غريبته فقال له قائل من القرطاس وانظر علامته
القرطاس وابحث عن السنة التي اخذ فيها الاذن من مقدم صنعته هل
السابق تاريخ صانع القرطاس او تاريخ الكتابة ففحص عن ذلك فوجد
الاذن لصاحب القرطاس مؤخرا عن تاريخ الكتابة فارتفع خار الشبهة عن
وجه القضية . وكان فيها بنور التاريخ انور مزية . وقال في سمط اللال
وسال اسماعيل بن عباس رجلا اخبار اي سنة كتبت عن خالد بن معدان
فقال سنة عشر يعني ومائة فقال انت تزعم انك سمعت منه بعد موته
بسبع سنين . قال اسماعيل مات خالد سنة ثلاث ومائة . وقد روى يحيى
ابن صالح عن اسماعيل انه توفي سنة خمس . وقد وقع لعفير بن معدان
نظير هذا مع من ادعى انه سمع من خالد ولكن عفير قال انه توفي سنة
اربع ومائة . وسئل ابو عبد الله الحاكم محمد بن حاتم الكشي عن مولده لما
حدث عن عمر بن حميد فقال سنة ستين ومائتين فقال سمع هذا من
عبد الله بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة . وفي سمط اللال ايضا ما نصه
ولقد

ولقد رايت مجلسا جمع ثلاثة عشر مدرسا منهم قاضي قصاة ذلك الزمان وغيره من لاعيان فجرى بينهم وانا اسمع ذكر من تحرم عليهم الصدقة وهم ذوو القربى المذكورون في القراءان فقال جميعهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وحادرا باجمعهم عما يجب فتعجبت من جهلهم حيث لم يفرقوا بين عبد المطالب والمطلب ولم يهتدوا الى ان المطلب هو عم عبد المطالب وان عبد المطلب هو ابن هاشم فما احقهم بلم كل لائم اذ هو اصل من اصول الشريعة قد اهلوه وباب من ابواب الانساب قد جهلوه . وقال في سبط اللال وسمعت من بعض الشيوخ رحمه الله تعالى ان ابن مالك والشاطبي حضرا عند البارزي وان الشاطبي اراد ان يصنف في النحو وابن مالك اراد ان يصنف في القراءات فاشار البارزي على كل منهما بعكس ما اراد وهذه الحكاية باطلّة جمع فيها بين ثلاثة انفس من ثلاثة قرون فان الشاطبي مات سنة تسعين وخسمائة وابن مالك ولد سنة ستمائة او احدى وستمائة بعد موت الشاطبي باكثر من عشرين سنة ومات سنة اثنتين وسبعين وستمائة والبارزي كان بعد السبعمائة فانه مات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . وقال الصلاح الصفدي في تاريخه - التاريخ للزمان مرعاة . وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة . واخبار الماضيين لمن عانته الهموم ملهاة . وانشدوا -

لولا احاديث ابقتها اوائلنا من النداء والرداء لم يعرف السمر
ولقد افاد التاريخ حزما وعزما . وموعظة وعلا . وهمة تذهب هما . وبيانا
يزيل وهما وهما . وصبرا يبعثه التماسي بمن مضي . واحتشاما يوجب الرضى
بما خفى وجلا من القضا . وقال سفيان الثوري رضي الله عنه فالتاريخ
يبين كذب الرواة من صدقهم . وقال ابو حفص بن غياث اذا اتهمتم
الشيخ فحاسبوه بالسنيين بكسر السين وفتح النون المشددة تشنيت سن وهو
العمر اي احسبوا سنه وسن من كتب عنه . وقال جاد بن زيد استعن
على الكذابين بمثل التاريخ . وقال في سبط اللال وما يخص ما ذكر ان

التأديح في مطلق التاريخ الجاهل به لا يلتفت اليه ولا يقول في تحقيق العلوم عليه . وقد الحقه بعض لايمته كما مر بالفاسق . ووقوع هذه المبالغة مشعر بان فعله اذا لم يوضع للفرج والمفاكهة مما كان عليه لاتفاق . انتهى كلام صاحب سبط اللال .

الفصل السابع في ذكر اسماء الاشهر ولايام

على اختلاف الملل وما جرت به عادة الله في بعضها ولما كان مبنى التاريخ على مدة من الزمان ليعلم بها مقدار حركة الفلك ومن اجزائه الاشهر ولايام التي تتميز بها المقادير ذكرت ما وقفت عليه من اسماء الاشهر في ملته لاسلام وغيرها على اختلاف الملل فالاول من اسماء الاشهر العربية المحرم الى ذي الحجة قال في سبط اللال وكانوا يكتبون شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثاني فيذكرون الشهر مع هذه الثلاثة لاشهر ولا يذكرونه مع غيرها من شهور السنة والشهور كلها مذكورة الاسماء الا جمادى الاولى وجمادى الاخرى . وكان ابو عبيدة يوثق صفرا ويمنعه من الصرف والناس على خلاف ذلك . ولقد انشدني شيخنا ابو العباس احمد برناز رحمه الله

ثم الشهور كلها تذكر
وليس مصروفا من البقاع
مثل حنين ومنى وبدر
وواسط ودابق وججر
ومن خطه ما هو معزو للعلامة الشيخ سيدي احمد الفارسي الجنبلي
رحمه الله تعالى

ان حادي عشرين شهر جمادى في كلام اليهود لحن قيسح
اثبتوا الشهر وهو مع رمضان ن والربيعين غير ذي لم يبيحوا
وتعدوا بحذف واو وائسبا ت لنون وعكس هذا الصحيح
فاكتبه حادي وعشري جمادى واعتمده فالنقل فيه صحيح
فصریح قد قال ذا ابن هشام جاد مثواه صوب غيث فسيح
وهي كلها

وهي كلها معارف جارية مجرى الأعلام وقيل في سبط اللآل رحمه
الله قال ابن درستويه وليس من الأشهر ما يضاف إليه شهر إلا شهرا
ربيع وشهر رمضان قال الله تعالى - شهر رمضان الذي أنزل فيه
القرآن - وقال الرازي

شهري ربيع ما تذوق لبونهم إلا حموضا وخمة ودويلا
فما كان من اسمائها أسما للشهر أو صفة قامت مقام الاسم فهو الذي
لم يجز أن يضاف الشهر إليه ولا يذكر معه كالحرم إنما معناه الشهر
الحرم وهو من الأشهر الحرم وكصفر وهو اسم مرفعة كزبد من قولهم صفر
الأناء يصفر صفرا إذا خلى وجمادى وهي معرفة وليست بصفة وهي من
جمود الماء ورجب وهو معرفة مثل صفر وهو من قولهم رجبت الشيء أي
عظمته لأنه أيضا من الأشهر الحرم وشعبان وهو صفة بمنزلة عطشان من
التشعب والتفرق وشوال وهو صفة جرت مجرى الاسم فصارت معرفة
وفيه تشوّل لأبل . وفي القاموس وشوال كشداد بلدة بمرور وشهر الفطر
جميعه شواويل وشوالات . وفي مرآت الزمان لسبط بن الجوزي رحمه
الله تعالى ما نصه سمي المحرم محرما لتحريم القتال فيه فكان من العرب
من يلتقى قاتل أبيه أو ابنه أو أخيه فلا يتعرض له بسوء وكذلك في
سائر الأشهر الحرم وأما صفر فلان المنازل كانت تصفر فيه منهم أي تخلو
والصفر الخالي وأما ربيع الأول وربع الثاني فلأنهم كانوا لا يرتفعون فيهما
وأما جمادى وجمادى فلان الماء كان يجمد فيهما وهو فعلى من الجمد وأما
رجب فمن الترجيب وهو التعظيم ويقال له رجب مضر لأن مضر كانت
تعظمه أكثر من غيرها فنسب إليها وجميعه أرجاب وقيل أنه سمي الأصم
لأنه لا يشهد بالقبائح على هذه الأسماء وأما شعبان فلان الشعب هو
الاجتماع وكانوا يتشعبون به بعد الفرقة وقيل إنما سمي شعبان لأنه
يتشعب فيه خير كثير لرمضان وأما رمضان فاشتقاقه من الرمض وهو وقوع
حر الشمس على الرمل ومنه الرمضاء وأما شوال فهو من الشول وهو الارتفاع

لان النوق تشول فيه اي ترفع اذناها للنساج واما ذو القعدة فلقعودهم فيه عن الحرب والغارات قال الجوهري ولم يقولوا ذوي القعدة واما ذو الحجة فلانهم كانوا يهلون فيه بالحج ويقصدون مكة وجمعه ذوات الحجة . اه . وذو القعدة وهو صفة قامت مقام الشهر والقيود عن التصرف كقولك هذا الرجل ذو جلسة واذا عرفت الرجل قلت ذو الجلسة وذو الحجة مثله ماخوذ من الحج واما الربيعان ورمضان فليست باسماء للشهر ولا صفات له فلا بد من اضافة شهر اليها كقولك شهر ربيع وشهر رمضان وبذلك على ذلك ان رمضان فعلم من الرض كقولك الغليان وليس الغليان بالشهر ولكن الشهر شهر الغليان وجعل رمضان اسما معرفة للرمضاء فلم يصرف لذلك . واما رواية الحديث فيرون انه اسم من اسماء الله تعالى . وربيع انما هو اسم للغيث وليس الشهر بالغيث ولكن الشهر شهر غيث وصار ربيع اسما للغيث معرفة كزيد فاذا قلت شهر ربيع الاول والاخر فهما صفتان لشهر واعرابهما كاعرابه ولا يكونان صفتين لربيع وان كانا معرفة لانه ليس هناك ربيعان وانما هو ربيع واحد وشهرا ربيع ولو كانا كذلك لكانا فكرتين لكنهم مضاف الى معرفة - انتهى كلام ابن درستويه .

قال جامع عفى الله عنه ان التعليل السابق في جادى وانه مشتق من جود الماء وفي شوال وانه تشول فيه الا بل الخ غير مطرد لانفكاك شهور لاهلته عن الشهور الشمسية حسبما هو مشاهد الا ان يجاب بان الواضع وضع هذا الاسم على هذا الشهر باتفاق شولانها فيه عند زمن التسمية الى آخر التعليلات والله اعلم . ثم لما كان التاريخ نوعين قمري وهو المبنى على دوران القمر وتاريخ العرب مبني عليه وهو الذي يجري به العمل عند الفقهاء وقد مرّ جانب في شان شهورة ومدارة مبني على روى الآيت السماوية والمخارقة لافقية وهي الهلال الذي بهر الحكماء صنعه واعجز الواصفين شكله ووضعه . ولقد ولع بتشبيهه فحول الصدر الاول حتى رايت لخصامة المحققين المحافظ السيوطي رحمه الله تاليفا مستقلا سماه رصف اللال في

وصف الهلال ولقد لقطت من سنبله بمنقار اليراع ما اغرى عليه التلذذ
ولا سماع فمنه ما اسنده للصغدي رحمه الله تعالى -

قم بنا نلبس الربيع جديدا فلقيد اخلفت برود الشتاء
وتبدى الهلال مثل مقص فتحوه لقص ذيل السمساء
وقال مضمنا -

كان هلال لافق لما بدا لنا ولا حظه كل بعين مراقب
محبة لما تراءت لصيها بدا حاجب منها وضنت بحاجب
وقال -

لاح الهلال فراق الناس منظره وقد بدا في نواحي الغرب منتصبا
كانه وتد قد جره طناب فاعوج منه ولكن لا نرى الطنبا
وقال -

لا يعجب الناس من شكل الهلال اذا ما لاح في لافق الغربي منتصبا
سعى ليخرج من تحت السحاب الى ان انحني ظهرة من اجل ما تعبا
وقال -

هذا الهلال الذي قمنا نشاهده والغرب في رقه المنشور قد رمة
كانه البثر غطاها اخو حذر فما نرى منه إلا جانب الخرزة
وقال -

شربنا والدجا قد زاد طولا وجفني قد تجافاه كسراه
وزنجي الظلام غدا محلى بخالخال الهلال لمن يسراه
وقال ابن المعتز -

اهلا بفطر قد اتاك هلاله فالان فاغد الى السرور وبكر
فكانما هو زورق من فضة قد اثقلته حمولة من عنبر
وقال ابو الحسن بن طاهر المصري -

والليل فرع بالكواكب شائب فيه مجرته كمثل المفرق
ولربما ياتي الهلال يجره متصيدا حوت النجوم بزورق

وقال علي بن محمد بن أحمد بن حبيب التميمي القليوبي الكاتب -
 بدا مستدق المجانيين كأنه على لافق الغربي مخلب طائر
 وراح لرعى ليلتين كأنما تفرق منه الغيم عن اثر حافر
 وقال ابن نباتة -

كان شكل هلال العيد في يده قوس على مهج الحصاد موشور
 أو مخلب مده نسر السماء لهم فكل طائر قلب منه مذعور
 أو منجل لحصاد القوم منعطف أو خنجر مرفف الخدين مطرور
 أو نعل تبر اجادت في حديثه إلى جواد ابن ايوب المقادير
 أو راكم الظهر شكرا في الظلام له من فضله في السما والأرض مشكور
 أو حاجب اشط يني بان له عمرا له في ظلال العز تعمير
 أو زورق جاء فيه العيد منحدرًا حيث الدجا كعباب البحر مسجور
 أو لا فقل شفة للكاس مائسة تذكر العيش أن العيش مذكور
 أو لا فنصف سوار قام يطرحه كف الدجا حين عتمة التباشير
 أو لا فقطعة قيد فك عن بشر اخن الصيام عليه فهو ماسور
 أو لا فمن رمضان النون قد سقطت لما مضى وهو في شوال محصور
 وقال ابو الطليق الخزاعي -

كان الثريا والهلال امامها يد علقت منه بنصف سوار
 تضم على الشطر البنان وشطرة يلوح كنون علقت بنظائر
 ولجسامه عفى الله عنه -

بدا الهلال وجنح الليل يجذبه إلى اتلاف نجوم ملتقى السر
 كافر سارق يطل مختبرا لاي بيت يفاجي اول السحر
 وقال الحافظ السيوطي رحمه الله وانما كان التاريخ بالهلالية لحديث
 - انا امة امة لا نحسب ولا نكتب - وحديث - اذا رايتهم فافطروا واذا
 غم فاكلوا الثلاثين - . وقال رحمه الله قال والد شيخنا البلقيني في التدوين
 كل شهر في الشرع فالمراد الهلالي الا شهر المستحاضة وتخليق الحمل
 وانما

وأما يورخ بالليالي لان الليالي سابقة على لايلم إلا يوم غرقت شرعا -

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صلبة فيها

ما انكسف البدر على قمة ونوره إلا ليحكىها

لأجلها الا زمان اوقاتها مورخات بلياليها

وقوله تعالى - كانتا رتقا ففتقناهما - قالوا ولا يكون مع الرتق إلا الظلام فهو سابق على النور . قال الحافظ السيوطي وروى السدي عن اسحاق اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا والنور نهارا وقد ثبت ان القيامة لا تقوم إلا نهارا فدل على ان ليلة اليوم سابقة اذ كل يوم له ليلة . وقد ثبت ان التاريخ نوعان قمري وقد مضى تفصيله وشمسي وهو المبني على دوران الشمس وقد تعتبر الشهور الشمسية عند الفقهاء فيذكرون تارة القبطية كما نقل المحقق محمد بن ابراهيم التتاعي في تحقيق ظل الزوال من قول القائل الظل في ثوب وفي برموده الخ ويذكرون تارة السريانية كما في تيسير الجليل للمحقق السهوري اثر قول المختصر وخرج الساعي طلوع الثريا بالفجر ونصفه وطلوعها بالفجر منتصف ايار على حساب المتقدمين وعلى حساب المغاربة والفلاحين السابع والعشرين من بشنش والشمس في عاشر درجة من برج الجوزاء وهو فصل الصيف . اهـ . وكل وكل من ايار وبشنش شهر شمسي إلا ان الاول سرياني والثاني قبطي ومساهما معا مايو الرومي كما سيأتي قريبا ان شاء الله تعالى . ولما مر الكلام على سرد الشهور القمرية وبيان ماخذ اشتقاقها رايت ان اثبت هنا ما حققه صاحب سطر اللال ناقلا عن برنامج لبعض فضلاء المائة الثامنة من علماء بجاية قال ولم اقف على اسمه إلا أن الفاظه في طائفة الكتاب المذكور تبدل على نجابتهم في هذا الشأن فانه من التحقيق بمكان ونص بعض تلك الالفاظ وقصدت فيه الى تلخيص ما طولوه واسقاط ما كثره من غير اجحاف في الاختصار ولا املال بالاكثار واقتفيت سبيل بعضهم في هذا الترتيب الذي رتبته والتفصيل الذي فصلته لكن مع زيادة بمحلها

وتنبهات لا يستغنى عن مثلها وضبط بعض الألفاظ الواقعة للشهور فانها
 مسماة بحسب لغة كل قوم من الروم والقبط والفرس والسريانيين اذ لم تضبط
 عندهم اتكالا منهم على اشتهار استعمالها . وقال ايضا رحمه الله في المقدمة
 المذكورة اعلم ان القدماء من الأمم الماضية والقرون الخالية اتفقوا على انه
 لا بد لكل امة من تاريخ معلوم تجعله أصلا في معاملاتها وحوادثها ومواسمها
 واتفقوا ايضا على ان عدد ايام السنة الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع
 يوم وان يزيدوا في اربع سنين يوما وهي الكبيسة وسموا شهورها بحسب
 لغاتهم ثم اختلفوا في تحديد اول السنة الشمسية مع اتفاقهم على ان فصولها
 اربعة فجعل المورخون من قدماء السريانيين التاريخ من هبوط عاد الى
 الارض وجعلوا شهر ابريل اول السنة تقديما لفصل الربيع وفضلوه على سائر
 الفصول عند حلول الشمس ببرج الحمل وقدم المتأخرون منهم الخريف فجعلوا
 ابتداء السنة من اول كتوبر عند حلول الشمس ببرج الميزان وقدم النصارى
 فصل الشتاء فجعلوا اول السنة ينير عند حلول الشمس ببرج الجدي وهم
 المورخون بمولد المسيح لانه لم يتخلل بين المسيح عليه السلام وبين سيدنا عليه
 الصلاة والسلام نبي بل كان زمن فترة كما جاء في صحيح البخاري عن ابي
 هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول انا اولى
 الناس بابن مريم والانبياء اولاد علات ليس بيني وبينه نبي . وفيه عن
 سلمان الفارسي قال الفترة بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه
 وسلم ستمائة سنة فجري المسلمون بالاندلس والمغرب على استعمال شهورهم
 من ابتداء السنة العجمية وهو شهر ينير وصار خفيفا على السنتهم قريبا
 من حسابهم وانما ابتدأت به العجم وهي الروم لزعيمهم ان اول يوم منه هو
 سابع مولد المسيح وانه يوم ختانه وهو من اكبر اعيادهم واسمه بالسريانية
 كانون الآخر ومما انشده القاضي عياض رحمه الله في برد كانون قوله -
 كان كانون اهدى من ملايسه لشهر تموز انواعا من الحلال
 او الغزاة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل
 وبالقبطية

وبالقبطية طوبه بضم الطاء المهملة وكسر الباء الموحدة بعدها هاء ساكنة
وايامه احد وثلاثون يوما وبرجه المجدي معوج الطلوع ترابي بارد يابس
انثوي ليلي منقلب جنوبي حامض ذو مرة سوداء وله من المنازل الذابح
وسعد بلع وثلاث سعد السعود . اه . وهكذا فعل في ابتداء كل شهر منها
غير ان الاختصار في المقال اولى بنا واليق بمقتضى الحال وفي الثاني
والعشرين منه تنتهي الاربعينيات وفي الرابع والعشرين منه بدو العشب
في الارض ويتزوج الطيور . - فيرير - هكذا بقاء مكسورة فتحتية ساكنة فراء
مفتوحة فتحتية ساكنة وآخرة راء ايضا هذا هو اسمه عند الروم واسمه
بالسريانية سباط بسين مهملة وتعجم ايضا وباء موحدة وبعد لالف طاء
مهملة وبالقبطية امشير بهمزة مكسورة فميم ساكنة وبعد المعجمة المكسورة
تحتية ساكنة وآخرة راء . قال في المستوعب الكافي وعدد ايامه ثمانية
وعشرون يوما ودخوله باليوم الرابع من ينير . وفي سابعه سقوط الجمرة
الاولى . وفي ثالث عشر منه يجري الماء في العود من اسافله الى اعاليه
وتنق الضفادع . وفي رابع عشر منه يصوم النصارى وتسقط الجمرة الثانية
وتتحرك البراغيث . وفي الحادي والعشرين منه سقوط الجمرة الثالثة .
وفي السادس والعشرين منه ايام العجوز . وانما سميت ايام العجوز لانها
عجز الشتاء ولان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتهما الريح في الثامن
فاهلكتها . وقوله في الثامن طبق ما في الاية الكريمة . ولم ادر ما معتمد
العيني رحمه الله تعالى حيث قال وهي سبعة ايام ثلاثة من شباط واربعة
من اذار قيل سميت ايام العجوز لان الله تعالى اهلك قوم عاد في هذه
الايام وتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم في كل سنة في هذه الايام .
وقال في الكشف هلك في اليوم الثاني . وقيل انها كانت عجوز
كاهنة اخبرت قومها ببرد شديد في آخر الشتاء يسوء اثره على المواشي فلم
يكثرثوا بقولها وجزوا اغنامهم فجاء البرد فقتلها . واسماء ايام العجوز صرة
وقيل صن بالنون وصنبر ووبر وءامر وموتمر ومعل ومطفي الجمر . وهذه

الأيام لا تخلو غالبا من برد أو ريح أو كدورة وهي المعبر عنها في الكتاب العزيز بالحسوم . قال البيضاوي حسوما متابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كفيها أو نحسات حسمت كل خير واستاصلته أو قاطعات قطعت دابرههم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعوا أو المصدر لفعله المقدر حالا أي يحسمهم حسوما ويويده القراءة بالفتح وكانت مرسله عليهم أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال . وفي الكشف وقيل هي أيام العجوز وهي آخر الشتاء وأسمائها الصن والصنبر والوبر والامر والموتمر والمعلل ومطفي الجمر وقيل مكفي الطعن . وفي القاموس والصن بالكسر أول أيام العجوز وقال في الصحاح وصنابر الشتاء شدة برده وكذلك الصنبر بتشديد النون وكسر الباء قال طرفة -

بجفان تعترى مجلسنا من سديف حين هاج الصنبر

والصنبر بتسكين الباء يوم من أيام العجوز ويحتمل أن يكون بمعنى وإنما حركت الباء للضرورة . وقال أيضا والوبر أيضا من أيام العجوز وقال أيضا وقول الشاعر -

وبأمر وأخيه موتمر ومعلل ومطفي الجمر

فهما يومان من أيام العجوز كان الأول منهما يامر الناس بالتحذر والآخر يشاورهم في الطعن والقام وقال في القاموس ومعلل كمحدث يوم من أيام العجوز ومصطفي الجمر خامس أيام العجوز أو رابعها . قال جامع عفي الله عنه لم يذكر الكشف ولا غيره سوى سبعة أيام مع أن الآية الكريمة ثمانية . ثم قال الكشف ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما شاء عاتية شديدة الغضب والعتو استعارة أو عنت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فإنها كانت تنزعهم عن مكانهم وتهلكهم وقيل عنت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن . وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أرسل الله سفنة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من ماء إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح فإن الماء يوم نوح طغى

طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سيل . ثم قرا - انا لما طغى الماء جلناكم في
الجارية - وان الريح يوم عاد عنت على الخزان فلم يكن لهم عليها سيل . ثم
قرا - بريح صرصر عاتية - ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها والصرصر
الشديدة الصوت لها صرصرة ، قال البكري تاج العارفين وصف به ولم
يقل صرصرة كما قال عاتية مع ان الريح مونثة لان الصرصر وصف
مختص بالريح فاشبهه باب حايض وطامث وحامل بخلاف عاتية فان
غير الريح من الاسماء المونثة وصف به وقيل هي الباردة من الصر كانها
التي كرر فيها البرد وكثر فهي تخرق بشدة بردها . اه . وفي شعر حاتم
لعبد بن يسار -

اوقد فان الليل ليل قـرـ والريح يا موقد ريح صر

عسى يرى نارك من يـمر ان جلبت ضيفا فانت حر

وفي التفسير انا لما طغى الماء علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان
والشعور بالطوفان هو السبب في بناء اهرامات مصر فان بعض حكمائهم
اخبارهم فقال تخرج نار تعم على جميع الدنيا وبنوها تحت الارض ليدخلوها
عند هذه النار ووضعوها قبل لذخائرهم واموالهم وكتبهم وجميع ما يعز عليهم
ويحتاجون اليه واخبروا بذلك ملكهم وكان رجلا شريفا للخمر لا يصحى منه
وبقوا على اهبته لدخلوها فاذا هي ماء فدخلها الحكماء وسن كانت له قدرة
على الدخول معهم واما ملكهم فوجد سكرانا فلم يدخل وغرق . وقال القرطبي
في مسالك الممالك ولايام النحسات كل اربعاء توافق اربعا من الشهر فحرق
اربعة خلون او بقين او اربع عشرة خلت او بقيت او اربع وعشرين خلون
او بقين . انتهى . - مرس - ويقال باثبات لالف بين الميم والراء واسمه
بالسريانية اذار بالمد وذال معجمة وراء وبالقبطية برمهاث بباء موحدة
وراء ساكنة وميم مفتوحة وهاء بعدها الف ثم تاء وايامه احدى وثلاثون
يوما واسم الدال ودخوله رابع ينير ورابعه آخر ايام العجوز وفي الثاني عشر
يستوي الليل والنهار وهو الاعتدال الربيعي وهو اول ربيع العجم وخريف

الصين . - ابريل - واسمه بالسريانية نيسان بكسر النون وياء تحتية مشناة ساكنة وسين مهملة مفتوحة بعد الياء وبالقبطية برمودة بفتح الباء الموحدة وراء ساكنة وميم مضمومة بعدها واو ساكنة ثم دال مهملة ثم هاء وایامه ثلاثون واسم الزاي ودخوله سابع ينير وفي اوله يوجي المطر وفي رابعه عيد الشعانين وفي الحادي عشر عيد الصاری وفي السابع والعشرين منه مد الفرات . - مايو - وهو بالسريانية ايار بهمز ثم مشاة تحتية ثم الف ثم راء وبالقبطية بشفنس بباء موحدة ثم شين معجمة ثم سين مهملة بينهما نون وایامه احدى وثلاثون واسم الباء ودخوله الثاني من ينير وفي رابعه عيد الصليب وفي السادس عشر يهيج الصبا ويطيب ركوب البحر وفي الرابع والعشرين يرفع الطاعون ويحصد الزرع وتبين زيادة نيل مصر وتهب الدبور . - يونية - وهو بالسريانية حزيران بفتح الحاء ثم زاي مكسورة بعدها مسفولة مشناة ثم راء ثم الف ونون وضبطه بعضهم بضم الحاء على صيغة التصغير وبالقبطية بوونه بباء موحدة وواوين ثم نون وهاء ساكنة وبعضهم كسر النون وجعله بواو واحدة ساكنة مع كسر النون وفتح الباء وایامه ثلاثون واسم الهاء ودخوله خاس ينير وفي السادس عشر منه يتنفس نيل مصر وتغور المياه وفي الثاني عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو انقلاب الصيف وفي التاسع والعشرين تنظر اصحاب التجارب بارض مصر فاذا كثر النداء فيه امتلا النيل والا لا . - يولية - وهو بالسريانية تموز بفتح التاء المشاة وضم الميم المشددة وزاي معجمة قبلها واو وبالقبطية ابيب بفتح الهيمزة وكسر الباء الموحدة ثم ياء مسفولة مشناة ثم باء موحدة كالاولى وایامه احدى وثلاثون واسم الزاي ودخوله سابع ينير وفي سابعه تطلع الشعري وبطلوعها يعرف صالح الزرع من فاسدة وذلك انهم قبل طلوع الشعري بسبعة ايام ياخذون لوحا ويزرعون عليه اصناف الحبوب فاذا كانت ليلة طلوع الشعري وضعوا ذلك اللوح تحت السماء في موضع عال فما اخضر من ذلك النبات فهو القالح في تلك السنة وما اصبغ منه مصفرا فهو الفاسد وفي الثاني والعشرين

والعشرين تشتد صولة الحر ويرتفع الطاعون ، - اغشت - وهو بالسريانية
 باب بالمد وآخره باء موحدة وبالقبطية مسرا بضم الميم وسكون السين
 المهملة وفتح الراء مقصور واسم الجيم ودخوله ثالث ينير وهو واحد وثلاثون
 وسادسه اول عيد التجلي والسابع عشر آخره . - شتنبر - بضم الشين المعجمة
 وفتح التاء المثناة فوق وسكون النون وفتح الياء الموحدة ثم راء وبالسريانية
 ايلول بفتح الهمزة وسكون المثناة تحت لم لا ملن بينهما واو اولهما مضمومة
 واسمه بالقبطية توت بفتح التاء المثناة فوق ثم واو ثم تاء كالاولى واسم
 الواو ودخوله سانس ينير وهو ثلاثون يوما . قال التجاني وفي سابع شتنبر
 يظهر سهيل على قرب اذا كانت الجوزاء سموا في وسط السماء في المواضع
 التي يظهر منها وموضع الذي يظهر منه بافريقية من قصر الجم واذا كانت
 غائبة او هابطة في اقصى المشرق او المغرب لا يرى وهو من الكواكب
 اليمانية ولذلك قال عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي موريا
 بذكره وبذكر الثريا عن سهيل بن عبد الرحمان بن عوف والثريا بنت
 عبد الله بن الحارث بن امية الاصغر بن عبد شمس لما تزوجها -

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
 هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى
 وفيه فيما يظهر لناظره احرار واضطراب شديد وذلك لقربه من الافق
 فان الكواكب تكثر حركتها هنالك وكلما ارتفعت قلت حركتها وقد تعرض
 لها حركة ايضا وهي مرتفعة اذا كان في الهواء تعوج وقد قال ابو
 العلاء المعري -

وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب المحب في الخفقان
 يسوح اللون في احرار كما تسوح في اللحم مقلنة الغضبان
 قدماه وراءه وهو في العج زكساع ليست له قدمان
 قدماه كوكبان تحته يعرفان بقدمي سهيل يقول قد ثبت انه له
 قدمان ولكنه لم يبرح فكانه لا قدمين له يشير الى طول الليل وانشد

ابو علي في الامالى لاعرابي يصف نارا -

رايت بحزن عزة صوء نار تلالا وهي واضحة المكان
فشبها صاحباي بها سهيلا فقلت تثبتا ما تبصران
انار او قدت لتنوراهنا بدت لكما ام البرق اليماني
كان النار يقطع من سناها بنائق جبة من ارجوان
وكل ذلك اشارة الى احراره واضطرابه وتتقدم قبل سهيل خسة كواكب
تسمى العذارى او هي في المجرة اسفل من الشعري العبور وكوكب آخر
يسمى حصار على وزن حذام ويقال له ايضا المحنث وذلك لانه شبيه
بسهيل فيظن من رءاه انه هو ويحلف على ذلك فاذا طلع سهيل تبين له
غيره فيحنث ، وكانت العرب تزعم ان سهيلا يعشر الناس بضم الشين اي
ياخذ عشر اموالهم وكذلك الضب وانهما كانا ماكسين على تجار البر والبحر
فمسخهما الله سبحانه عقوبة لهما وجعل احدهما نجما في السماء والاخر
حيوانا في الارض والى هذا اشار الحكيم ابن عمر البهراني لاعمى بقوله وكان
اتى ابن العنبر بالبادية واقام معهم فكان يتفقه بفقهم ويفتي بفتياهم -
ان ربي لما يشاء قدير ما لما ان ارادة من مفر
ماسخ الماكسين نجما وضبا حين جاءا بكل مكس وعشر
وذلك من خرافات الاعراب واباطيلهم وانما الغريب من امر سهيل وهو
صحيح مشاهد ان الابل ساعة طلوعه تستدبره فلا تزال مولية بوجوهها عنه
ما دام طالعا وان كانت حين طلوعه مستقبلة لجهته استدارت في الحين
فولته ادبارها وهذا امر شائع مستفيض لم ار من اهل الابل الا مقرا به مصدقا
له وكانوا يزعمون ان طلوعه سبب موت الابل ووقوع الوباء فيها فلاجل
ذلك تكرهه وتستدبره وقد اشار الساجع الى ذلك بقوله - طلوع سهيل -
ضر للابل وويل - وقال الشاعر -

وكان اضر فيهم من سهيل اذا وافى واشام من قزاح
وعليه بنى ابو العلاء قوله -

لا تحسني

لا تحسبي ابلي سهيلا طالعا بالشام فالمرءى شعلته قابس
يريد ان ابله رات قبسا بالشام حسبه سهيلا فخشيت الموت فقال لها
ليس سهيل من الكواكب الطالعة بالشام فتخافيه وانما رايت قبسا فلا
تراي وكذلك قول ابي الطيب المتنبى —

وتنكر موتهم وانا سهيل طلعت بموت اولاد الزناء
وذلك انه جعل حساده واضداده بهائم لجهلهم فسهيل يميتهم بطلوعه
وجعلهم اولاد الزناء لانتسابهم للفضل وليسوا منه كما ينسب اولاد الزناء لاباء
ليسوا منهم . قال التجاني وسالت اعراب زماننا عن هذا الذي يذكر من
تأثيره في الابل فقالوا لا نعلم له تأثيرا فيها إلا ان طلوعه عندنا امان للابل
المغشوشة من الموت والغش دائم معروف عندهم قالوا فما لم يميت بالغش قبل
طلوعه لا يموت بعده وكانت العرب عند طلوعه تفصل الحوار عن امه ويقال
ان ذلك سبب كراهته للابل لسهيل ولهذا قال ساجعهم - اذا طلع سهيل .
برد الليل . وخيف السيل . وامتنع القيل . وكان لام الحوار الويل . وانما
كان لها الويل لفراقها له ويروى كان للحوار الويل لفصله ومنعه من الرضاع
وقد تكون الرواية الاولى موافقة لهذه فيكون معنى قوله وكان لام الحوار الويل
اي للحوار نفسه والقييل في هذا السجع اما من القائلة وهي نومة الظهيرة او
من الشرب في ذلك الوقت فانه يسمى القيل . وقالوا ايضا في سجع آخر -
اذا طلعت الجبهة . تحانت الولهة . وتنزت السفهة . وقلب في الارض
الرفهة . قالوا الولهة بتحريك اللام النوق تحن الى اولادها وتتولم عليها
لاجل ما ذكرناه فان طلوع الجبهة مقارن لطلوع سهيل وقوله وتنزت
السفهة بفتح السين والفاء يعني السفهاء توثبوا بطرا فاكثروا الغارة والافساد
وانما بطروا لانهم في خصب من اللبن لما فصلت اولادها والرفهة بضم الراء
وفتح الفاء قصب الزرع بعد اخراج الحب منه يعني انه لم يبق من
الحبوب اذ ذاك إلا الرفهة لاحتياجهم الى حفظ نعمهم لما تنازع السفهاء
خوف الغارة واعرف ان ابن السيرافي لما تعرض لشرح قول الشاعر —

الم اك جارككم فتوكتوني الكلي في دياركم عسواء
واخرت العشاء الى سهيل او الشعري فطال بي العشاء
قيل انما قال الشاعر هذا لان سهيلا انما يطلع سحرا وكذلك الشعري
فاراد اني انتظرت معروفكم حتى ايسر منكم كما يايى صاحب العشاء اذا
طلع سهيل لانه لو اتى اذ ذلك بما ياكله لم يسم عشاء لفوات اسم العشاء
بدخول السحر وهذا الذي قال ابن السيرافي من ان سهيلا انما يطلع سحرا
لا يصح على اطلاقه لان طلوع سهيل يختلف باختلاف الازمان واختلاف
البلدان قرب بلد يطلع فيه سحرا وقد طلع في غيره عشاء وربما طلع في
ذلك الموضع بعينه في فصل آخر سحرا وهو في هذا كسائر الكواكب الا
ان يعني انه في ذلك الزمن الذي قيل فيه الشعر كان يطلع في ذلك البلد
سحرا فحينئذ يصح قوله على بعد هذا التاويل من كلامه . انتهى . وفي
الثالث عشر من شهر شتنبر منتهى زيادة نيل مصر وعيد كنيسته قمامة
وفي الرابع عشر عيد الصليب وفي الثاني عشر يستوي الليل والنهار وهو
الاعتدال الخريفي وهو اول الخريف عند العجم واول الربيع عند الصين .
- كنبر - واسمه بالسريانية تشرين الاول بفتح المشاة الفوقية وسكون الشين
المعجمة ثم راء مكسورة بعدها ياء مسفولة مشناة وءاخرة نون وبالقطبية
بابر بباء موحدة بعدها الف ثم باء ايضا مكسورة ثم هاء واسم الحاء ومنهم
من جعل اسم الالف ودخوله اول ينبر وهو احد وثلاثون وفي الثالث عشر
منه تقور المياه ويضطرب البحر وفي الخامس عشر يبرد الزمان وتكثر الرياح
وفي الثامن عشر تفيض مياه النيل وفي الحادي والعشرين يزرع على نيل
مصر وفي الثالث والعشرين يتدي الهواء البارد . - نونبر - على وزن شتنبر
من ضم وفتح وسكون وبالسريانية تشرين الاخر وبالقطبية هتور بهاء
مفتوحة وتاء فوقية مضمومة وواو ساكنة ثم راء مهملة واسم الدال ودخوله
رابع ينبر وهو ثلاثون وفي اوله تهب الجنوب . - دجنبر - وضبطه كشتنبر
وبالسريانية كانون الاول وبالقطبية كيهك بكاف بعدها مشناة مسفولة ثم هاء
ثم كاف

ثم كاتف وأيامه أحد وثلاثون وربع واسم الواو ويدخل سادس ينهر وفي
أوله لاربعينيات وفي التاسع عشر منه غاية الطول ليلاً وغاية القصر نهارة وفي
الثالث والعشرين تنتهي زيادة النيل وتكثر الانداء وتسقط أوراق الشجر *
ثم اعلم ان سني العرب قمرية وهي ثلاثمائة وأربعة وخسون يوماً وخمس يوم
وسدس يوم ومن هذا الخمس والسادس يحصل الكبس . قال السوسي -

أيامه سند وزيد الخمس والسادس منهما يكون الكبس
وقوله أيامه الخ المعتبر في حسابهم اليوم وليكنه اذ هما يدا الدهر الذي
في خلال تصرفهما باذن خالقهما ما يعجز الالباب عنه - ولا يمكن بالحيلة رده -
وكيف وهما آيتان بالتأمل والاعتبار - ومن آياته الليل والنهار - وقد اجاد
بدر الدين الحلبي في وصفهما - وناسب في وصفهما - فقال - ارقّت ذات
ليلتي في مهادي - فسمعت طارقاً في النادي ينادي -

ان الليالي للانام مناهل تطوى وتنشر بينها لاعمار
فتصارهن مع الهموم طويلاً وطوالهن مع السرور قصار
فسقمت من مضجعي - وقد بل ردني مدمعي - متحيراً في امري - متأسفاً على
ما فات من عمري - وقلت ايها الطارق - في ظلمة الليل الغاسق - هل لك
في المنادمة - فقال كم نديم سفك المنادمة - ثم سلم وجلس - وتنفس وما نبس -
فقلت يا بن شنف السمع بدررة - اذكر لي في طول الليل وقصرة - فقال -

وليل كواكبه لا تسير ولا هو منها يطيق البراحا
كيوم القيامة في طولها على من يراقب فيه الصباحا
مقيّم ليس يبرح - وعاجز لا يظعن ولا يترح - برد نجومه لا يذوب -
وغائب ضوءه ليس يثوب - لا يبلى جديد مسحه - ولا يجنح الى الحركة
ساكن جنحه - عليه ما يرجى صلاحه - وصباحه ما يلوح مصباحه - قطع
الطريق على السحر - وعذب اجفان المحبين بالسهر -

حدثوني عن النهار حديثاً او صفوه فقد نسيت النهار
كانه صريع راح - او طائر مقصوص الجناح - او اسير يتخبط في قيده - او

بحر منع الجرزن مده - او كسير ليس له على النهض اقتدار - او ضرير ايس
طرفه من رويته النهار -

او هاتم غمر بقطع الفسلا - قد حار لا يدري بمن يهتدي
او جيش زنج باللوى قد ثوى - او دارة حيث انتهت تبثدي
واعلم ايها البصير الناقد - انه يطول على المهجور الفاقد - ويتصر على
المسرور الراقد -

ليلى كما شاعت فان لم تنزر طال وان زارت فليلى قصير
فقلت له ايه ايها الامام - اسمعني شيئا في وصف الايام - فقال -
لله ايام تقضت لنا - ما كان احلاها واهناها
مرت فلم يبق لنا بعدها - شيء سوى ان نتمناها -
حيث الرقت معين - وماء الشبيبة معين - ونشر البشر فاتح - ونور الهناء
لائح - والحبيب مجيب - والرقيب غير قريب - وغصن الصيا رطيب -
ومطرف اللهو قشيب - والعيش غصن والدهر غضيض الطرف - وسعاد السعد
ممنوعة من الصرف -

والشمل مجتمع والجمع مشتمل - على الجميل وحسن الخلق والخلق
يا اخا الادب - الى كم ذا الحرص والدادب - الايام نجمها غرار - ومدعي الوفاء
منها غدار - كثيرة الملل - سريعة الزوال - تفرق الحبايب - وتسترجع
المواهب - ذمامها ذميم - ومسامها سليم - تحل العقود - ولا تحفظ العهود -
تكدر الصافي من الشراب - وتعد الظامي بورد السراب - لقد سقط سن
تمسك بعراها - وتعب سن قصد الراحة في ذراها -

ومكلف الايام ضد طباعها - متطلب بالماء جذوة ناري
ثم قال مضت الجبهة والشفق - والفحمة والغسق - والقطع والسدفة - والبهرة
والزلفه - وعان لنسمات السحر ان تتخطر - ولعيون الفجر ان تنفجر - وقام
للوداع - فقلت زودني يا نعم المتاع - فقال صنع اوزار الاوزار - واثق سن لا
تدركه الابصار - وسبحه بالعشي والابكار - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما

جزحتم بالنهار - انتهى . ولا تدرك حقيقة التمييز بينهما إلا بشهادة
 الشاهدين اللذين اشرق عقدهما بصفحات الزمان وبهر . الأوجها الشمس
 والقمر . وقد وشى الحلبي طرازهما المشرق - وسقى الظننان من زلال بيانهما
 العذب المشرق - فقال : بكرت يوما بعد أداء الفرض - أتفكر في خلق
 السموات والارض - فلمحت المشرق بالنظر - وإذا قرن الغزاة قد ظهر -
 كأنه جذوة نار - أو قطعة من دينار - أو كاس ستر بعضه بالحجاب - أو
 حناء غطت وجهها بنقاب - ثم كشفت استارها - وألقت على لافق انوارها -
 وبرزت كأنها كرة في ميدان - أو بحن صمغ بالزعفران - أو مرعاة لم تصقل
 ولم تطرق - أو وجه مليحة في خمار ازرق - أو سبيكة زجاج متفخمة
 الجوانب - أو بوتقة يجول فيها ذهب ذائب - وكأنها عند انبساط شعاعها
 تبر يذوب على فروع المشرق . فسقلت اهلا بالجارية - التي في طلعتها ما
 يغني عن الجارية - والعين التي تغار منها العين - والجونة التي وضع منها
 الجبين - والسراج الوهاج - الذي تبرجت به لأبراج - أنت المخصوصة
 بالشرف والرفعة - أنت واسطة عقد الكواكب السبعة - أنت للحكمة
 برهان - وللفلك معيار وميزان - أنت الناطقة في صمتها - التي قصر البليغ
 عن وصفها ونعتها - أنت ملك مقدم - أنت النير الأعظم - أنت بوح - التي
 تغدو في مصالح العالم وتروح - أنت ذكاء التي اذكت نارها - أنت الصبح
 التي اعلت الله منارها - أنت الشمس - التي بها تعرف الاوقات الخمس - بل
 ينشر الظل ويطوى - ويشد النبات بعد ضعفه ويقوى - ويستدل على
 طريق الصواب - ويعلم عدد السنين والحساب - لما سمرت راحلة في الحلل
 المعصرة - سحيت آية الليل وجعلت آية النهار مبصرة - وباهيك بها
 منزلة - وحسبك ان صفاتك في الكتاب منزلة . ثم تمشت على بساطها -
 وخطرت في وشيها ورياطها - وسبحت في فلكها مرشدة الى الحقائق - مظهرة
 اسرار الساعات والدرج والدقائق -

تسمو الى كبد السماء كأنها تبغي هناك دفاع امر معضل

واستمررت سائرة يحدوها من النسيم - والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير
العزیز العليم - . فلم يزل فكري يصاحبها - وطرفي يرعها ويراقبها -
حتى اذا بلغت الى حيث انتهت وقفت كقوفة سائل عن منزل
ثم انشئت قبلي الحدود كأنها طير اسف من مخافة من اجادل
ولما حجت عن العيون شخصها - وخطف المغرب من يد المشرق قرصها -
واكتحلت جفون لافق بالقار - وطرد زنجي الليل رومي النهار - بزغ الهلال -
بامر ذي الجلال - كأنه قوس موتور - او زورق منجدر في بحر الديجور -
او شطر سوار - او منجل معد لحصاد لاعمار - او خنجر مرفف النصليين - او
نون معرقة من لحين - او شفة كاس مائلة - او مخلب عقاب صائلة - او
قطعة من قيد - او فنج نصب للصيد - او حرف الحميم - او عرجون قديم -
او حاجب شيخ ادركه الشط - او نعل من حافر ادم الدجى سقط - او
ذباب سيف خرج من جفنه - او راعع يعبد من لا يحدث امر إلا باذنه -
فقلت مرحبا بمن اسباب مناويع رايت - قرينا ستعود قمر بعد ثلاث -
ثم تصير بدرا - ان في ذلك لذكرى -

واذا رايت من الهلال نموة ايقنت ان سيكون بدرا كاملا
انك الزمهرير - الذي ليس له في نصرته نظير - انت الزبرقان - الذي
له في كل شهر مهرجان - ايها القمر - كم محب طاب له فيك السر -
ايها الواضح الباهر - ما انت إلا مثل سائر - ايها البدر الكامل - الذي فضله
للبرية شامل - لا تأس على ما فاتك من الدرج - ولا يكن في صدرك
من الغزاة حرج -

فقد تخمد الشمس الصباح بضوءها تقاوتت الانوار والكل رائق
منازلك معروفة - ومحاسنك موصوفة - وشرفك باذخ - وقدمك راسخ -
وعاياتك ظاهرة - وسفارتك سافرة - كم اوضحت من طريق - وهديت
الرفيق الى الفريق - واذكرت محبا بمحبوبه - وبلغت طالبا غاية مطلوبه -
احسن بضوء ذباتك - وحيهل بهالك - جعلك الباري في السماء نورا -
وكان

وكان امر الله قدرا مقدورا - وجلا بمحياك خندس النسق - وانقسم بلد في
 قوله والقمر اذا اتسق - قدرك اثير ائيل - ومحبك نبيس نبيل - ووجهك يا
 بشينة الحسن جميل - على رسل جمالك عن حار الى رقب العلا ولا رميل -
 فتبارك اسم سن البسكما احسن الجبر - وتعالى جد من جعلك مصباحين
 لاهل النظر - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - ثم لم يرح يسري
 وانا لا ابرح - ويتولى وانا شاهد وجهه الاصبح - الى ان غاب واختفى
 وحسبنا الله وكفى . اه . وسني العجم شمسية وهي ثلاثمائة وستة وستون
 يوما وقيل خمسة وستون يوما والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث
 سنين . قال الله تعالى - ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا -
 ومن املاء شيخنا سيدي احمد برناز وقرا حزة والكسائي ثلاثمائة سنين على
 اضافة ثلاثمائة الى سنين ومقتضى هذه القراءة ان يكون اقل لبثهم تسعمائة
 وتسع سنين بدليل قوله تعالى - قل الله اعلم بما لبثوا - اذ كل فرد من الافراد
 التي اضيف اليها ثلاثمائة سنين بالجمع واقل الجمع ثلاثة وقال ابو السعود
 ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلاثمائة الخ . واما شهور الفرس
 والعبرانيين وخوارزم واليونان فاختصرت ذكرها لعدم وقوفي على تقييد
 الفاظها . واما اسماء ايام الاسبوع في المجاهلية فقد انشدني شيخنا ابو
 العباس احمد برناز املاء من حفظه -

الطمع ان اعيش وان اوقى - باول او باهون او جبار
 او التالى جبار فان افتر - فمونس او عروبة او شينار
 واما تسمية ايام الشهور العربية فقال ابو العباس ان العرب سمت كل
 ثلاثة ايام باسم فالثلاثة الاول من الشهر الغرر والواحد الاخر قال الراجز
 - في الليلة الغراء واليوم لاغر - لان الهلال يرى فيهن كانه غرة ثم شهب
 ثم بهر لانه يبهر ظلمة الليل ثم عشر لان الليلة الثالثة منهن العاشرة ثم
 بيض لان القمر يبقى الليل كله ثم درع والشاة الدرعاء التي مقدمها اسود
 وموخرها ابيض ثم خنس لان القمر يخنس فلا يرى الا مطفئا ثم دهم لسواد

فيهن ثم قحم لان القمر قحم في دنوه من الشمس ثم دآدي والواحدة داداة وهي في عدو الابل ان يقدم يدا ثم يتبعها لآخرى وقيل غرر ثم نفل ثم تسع ثم عشر ثم بيض ثم درع ثم ظلم ثم حنادس ثم دآدي ثم محاق . واما الايام في انفسها فقد اختلف في اليوم الذي ابتدا الله فيه الخلق فقيل لآحد وقيل السبت وقيل لآثنين ولآول اصبح على ما ذكره القرطبي في مسالك الممالك وقال رحمه الله تعالى كذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن ابن مسعود ايضا ورواه مالك يرفعه الى ابن سلام فخلق لآرضين يوم لآحد ولآثنين وخلق ما عليها من المنافع يوم الثلاثاء ولآربعاء . وقوله تعالى - ولآرض بعد ذلك دحاها - دحى لآرض في يومين ايس المآء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها سبع ارضين في يومين وفرغ من سائر الخلق في يومين . فائدة . ان قيل لم خلق الله السماء قبل لآرض وما الحكمة في ذلك وما السر في رفعها بغير عمد - قيل خلقها قبل لآرض ليعلم ان فعله جل وعلا خلافا لافعال الخلق فخلق اولا السقف ثم لآساس ورفعها على غير عمد ليدل على كمال قدرته تعالى وروي انه لما اراد الله عز وجل خلق السماوات ولآرضين سلط الريح العقيم على المآء فعظمت امواجه وكثر زبده وصعد دخانه وسما فسماء سماء وقال لزبده اجمد فجمد فصار ارضا وخلق لآرض على حوت والحوت الذي ذكره الله تعالى في سورة - ن والقلم - والحوت في المآء والمآء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح والصخرة هي التي ذكرها الله حكاية عن لقمان بقوله تعالى - فتكن في صخرة - فاضطرب الحوت فترزلت لآرض فارساها بالجبال فذلك قوله تعالى - وجعل فيها رواسي ان تميد بكم - ثم استوى الى السماء وهي دخان - ففتق السماوات وكانت رتقا يوم الخميس والجمعة وانما سمي جمعة لانه تعالى جمع فيه خلق السماوات ولآرض . قال ابن سلام وكعب لآخبار وخلق ءادم في ءاخر ساعة من يوم الجمعة فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة ويوم الجمعة هو سيد الايام

لايام كما روي ان سيد البشر ادم عليه السلام وسيد العرب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيدة الاشجار سدره المنتهى وسيد الكلام القرءان العظيم وسيدة القرءان سورة البقرة وسيدة سورة البقرة آية الكرسي وسيد الشهور شهر رمضان وسيد الايام يوم الجمعة ولهم في ميمها العزم والكسر والاسكان وكل ذلك مع ضم الجيم . وعن عكرمة خلق في ساعتين منه الملائكة وفي ساعتين الجنة والنار وفي ساعتين الشمس والقمر والكواكب وفي ساعتين الليل والنهار واختلف ايهما خلق قبل والصواب انه الليل فكان اولاً لم خلق الشمس فضاءت فاضات حصته النهار وذكر ان ادم خلق يوم الخميس . وذكر في خبر ابليس ان الله تعالى خلق الملائكة يوم الاربعاء والجن يوم الخميس وادم يوم الجمعة وقيل بعد احدى عشرة ساعة فمكث جسداً ملقى اربعين عاماً من اعوام الدنيا ثم نفخ فيه الروح وكان مكثه في السماء ومقامه في الجنة الى ان اهبط منها ثلاثاً واربعين سنة واربعة اشهر ومكث من ساعات الايام الستة . قال ابن عباس رضى الله عنهما مكث ثلاث ساعات وهي ربع يوم وقدرها مائتان وخمسون عاماً من اعوام الدنيا . وقال وهب بن منبه مكث فيها ستة ايام واهبط في الجمعة الثانية . وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم يوم الجمعة وفيه اهبطه الى الارض واخرجه من الجنة يوم الجمعة وتاب عليه يوم الجمعة وقبضه الله يوم الجمعة . وقال بعضهم اخرج ادم من الجنة في الساعة العاشرة او التاسعة والمعروف ما تقدم كما ان بعضهم ذكر ان الله خلقه لساعتين مضتا من يوم الجمعة وقيل لثلاث والصحيح ما تقدم . واسماء ساعات النهار الذرور والبزوغ والضحى والغزاة والهاجرة والزوال والدلوك والعصير والاصيل والصبوب والحدور والغروب . واسماء ساعات الليل الشاهد والغسق والعجمة والوهن والقطع والجوهر والعلة والتباشير والفجر الاول والفجر الثاني والمعرض . ويقال في ساعات النهار ايضاً البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الراد ثم الضحى

ثم النوع ثم الهاجرة ثم لأميل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب . هـ .
 وأعط الله آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه بالهند على
 جبل يقال له واسم عند واد يقال له كليل بين الدهنج والمندل ببلدين
 بارض الهند وهو بشرقى ارض الهند وقيل على جبل يقال له يوذ وقيل
 بسرنديب على جبل الدهون منها وعليه الورق الذي خصفه فيبس
 فذرت الریح في بلاد الهند فعلته ككون الطيب في بلاد الهند من ذلك .
 ومن ابن عباس رضي الله عنهما مثله وأعطت حواء بحجة والحية باصبعها
 وقيل بالبرية وابليس بساحل بحر لايلة بميسان . قال ابو جعفر وهذا
 لا نعلم صحته وأما هبوط آدم بارض الهند فذلك ما لا يدفع علماء الاسلام
 فيه واهل التوراة والانجيل وان آدم لما اهبط من الجنة اخرج معه ثلاثين
 قضيبا مودعة اصناف الثمار منها العشرة لها قشور وهي الجوز واللوز والمجوز
 والفستق والخشخاش والشاه بلوط والبلوط والرائح وهو جوز الهند والموز
 والرمان . وقيل لما نزل آدم من الجنة نزل بربع ووقات من ورق الثين
 قد ستر بها عورته فلما تاب الله عليه جاءه كل حيوان في الارض يهنئه بقبول
 توبته ويتبرك به فسبق اليه منهم اربعة وهم الغزال وبقر البحر والنحل
 والدود الذي يخرج منه الحرير فاطعم ورقة للغزال فصار منه المسك واطعم
 ورقة لبقر البحر فصار منه العنبر واطعم ورقة للنحل فصار منه العسل واطعم
 ورقة لدود الحرير فصار منه الحرير . فسبحان القادر على كل شيء . ثم ان
 السنة في نفسها تنقسم الى اربعة فصول مختلفة الاحوال وقد اوسع بالتفنن
 في احوالها اكبر ارباب البلاغة . من ذلك ما امطرته سحب البلاغة
 برياضها . وتلاطمت بامواج فصاحتها بحار حياضها . وانساب من نيسان
 بديعها اراقم الجداول فدارت كالتحلاخل بسوقها . وتاهت دوحة البيان على
 صلاتها بسوقها . ومالت تحتال بليدها وبسوقها . في خلال لطافة ما لاحظها
 قلب الإلأ وضبا . ولذلك يدعونه نسيم الصبا . تأليف العلامة بدر الدين المحسن
 ابن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي لأصل الحلبي المولد والدار
 ونصره -

ونصه : - حضر فصول العام مجلس لادب . في يوم بلغ منه لاريب نهاية
 لارب . بمشهد من ذوي البلاغة . ومتقني صناعة الصياغة . فقام كل منهم
 يعرب عن نفسه . ويفتخر على ابناء جنسه * فقال الربيع : انا شاب
 الزمان . وروح الحيوان . وانسان بين لانسان . انا حياة النفوس . وزينة
 عروس الغروس . ونزهة لابصار . ومنطق لاطيار . عرف اوقاتي باسم .
 وايامي اعياد ومواسم . فيها يظهر النبات . وتثمر الاموات . وترد الودائع .
 وتتحرك الطبائع . ويخرج جيب الخرب . وينزع جيب القلوب . وتفيض
 ميون لانهار . ويعدل الليل والنهار . كم لي عقد منظوم . وطراز وشي مرقوم .
 وحلة فاخرة . وحلية طاهرة . ونجم سعد يدني راعي من لامل . وشمس
 حسن ينشدنا بعد ما بين برج المجدي والحمل . عساكري منصور .
 واساوتي مشهورة . فمن سيف غصن بجوهر . ودرع بنفسج مشهور . ومغفر
 شقيق احمر . وترس بهار يهبر . وسهم اس يرشق فينشق . ورمح سوس
 سنانه ازرق . تحرسها ايات . وتكنفها رايات . بي تحمر من الورد
 خدوده . وتهتز من البان قدوده . ويخصر عذار الريحان . وينتبه من
 النرجس طرفه الوسان . وتخرج الخبايا من الزوايا . ويفتر ثغر لاقحوان
 قائلا - انا ابن جلا وطلاع الشايات -

ان هذا الربيع شيء عجيب تصحك الارض من بكاء السماء
 ذهب حيث ما ذهبنا ودر حيث درنا وفضة في الفضاء
 وقسال الصيف : انا الخمل الموافق . والصديق الصادق . والطبيب
 الحاذق . اجتهد في مصلحة الاصحاب . وارفع عنهم كلفة حمل الشيا .
 واخفف اثقالهم . واوفر اموالهم . واكفيهم المونة . واجزل لهم المعونة .
 واغنيهم عن شراء الفراء . واحقق لهم ان كل الصيد في جوف الثراء . نصرت
 بالصبا . واوتيت الحكمة من رتن الصبا . بي تنصح الجمادة . وتنصح من
 الفواكه الماده . ويزهى البسر والرطب . وينصح مزاج العنب . ويتقوى
 قلب اللوز . ويلين طيف التين والموز . وينعقد حب الرمان . فيجمع

الصفراء ويسكن الخفقان . وتخصب وجنات التفاح . ويذهب عرق
السفرجل مع الرياح . وتسود عيون الزيتون . وتخلق نجلب النارج
والليمون . مواعدي مسودة . وموادي ممدودة . الخير موجود في مقامي .
والرزق مقسوم في ايامي . الفقير ينصاع بملء صاعه . والغني يرتع
في ريع ملكه واقطاعه . والوحش ياتي زرافات ووحدا . والطير تقعدو
خاصا وتروح بطانا -

مصيف له ظل مديد على الورى وسن جلا طبعا وحلل اخلاطنا
يصالح انواع الفواكه مديسا لصحتها حفظا يعجز بقراطيا
وقال الخريف : - انا سائق الغيم . وكاسر جيش الغوم . وهازم احزاب
السموم . وحادي نجائب السحاب . وحاسر نقاب المناقب . انا اصد
الصداء . واجود بالندا . واظهر كل معنى جلي . واسمو بالوسمي والولي . في
ايامي تقطف الثمار . وتصفو الانهار من الاكدار . ويتفرق دمع العيون .
ويتلون ورق الفصون . طورا يحاكي البقم . وتارة يشبه بالارقم . وحينما
يبدو في حلته الذهبية . فيجذب الى حلته القلوب الابية . وفيها يكفي
الناس هم الهوام . ويتساوى في لذة الماء الخاص والعام . وتقدم لاطيار
مطربة بنشيشها . رافلة في الملابس المجردة من ريشها . وتعصر بنت
العنقود . وتوثق في سجن الدنان بالقيود . على انها لم تجترج اثما . ولم
تعاقب إلا عدوانا وظلها . بي تطيب الاوقات . وتحصل اللذات . وترق
النسمات . ويرمى حصى الجمرات . وتسكن حرارة القلوب . وتكثر انواع
المطعم والشروب . كم لي من شجرة اكلها دائم . وحملها للنفع المتعدي لازم .
وورقها على الدوام غير ذابل . وقدود اغصانها تنجل كل ربح ذابل -
ان فضل الخريف وافى الينا يتهادى في حليه كالعروس
غيره كان للعيون ربيعنا وهو ما بيننا ربيع النفوس
وقال الشتاء : - انا شيخ الجماعة . ورب البضاعة . والمقابل بالسهم
والطاعة . اجمع شمل لاصحاب . واسدل عليهم الحجاب . واتحفهم بالطعام
والشراب

والغراب . ومن ليس له في طاقة اغلقت من اجله الباب . اميل الى
الطيف . القادر المستطيع . المعتضد بالبرود والفرا . المتسكك من الدثار
يلوثق العرا . المرتقب قدومي وموافاتي . المتأهب للبيعة المشهورة من
كافاتي . ومن يعيش من ذكرى . ولم يمثل امرى . ارجفته بصوت
البرعد . وانجزت له من سيف البرق حنادق الوعد . وسرت اليه بمساكر
السحاب . ولم اقنع من الغنيمة بالاياب . معروفي معروف . ونيل نيلي
موصوف . وثمار احساوي دانية القطوف . كم لي من وابل طويل المدا .
وجود وافر الجدا . وقطر حلا مذاقه . وغيث قيد العفلة اطلاقه . وديمة
تطرب السمع بصوتها . وحياء يحبي لارض بعد موتها . ايامي وجيزة .
واقباني عزيزة . ومجالسي معمورة بذوي السيادة . معمورة بالخير والميسر
والسعادة . نقلها ياتي من انواعه بالعجب . ومناقلها تسمح بذهب اللهب .
وراحها تنعش لارواح . وسقاتها بجفونهم السقيمة تفتن العقول الصالح .
ان زرتها وجدت مالا ممدودا . وان رزتها شاهدت لها بنين شهودا —
واذا رمت بسور كاسك في الهوى عادت اليك من العقيق عقودا
يا صاحب العودين لا تهملهمسا حرك لنا عودا وحرق عودا
فلما نظم كل منهم سلك مقالده . وفرغ من الكلام على شرح حاله . اخذ
الجماعة من الطرب ما ياخذ اهل السكر . وتجاوزوا اطراف مطارف الشاء
والشكر . وظهرت اسرار السرور . وانشرحت صدور الصدور . وهبت قبول
لاقبال . وانشد لسان الحال —

وما ذا يعيب المرء في مدح نفسه اذا لم يكن في قوله بكنوب
ثم انقض المجلس وحل النطاق . وتفرق شمل اهلهم وآخر الصبغة الفراق .
الفصل الثامن في ذكر مدة العالم

واعلم ان العلماء اختلفوا في ابتداء مدة العالم وانقضائه على اقوال
احدها ان عمر الدنيا من هبوط ادم عليه السلام سبعة آلاف سنة هكذا
رواه صاحب عقد الجمان مرويا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي

الله تعالى عنهم قال هي جمعة من جمع لاخرة قد مضى منها ستة آلاف سنة وبقي الف سنة والثاني ان عمر الدنيا ستة آلاف سنة وسبعمائة عام قاله كعب لاخبار وذهب بن منبه وهي الله عنهما والثالث اربعة آلاف سنة وستمائة سنة واثنان واربعون سنة وهو قول النصارى والرابع خمسة آلاف سنة وخسمائة واثنان وثلاثون سنة وهو قول والخامس اربعة آلاف سنة ومائة واثنان ولسمانون سنة وهو قول اليونان ، قال جامعهم على الله عنه وقصارى ما لخصه يجتهد وقتهم جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه المكشف في مجاوزة هذه لامة لاني ما نصه : قال المحكم الترمذي في نوادر الاصول حدثنا صالح بن محمد حدثنا يعلى بن هلال عن ليث عن مجاهد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ان الغفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من امتي ثم ماتوا عليها فهم في البلب لاول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تنزلق عيونهم ولا يغفلون بالاغلال ولا يقرون مع الشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في ادراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج واطولهم مكثا فيها من يمكث فيها مثل الدنيا من يوم خلقت الى يوم افنيث - وذلك سبعة آلاف سنة - وذكر بقيته الحديث ، وقال ابن عساكر انبا ابو سعيد احمد بن محمد انبا ابو سهل احمد ابن احمد بن عمر الصيرفي انبا ابو جعفر محمد بن شاذان بن سعدويه انبا ابو علي الحسين بن داود الباسخي انبا شقيق بن ابراهيم الزاهد انبا ابو هاشم الايلي عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من قضى حاجته لمسلم في الله كتب الله له عمر الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهارها وقيام ليلها . وقال ابن عدي انبا ابو اسحاق انبا ابراهيم النبطي انبا احمد بن محمد بن حمزة بن داود انبا عمر بن يحيى انبا العلا بن زيد عن انس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - الدنيا سبعة ايام من ايام لاخرة - قال تعالى

تعالى - وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون - وقال ابن ابي حاتم في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الدنيا جمعة من جمع لآخرة سبعة آلاف سنة مضى منها ستة آلاف . وقال ابن ابي الدنيا في كتابه ذم لامل : انبا علي بن سعيد انبا حمزة بن هشام قال : قال سعيد بن جبير : انما الدنيا جمعة من جمع لآخرة . وقال عبد بن حميد في تفسيره : انبا محمد بن الفضل انبا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من اهل الكتاب اسلم : قال ان الله تعالى خلق السماوات والارض في ستة ايام وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون - وجعل اجل الدنيا ستة ايام وجعل الساعة في السابع فقد مضت الستة ايام وانتم في اليوم السابع . وقال ابو اسحاق انبا محمد بن محمد عن عكرمة انبا ابو سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهودا كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعد بكل الف سنة من ايام الدنيا يوما واحدا في النار وانما هي سبعة ايام معدودات ثم ينقطع العذاب فانزل الله تعالى في ذلك - وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة - الى قوله تعالى - هم فيها خالدون ، ثم استورد خروج الدجال ومكث ونزول سيدنا عيسى عليه السلام ومكثه الى ان قال : واخرج احد في الزهد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : يلبث عيسى ابن مريم في الارض اربعين سنة لو يقول للبطحاء سيل عسلا لسالت . واخرج في المستدرک عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بين اذني الدجال اربعون ذراعا - فذكر الحديث الى ان قال : وينزل عيسى بن مريم فيقتله فيمتعون اربعين سنة لا يموت احد ولا يمرض ويقول الرجل لعلمه ولدوا به اذهبوا فارعوا وتتر الماشية بين الزرعين لا تاكل منه سنبلة والحيات والعقارب لا تؤذي احدا والسبع على ابواب الدور لا يؤذي احدا وياخذ الرجل المد من القمح فيبذره فيجئ سبعة مد فيمكثون في ذلك حتى يكسر سد ياجوج وماجوج فيخرجون ويفسدون فيبعث الله دابة من الارض فتدخل في اذانهم

فيصحبون موتى اجمعين وتتن لارض منهم فيوذى الناس بنتنهم فيستغيثون
بالله فيغيثهم فيبعث عليهم ريحا يمانية غرباء ويكشف ما بهم بعد ثلاث وقد
قذفت جيفهم في البحر ولا يلبثون الا قليلا حتى تطلع الشمس من مغربها .
وذكر ابن العربي رحمه الله تعالى ما نصه : - رويانا من حديث عطاء
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بحلقته
باب الكعبة في حجة الوداع ثم اقبل بوجهه الكريم على الناس فقال : -
يا معشر الناس ان من اشراط القيامة امانته الصلاة واتباع الشهوات وتكون
امراء خونة ووزراء فسقة - فوثب سلمان الفارسي فقال : بابي انت وامي
يا رسول الله وان هذا لكائن . قال - نعم يا سلمان وعندها يكون المنكر معروفا
والمعروف منكرا . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان وعندها يذوب
قلب المومن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى ولا يستطيع ان
يغيره . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان ويؤمن الخائن ويخون
الأمين ويصدق الكاذب ويكذب الصادق . قال : ويكون ذلك . قال -
نعم يا سلمان ان اولى الناس قوم المومن بينهم يمشي بالمخافة ان تكلم
اكلوه وان سكنت مات بغيظه يا سلمان ما قدست امة لا ينتقم قوبها
لضعفها . قال : فيكون ذلك . قال - نعم يا سلمان وعندها يكون المطر قيظا
والولد غيظا وتفيض اللثام فيضا وتفيض الكرام غيضا . قال : ويكون ذلك .
قال - نعم يا سلمان وعندها يعظم رب المال ويباع الدين بالدنيا وتلتمس
الدنيا بعمل لاخرة واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب الفروج
السروج فعليهم من امتي لعنة الله يا سلمان وعندها يلي امتي قوم جشهم جث
الناس وقلوبهم قلوب الشياطين ان تكلموا قتلوه وان سكثوا استباحوهم لا
يرحمون صغيرا ولا يوقرون كبيرا وتوطا حرمتهم ويجار في حكمهم عند ذلك
امارة النساء ومشاورة الاماء وتفقه الصبيان على الناس وتكثر الشرط وتتحلى
ذكور امتي بالذهب ويتهاون بالزناء وتظهر القينات ويتغنى بكتاب الله
وتتكلم الروبيضة . قال : بابي انت وامي يا رسول الله وما الروبيضة .
قال -

قال - يتكلم في امر العامة من لا يتكلم قبل . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عندها تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتحلى المصاحف بالذهب وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباعدة ولا لسن مختلفة ونوالهم لعقة على لسان من اعطي شكر ومن منع كفر . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عند ذلك تأتي سبايا من المشرق والمغرب تكون من امي فويل للضعفاء منهم وويل لهم من الله ان تكلموا قتلوا وان سكتوا قتلوا موت على طاعة الله خير من حياة على معصية الله . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عندها تشارك المرأة زوجها في امره ويعق الرجل والده ويبر صديقه يلبسون جلود الضان على قلوب الذناب علماؤهم شر من الجيفة . قال : ويكون ذلك يا رسول الله . قال - نعم يا سلمان عندها تكون عبادتهم فيما بينهم التلاوة لما فيها ولا بد يسمون في ملكوت السماوات والارض لانجاس لارجاس . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان عند ذلك يتخذ كتاب الله من امي وتظهر القينات وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم وهم يعطلون الحدود ويميتون سنتي ويحيون البدعة ولا يقام يومئذ بنصر الله لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية ويخطب كما تخطب النساء ويهين كما تهين المرأة عندها تقارب الاسواق قال كل لا ابيع ولا اشترى ولا رازق غير الله يا سلمان عندها تليهم الجبابة ويمنعون حقوقهم ويملاون قلوبهم رعبا فلا ترى الا خائفا مرعوبا عند ذلك يرفع الحج فلا حج بحج كبار الناس للهو واوساط الناس للتجارة وفقراء الناس للرياء والسمعة . قال : ويكون ذلك . قال - نعم يا سلمان . اه .

الباب الثاني في ذكر المغرب وفيه فصلان

الفصل الاول في فضل المغرب عموما

قال في صلة السبط ما نصه - ففي كتاب مسلم قال حدثنا يحيى بن يحيى الذي قال فيه ابن حنبل ما اخرجت نيسابور بعد ابن المبارك

يحيى بن يحيى قال اخبرنا هشام عن داوود بن ابي هند عن ابي عثمان
من سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا يزال
اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة - ويعضد هذا الحديث
ما ذكره صاحب القاموس في مادة الغرب بما نصه - ومنه لا يزال اهل
المغرب ظاهرين على الحق - وقال الشيخ الصالح ابو الحجاج يوسف بن
يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن الساذلي في كتابه الموسوم بالتشوف
الى رجال التصوف ما نصه - وقد جاء في الصحيح من فضل اهل المغرب
ما لا يدفعه دافع ولا ينازع في ثبوته منازع كمثل ما روينا من طريق
مسلم بن الحجاج بسنده الى سعد بن ابي وقاص قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم - لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق الى يوم
القيامة - ومن حديث سعد بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال - لا يزال اهل المغرب ظاهرين حتى تقوم الساعة - وسن تناول قوله
عليه الصلاة والسلام على ان الغرب الدلو وانما اراد اهل الغرب وهم العرب
فيبطل تأويله ما روينا من طريق يحيى بن مخلد في مسنده قال : اخبرنا
يحيى بن عبد الحميد قال حدثنا هشام قال اخبرنا داوود بن ابي معبد عن
ابي عثمان النهدي عن سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال - لا يزال
اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة او ياتي امر الله ، وخرج
الدارقطني في فوائده بسنده الى سعد بن ابي وقاص قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم - لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق في المغرب
حتى تقوم الساعة - وقال الامام الزاهد ابو بكر محمد الوليد الفهري الطرطوشي
نزيل لاسكندرية في رسالته المشهورة التي بعثها الى السلطان بمراكش
بعد ان ذكر الحديث الذي اخرجهم مسلم فقال والله اعلم : هل ارادكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم او اراد بذلك جملة من اهل المغرب لما هم
عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في
الدين والاقتفاء لاثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم فشفروا
بهذه

بهذه الشارف شرفا وشغفوا بهذه المشاغف شغفا . انتهى ❖ وفي كتاب طبقات علماء إفريقية لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم : وحدثني محمد بن بسطام بكسر الباء الصبي بفتح الصاد المختمة منسوب إلى صبيته عن أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح قال حدثنا محمد بن الصبلح قال حدثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند قال حدثنا أبو عثمان النهدي عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة - وهشيم مصغر هو ابن بشير قال وحدثنا يحيى بن عمر وهو صاحب المنتخب قال حدثنا حرملة ابن يحيى عن نعيم بن حماد عن عيسى بن يونس عن شعبة بن يزيد بن حصين عن راشد بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير الأرض مغاربها . وذكر في الكتاب المذكور بسند يرفعه إلى انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - لا تزال عصابت من أمتي بالمغرب يقاتلون بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يرون قتاما فيقولون شيتهم فيبعثون سرعاء خيلهم ينظرون فيرجعون إليهم فيقولون الجبال سيرت فيجثرون سجدا فتقبض أرواحهم - والقمام بضم القاف وهو الغبار . قال المصري كذا وقع باثبات النون في الفعل ويحتمل أن تكون من غلط الناسخ وأما أن كانت الرواية قد وردت به فيجب حل حتى هنا على أنها ابتدائية ولذلك ارتفع الفعل بعدها . وحدثني شيخنا أبو العباس أحمد بن رناز قال أخبرني شيخنا سيدي أحمد المغربي في أيام قراءتي عليه ببلاد زاوة أن ببلاد المغرب مقبرة فيها عشرة من الصحابة بعثهم أهل المغرب رسلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا مسجده الشريف فلما وقفوا سالوا عنه صلى الله عليه وسلم بلسانهم - إذا أمازان أيربي - وهي كلمة بربرية فإذا معناها أين وأمازان معناها رسول وأيربي معناها ربي فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله - أشكاب - معناها والله اعلم - أي شيء تريدون . انتهى من خطه . وقسوله إذا بهمة بعدها ألف

مدودة فذال معجمة بعدها الف . والكلمة الثانية بهمزة بعدها الف مدودة .
فيم فالف فزاي فالف بعدها نون مكسورة والثالثة بهمزة مكسورة بعدها
ياك ساكنة ثم راء ثم ياك موحدة مكسورة بعدها ياك . وجوابه صلى الله
عليه وسلم بهمزة بعدها الف مدودة ثم شين معجمة ساكنة ثم كاي بعدها
الف ثم ياك موحدة ساكنة . —

الفصل الثاني في حد المغرب

فاما حده فقال في عقد الجمان المغرب ثلث اقاليم العرفية وبلاد
المغرب بمصايف مصر من جهة المشرق الى فم بحر الزقاق الى صحراء
لثونة في الجنوب ومن جهة الجنوب المفاوز الفاصلة بين بلاد السودان
وبلاد المغرب وهذه المفاوز ممتدة غربا وشرقا من سبتة الى مراكش ثم الى
سجلماسة وما في سمتها شمالا وجنوبا وهذه ثلاثة اصقاع الاول يعرف
بافريقية الثاني يعرف ببلاد المغرب الاقصى الثالث يعرف ببلاد السوس
الاقصى ففي الصقع الثاني قبائل من البربر وصنهاجة وبرغاطة وزناتة
وفيه نخل كثير ينتهي الثمر عندهم اكثر من عشرة اجناس لا يشبه بعضها
بعضا في الطعم . قال جاور عفى الله عنه قوله عشرة اجناس ليس من
المستكثر فاني سمعت ممن اثق بخبره انه يحفظ من اسماء انواعها ستين
اسما وقال سمعت من اهل الجريد سن احصى مائة اسم في مجلس واحد
وهو اكثر طعامهم والزرع عندهم قليل بسبب لاعراب ويجلب من هذا
الصقع جلود الفئك احسن من فئك البحر ويجلب المشاع القيرواني مثل
السوسيات والثياب المقصرة والمقاطع وثياب الصوف العالية والارجوان
المحكم الصنعة ومنه يجلب الخيل الغريبة .

الباب الثالث في ذكر افريقية وفيه اربعة فصول

الفصل الاول في فضل افريقية بالاحاديث

قال صاحب طبقات علماء افريقية حدثني فرات عن محمد قال حدثنا
عبد الله بن حسان اليحصبي عن عبد الرحمن ابن زياد عن ابي عبد الرحمن
الحبلي

الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - لياتين أناس من امتي من افريقية يوم القيامة وجوههم افضل نورا من نور القمر ليلة البدر . واليحصي بفتح الصاد المهملة منسوب الى بني يحصب ويجوز كسر الصاد منه في النسبة . وفي اقتباس الانوار اليحصي في حير ينسب الى يحصب بن ذبيان بن مالك بن زيد بن سدد بن زرع بن سبا الاصغر كذا نسبه الهمداني والحبلي بضم الحاء وفتح الباء وهو ممن عدة صاحب كتاب الطبقات ممن دخل افريقية من اجلة التابعين وعدة البكري ايضا فيمن دخل لاندلس من التابعين وقال فيه هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي الانصاري وهو منسوب الى بني الحبلي من الانصار وذكر سيويه النسبة اليه الحبلي بضم الحاء وفتح الباء في شواذ النسب قال ويقال فيه حبلي للفرق بينه وبين حبلي آخر وسمي الحبلي لعظم بطنه وبعضهم يقول فيه الحبلي بضم الحاء وضم الباء وكذلك يقوله المحدثون ولعلها لغة فيه فاما من قال حبلي بكسoron الباء فهو جار على القياس لانه الاصل ولكن المسموع غيره وهو ما ذكره سيويه والله اعلم . وقال القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله تعالى وابو عبد الرحمن الحبلي بضم الحاء والباء رواية اكثر الشيوخ والفقهاء والنحاة واهل الاتفاق يقولونه بضم الحاء وفتح الباء وسكونها ايضا . وقال الشيخ الحافظ ابو علي الغساني رحمه الله تعالى المحدثون يسمون الباء وفي الكتاب البطارع لابي علي البغدادي يقال فلان الحبلي بضم الحاء والباء منسوب الى حي من الانصار يقال لهم بنو الحبلي . قال واسمه عبد الله بن يزيد من تابعي اهل مصر سمع عبد الله بن عمرو بن العاصي وروى عنه شرحبيل بن شريك وابو هانئ الخولاني ويقال ان ابا عبد الرحمن دخل لاندلس روى له مسلم وحده وقوله عبد الله بن عمرو الواوي هو بفتح العين وسكون الميم وهو عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه صحابي مشهور ومن خيار الصحابة رضي الله عنهم . وفيه ايضا قال حدثني حبيب بن نصر بن سهل واحمد بن

أبي سليمان وعيسى بن مسكين قالوا حدثنا سحنون عن عبد الله بن وهب
 عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - لياتين أناس من امتي من إفريقية
 يوم القيامة وجوههم أشد نورا من نور القمر ليلة البدر . وحدث أحمد بن
 أبي سليمان وحبيب وعيسى عن سحنون قال حدثني فرات عن موسى بن
 معاوية وسحنون عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن بكر بن سواد الجذامي
 أن سفيان بن الحارث حدثهم عن أشياخهم أنهم قالوا للمقداد بن الأسود
 صاحب النبي صلى الله عليه وسلم - ثقلت وتخرج في هذه المغازي . فقال -
 خفيفا كنت أو ثقيلًا لا اتخلف عنها لأن الله تبارك وتعالى يقول - انقروا
 خفافا وثقالا - ثم قال قدمت سرية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا
 البرد ولاجر قال فرات في حديثه الذي أصابهم فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم - أن البرد الشديد ولاجر العظيم لأهل إفريقية . وابن لهيعة بفتح
 اللام وكسر الهاء هو عبد الله بن لهيعة من مشاهير الرواة وذكره في المدونة .
 وقال في كتاب البيان للجاحظ ومن أصحاب الآثار والأخبار عبد الله
 ابن عقبة بن لهيعة ويكنى أبا عبد الرحمن وبكر بن سواد بفتح الباء وسكون
 الكاف وسواد بفتح السين المهملة وتخفيف الواو وذال مهملة مذكور في
 المدونة ونسبه الجذامي بضم الجيم وذال معجمة منسوب إلى جذام وهي
 قبيلة من اليمن وحكي في الكتاب المذكور بسند عن ابن لهيعة أنه سمع
 يزيد بن أبي حبيب وهو من الرواة المشاهير ذكره في المدونة ذكر أن
 المقداد بن الأسود كان غزا إفريقية مع عبد الله بن سعد وفيه قال حدثني عبد
 الله بن أبي حيان عن عبد الرحمن بن زياد عن أبي عبد الرحمن الحبلي
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ينقطع الجهاد من البلدان كلها فلا
 يبقى إلا في موضع في المغرب يقال له إفريقية فبينما القوم بازاء عدوهم
 نظروا إلى الجبال قد سيرت فيخرون لله سجداً فلا ينزع عنهم أخلاقهم يعني
 ثيابهم إلا خدعهم في الجنة - وذكر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
 أجمعين

اجمعين دخلوا افریقیة وذكر عن اسحاق بن المشونى ان عتبة بن نافع كان معه في عسكرة خمسة وعشرون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تسليما . ومن الاماكن التي وقع الثناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنها المنستير . قال ابن الشباط المنستير بضم الميم وضم النون وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة فوق وبعدها ياء اخت الواو وءاخرة راء مهملة حدثني احمد بن يزيد قال حدثني داود بن يحيى عن سقلاب بن زياد الهمداني عن بهلول بن راشد قال حدثنا عباد بن كثير عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بساحل قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير سن دخله فبرحمة الله وتن خرج منه فبعفو الله - وسقلاب بكسر السين المهملة وسكون القاف والظاهر ان هذا الاسم اعجمي فيجب على هذا ان لا يصرف . قال في طبقات علماء افریقیة سقلاب بن زياد كان من اهل الفضل والعبادات والاجتهاد سمع من مالك بن انس وهو من طبقات البهلول بن راشد ثقة مامون سمع منه ابو سنان وداود بن يحيى وغيرهما مات سنة ثلاث وتسعين ومائة . وقال ابو سنان فيما رواه سعيد بن اسحاق كان سقلاب بن زياد اماما من ائمة المسلمين مامونا على ما سمع قال وحدثني فرات بن محمد العبدي قال حدثنا عبد الله بن حسان اليحصبي عن ابيه وعن سفيان بن عيينة عن عبد الله ابن دينار عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من رابط بالمنستير ثلاثة ايام وجبت له الجنة . قال انس - بنح بنح يارسول الله . والمرابطة والرباط ملازمة النظر وهو موضع المخافة من العدو والرباط ايضا ملازمة الصلاة والاول هو المراد بالحديث وقوله بنح بنح هي كلمة تنال عند المدح للشيء والرضى به وتكرر للتاكيد فيقال بنح بنح وهي مبنية على السكون في الوقف واما في الوصل فتكسر وتنون وقد تشدد فيقال بنح ويشدق من قولك بنح فعل فيقال بنخبخت فلانا اذا قلت له ذلك ومنه قول الحجاج لاعشى همدان في قوله -

بين الاشج وبين قيس باذخ بخنج لوالده وللمولود
والله لا تبخج لاحد بعدها ابدا هكذا حكاه ابو الفرج وحكاه غيره لا تبخجت
بعدها . وفي حديث آخر - من رابط ثلاثة ايام وجبت له الجنة . قال انس
بخج يا رسول الله . قال - نعم يا انس وله في هذه الثلاثة ايام اجر الصديقين
والشهداء والصالحين . قال وحدثني احمد بن ابي سليمان وحبيب وعيسى
من سحنون قال حدثني عن موسى بن معاوية وسحنون عن ابن وهب عن
ابن لهيعة وحكى الحديث المتقدم قال وحدثني احمد بن يزيد قال حدثنا
عبد الله بن عمر بن غانم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عمران
ابن الحصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بساحل قمونية باب
من ابواب الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع
فكاني اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية .
قال التجاني روى ابو العرب محمد بن احمد بن تميم في كتاب الطبقات
من تاليفه بسنده الى سفيان بن عيينة عن عبد الله بن دينار عن انس بن
مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - من رابط بالمنستير ثلاثة
ايام وجبت له الجنة - وسنده الى خالد بن معدان عن عمران بن الحصين
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بمدينة قمونية باب من ابواب
الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع فكاني
اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية .
وحدثنا عباد بن كثير عن ليث عن ابن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - بساحل قمونية باب من ابواب
الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمته الله ومن خرج منه فبغفو الله
عنه - وعباد بن كثير الواقع في هذا السند متروك الحديث عندهم وليث
ابن ابي سليم ضعيف لا يحتج به من غير كتاب ابي العرب وبسند ابي
العرب الى عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن مطرف بن عبد الله قال -
المنستير باب من ابواب الجنة فينماهم في الصلاة اذ سمعوا هدة فبعثوا رسولهم
ليأتهم

ليأتهم بالخبر فما لبثوا ان انصرف فقالوا له ما صرفك فقال لهم سيرت
الجبال فيخرون سجدا لله فيقول الله تبارك وتعالى يا اهل المنستير لولا اني
كتبت الموت على خلقي لادخلتكم الجنة . يعني قبل الموت فتخرج عليهم
ريح صفراء ما بين القبلة والمشرق فتخرج ازواجهم من الحور العين وخدمهم .
وعبد الرحمن بن زياد ايضا متروك الحديث ضعفه ابن معين والبهلول بن
راشد سمعت سفيان بن عيينة يقول جاءنا عبد الرحمن بن زياد الافريقي
بسته احاديث رفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم لم اسمع احدا من
العلماء رفعها وذكرها وبسند ابي العرب الى سفيان بن عيينة موقوفا عليه .
قال الفضل في ثلاثة مواضع - المصيصة باب من ابواب الجنة يحشر
منها يوم القيامة سبعون الف شهيد وعسقلان باب من ابواب الجنة وموضع
هنالك بالمغرب يقال له الياقوتة بالمنستير داخل في البحر الى جانبه سبخة
على تلك السبخة قنطرة من قناطير الارلين يحشر منها يوم القيامة سبعون
الف شهيد . وفي كتاب الرقيق قال : يقال ان بافريقية ساحلا يقال له
المنستير هو باب من ابواب الجنة وبها جبل يقال له مطور هو باب من
ابواب جهنم . انتهى كلام الرقيق . قال التجاني وهذا الجبل هو المسمى
في وقتنا هذا بجبل وسلات يسكنه اخلاط من البربر . وعبد الله بن عمر بن
غانم المتقدم الذكر قبل هذا هو قاضي افريقية روى عن مالك بن انس
رضي الله عنه وذكره في المدونة وهو مشهور الفضل والدين من قضاة
العدل . قال في كتاب الطبقات عبد الله بن عمر بن غانم ابو عبد الرحمن
الرعياني كان ثقة نبلا فقيها ولي القضاء وكان عدلا في قضائه ولاه روح
ابن حاتم في رجب سنة احدى وسبعين ومائة وهو يومئذ ابن اثنتين
واربعين سنة سمع من مالك وسمع من عبد الرحمن بن زياد بن انعم ومن
سفيان الثوري واسرائيل بن يونس وذكر ان وفاته رحمه الله تعالى كانت
سنة تسعين ومائة ومولده سنة ثمان وعشرين ومائة وقوله معدان بفتح
الميم وسكون العين المهملة وبالذال المهملة . وذكر الشيخ ابو عمر رحمه الله

تعالى ان خالد بن معدان روى عن عبد الله بن سعد الازدي الشامي مرفوعا - ان الله اعطاني فارس وامرني بحمير . وقوله في الحديث قبله قمونية بفتح القاف وتشديد الميم فواو ساكنة فنون فياء مشناة تحتية فهاء اسم موضع للقيروان والقيروان لم يعلم الا ان بعد مدينة تونس في الوطن الافريقي اعظم منها مدينة واهلها اشبه الناس علما واكثر حرافة وادري الناس بتعاطي المتجر واحضر الناس جوابا واحدهم خطابا واقواهم تجلدا على عص الدهر وابصرهم بعواقب الامر بينهم عرى اخوة لم تستهمل وثبات قدم في الحمية لم يتزلزل ووثوق عهد في الذب عن انفسهم لم يتخاقل وتجد الاقل يتصر لذويه في لاغائة قبل ان يتامل وانما اطلق القلم في هذه الصفحات لسانه وحرك في ظلال هذه الاسطر بنانه لما مر الوعد انفا بتعريف ما اندرج في خلال العمالة الافريقية من مشاهير بلدانها التي عرف بها الفضلاء وافصح في تبيانها النبلاء . ولما وقفت على تعريف من اعنى بها وفيت بما وعدت والمحال انه لا نجد لها مكانا اليق بتعريفها من هذا المحل اذ ربما تبقت لتذكر في وقائع الباب الثامن فيصير مشتمل سياقه جزاذا ولم يكن اليق لها من موقعها هذا . وقال السلطان المويدي في كتابه المختصر في اخبار البشر وفي سنة خمسين من الهجرة بنيت القيروان وكمل بناوها في سنة خمس وخمسين وكان حديثها ان معاوية ولي عقبة بن نافع افريقية وكان عقبة المذكور صحابيا من الصالحين فوضع السيف في اهل افريقية لانهم كانوا يرتدون اذا فارقهم العسكر وكان مقام الولاة بزويلة وبرقة فرأى عقبة ان يتخذ مدينة بتلك البلاد تكون مقرا للعسكر فاختر موضع القيروان وكانت اجمة مشبكة فقطع اشجارها وبنها مدينة وتوفي بها رباح وكنيته ابو زيد اللخمي الزاهد ودفن بها سنة اثنتين وسبعين ومائة وكان بحجاب الدعوة . وكان من ولاتها يزيد بن حاتم بن قيصمة بن المهلب بن ابي صفرة الازدي كانت ولايته بافريقية خمسة عشر عاما وثلاثة اشهر توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة ودفن بالقيروان

يعاب سلم كذا ذكره ابن خلكان وقال : قال اهل افريقية ما ابعد ما يكون بين هذين الاخوين فان اخاه روحا كان واليا بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع اخيه يزيد فدخل افريقية في اول رجب سنة احدى وسبعين ومائة ولم يزل واليا بها الى ان توفي لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وسبعين ومائة ودفن مع اخيه يزيد في قبر واحد فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد رحهما الله . وكان روح المذكور من الكرماء الاجواد وولي خمسة من الخلفاء السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد ويقال انه لم يتفق مثل هذا الا لابي موسى الاشعري رضي الله عنه فانه ولي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين . وكان المهدي بن ابي جعفر المنصور هو الذي اولى روحا على السند سنة تسع وخسين ومائة وكان قد ولاه في اول خلافته الكوفة وقيل انه ولي السند سنة ستين ومائة ثم عزل عنه سنة احدى وستين ومائة ثم ولي البصرة . واخوه يزيد المذكور اولا هو الذي قصده ربيعة بن ثابت الاسدي الرقي فاحسن اليه وكان ربيعة مدح يزيد بن اسد السلمي فقصر يزيد في حقه فقال يمدح يزيد بن حاتم ويهجو يزيد السلمي بتصيدته التي من جملتها -

شتان ما بين اليزيديين في النداء يزيد سليم ولاغر ابن حاتم
فهم الفتى لازدي اتلاف ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام اني هجوته ولكنني فضلت اهل المكارم
ومنهن -

فيا ابن اسيد لا تسام ابن حاتم فتقرع ان ساميته سن نادم
هو البحر ان كلفت نفسك خوضه تهاكت في اذية المتلاطم
تمنيت مجدا في سليم سفاهته امانى خال او امانى حالم
الا انما الالمهلب غيرة وفي الحرب قادات لكم بالجرائم

وهي طويلة ويكفى منها هذا وكان قصر في حقه أولا فعمل ربعة أبياتا من جملتها -

اراني ولا كفران لله راجعا بخفي حنين من نوال ابن حاتم
فعاد وعطف عليه وبالغ من الاحسان اليه . قال ابن الشباط واعلم ان في
مختصر تاريخ الطبري ان معاوية بن ابي سفيان قد بعث عقبة بن نافع
الفهري الى افريقية فافتتحها واخط قيروانها وكان موضع غيضة لا يرام
من السباع والحياة والدواب فدعا الله عز وجل فلم يبق فيها شيء الا خرج
هاربا منها حتى ان السباع لتحمل اولادها عنها فكان عقبة بن نافع اول
الناس اختطها وقطع مساكنها ودورها للناس وبني مسجدها وكان محمود السيرة
جميل الاثر . انتهى ما في مختصر الطبري رحمه الله . وقال ابن الشباط واعلم
انه وقع في كتاب طبقات علماء افريقية عن اسحاق ابن المثنوي ان عقبة
ابن نافع كان معه في معركة خمسة وعشرون من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وان عقبة جمع وجوه اصحابه وكبار العسكر فدار بهم حول القيروان
واقبل يدعوه ويقول اللهم املاها علما وفقها واعمرها بالمطيعين والعابدين واجعلها
عزا لدينك وذلا على من كفر بك واعز بها الاسلام وامنعها من جبايرة الارض
قال فبذلك هي معصومة من كل جبار عنيد قال وانما كان دعاء عقبة لها
بعد ما كان عمرها في غزوته الثانية وخرب تيكروان التي اتخذها ابو المهاجر
قيروانا . قال البكري رحمه الله تعالى ومدينة القيروان في بسات من الارض
مديد من الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي
القبلة بحر صفاقس واقربها منها البحر الشرقي بينها وبينه مسيرة يوم وبينها
وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل
مسيرة يوم وشرقها سبخة وسائر جوانبها ارضون طيبة كريمة واحسنها
الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدوارة يصاب فيه السنة الخصيبة
للحبة مائة وهواء هذا الجانب طيب صحيح وكان زياد بن خثفون
المتطبب اذا خرج من القيروان يريد مدينة رقادة وحاذى باب اصرم رفع
العمامة

العمامة من راسه يباشر الهواء براسه كالمتداوي لصيحه . والقيروان في
 القديم سبعة محارس اربعة خارجها وللاثة داخلها قال وكان للقيروان في
 القديم سور طوب ستمه عشرة اذرع بناء محمد بن الاشعث بن عقبة الخزاعي
 سنة اربع واربعين ومائة وهو اول قائد دخل القيروان للمسودة فهدم هذا
 السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بالكبير مسنة تسع ومائتين لما قام
 عليه اهل القيروان مع منصور المعروف بالطنبذي فلما انهزم عن القيروان يوم
 الاربعاء للنصف من جادى الاولى من هذه السنة وخرج اهل القيروان الى
 زيادة الله فرغبوا في العفو عنهم والصفح هدم سورهم عقوبة لهم ثم بناء المعز
 ابن باديس بن منصور الصنهاجي مسنة اربع واربعين واربعمائة وبلغ
 تكسيرة اثنين وشرين الف ذراع قال وخارج سور القيروان خمسة عشر
 ماجلا للماء سقايات لاهلها منها من بنى هاشم بن عبد الملك وغيره واعظمها
 شاننا وافخمها منصبا ماجل ابي ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب بباب تونس
 وهو مستدير متناهي الكبر في وسطه صومعة مئمنة في اعلاها قصبة مفتحة
 على اربعة ابواب تحمل احد عشر رجلا لا خلل بينهم فاذا امتلا الماجل كان
 ذلك الماء ذخرا لهم . وذكر البكري ايضا رحمه الله ان اول سن وضع
 بحراب الجامع بالقيروان نافع بن عقبة كذا وقع بتقديم نافع قال ابن الشباط
 واره غلطا من النساخ والصواب عقبة بن نافع قال ثم هدمه حسان حاشا
 المحراب وبناء يعني حسان بن النعمان الغساني وحمل اليه الساريتين
 المتجاورتين الموشاتين بصفرة اللين لم ير الرءءون مثلهما من كنيسة كانت
 للاول في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية ويقولون ان صاحب القسطنطينية
 بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع زنتهما ذهبا فابتدروا الجامع بهما ويذكر
 كل سن رءاهما ~~فنه~~ ما راي في البلاد ما يقترون بهما قال فلما كانت خلافة
 هشام بن عبد الملك كتب اليه عامله على القيروان يعلمه ان الجامع يضيق
 باهله وان بجرفيه جنة كبيرة لقوم من فهر فامرة هشام بشرائها وان يدخلها
 في المسجد الجامع ففعل وبني في صحنه ماجلا وهو المعروف بالماجل القديم

بالقرب من البلاطات وبني بئر الصقت معه في بئر الجنان نصب اساسها على الماء وانفق ان وقعت في نفس الحائط الجوفي . قسال واهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة يقولون ان اهل الجنة اكرهوا على بيعها والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعا وعرضها خمسة وعشرون ولها بابان شرقي وغربي وامسا في صعرنا هذا فليس لها إلا باب واحد جوفي الذي يخرج منه يستقبل القبلة وعنائدها رخام منقوش فلما ولي افريقية يزيد بن حاتم سنة خمس وخمسين ومائة هدم الجامع كله حاشا المحراب وبناء واشترى العمود لاختصر بمال عريض جزيل ووضع فيه فلما ولي زيادة الله بن ابراهيم هدم الجامع كله واراد هدم المحراب فقليل له ان سن تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واصعه عقبة بن نافع وسن كان معه فالج في هدمه لئلا يبقى فيه اثر لغيره فقال له بعض البنائين اذا ادخلته بين حائطين لا يظهر في الجامع اثر لغيرك فاستصوب ذلك وفعله فهو على بنائه الى اليوم والمحراب كله وما يليه مبني بالرخام الابيض من اعلاه الى اسفله وهو مخرم منقوش كله منه كتابة ثقرا ومنه تدييج مختلف الصناعة تستدير به اعمدة رخام في غاية الحسن والعمودان الاحمران المذكوران يقابلان المحراب وعليهما القبة المتصلة بالمحراب وبلاطاته سبع عشرة بلاطة وطوله مائتان وعشرون ذراعا واعمدته اربعمائة واربعه عشر عمودا وعرضه مائة وخمسون ذراعا وبلغت النفقة في بنائه ستة وثمانين الف مثقال . ولما ولي ابراهيم بن احمد بن الاغلب زاد في طول بلاطات الجامع وبني القبة المعروفة بباب البهور على آخر بلاطات المحراب في دورها اثنتان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصباغات مختلفة محكمة عجيبة يشهد كل سن رعاها انه لم ير مبنيا احسن منه وقد فرش من الصحن بين ايدي البلاطات نحو خمسة عشر ذراعا والجامع عشرة ابواب ومقصورة للنساء في شرقيها بينها وبين الجامع حائط آخر مخرم بحكم العمل هذا ما ذكره البكري رحمه الله تعالى . وذكر صاحب كتاب الافتخار ان ابا ابراهيم

ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب امر باخراج ثلاثمائة دينار من بيت المال
فامر ببناء ماجل بياب تونس وبني بجامع القيروان القبة الخارجة على البهور
مع الصفيين اللذين يليانها من جانبيها جميعا وبلاطها الذي بين يديها
مفروشا وعمل المحراب جلبت له تلك القراميد الصينية لمجلس اراد ان
يعمله وجاءه من بغداد خشب الساج عمله منبرا للجامع وجاء بالمحراب
مفصلا رخاما من العراق وعمله في جامع القيروان وجعل تلك القراميد في
وجه المحراب وجعل له رجل بغدادي قراميد اخرى زادها اليها وزين تلك
الزينة العجيبة بالرخام والذهب والالة الحسنة وبني ماجل ابي الربيع
وامر ببناء ماجل القصر الكبير وبني جامع مدينة تونس وبني سور سوسة
ودار الملك بسوسة وبني قصر لمطة وسور صفاقس وتصدق بباقي المال على
الفقراء والمساكين . وذكر في الكتاب المذكور ان وفاته كانت سنة تسع
واربعين ومائتين وانه ملك افريقية وهو ابن ثمان وعشرين واعلم ان المنبر
الذي تقدم ذكره فيه من غرائب الصنائع والنقوش ما يحار الطرف فيه
ويكل الوصف عنه ويكاد رآيه يقطع بانه لا يرى مثله واذا عرفت ذلك
فاعلم ان الشيخ ابا محمد بن عبد البر رحمه الله ذكر في كتاب الصحابة
رضي الله عنهم ان معاوية بن حديج رحمه الله كان اختط القيروان بموضع
يدعى اليوم بالقرن فنهض اليه عقبة فلم يعجبه فركب الناس الى موضع
القيروان اليوم وكانت افريقية تدعى مزاق وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن
زياد بن انعم —

ذكرت القيروان فهاج شوقي واين القيروان من العراق
مسيرة اشهر للغير نصفا على الابل المضرة العتاق
فلغ انما وبني ابيهم ومن يرجى لنا وله التلاقي
فان الله قد خلى سبيلي وجد بنا المسير الى مزاق
ومما يقرب من القيروان جلولا مدينة عظيمة اولية وقد تلاشتها ايدي الدهر
كعادته بالعمارات وادخلتها اقلام النقول في دغائر الاخبار وهي كما قال

ابن الشباط ومن القيروان الى جلولا اربعة ومشرون ميلا وجلولا ء اثار ابراج قائمة للول وآبار عذبة وخرائب وجد فيها بعض الرعاة تاج ذهب بجوهرة وبقرجلولا منتزة يعرف بسردانية ليس في افريقية موضع اجمل منه فيه لمار عظيمة وفيه من الهارنج خاصة نحو الف اصل ولها حصن وهي قديمة مبنية بالصخر وفيها عين ثرة في وسطها وهي كثيرة الثمار ولاشجار واكثر رباحينها الياسمين وبطيح عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وجرس نحلها وبها يزيث اهل القيروان من الياسمين والورد والبنفسج وبها قصب السكر كثير ومنها يرد كل يوم الى القيروان من احمال الفواكه والبقول ما لا يحصى كثرة فتحها معاوية بن حديج حاصرها اياما وقتل من اهلها عددا كثيرا حتى فتحها المسلمون عنوة وقتلوا المقاتلة وسبوا الذراري واصابوا جميع ما كان في المدينة وقسم معاوية بن حديج الفقي وتوفيت في تلك الغزوة بقمونية ابنة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فدفنت بموضع من القيروان يسمى اليوم بمقبرة قريش وهو بغربي القيروان وكان فتحها على يد معاوية ابن حديج وقوله وبقرجلولا منتزة بفتح الزاي اي متفرج قال ابن الشباط قال ابن قتيبة وقد كان بعض اصحاب اللغة يذهب في قول الناس خرجنا تنزة اذا خرجوا الى البساتين الى الغلط ويقول انما التنزة التبعاد عن الماء والريف ومنه يقال فلان تنزة عن الاقدار اي باعد نفسه عنها وفلان فزيد كريم اذا كان بعيدا من القوم قال وليس عندي هذا غلطا لان البساتين في كل مصر وكل بلد انما تكون خارج البلد فاذا اراد الرجل ان ياتيها فقد اراد ان يتنزه اي يبعد عن المنازل والبيوت ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت التنزة القعود في الخضرة والجنان وقوله عين ثرة بفتح الشاء المثناة وتشديد الراء اي غزيرة الماء واسعة وكذلك الثروة وقوله الياسمين بكسر السين وهو اعجمي عربي العرب وفيه لغتان منهم من يجعل اعرابه في النون ويبقي الياء على حالها ومنهم من يقول فيه ياسمون بالواو في الرفع وبالياء في النصب والخفض وهؤلاء جعلوا واحده ياسما وانشد ابو حنيفة في الياسم —

من يأسم بيض وورد أحر يخرج من اكمامه معصفرا
وهذا الجمع من الجموع الشاذة الواردة فيما لا يعقل . وقوله جرس نحلها
الجرس بفتح الجيم وسكون الراء المهملة اكل النحل . وفي الحديث جرس
نحلة العرفط اي اكلته قال صاحب الصحاح والعرفط شجر الغضا ينضج
المغفور ويرميه أبيض وفي المختصر والمغافر والمغفور والمغفير شمع العرفط والجمع
مغافير وقد يغفر العرفط ويخرجوا يتمغفرون اذا اجتنوه قال غيره في الحديث
اكلت مغافر وهو شيء ينضج العرفط حلو كالنافط وله ريح منكورة والعرفط من
الغضا قال وليس في كلام العرب مفعول إلا مغفور ومغرود لضرب من الكمامة
ومتحور للمتحور ومغلق واحد المغاليق والسهم بكسر السين معروف وهو
الجالجلان والزنبق بفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وآخره
قاف دهن الياسمين والبنفسج بفتح الموحدة وفتح السين المهملة نبت معروف
ازهر حسن اللون طيب الريح وقوله اولا في ابتكار القيروان بقرن الجبل هو
بفتح القاف وسكون الراء ذكر بعض المؤرخين ان معاوية بن حديج نزل
بسفح جبل صغير منفرد فاصابه نوء شديد فقال ان جبلنا هذا لمطور تسمي
ذلك الجبل مطورا الى يوم القيامة اذهبوا بنا الى هذا القرن فسمي القرن
ايضا الى اليوم قال وهذه اسماء عربية لا يعرفها العجم قال ابن الشباط
قلت والقرن جبل صغير منفرد وجلولا بفتح الجيم وضم اللام وقصر لالفي
وهو الجاري على الالسنه في هذه الجهات وفي كتاب الافتخار حكاية حسنة
عن ابي القاسم عريب بن نصر قال اشتيت اسفنجة بعسل فاقمت سنة
ونفسي قد تاقت فمررت بسماط القيروان فاذا شاب جالس على بابه فلما
راءني سلم علي وقال تحب ان تدخل عندي فدخلت فقدم لي اسفنجة
بعسل جلولي ابيض في ثرد فاكلت واكل حتى تمليت ثم طيبتني وخرجت
من عنده وولي والله ما عرفته فمررت بصبي يلعب فرفع راسه الي وقال
يا عم سبحان من يجود بالعم على من يستحق النقم فابكاني وقوله جلولي
بفتح الجيم وفتح اللام وسكون الواو والله اعلم بصحة ذلك ولعلها لغة فيه

وقال صاحب تشقيف اللسان يقولون جلولي والصواب جلولي بالفتح
منسوب الى جلولا كذا في نسخة وفي نسخة اخرى والصواب جلولي بفتح
الجيم وفي نسخة اخرى بالتصوير وفي اخرى بالمد وعند سيبويه قولهم جلولي
في باب النسب وهو نسب الى جلولا التي بالمشرق والله اعلم وهذا يؤذن
بانها ممدودة بان يقال جلولا بابدال الهمزة واوا فلما قالوا جالولا كان
ذلك شاذا واما لو جعلناه مقصورا فانه يكون غير شاذ لان في ذلك وجهين
احدهما ابدال الالف فتقول جلولوي كما يقال حبلوي وحبلوي وقوله وخرائب
ان اراد به جمع خربة فلا يجوز إلا ان يكون قد سمع فيكون شاذا والقياس
ان يكون جمع خريمة كسفينة وسفائن او خريب كتصيد وقصائد فان كان
سمع الجمع والواحد فلا اشكال وان كان سمع الجمع وحده فقياس المفرد ما
ذكرته وان كان لم ينطق به . وقد ذكر الشيخ محمد بن محمد بن علي بن
احمد العبدري المحامي في رحلته ودخلها سنة ثمان وثمانين وستمئة حاجا
فقال ما نصه ثم وصلنا مدينة القيروان . فدخلتها مجدا في البحث غير وان .
فلم ار إلا رسوما محتها يد الزمان . وعائارا يقال عنها كان وكان . والاحياء
من اهلها جفاة الطباع . ما لهم في رقة الحضارة باع . ولا في معنى من معاني
الانسانية انطباع . خفت نفس العلوم بينهم فلم يبق بها رمق . وكسدت
سوق المعارف لديهم فيا سخنة عين من رمق . والمدينة نفسها ليس بها
بر ولا بحر . ولا شجر ولا نهر . وضعت في سبخة قرعى . لا ماء فيها ولا
مرعى . ولا تنبت اصلا ولا تثقل فرعا . وما كان حالها في القديم . إلا آية
من آيات هذا الدين القويم . اذ اسسها المخلصون من اهلهم . المتمسكون
بجبلهم . السالكون لحزنه وسهله . اهل العزائم النافذة الماضية . والصوامر
القاضية القاضية . والهمة الغالبة العالية . فرسان الحراب . وليوث
الطعان والضراب . رضي الله عنهم ما سار في الدو فدند . ولاح في الجو
فرقد . وقد كان شان القيروان . في غابر الزمان . بحيث لا يجهله انسان .
ولا يحصله لسان . حسبك ببلد وضعت للاوضاع في فضلهم . وملئت
الاسماع

لا سماع من وابله وطله . ماوى العلماء والصالحاء في حياتهم ، وكلماتهم بعد وفاتهم . بلد يناهز به كل اقليم . ومتى ذكر علماءهم فليس إلا التسليم . ولا كنما لا يام اذا اعطت اخذت . وكلما عصت نفذت . لا تلوي على مغرور . ولا تعرف فضل العذر على العذور . ان سلحت سالت . وان هدنت داهنت . وان رافقت فارقت . ومهما حلت ماحلت . لا تبقي ولا تذر . فليكن العاقل منها على حذر —

لا تظمن الى حظ حظيت به . ولا تقل باغترار صح لي وثبت
فما الليالي وان اعطت صداقتها إلا عدا المرء مهما استمكن وثبت
قال ولم ار بالقيروان ما يورخ ولا ما يهتم بذكره سوى جامعها ومقبرتها
اما جامعها فهو من الجوامع الكبار المتقنة الرائقة المشرقة لانيسة ووسطه
فضاء متسع وكان الموسس له المقيم لقبته الرجل الصالح عقبة بن نافع
الفهري المعروف بالمستجاب مع جماعة من الصحابة والتابعين وهم
الموسسون لمدينة القيروان والقيروان في اللغة القافلة وهي فارسية معربة
يقال ان قافلة نزلت بذلك المكان ثم بنيت المدينة في موضعها فسميت
باسمها وهو اسم للجيش ايضا قال ابن القطاع اللغوي القيروان بفتح الراء
الجيش وبالضم القافلة نقله عن بعضهم والله اعلم . انتهى من ابن خلكان .
ويمر على القيروان من قبلها وادي زرود على اميال يسيرة واصله من موضع
يقرب من تبسة يعرف بفران بضم الفاء وتخفيف الراء وهذا الوادي يجري
في طريقه على مزارع تسقى منه ويتفح به فيها فاذا انتهى الى الاصنام
وهو موضع جوفي القيروان انتشر في سبخة هنالك متسعة وضاع ماؤه فلم ينتفع
به والى ذلك لاشارة بقول الشاعر —

صنعت صنيعا ضاع في نجل عامر كما ضاع في الاصنام واد زرود
ويحكى انه لما امرهم عقبة ببنائها قالوا له انك امرتنا ان نبني في شغراء
غياض ونحن نخاف من السباع والهوام فقال عقبة — انا اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اردنا ان نزل هاهنا فارحل عنا — فرأى الناس عجبا

راوا لاسود تحمل اشبالها والذئاب تحمل اجراءها والحيات تحمل اولادها
 حتى ارتحلن جميعا . ويقال انه قد مر عليها اربعون سنة لم تر فيها حية
 لدعوته رضي الله عنه فلما بنوها طاف حولها عقبة واصحابه ودعوا الله واسسوا
 مسجدها واقام عقبة قبلتها برويا رعاها . قال وقد سالت امام جامعها وبن
 حضر معه عن سمت قبلته فلم اجد احدا منهم يعرفه ولم ابث بها فاعترف
 ذلك بالنجوم إلا انه قوي عندي بالمحدث انها كما قيل الى المنقلب الشتوي
 او يميل يسيرا الى الجنوب . قال ودخلنا به بيت الكتب فاخرجت لنا
 مصاحف كثيرة بخط مشرقى ومنها ما كتب كله بالذهب وفيها كتب محبسة
 قديمة التاريخ من عهد سحنون وقبلة منها موطا ابن القاسم وغيره . قال
 رايت بها مصحفا كاملا مضموما بين لوحين مجلدين غير منقوط ولا مشكول
 وخطه مشرقى بين جدا ملىح وطوله شبران ونصف في عرض شبر ونصف
 وذكروا انه الذي بعثه عثمان رضي الله عنه الى المغرب وانه بخط عبد
 الله بن عمر رضي الله عنهما . واما مقبرتها فهي المزارات العظيمة الشريفة
 وفيها من الافاضل واخيار الامة ما يقصر عنه الوصف . وبها قبر ابي زمعة
 البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبرة مشهور بها وكذلك قبر
 الشيخ الولي الفقيه العالم ابي الحسن علي بن محمد القاسمي رحمه الله واما
 قبر الشيخ ابي محمد عبد الله بن ابي زيد رحمه الله فهو بداره داخل البلد
 في بيت منه على يسار الداخل وقد زرته ودخلت البيت فوجدت فيه
 عدة قبور وسالت العجوز القيمة على الدار عن قبرة فاخبرتني انه الذي في
 وسط البيت المقابل للباب فنظرت تاريخه فوجدته لغيره ثم اتيت الذي
 عن يسار الباب وعليه دكان مبني فقرات في حجر من رخام عند رجليه انه
 قبر الشيخ ابي محمد وان وفاته كانت ليلة الجمعة الثامن والعشرين من
 شعبان قال الشك مني سنة ست وثمانين وثلاثمائة فعرفت الشيخ الفقيه
 المحصل ابا زيد عبد الرحمن بن محمد بما قالت العجوز وبما وجدت من
 التاريخ فقال لي طرا في ذلك مشكل وذلك انه كان في ما مضى قد احتجج
 الى

الى تجديد السقف واستقبحوا الهدم عليهم فلخرجت توابيتهم الى بيت
آخر فلما اصلح السقف وارادوا رد التوابيت اشككت عليهم وكان الشيخ ابو
محمد مدفونا قبالة الباب كما ذكرت العجوز فلما اعيد دفنهم غلب على ظنون
اكثر الناس انه دفن على اليسار حيث الدكان والتاريخ قال وقد بذلت
وسعي اذ دخلت القيروان عن فيها من اهل العلم فلم اجد بها من يعتبر وجوده
ولا يسمع جهله سوى هذا الشيخ الفقيه المحدث الراوية المتفنن ابي زيد
عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الانصاري لاسيدي من ولد اسيد
ابن حبيب رضي الله عنه ويعرف بالدباغ قال لقيته يوم ورودنا
القيروان فرأيت شيخا زكيا حفيضا ذا سميت وهيبة وسكون طاهر محبا لاهل
العلم حسن الرجاء بر اللقاء لم يؤثر الكبر في جسمه على علوسه ولا تغير
شي من ذهنه وحواسه سألته عن مولده فقال سنة خمس وستمئة وهو
حفظه الله من اهل التهمم والعناية بالعلم مع عدم المعني به والطالب له
موطا لاكتاف لين الجانب جميل العشرة على سنن المشايخ من اهل العلم
والفضل اوجد رفته رواية ودراية لقيت من برة وحسن خلقه ورقة شاملة
ما لم اخل مثله باقيا وما وجد في القيروان في هذا الاوان الا من جملة
بركات سلف اهلهم وقد نيف شيوخه على الثمانين وله برنامج فيه اسماؤهم
وما روى عنهم . قال وقد قرأت عليه بعضه واجازني في كل ما تضمنه
وما شذ عنه من رواياته اجازة عامة قال وكذا اجاز ولدي محمدا وفقه الله
وكتب لي بذلك خط يده وقال لي مرارا اذا قضى الله حاجتك وحججت
فلا تقم في البلاد فاني كثير الشفقة على ولدك وقد اوقع الله حبه في قلبي منذ
ذكرته لي . ومن عجيب اخلاقه انه ما طلبت منه جزءا لانقل منه الا
وهبه لي وقد اعطاني اكثر من عشرة اجزاء من فوائد وفوائد شيوخه
وفهارسهم قال وقال لي انت لولى بها مني فاني شيخ على الوداع وانت
في عنفوان عمرك ومن حين رايتك انغرز حبك في قلبي . وله مجموعات
وتأليف ونظم جيد كثير ومشاركة في العلوم نقلها وعقلها والف كتابا حسنا

مفيدا في طبقات من دخل القيروان من الفصلاء منذ دخلها لاسلام الى زمانه
وهو كبير في مجلدتين وسماه معالم لايمان وروضات الرضوان في مناقب
المشهورين من صانحاء القيروان . قال وقد ذكر لي شيخنا الفقيه العالم
امام ديار مصر ابو الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري انه كلف الفقيه
الاوحد لافضل ابا العباس الغماري التونسي رحمه الله استنساخ هذا الكتاب
له حين صدر من المشرق وانه لما وصل الى تونس اعتنى باستنساخه له
حتى كمل ثم اعتنى بتصحيحه ومقابضه فلما فرغ منها توفي فبيع في تركته
وانني على مولفه المذكور كما ينبغي . قال وقد حدثني به مناولته وسالعه لم
لم يذكر فيه ابا الحسن اللحوي فقال لي توفي سنة ثمان ومائتين
واربعائة . قال وذكر لي انه قرا ذلك في حجر عند راسه بمدينة صفاقس
حرسها الله وناولني صحيح البخاري ومسلم في اصله منهما . قال وقرأت
عليه بعض الاحاديث الهامة لاسناد حديث مالك رضي الله عنه من
تخرجه وبعض احاديث الشاعية من تاليفه وانتقائه وناولني سائرهما
وناولني اجزاء من عوالي حديثه وحديث شيوخه وناولني لاحاديث الاربعين
في عموم رحمة الله لسائر المؤمنين من تاليفه . قال وحدثني حفظه الله
بحديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . قال
وهو اول حديث سمعته منه عن الفقيه ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن
عثمان الحنفي سمع منه بالمهدية عام ثمانية وعشرين بسنده مسلسلا
بحديث انس بن مالك رضي الله عنه . قال صافحت بكفي هذا كف رسول
الله صلى الله عليه وسلم فما مسست خزا ولا حريرا الين من كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمصافحة . وبحديث عبد الله بن مسعود في التشهد
مسلسلا فأخذ اليد اليه . قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلي
الشهد . التحيات لله الزاكيات لله والصلوات والطيبات لله السلام عليك
ايها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله .
 وفيه عن ابراهيم بن سعيد الجوهري رواية عن الحسين بن علي الجعفي ان
 هارون الرشيد قدم مكة فجلس عند لاسطوانة الجمرات ثم قال للفضل بن
 الربيع بلغني ان الحسين بن علي الجعفي حاج فانظر اين هو حتى آتيه
 فقال له رجل هو ذاك يصلي عند للمقام فقال الفضل انا آتيك به يا امير
 المؤمنين فانه احق ان ياتيك فجاء الفضل فوقف عليه فقال له ان امير
 المؤمنين من علي آتيانك فسلم الحسين ثم قال له انا احق ان آتيه قال
 فانهض بنا فجاء معه فاحسنته هارون وسلم عليه واجلسه الى جنبه على
 مقعدة ثم اقبل عليه هارون وساله عن حاله وسفره قال ثم تكفى عنه حتى
 صار بين يديه وضرب بيده الى قلم وقرطاس ثم قال له تملي علي
 حديث عبد الله بن مسعود في التشهد فقال اخبرنا الحسن بن الحر قال اخذ
 القاسم بن مخيمرة بيدي وقال اخذ علقمة بن قيس بيدي وقال اخذ عبد
 الله بيدي وذكر الحديث فقال له هارون اخذ بيدك الحسن بن الحر
 قال نعم قال فتأخذ بيدي كما اخذ بيدك قال فاخذ يده في يده قال
 فترك هارون يده وجعل يقبل يد نفسه وقال باي يد صافحت كف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وحدثني ايضا وهو اخذ بيدي بسنده مسلسلا الى
 ابي الربيع الزهراني قال حدثنا مالك وهو اخذ بيدي سن اخذ بيد
 مكروب اخذ الله بيده ، وهذه الاحاديث كلها من مسلسلات الامام ابي
 الحسن علي ابن الفضل المقدسي رحمه الله وقال قال شيخنا الفقيه ابو زيد
 يرويه عن الفقيه المحدث الرواية ابي عمرو عثمان بن سفيان بن عثمان
 التميمي التونسي عرف بابن شقر ويقال ابن الشقر معرفا عن الامام ابي
 الحسن المقدسي المذكور . وقد ذكر في هذا ايضا نحو ما تقدم عن الرشيد
 قال وهذه المسلسلات قرائنها كلها على الفقيه الصالح ابي العباس احمد بن
 موسى البطرني وسلسلتها معه وحدثني بها عن ابن شقر المذكور قراءة .
 قال وانشدني شيخنا ابو زيد واعطانيه في ورقة بخطه قال انشدني

الفتية المحدث أبو المكارم وأبو بكر محمد بن أبي أحمد يوسف بن موسى هو ابن مزدي بالزاي والسين المهلي وكتبه لي بخطه قال أنشدني القاضي أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف لانتصاري هو ابن قطرال بشعر شاطبة وكتب لي بخطه قال أنشدنا أبو الحجاج يوسف بن محمد هو ابن الشيخ البلوي قال وكتب لي بخطه قال ابن مسدي وقد قرأت على أبي عبد الله محمد بن أحمد التميمي قال أنشدنا أبو محمد عبد الله ابن فضل القاضي بشعر لاسكندرية وكتب لنا بخط يده قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن صدقة بن سليمان وكتب لي بخطه قال أنشدنا محمد بن شداد بن إبراهيم بن قاسم الطليطلي وكتب لي بخطه قال أنشدنا محمد ابن شداد بن الحداد وكتب لي بخطه قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن موسى بن بطلينة لنفسه وكتب لي بخطه -

رايت لانتقاص أجل شيء وادعى في الامور الى السلامة
فهذا الخلق سألهم ودعهم نسيم فخطبتهم تقود الى الندامة
ولا تغنى بشيء غير شيء يقود الى خلاصك في القيامة
قال وأنشدني ايضا قال أنشدني أبو عمرو بن شقر عن أبي الحسن المقدسي عن الامام أبي الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي عن الخطيب أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزي عن أبي الحسن علي بن محمد الفلي لنفسه وهو بالفاء اخت القاف واللام المشددة . قال كذا وجدته بخط ابن شقر ومنه نقلت السند والشعر -

تصدر للتدريس كل مهوس بليد تسمى بالفتية المدرس
فحق لاهل العلم ان يتمثلوا بشعر قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس
وقال أنشدني ايضا قال أنشدني أبو عمرو بن شقر قال أنشدني الفقيه الزاهد المنقطع الى الله سبحانه أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني بالاسكندرية لنفسه -

تأن في الأمر لا تكن عجلاً فمن ثمانى أصاب أولاداً
وكن بحبل الله متصمماً تأسن به بغي كل سن كاداً
فكم رجاء فزال بغيته عبيد مسي بنفسه كاداً
وسن تطل صحبة الزمان له يلق خطوباً به وانكاداً
وبنحوه له عفا الله عنه —

صن العقل عن لحظة في هوى فان البصيرة طوع البصر
وغض الجفون على عفته فان زناء العيون النظر
وبنحوه له ايضاً عفا الله عنه —

من الله فاسأل كل امر تريده فما يملك الانسان نفعا ولا ضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكوا
واياك ان ترصى بتقبيل راحة فقد قيل فيها انها السجدة الصغرى
قال وقوله ولا تتواضع للولاة البيت ينظر الى قول الاول —

قل النصر والمرء في دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميراً
واذا زالت الولاية عنهم واستوى والرجال عباد بصيرا
وفي نحو منه قول منصور الفقيه —

اذا عزل المرء واليته وعند الولاية استكبر
لان الولاة لهم نيسة ونفسي على الذل لا تصبر

ونسيه عن التواضع للولاة حكم شعبي . قال صلى الله عليه وسلم - سن
تواضع لغني ذهب ثلثا دينه - وان هذا الحديث مبني على الحديث الآخر
وهو قوله صلى الله عليه وسلم - ثلاث سن كن فيه وجد حلاوة الايمان ان
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه إلا لله
وان يكره ان يعود في الكفر بعد ما انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في
النار - فصار سن تواضع لغني لاجل غناه قد سقطت عنه الخصلتان الاوليان اذ
صار الغناء احب الاشياء اليه واحب المرء لغير الله واذا سقطت الخصلتان
من الثلاث فقد ذهب الثلثان فهذا وجه تخصيصهما والله اعلم . قال

وانشدني لاني جدير بمثل السند —
 ايها المستطيل بالبغي اقصر ربما طامطا الزمان وعوسا
 وتذكر قول لالا له تعالى ان قارون كان من قوم موسى
 قال وانشدني له ايضا بمثله وقد اظله عيد الاضحى بطندة قرية من قرى مصر —
 شهدنا صلاة العيد في ارض غربة باحواز مصر ولا حبة قد بانوا
 فقلت لخلي في النوى جد بدمعة فليس لنا الا المدامع قربان
 قال وانشدني ايضا قال انشدني بعض اصحاب ابي عمرو عثمان بن
 حسين وهو ابن دحية المعروف بابن الجميل عنه قال ولا ادري هل هو له
 او تمثل به —

الا ان هذا الدهر يوم وليست يكران من سبت عليك الى سبت
 فقل لجديد العيش لا بد من بلا وقل لاجتماع الشمل لا بد من شت
 قال وانشدني حفظه الله تعالى عند المودعة —

ان نعلن نجتمع والا فما اشغل من مات عن جميع الانام
 قال في الحادي والعشرين من الوافي بالوفيات ما نصه : ومن ابناء القيروان
 المحسن بن احمد بن علي بن الحسن بن ابي هلال التجيبي ابو هلال غلبت
 عليه كنيته قال ابن رشيق في الانموذج اوطن سوسة وهو شاعر معروف حسن
 الطريقة متصنع متصرف بين التصنيع والاسترسال احيانا صاحب مكاتبات
 ومضمرات ومعنى ومطيرات وملح ومفاكهات ومدحه قليل وله —

لا والمحاظك التي تركتني غرضا للسهم ما دمت حيا
 والذي اجتنيه من ورد خديك ليال الوصال غضا طوريا
 وتشنيك ذا الذي اذهل العقد لي وابقى بين الجوانح كيا
 ما تحاكيك ايام وجرة في المحس من ولا في سناه المضيئا
 والبيت الرابع اظنه —

ما تحاكى ايام وجرة ذا المحس من ولا البدر ذا السناء المضيئا
 فيخاض من الزحلف والاحسن وعلى كل حال فهو ماخوذ من قول البحري —
 انراني

اقراني مستبدلا بك ما عشت ست خيلا او واجدا منك بدا
 حاش لله انت افن الماطه ما واحلى شكلا وارشق قسدا
 قال الشيخ الصالح ابو الحجاج يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن
 التاذلي في كتابه الموسوم بالتشوف الى رجال اهل التصوف ومن رجال
 القيروان الشيخ ابو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي اصله
 من القيروان وافى بمكة ابا بكر المطوعي فحمل عنه تواليفه في التصوف
 وغيرها واستقر باغمات وبها مات سنة اربع وثمانين واربعائة واهل
 اغمات الى لان يستشفعون بتراب قبره وكان من اهل الفضل والعلم قال
 حدثني علي بن عيسى عن شيوخه ان فقيها من فقهاء اغمات وقف عند
 قبر ابن سعدون فسمعه بعض الصالحين يتكلم معه فقال له ذلك الصالح
 سمعتك تتكلم عند قبر ابن سعدون فقال له ذلك الفقيه انت رجل صالح
 ولولا ذلك لما حدثتك فاكتم علي فقد اشكلت علي مسالة فبحثت عنها فلم
 اجدها فاتيت قبر ابن سعدون فذكرت له المسالة فقال لي من قبره اطلبها
 في الديوان الفلاني . وقال التاذلي ومنهم ابو عمران موسى بن عيسى بن
 ابي حجاج الفاسي اصله من مدينة فاس ونزل القيروان فاخذ عن ابي
 الحسن القاسبي ثم رحل الى بغداد فحضر مجلس القاضي ابي بكر بن
 الخطيب ثم عاد الى القيروان وبها مات في تمام عشر خلت من شهر رمضان
 سنة ثلاثين واربعائة وكان مقدما في الامانة والفضل نقل ابو عبد الله محمد
 ابن عثمان الميورقي عن القاسم بن عبد الجليل بن ابي الرباحي قال جرت
 عندنا مسالة بالقيروان في الكفار هل يعلمون الله ام لا فوقع فيها اختلاف
 كثير وتنازع بين العلماء وبين العامة وكان اكثر ما يلج فيها رجل من
 الموزنين يركب حمارة ثم يذهب من واحد الى آخر لا يترك متكلما ولا
 فقيها الا يناظره في هذه المسالة فذكرت هذه المسالة لرجل من التجار من
 العامة ركبت معه البحر فقال لي على الخير بها سقطت هذه المسالة كما
 اخبر الشيخ ابو القاسم عبد الجليل حتى تمارى الناس عندنا في الاسواق

ويقوم بعضهم الى بعض ويخرجون عن حد الاعتدال من الجدال الى القتال فقال قائل منا لو ذهبنا الى الشيخ ابي عمران رضي الله عنه لشفانا من هذه المسألة قال فقمنا اليه جماعة اهل السوق فأتينا باب داره فاستاذنا منه فاذن لنا فدخلنا عليه فقال ما لكم قتلنا اهل الله الشيخ انت تعلم ان العامة اذا حدث بهم حادث انما يفرعون الى طوائفهم وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك وما لنا في الاسواق شغل إلا الكلام فيها حتى يقوم بعضنا على بعض فقال لنا الشيخ ان انتم انصتم واحببتم الاستماع اجبتكم بما عندي فقلنا له ما نحب إلا جوابا بينا على مقدار فهمنا فقال لنا وبالله التوفيق فاطرق ثم قال لا يكلمني إلا واحد ويسمع الباقيون فقلنا نعم فقال لمخاطبه وايت لو لقيت رجلا فقلت له اتعرف الشيخ ابا عمران الفاسي فقال نعم فقلت صفه لي فقال هو رجل يبيع الحنطة والبقول في سوق ابن هشام ويسكن البصرة اكان يعرفني قال لا قال له ثم لقيت اخر فسألته عني فقال اعرفه فقلت صفه فقال هو رجل يدرس العلم ويفتي الناس ويسكن بقرب السماط اكان يعرفني قال نعم قال الشيخ لاول الكافر اذا قال ان لمعبودي صاحبة ولدا وانه جسم وقصد بعبادته تن بهذه الصفة فلم يعرف الله ولا وصفه بصفة بخلاف المومن يقول ان معبودي الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقد عرف الله ووصفه بصفاته وقصده بعبادة من يستحق الربوبية سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فرضي الجماعة وقالوا لقد شفيت ما في صدورنا ولم تجر هذه المسألة بالقيروان بعد هذا المجلس . وقال التاذلي ومنهم واجاج بن زلو الهطلي من اهل السوس لاقصى رحل الى القيروان واخذ عن ابي عمران الفاسي ثم عاد الى السوس فبنى دارا وسماها دار المرابطين لطلبة العلم وقراءة القرآن وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه واذا اصابهم قحط استسقوا به قال التاذلي فسمعت الشيخ ابا موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي يقول اصاب الناس جرب بنفيس فذهبوا الى واجاج بن زلو وهو بالسوس لاقصى فلما وصلوا

وصلوا اليه قال ما جاء بكم فقالوا له قحطنا وجئناك لتدعو الله لنا ليسقينا
فقال انما مثلكم كمثل قوم ابصروا جبح نحل فظنوا ان فيه عسلا ولكن انزلوا
عندي فانكم اضياف فاضافهم ثلاثة ايام فلما عزموا على الانصراف وجاءوا
لوداعه ليرجعوا الى بلدهم قال لهم اياكم ان ترجعوا من طريقكم الاول الذي
اتيتم منه وارجعوا من طريق آخر لتسكنوا في الغيران والكهوف من الامطار
فلما انصرفوا ارسل الله عليهم السحاب بالامطار ودامت عليهم الامطار فلم يصلوا
لبلادهم الا بعد ستة اشهر . ثم ذكر التاذلي اثر ذلك قطعة مصالحة لقاب
امثالي فتطقلت على تشطيرها بعد ما ذكرتها مجردة وهي —

للأولياء مناقب مشهورة فاشهد بها حق الشهادة واقطع
ورد الكتاب بها وسنة احمد فاشدد يدك على الحسام لا قطع
خرق العوائد ممكن لا سيما في حق اصحاب المقام الارفع
قوم فرائضهم ومندوباتهم منهم بمرءى لا يغيب ومسمع
قطعوا الظلام تاملًا وتملًا وعيونهم تبدي عيون الادمع
وتسارعوا نحو المراد وخلفوا مثلي ومثلك هزلا لم يسرع
وردوا جفان مواهب مختومة عن غيرهم وحرمت ري المشرع
لو كنت مثلهم لنت منالهم لكن نزع خلاف ذاك المنزع
اتقيس نفسك يا جبان بمقدم اتقيس نفسك عاصيا بالطيع
ومن المحال مع التفاوت ان يرى ماضي الجنان مع الجبان بموضع
لا يشبهون وان نفسك غرة سبقوك ايام البطالة فارجع
قسم يخص بها السريع الى التني لو كنت من اصحابهم لم تمنع
ان لم تعين في البطالة مفلحا فاصلح بقلبك قبل عينك واسمع
وهذا تشطيرها الموعود به وهو —

للأولياء مناقب مشهورة سارت كاتقاس الشذا المتضوع
لا تعد عنها معرضا بالبخل بل فاشهد بها حق الشهادة واقطع
ورد الكتاب بها وسنة احمد ولذاك مرتعها خصيب المربع

وافخر فانك ذو حسام قاطع واشدد يديك على الحسام لا قطع
 خرق العوائد ممكن لا سيما من ذي وشاح بالبروق اللع
 عالي المقام فكن بجهدك مخلصا في حق اصحاب المقام الارفع
 قوم فرائضهم ومندوبانهم من غير منهل واجب لم تكرر
 وصلوا على الاخلاص محبوبا غدا منهم بمرعى لا يغيب وسمع
 قطعوا الظلام تاملًا وتاملًا فظلامهم بسواهما لم يقطع
 وقلوبهم سكرى بما قد فكروا وحيونهم تبدي عيون الادمع
 وتسارعوا نحو المراد وخلفوا حظ النفوس بقعر بشر بلقع
 فازوا وقد صرنا على اثارهم مثلي ومثلك هزلا لم نسرع
 وردوا جفان مواهب مختومة حنت على العافي حنو الموضع
 ظمائي واكواب الوصال منيعة عن غيرهم وحرمت رى المشرع
 لو كنت مثلهم لنت منالهم ولكل وافي العهد حسن الموقع
 ولطالما املت البس مثلهم لكن نزلت خلاف ذاك المنزع
 اتقيس نفسك يا جبان بمقدم وافي المواعد لا بقول المدعي
 شرط القياس على التساوي واقف اتقيس نفسك عاصيا بالطيع
 ومن المحال مع الثغرات ان يرى وفق بفعلي معرض مع طيع
 ام كيف يجتمع القياس بياس ماضي الجنان مع الجبان بموضع
 لا يشبهون وان نفسك غيرة في مطمح تسعى اليه ومطمع
 فاعزم على الرجعى لربك انهم سبقوك ايام البطالة فارجع
 قسم يخص بها السريع الى التقى واذا صدقت بحبهم فلتسرع
 خالفتهم فمنعت عما خصصوا لو كنت من اصحابهم لم تمنع
 ان لم تعانين في البطالة مناحما كنه فان الحزم غير مضيع
 واذا اردت من السلامة صرفها فاصلح بقلبك قبل عينك واسمع
 ومن ادبائها وبلغاتها ابو اسحاق ابراهيم بن علي بن تميم الحصري المعروف
 القيرواني الشاعر المشهور له ديوان شعر وكتاب زهر الاداب جمع فيه كل
 غريبة

غريبة في ثلاثة أجزاء وكتاب المصون في سر الهوى المكنون في مجلد واحد فيه ملح واداب ذكره ابن رشيق في كتابه كالنموذج وحكى شيئا من اخباره واحواله وانشد جملة من اشعاره وقال كان شبان القيروان يجتمعون عنده وياخذون عنه ورأس عندهم وشرف لديهم وسارت تأليفه وانتالت عليه الصلوات من كل الجهات واورد من شعرة -

اني احبك حبا ليس يبلغه فهمي ولا ينتهي وصفي الى صفته
اقصى نهاية علمي فيه معرفتي بالعجز مني عن ادراك معرفته
واورد له ابو الحسن علي بن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة بيتين في ضمن حكاية وهما -

اورد قلبي الردا لام عذار بسدا
اسود كالكفر في ايض مثل الهدا

وهو ابن خالته علي المحصري الشاعر توفي ابو اسحاق المذكور بالقيروان سنة ثلاث عشرة واربعمئة وقال ابن بسام في الذخيرة بلغني انه توفي سنة ثلاث وخمسين واربعمئة والاول اصح . وذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب الجنان في الجزء الاول من ترجمة ابي الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بالفكيك ان المحصري المذكور الف كتاب زهر الاداب في سنة خمسين واربعمئة وهذا يدل على صحة ما قاله ابن بسام والله اعلم . والمحصري بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها الراء المهملة نسبة الى عمل المحصر او بيعها . ومن بلغاء القيروان ومن ابناؤها الحسن بن رشيق احد البلغاء لافاضل الشعراء ولد بالمسيلة وتلدب بها قليلا ثم ارتحل الى القيروان سنة ست واربعمئة كذا قال ابن بسام وقال غيره ولد بالمهدية سنة تسعين وثلاثمئة وابوه مملوك رومي من موالى الازد وتوفي سنة ثلاث وستين واربعمئة وكانت صنعة ابيه في بلدة المحمدية الصياغة فعلمه ابوه صنعة وقرا الادب بالمحمدية وقال الشعر وتناقت نفسه الى التزيد منه وملاقة اهل الادب فرحل الى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها

ولم يزل بها الى ان هجم العرب عليها وقتلوا اهلها وخربوها فانتقل الى صقلية
واقام بها الى ان مات وهي قرية بجزيرة صقلية منها المازري رحمه الله
واختلف في تاريخ وفاته قال ابن خلكان رايت بخط بعض الفضلاء انه
توفي سنة ست وخمسين واربعمائة قال ركاوول اصح قال وقيل انه توفي
ليلة السبت ذرة ذي القعدة سنة ست وخمسين . ومن شعرة -

يا رب لا اقوى على دفع الاذى وبك استعنت على الضعيف الموزي
مالي بعثت اليك بعوضة وبعثت واحدة الى نمـرود
وكان بينه وبين عبد الله بن ابي سعيد بن احمد المعروف بابن شرف
القيرواني مناقشات ومهاجات وصنف عدة رسائل في الرد عليه منها رسالة
سماعا ساجور الكلب ورسالة نصح الطلب ورسالة قطع الانفاس ورسالة
نقص الرسالة الشعوزية والقصيدة الدعية والرسالة المنقوضة ورسالة رفع
الاشكال ودفع المحال وله كتاب انموذج الشعراء شعراء القيروان ورسالة
قراصة الذمب والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه وهو كتاب
جيد وغير ذلك . قال صاحب الوافي في الجزء الثالث والعشرين منه ما
قصه : وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها
تدل على تبحره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن
وتبحره في النقد وله كتاب في شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت
شاذة في بابها . ومن شعرة -

احب اخي وان اعرضت عنه وقل على مسامحة كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض كما قطبت في وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض وبغض كامن تحت ابتسام
ومنـه -

اذا ما خففت لعهد الصبا ابث ذلك الخمس والاربعوننا
وما ثقلت كبرا وطساقى ولكن اجر وراء السنيننا
ومنـه -

وقائلته ما ذا الشحوب وذا الضنا فقلت لها قول المشوق المتيتم
هواك اناذي وهو ضيف اعزّه فاطعمته لحمي واسقيته دمي
ومنه -

ذمت لعينك اعين الغزلان قمر اقر لحسنه القمـــــران
ومشت فلا والله ما حقف النقا مما ارتك ولا قضيب البسان
وثن الملاحه غير ان ديانتي تاني علي عبادة الاوـــــان
ومنها في المديح -

يا ابن الاعزّه من اكابر حمير وسلاية الاملاك من قحطان
من كل ابلج ءامر بلسانه يضع السيوف مواضع التيجان
ومنه -

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا اذا مس باضـــــرار
كالعود لا يطمع في طيبه إلا اذا احرق بالنـــــار
ومنه -

اقول كالماسور في ليلـــــة القت على الافاق كلكالها
يا ليلته الهجر التي ليلها قطع سيف الهجر اوصالها
ما احسنت حملا ولا اجملت هذا وليس الحسن إلا لها
ومنه -

ومن حسنات الدهر عندي ليلة من العمر لم تترك لايامها ذنبا
خلونا بها ننفي القذا عن عيوننا بلولة مملوة ذهباً سكـــــبا
وملنا لتقبيل الثغور ولشمها كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا
قال الاسوردي وما هذا باحسن من قول ابن المعتز -

كم من عناق لنا ومن قبل مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفـــــة من النواطير يانع الرطب

قال في الوافي قلت مقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق لان ابن رشيق ذكر
انه في ليلة امن وهي عنده من حسنات الدهر فلهذا حسن تشبيه التقبيل

مع الامن بالشفاط الطير الحب لانه يتوالى دفعة بعد دفعة واما ابن المعتز
فانه كان خائفا يختلس الثقيل ويسرقه كما يفعل العصفور في نقر الرطب
اليانع لانه يقدم جازعا خائفا من الناطور فلا يطمئن فيما يلتصقه الا ترى
الاخر كيف قال فاحسن -

اقبله على جزعي كحرب الطائر الفرع
راى ماء فواقعه وخاف عواقب الطمع

ومن شعر ابن رشيق -

قد حكمت مني التجبا رب كل شيء غير جودي
ابدا اقول لئن كسبت لاقبض يدي شديد
حتى اذا اثريت عسدت الى السباحة من جديد
ان المقام بمثل حسا لي لا يتم مع القعود
لا بد لي من رحلتي تدني من الامل البعيد

ومنهم -

معشقة يعلو الحجاب متونها فتحسبه فيها نثير جمان
رات من لجين راحة لمديرها فطافت له من عسجد بينان

واخذ ابن رشيق الادب عن ابي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني
النحوي وغيره من اهل القيروان وكفى بابي عبد الله القيرواني سندا اذ
من تلامذته الحسن بن صافي بن عبد الله بن نزار بن ابي الحسن المعروف
بملك النخاعة قرا مذهب الشافعي على احمد الاسنهي والاصول على ابي
عبد الله القيرواني واصول الفقه على ابي الفتح بن برهان والخلاف على اسعد
الميهني والنحو على ابي الحسن علي بن ابي زيد الفصيح حتى برع فيه
ودرس النحو في الجامع ببغداد ثم سافر الى خراسان وكرمان وغزنة وعاد
الى الشام واستوطن دمشق الى ان مات سنة ثمان وستين وخمسائة
ودفن بباب الصغير وقد ناهز الثمانين وكان صحيح الاعتقاد كريما وصنف
العمد في النحو والمنتخب في النحو وهو كتاب جيد والمقتصد في التصريف
واسلوب

وأسلوب الحق في تعليل القراءات العشر وشي من الشواذ مجلدان والتذكرة
السفرية اربعمائة كراسته والعروض مختصرا محررا والحاكم في مذهب الشافعي
مجلدان ومختصرا في اصول الدين والمقامات هذا فيها حذو الحريري وديوان
شعر. قال في الوافي وكان ملك النحاة مطبوعا متناسبا الاحوال والافعال
يحكم على اهل التمييز بحكم ملكه فيقبل ولا يستثقل وكان يقول هل سيويه
إلا من رعتي ولو عاش ابن جني لم يسهه إلا حمل غاشيتي يضم يده على
المائة والمائتين ويمضي وهو منها صفر اليدين مولع باستعمال الحلولات
السكرية واهدائها الى جيرانه وخلع عليه نور الدين محمود يوما خلعة سنينة
فمضى بها الى منزله فرأى في طريقه حلقة مجموعة على تيس يخرج الخبايا
فلما وقف عليه للفرجة قال معلم التيس قد وقف في حلقتي رجل عظيم
القدر شائع الذكر ملك في زي سوقته اعلم الناس واكرمهم واجملهم فارني اياه
فشق ذلك التيس الناس وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة فلم يتمالك
ان القى عليه تلك الخلعة فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال استخفافا بنا
فقال بل عذري واضح لان في هذه المدينة ما يزيد على مائة الف تيس
فما منهم من عرفني إلا هذا التيس فجازيته على ذلك فضحك نور الدين
منه وكان اذا ذكر احد من النحاة يقول كلب من الكلاب فقال له رجل
يوما حينئذ انت ملك الكلاب لست ملك النحاة فاستشاط غضبا وقال اخرجوا
عني هذا الفضولي وعضت يده يوما سنورة فربطها بمنديل فقال فتيان بن
علي بن فتيان النحوي الاسدي -

صبت على قط ملك النحاة وقلت اتيت بغير الصواب
عنضت يدا خلقت للانداء وبث العلوم وضرب الرقاب
فاعرض عني وقال اتسدد ليس القطاط اعادي الكلاب
فبلغته فاستحيي فتيان وانقطع عنه فكتب اليه ملك النحاة جوابا عن
ابيات يعتذر فيها -
يا خليلي فلما النعماء وتسمنما العلا والعلاء

انما صاحبي الذي كان فيه كل يوم تحية وثناء
 لما بالشاغور بالمسجد المـ مجرور واستمطرا له الانساء
 ثم قولاً له اعتبرنا الذي فيه مـ ما دحا وكان سماء
 وقبلنا فيه اعتذارك عما قاله المجاهلون منك افتراء
 وقال فتيان رايته بعد موته في النوم فقلت له ما فعل الله بك فقتال
 انشدته قصيدة ما في الجنة مثلها فتعلق بحفظي منها -

يا هذه اقصري عن العذل فلست في الحل وريك من قبلي
 يا رب ها قد اتيت معترفا بما قد جتته يداي من زلل
 ملثان كف بكل مائمتـ صفر يد من محاسن العمل
 فكيف اخشى نارا مسعرة وانست يارب في القيامة لي
 قال فوالله منذ فرغت من انشادها ما سمعت حسيس النار . ومن شعرة -

يا ابن الذين ترفعوا في مجدهم وعلت اخاصمهم فروع شمام
 انا عالم ملك بكسر السلام في ما ادعيه لا بفتح السلام
 ومن املاء شيخنا ابي العباس احمد برناز ان الحسن بن زياد القيرواني
 وهو اخو الشيخ علي بن زياد سمع من ابي حنيفة كما سمع منه اسد بن
 الفرات ثم سمع من ابن القاسم صاحب الامام مالك وكتب مدونة واتى بها
 القيروان ثم سمع بعده سحنون وكتب عليه مدونة فرجع فيها عن اشياء
 كتبت في مدونة اسد بن الفرات فلما اراد سحنون التوجه بها الى القيروان
 كتب معه ابن القاسم كتابا الى اسد بن الفرات يقول له فيه اصلح كتابك
 من كتاب سحنون فامتنع اسد بن الفرات من الاصلاح محتجا بانني اخذت
 منه مشافهة واذا اصلحت صرت اخذا بواسطة ولا ارجع عما اخذته
 مشافهة الى ما اخذته بواسطة . وقال الشيخ ابو علي البغدادي في كتابه
 البارع حدثني حبيب بن نصر بن سهل واحمد بن ابي سليمان وعيسى بن
 مسكين قالوا حدثنا سحنون عن عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد
 عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال - لياتين اناس من امتي من افريقية يوم القيامة وجوههم اشد نورا من نور القمر ليلة المبدد - وقوله سحنون قال في تكملة معالم الايمان راوده الامير ابو العباس احمد بن الاغلب حولا كاملا على ان يوليئه القضاء فابى فعزم عليه بالايمان التي لا يخرج منها فلما راي ذلك سحنون اشترط على الامير شروطا كثيرة فاعطاه كل ما سال واطلق يده في كل ما اشترطه حتى قال له - اني ابدا باهل بيتك وقربتك واعوانك فان قبلكم ظلمات للناس منذ زمان طويل . فقال له الامير - نعم لا تبتدي إلا بهم واجر الحق على مفرق راسي . فتولى القضاء بهذه الشروط ولما يعلم ان ليس احد يستحق هذا الامر وانه لا يسعه إلا القبول وكان ذلك في شهر رمضان سنة اربع وثلاثين ومائتين واقام قاضيا ستة اعوام ولم ياخذ على ذلك اجرا وكان سنة اربعا وسبعين سنة . وسحنون بفتح السين وبعضهم يقول فيه سحنون بضم السين قال صاحب تنقيف اللسان والصواب فتحها قال اخبرني الثقة عن ابي عمران رضي الله عنه يعني ابا عمران الفاسي موسى بن ابي حاج انه ما لفظ به قط إلا مفتوح السين وكان لا يلحن في كلامه قال وانكر ابو علي الجلوبي رحمه الله الضم فيه حين سألته عنه وقال ما سمعت احدا من علمائنا ابن السمين وغيره يقوله إلا بالفتح قال ابو علي واري ان وزنه فعُلون لا فعُلول والنون فيه زائدة قال صاحب تنقيف اللسان واذا كان كذلك كان كعبدون وحمدون قال غيره وسمي سحنون باسم طائر حديد لحدته ذهنة في المسائل وهو لقب واسمه عبد السلام بن سعيد قال قلت ان كان هذا الاسم عربيا مشتقا من السحنة فهو مصروف وان كان اصله اعجميا فحكمه ان لا ينصرف واخبار سحنون وفضائله مشهورة . وقال في كتاب الطبقات سحنون ابن سعيد بن حبيب بن عبد السلام بن عبد القدوس التنوخي من صليبة العرب واصله من الشام من حمص وكان ثقة حافظا للعلم فقيها اجتمعت فيه خصال ما اجتمعت في غيره الفقه البارع والورع الصادق والزهادة في الدنيا والتخشن في اللباس والطعام والسماحة وذكر انه كان لا يقبل من

سلطان شيئا وكان ربما واصل بعض اخوانه بالثلاثين دينارا ونحوها وكان
 اول من شرد اهل كاهواء من الجامع وكان الجامع فيه هلق من الصفرية
 والاباضية مطهرين لزيغهم وكان لم يهب سلطانا في حق . وذكر انه لقي في
 النقم ابن القاسم واشهب وغيرهما ولقي في الحديث سفيان بن عيينة وابن
 وهب وانس بن عياض ووکیعاً وعبد الرحمن بن مهدي ويزيد بن مروان
 والوليد بن مسلم وغيرهم وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء لسبعة ايام مضت من
 رجب سنة اربعين ومائتين وكان خروجه لطلب العلم سنة ثمان وثمانين
 ومائة وكان قدومه افريقية سنة احدى وتسعين ومائة وكان مولده سنة
 ستين ومائة ومناقبه كثيرة . وذكر حمديس القطان انه سمع سحنون بن
 سعيد يقول سمع مني العلم سنة احدى وتسعين ومائة اهل اجدابية وفي
 تلك السنة مات عبد الرحمن بن القاسم ثم ذكر ابن ابي العرب رحمه الله
 جماعة من اهل سحنون وذكر قبل ذلك اسماءهم واخبارهم عن بعضهم
 انه قال عرست فدعوت ليلة عرسي جماعة من اصحابنا منهم احمد بن
 نصير وغيره فاتوني قال وكان فيمن دعوت شيخ من اهل المشرق كان قدم
 علينا من اصحاب احمد بن حنبل وكان الناس يسمعون منه العلم وكان
 شيخا نبیلاً قلما راينا مثله قال وكان اصحابنا في اول الليل في قراءة وتحزن
 وبكاء وخشوع ثم اخذوا بعد ذلك في مسائل العلم والمناظرة ثم ابتدروا بعد
 ذلك زوايا الدار يصلون احزابهم قال فنظر الشيخ الحنبلي اليهم فقال - سن
 اصحاب هولاء وتن معلمهم العلم والله ما رايت قط انبل من هولاء اخذوا في
 اول الليل في قراءة القرآن والتفسير والخشوع وبعد ذلك اخذوا يتناظرون
 في مسائل العلم ثم بعد ذلك وثبوا الى القيام والتهجد باحزابهم والله ما رايت
 انبل من هولاء والله لا يصحب هولاء رجل الا سعد . فستقل له - هولاء
 اصحاب سحنون . قال وسمعت محمد بن مسكين يقول - حدثني بعض
 طلبته العلم من الاندلسيين عن ابن عجلان قال قال ابو العرب فقلت سن
 ابن عجلان هذا فقال عالم من علماء الاندلس انه قال ما بورك لاحد بعد
 اصحاب

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يورك لسكنون في اصحابه انهم بكل بلد لايمت . قال وحدثني عبد الله بن محمد كان يقول الذي يحضر مجلس سكنون من العباد اكثر ممن يحضرة من طلبته العلم كانوا ياتون من اقطار الارض اليه .

الفصل الثاني في حد افريقية وذكر ما اشتهر

من مدنها وبلادها حسبما وقفت عليه

قال البكري رحمه الله طولها من برقة شرقا الى مدينة طنجة الخمصراء غربا وعرضها من البحر الى الرمال التي هي اول بلاد السودان وهي جبال رمل عظيمة متصلة من الغرب الى الشرق وبها يصاد الفلك الجيد قوله وهي جبال رمل بالجيم ويقع في بعض الاهام جبال رمل بالحاء المهملة لان الجبل هو المستطيل من الرمل والفلك بفتح الفاء والنون حيوان يتخذ منه الفراء وهي الاقليم الرابع حسبما نص عليه القرطبي في مسالك الممالك حيث قال والرابع من الاقاليم السبعة مصر وافريقية والبربر والاندلس وله الجوزاء وعطارد . قال جامع عفى الله عنه ويظهر من كلامه رحمه الله شبه تناقض من حيث انه لما ذكره اجمالا حكم عليه بانه الرابع حسبما رايت مصرحا به ولما فصل كل اقليم وما اندرج تحته من المدن ذكر ان افريقية في الثالث وظاهرة مشكل ولكن طريق المسلك فيه الى التحقيق والله اعلم ان اعظم المعتمد في ذلك اعتبار الاعاريض والغايات اذ هي الموازين التي يدرك بها من هذا الفن الغايات ومن المقرر المعلوم الذي لا مريية فيه ان عرض مدينة تونس ست وثلاثون درجة وثلاثا درجة وغاية طول النهار بها حسبما هو مقرر ايضا اربع عشرة ساعة ونصف والحالة انه قدر عند تفصيله كل اقليم بنفسه ان الثالث من الاقاليم وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة الى حيث يكون طوله اربع عشرة ساعة وربع ساعة ومن حيث يكون ارتفاع القطب ثلاثين جزءا وثلاثة اخماس ونصف خمس الى حيث يكون اربعة وثلاثين جزءا وذلك مسافة ثلاثمائة ميل وهو يتدي من

المشرق فيمر على مثال بلاد الصين الى ان قال ثم يمر على برقة وأفريقية
ويتهيء الى بحر المغرب . وقال في الاقليم الرابع ما نصه : وسطه من حيث
يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف الى حيث يكون اربع عشرة
ساعة وثلاثة ارباع الساعة وارتفاع القطب سبعة وثلاثون جزءاً وذلك مسافة
ثلاثمائة ميل يتدي من المشرق فيتهيء الى خراسان . وما عثرنا بمواد نستوفي
منها ذكر بلاد افريقية كلها ولكن حيث لم يمكن ان نستوفي ذكر البلاد التي
شملها هذا الاقليم الرابع فلا اقل من بعضها لان افريقية جرتهم بالاضافة .
فمن المدن التي اندرجت في خلال هذا الاقليم المبارك فرغانة قال في القاموس
وفرغانة ناحية بالمشرق وفرغان قرية بفارس وبلد باليمن وصميرة واسروشنة
وسمرقند وبخارا والري واصبهان ونهاوند والدينور وحلوان وسهيل ورودس
والموصل ونصيبين وأمد ورأس عين وقاليقلا وشمشاط وحران والرقّة وقرقيسيا
ويمر على شمال الشام وفيه من المدن هناك بالس ومنبج وملطية والقنطرة
وحلب وقنسرين وانطاكية وطرابلس الشام وعلى جزيرة قبرس ورودس ثم
يمر في ارض الغرب على بلاد طنجة ويتهيء الى بحر المغرب وفي هذا الاقليم
تقع قرطبة وما حولها لان طول نهارها في نهاية اربع عشرة ساعة وثلثي
الساعة . قال جامع عفى الله عنه ودليله في ان قرطبة من الرابع واحتجاجه
لذلك بطول النهار النخ هو دليلنا وحجتنا فلا محيص ان تكون افريقية في
الاقليم الرابع من غير منازع اذ بلدنا تونس وقرطبة في العرض والغاية
مستويان كما نص عليه في مسالك الممالك والله اعلم بحقيقة ذلك .

فائدة . طول الاقليم جميعا من المشرق الى المغرب وهو مسافة اثنتي
عشرة ساعة من دور الفلك وبين عرض كل اقليم والذي يليه نصف ساعة
معتدلة من النهار الاطول فالاقليم الاول يمر وسطه على المواضع التي يكون
طول نهارها الاطول ست عشرة ساعة وقال القرطبي قال ابو عبيدة وانتفقوا
على ان طول العمران من الاميال التي الميل منها اربعة آلاف ذراع بالذراع
الذي وضعه المامون لذرع الشياح ومساحات البناء وهي اربعة وعشرون
اصبعاً

اصبعا قال الدولا بي وهو ذراع السواد وذلك الفان وثلاثمائة وثلاثون خطوة وهو بالذراع الهاشمي ثلاثة آلاف ذراع ثلاثة عشر الفا وخمسمائة ميل وذلك من اقصى جزائر اقنابس الستة واقنابس البحر المحيط الذي لا يدري ما وراءه غربا الى اقصى عمران الصين شرقا والشمس اذا غابت في اقصى الصين طلعت على الجزائر وبالضد . وبالاقليم السابع الدبيل والصين له الميزان والشمس . وذكر صاحب كتاب الزيج عن خالد بن عبد الله المروزي انه رصد الشمس للامون بيرية ديار ربيعة وبيرية سيحان فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين ميلا من الارض فضرب العدد في ثلاثمائة وستين ميلا فانتهى ذلك عشرين الفا ومائة وستين ميلا فهو دورة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر فقطراها على هذا ستة آلاف واربعمائة واربعه عشر ميلا ونصف عشر بتثريب والمعمور نصف هذا القدر والقطر من خط الاستواء الى الشمال ومنتهى العمران في الشمال جزيرة قول في برطانية . وفي الجغرافيا ان عدد هذه الارض المعمورة عشرة آلاف ميل وخمسمائة وثلاثون ميلا وان عدد البحار المحيطة بالارض خمسة وجميع العيون الكبار مائتان وثلاثون عينا والانهار الكبار الجارية مائتان وتسعون . وذكر ان طول كل اقليم من الاقاليم السبعة تسعمائة فرسخ في مثلها . وقد زعم صاحب المجسطى ان دور كرة الارض اربعة وعشرون الفا وثلاثون ميلا وان قطرها وعمقها سبعة آلاف وستمائة وتسعة وثلاثون ميلا وقال غيره هي سبعة آلاف وانهم ادركوا ذلك بان اخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مرتين على خط واحد على ان يكونا جميعا واقعين على خط نصف النهار فيتفقان في الطول ويختلفان في العرض مثل الاتفاق الذي وقع بين تدمر في بر العراق والرقعة فوجدوا ارتفاع القطب الشمالي في الرقة خمسة وثلاثين وفي مدينة تدمر اربعة وثلاثين وثلاثا ثم مسحوا مسافة ما بينهما فوجدوه تسعة وثمانين فوجب ان يكون مقدار الدرجة من الفلك في الارض ستة وستين ميلا وثلاثي ميل للتقريب . قلت وانظر هذا مع ما تقدم فانه قال قبله مقدار درجة الفلك

سنة وخمسون ميلا والله اعلم بحقيقة ذلك . قال ثم ضربوا ذلك في ثلاثمائة وستين واذا قسم دور الارض على ثلاثة وسبع كان ما يخرج مقدار الارض واذا ضربوا القطر في الدور كان ما يبلغ مسافة جميع الارض مكسورا . ولذلك قال ترجمان الفيلسوفي ان دور جميع الارض على ما امتحنه ازدواستناقس (كذا) الحكيم احد وثلاثون الفا ومائتان وخمسون ميلا قال والارض كلها مسيرة خمسمائة عام ثلث عمران وثلث بحار وثلث براري غير مسكونة . وذكر في السفر الثاني ان دائرة الارض ست وثلاثون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخا والفرسخ اثني عشر الف ذراع والذراع اثنان واربعون اصبعاً والاصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها الى بعض فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ . قلت وهذا غير ما تقدم في كثرة العدد وكبر الذراع . ثم قال وانما ننقل في كل موضع من هذا الكتاب على حسب ما نجده لا على ما نقطع بصحته . وقد مسح جماعة ممن اتى بعد بطليموس مدار الدرجة من درج الفلك فيما بين مدينة الرقة وتدمر على ما ذكر فوجد حساب الدرجة الواحدة خمسة وعشرين فرسخا فوجب على هذا ان تكون مساحة اعظم دائرة تقع على كرة الارض تسعة آلاف فرسخ إلا ان بطليموس وثيوس صاحب كتاب الافلاك انكرا ان تكون مساحة الدرجة الواحدة تنتهي اكثر من ستة وستين ميلا وثلاثي ميل . وقيل ان قدر محيط كرة الارض ثمانية آلاف فرسخ وقدر قطرها الفان وخمسمائة واربعون فرسخا ونصف فرسخ وتكسير سطحها عشرون الف الف وثلاثمائة واربعة وستون الفا فرسخ وتكسير الربع المسكون خمسمائة الف واحد وتسعون الف فرسخ . وبعد القمر عن مركز الارض خمسة وسبعون الف فرسخ وثمانية فراسخ وبعد فلك الشمس عن فلك القمر الف الف فرسخ وثمانمائة الف فرسخ وستة آلاف واثنان وخمسون فرسخا وبعد الشمس عن مركز الارض الف الف فرسخ وثمانمائة الف فرسخ واحد وثمانون الف فرسخ وسبعون فرسخا والله اعلم . وذكروا ان المعمور من الارض اقل من الثلث واكثر من الربع وطول الجزء المعمور

من لارض مبداه من الجزائر الخالدات التي هي اقصى بلاد المغرب الى مدينة شيراز الى اقصى بلد الصين وذلك على الخط الموازي لدائرة معدل النهار فراس هذا الخط الذي مبداه الجزائر الخالدات هو نظير درجة الشمس بالسواء اذا كانت الشمس براس الحمل وطول هذا الخط مائة وثمانون جزءاً من اجزاء الفلك واما مبدا عرض البلاد فانه من ناحية مجرى سهيل من ارض الحبشة على مسافة عشرين ليلة في سمت مهب الجنوب وهي بعد بلاد الصقالبة والخزر . اه . وانما سرح القلم الى هذا المقدار وان كان في اكثر ما هو المطلوب فقد قال من قبلنا والحديث شجون وطرف المناسبة في سلق الكمية اضاف ذلك وبالجملته فانه غريب ولا يقف عليه النظر في مكان . ومما اندرج في خلال افريقية ذكر بعض مشاهير بلادها ومدنها فاعظمها بعد تونس مدينة القيروان وقد ذكرت في فصل فضل افريقية لمناسبة الاحاديث التي جاءت فيها وذكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو ابو زمعة البلوي رضي الله عنه فان هذا المقدار احق ان يضاف لفصل افريقية . ومنها المنشير وقد سبق ذكرها في فصل فضل افريقية ايضا كما وقفت عليه . ومنها سوسة قال التمجروتي ومدينة سوسة مسورة سورها متقن وهي صغيرة ضعيفة العمارة وبها جامع مليح فاسح وكانت في القديم يرغب العلماء في سكناها وبها عدة فقهاء منهم يحيى بن عمر من اعيان مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى ويذكرون انه هو المدفون خارج بابها البحري وبها ايضا الفقيه عبد الحميد بن عمر بن الصائغ مدفون خارجها في شرقها وفيها غيرها من الافاضل وعلى شاطئ بحرهما مقام الولي الصالح الشيخ ابي جعفر زرتي سنة خمس وعشرين ومائة والى وختمت عند صريحه دلائل الخيرات ثم اخذني النوم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على حافة حرم الاستاذ ورجل بين يديه قال له يا رسول الله ادع لهذا و اشار للفقير فرفع النبي صلى الله عليه وسلم كفيه الشريفتين ودعا فام اسمعه فعملت ان لصاحب المقام شانا واعتناء نفعنا الله به وبامثاله . قال

العيني هي جنوبي تونس وشرقيها وهي في طرف داخل البحر قليل العمارة لاستيلاء العرب عليها ولها سور من لبن وفي العزيزي بين المهدية وسوسة مرحلتان . وقال ابن الشباط قال البكري رحمه الله تعالى ومن القيروان الى مدينة سوسة ستة وثلاثون ميلا قد احاط بها البحر من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر منيع حصين متقن البناء يضرب فيه البحر ويدخل الى دورها من فناء من الجهة الشرقية وفي ركنها بين الغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلف القتي ولها بابان غريان يقابلان الملعب قال جامعهم على الله عنه وانتق اني وقفت ببابها الغربي مع بعض فقهاءها فالتفت في نحو المدينة فاذا البحر يضطرب بافراطه والراكب عرائس تتجلى على مورد بساطه فقال لي هل لتونس هذا المنظر الشهى وهل هو إلا لسوسة دونها فقلت لم لم تكن كذلك وهي ركن من اركان عسستها وزاوية من زوايا حرسها ولا تستكثر هذا المقدار في جنبها فانها لما اضيفت اليها خلعت هذه الخلع عليها . وبها الملعب وهو بنيان عظيم للاول افناء مرتفعة واسعة معقودة بحجر النشيف الخفيف الذي يطفو على الماء المجلوب من بر صقلية وحوله اقباء كثيرة يفضي بعضها الى بعض وحول مدينة سوسة اثار عظيمة للاول وبنائها كله بالصخر المحكم وبها اسواق كثيرة وهي مخصوصة بكثرة الامتعة والتمر ولحم مراعيها من اطيب اللحوم وهي رخيصة الفواكه كثيرة الخير وهي قديمة البنيان وبخارجها محارس وروابط ومجامع للصالحين والاخييار وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بقصر الرباط وهو ماوى الصالحين داخله حصن ثان يسمى القصبته وهو بجوفي المدينة متصل بدار الصناعة في سفح الجبل الذي هي في سند من جهة الشرق والمدينة في سند عال يرى دورها من البحر والحياسة بها كثيرة ويقال كان في الصدر الاول يباع المثلقال من فائق غزلها بمثلقالين ذهبا وبها تقصر الثياب الرفيعة . قال العيني رحمه الله ومنها فتح المسلمون جزيرة صقلية . وفي اقتباس الانوار سوسة من بلاد افريقية نزلها جماعة

من حملة العلم منهم يحيى بن عمر الكنانى ويكنى ابا زكرياء رحل من لاندلس فسمع بافريقية من سحنون وابي زكرياء الجعبري وغيرهما وسمع بمصر وسمع منه اهل القيروان ومن اتصل بهم وكان فقيها حافظا للرأي ثقة في روايته صابطا لكتبه وسمع منه اهل لاندلس ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات بسوسة في ذي الحجة سنة تسع وثمانين ومائتين رحمه الله تعالى واليهما تنسب الثياب الرفيعة السوسية . وقال ابن الشباط رحمه الله ما نصه :
وقع في التاريخ المنسوب الى الفقيه الحافظ ابي الطاهر السلفي رحمه الله تعالى ان معاوية بن حديج غزا افريقية وكانت خرابات كلها وذلك سنة خمس واربعين في زمن معاوية بن ابي سفيان رحمه الله تعالى بعشر معاوية في جيش كثيف من نحو عشرة آلاف مقاتل وكان معه عبد الله ابن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الملك بن مروان ويحيى بن ابي الحكم بن ابي العاص واشراف قريش وغيرهم فبعث ملك افريقية بطريقا في ثلاثين الفا فنزل بساحل سوسة فاخرج اليه معاوية بن حديج عبد الله بن الزبير في خيل كثيفة فسار حتى نزل على شرف عال ينظر منه بينه وبين سوسة اثني عشر ميلا فلما بلغ ذلك البطريق اقلع في البحر منهزما واقبل ابن الزبير حتى نزل باب سوسة ووقف على البحر وصلى بالمسلمين صلاة العصر والروم يتعجبون من جراته وقلة جزعه فاخرجوا اليه خيلا وابن الزبير مقبل على صلاته لا يبوله امرها حتى قضى الصلاة ثم ركب وحمل بمن معه على الروم فانهزم الروم منكشفين ورجع ابن الزبير الى معاوية وهو بالجبل . وبهذه المدينة الولي الذي اغنى اشتهار اسمه عن ايضاح اسمه كنز البركات وكهف العناية والمعد لمعظم الازمات من اصحت اغائمه لذوي الوحل كالغيث بعد المحل النور الساطع والسراج اللامع الشيخ ابو عبد الله محمد بن عمران ابو راوي الفحل وكانت وفاته سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ولقد كلفني بعض مخلصي الاعتقاد في علي جنابه وكثيري التردد على العلية اعتابه ان اضع له تاريخا مستلزما ذكر لقبه

بالفحل اذ هو اشهر اوصافه نفعا الله به ءامين فقلت -
 ذا ضريح لابي راوي الفحل ما راى كريبا به إلا وحل
 يحمل الكل ويحمي جواره وبايديه تخالض الوصل
 ذاق كاس الوصل في حالاته فرقى مرتبة الانس وحصل
 ولذا اثنا لدى تاريخهم لك سر يا ابا راوي الفحل
 فلما رآه قال انه توفي في رجب وودت لو انك زدت ذكر رجب في
 التاريخ لكان احب للنفس فقلت له ان العدد لا يعقل اشتراكه لجهتين في
 لفظ واحد فالج علي فقلت استعين بنفس الاستاذ ولعل الله يفتح من فضله
 فجاء كما تراه -

وس به يرجو المومل ما طلب وبه تساق لديه غايات الارب
 اذ فحل ءاماد الولاية حله واميرو مرتبة العناية والتسرب
 يروي ظما الآمال حتى انسه يدعى ابا راوي فلانك ذا عجب
 تخذ العارف حلة فرأى بها في حضرة القدس لذا ذات الطرب
 فطالما احبى الرغائب قبل ما ان ارخوا ولقد توفي في رجب
 وسوسة مدينة حصينة على سفح جبل عال وعليها سور عظيم منيع من الصخر
 ينتهي البحر اليه ويضرب في جدرانها وبها ءثار الاول وبها جامع للخطبة
 حسن كان بناؤه في ولاية ابي العباس احمد بن محمد بن لاغلب بن
 ابراهيم بن لاغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام وكانت
 سوسة اذ ذاك قرية وافي بعدة ابن اخيه ابو ابراهيم احمد بن محمد بن
 لاغلب فجدد سورها والحققها بالمدن وكان تجديد سورها سنة تسع واربعين
 ومائتين وبصحن جامعها المذكور بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشا في
 الحجر - القراء ان كلام الله ليس بمخلوق - وكتب مثل ذلك ايضا في عمد
 الجامع وذلك كله تنبيه على مذهب اهل السنة وتثبيت له بسبب كثرة
 ما كان بها وبجميع بلاد افريقية في القديم من المذاهب المنحرفة عن
 المذهب السني ثم ما كان بها منها في زمن الوافض ثم في زمن تغلب
 الخوارج

الخوارج عليها . ومن سوسة هذه ركب اسد بن الفرات البحر غازيا الى صقلية سنة ثنتي عشرة ومائتين فاستفتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير من مدنها ومات في العام الذي يليه وهو محاصر لها . قالوا ونزل الروم بها في الرستن القديم في ثلاثين الف مقاتل فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكوني وقيل التجيبي وقيل الكندي قال ابو عمر بن عبد البر والصواب ان شاء الله السكوني وخطاه الرصاص في هذا وقال اذا كان سكونيا فهو تجيبي وكندي . وكان معاوية هذا واليا على افريقية من قبل عمرو بن العاص فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة في جمع كيف لجمعها فتوجه عبد الله ونزل بجمعها على شرف عال بينه وبينها اثني عشر ميلا ونحوها فلما علم الروم بوصولهم زفوا جميع سفنهم الى شاطئ البحر واخرجوا على الارتحال فوصل عبد الله بجمعها من الغد حتى انتهى الى سور المدينة ثم نزل عن فرسه وقام يصلي بالناس بعض الصلوات فجعل الروم يتعجبون من اقدامه وقلة اكترائه بهم فاخرجوا له جمعا من حمائهم فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته فلا يهوله ذلك حتى اذا قضى صلاته ركب فرسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه وولوا ادبارهم فصعدوا الى مراصمهم واقلعوا الى بلادهم . ولم تنزل سوسة معروفة بالامتناع على من رامها واهلها يوصفون بالبأس والنجدة وحسبك من امتناعها ونجدتهم ان ابا يزيد لما تملكها وفعل فيهم الافعال الشنيعة من قتل الرجال وسبي النساء وقطع الاعضاء وبقر البطون خالفوا عليه وبايعوا ابا القاسم القائم الشيعي ووجهوا عامل ابي يزيد اليه وذلك كله عام اثنين وثلاثين وثلثمائة فوصل اليها ابو يزيد بنفسه في ذلك العام وحاصرها حصارا شديدا وكان مما تحصل من جند ابي يزيد الخارجي انهم صنعوا حائطة الف خص في كل خص نحو الثلاثة او الاربعه انفس فكان يقاتل سوسة كل يوم فمرة له ومرة عليه ولم يزل محاصرا لها الى ان توفي القائم في العام المذكور وولي بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور فوجه الى ابي يزيد جيشا كان بسببه ارتحاله عنها وفي ذلك يقول بعض شعرائها -

ان الخوارج صدعوا عن سوسة منا طعان السم والاقدام
وجلاد اسيا في تطاير بينهما في النقع دون المحصنات الهام
وقال احمد بن افلح من قديم شعرائها -

مدينة سوسة بالغرب ثغر تدين له المدائن والثغور
لقد لعن الذين بغوا عليها كما لعنت مزينة والنظير
اتاهم الخارجون ليملكوها فكان من الاله لها نصير
ولولا نصرة لدهشت دواه يشيب لهولها الطفل الصغير
سيلغ ذكر سوسة كل ارض ويغشى ارضها الجم الغفير

وقد خالف اهل سوسة ايضا على المعز بن باديس صاحب افريقية سنة
خمس واربعين واربع مائة ومنعوه ما كانوا يحملون اليه من المال وقالوا نحن
اولى به لننوب به عن بلدنا وتوفيت اخت المعز عندهم فضموا اموالها وابوا
من توجيهها اليه فبعث المعز لهم في ذلك فقالوا لرسله كيف ندفع اليه
اموالا يتقوى بها علينا بل نتقوى بها نحن على مدافعتهم وحربه فبعث المعز
اليهم من المهدية اسطولا ضخما فاصبح بمرسى سوسة فاحرق ما فيها من
المراكب وكانت نيفا وستين مركبا اكثرها لاهل سوسة فعمد اهل سوسة الى
سن كان عندهم من اهل القيروان فاخذوا اموالهم واهانوهم اشد الاهانة
فوجه المعز اليهم جيشا فيه مائة فارس وامرهم ان يتظاهروا مع الاسطول على
حصار سوسة لياخذوا بمخنتها برا وبحرا فكان من قدر الله الغريب الاتفاق
ان اجتاز على سوسة يوم خروج هذا الجيش اسطول من قبل صاحب صقلية
فخافه اسطول المعز فانصرف راجعا الى المهدية ولا علم عند المعز بذلك
ووصل جيش المعز الى سوسة فسالوا عن الاسطول فاخبروا باقلاعه فستط في
ايديهم فخرج اهل سوسة وسن حف بها من الاعراب اليهم فادخلوهم الى
المدينة واجالوا السيوف على جميعهم ونصبوا رءوسهم على السور قال ابن
شرف اخبرني من شاهدها ان عدتها نيف وخمسون راسا قال وانما سلم سن
سلم من الجيش لضعف في دوابهم منعتهم من اللحاق باخوانهم فلما تحققوا
الخبر

أخبر ولوا للعز راجعين فسلموا بذلك ومات المعز بعد ذلك سنة اربع وخمسين وسوستة مخالفة عليه فلما ولي ابنه تميم انابوا له فغنى عنهم وتغمد ذنوبهم وذلك سنة ست وخمسين . وتوالت على سوستة بعد ذلك امراء من العرب ملكوها حين استولوا على البلاد وانتزعوها من ايدي صنهاجة واستقرت اخرا تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن ابي العين الفادغي البعيد الصيت المشتهر بالجود ومن يده اخذها النصارى حين اخذوا المهديّة من يد الحسن واستولوا على سائر بلاد السواحل . ولما وصل عبد المؤمن الى افريقية واستنقذها من ايدي النصارى وقام اهل كل بلد على من عندهم منهم امثال اهل سوستة ذلك ورحل اشياخهم الى عبد المؤمن ورحل اليه ايضا جبارة بن كامل المذكور فقدم على اهل سوستة حافظا من الموحدين يعرف بعبد الحق بن علفاس الكومي فطرقهم اسطول النصراني ثانيا وهم على غرة فاستولى على البلد وقتل من اهل سوستة قتل وسبى سبى وخرب البلد تخريبا عظيما لانه لم يبق من اهل سوستة في سواحل المحافظة المذكورة واهله وولده وتوجه بهم الى صقلية فاقاموا بها مدة ثم افتدوا بعد ذلك وخرجوا ومن حينئذ استولى الخراب على مدينة سوسة وحلم جرا . وكفى فخرا لسوسة ان المنستير الذي وردت الاحاديث في فضله محرس من محاربه ومنسوب اليها وبقرّب منها جبل وسلات وفي السابق يعرف بجبل مطور وسبب تسميته بذلك ان معاوية بن حديج لما وصل الى افريقية نزل على هذا الجبل فاصابه فيه مطر شديد فقال ان هذا الجبل مطور اذ بنا الى ذلك القرن فسمي الجبل مطورا وسمي ذلك الموضع القرن . واما ما ادعاه ابن شرف في تاريخه من ان اهل سوسة في الاصل عبيد لاهل القيروان قال وذلك انه لما افتتحت افريقية اشتدت غارة الروم على مدن البحر فابتنيت القصور على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد اهل القيروان وسن انتدب معهم قوم للرباط فكثروا هنالك واستقلوا بمديتهم فمجرد دعوى حملت عليها العداوة والعدوى والواجب ان لا يقبل كلام قروي على

سوسي وبالعكس لما صح بينهم من العداوة المتوارثة . ومن شعراء سوسة
في القديم المتقدمين بالزمان المشهورين باصابة غرض الاحسان محمد بن
الحسين بن ابي الفتح بن ميخائيل القرشي قال ابن رشيق في الانموذج هو
من اهل سوسة وسكن القيروان قال وكان يملك مملك قدامة في انتقاده
الشعر ومطالبته للحقائق وربما سهل الفاظه وعبث بملح كقولہ -

صور عبد الله من مسكة وصور الانسان من طين

ابدعه الخالق سبحانه كمثل حور الجنة العين

(نقص في كل النسخ) سيف علي يوم صفين

في مثله يوصل جبل الصفا وتؤثر الدنيا على الدين

قال ابن رشيق لم اتصفح هذه الايات إلا مرة واحدة فوجدتها قد علقت
بنفسي وخفت على لساني حتى كدت اتهم فيها لولا علمي به . قال
وكثيرا ما يجري ذلك في الشعر المطبوع حتى ان قائل الايات ربما استراب
بها لسهولتها عليه فاسقطها . وشعر ابن ميخائيل هذا في الانموذج وغيره كثير
مشهور . ومنهم علي بن احمد بن الصغار السوسي كذا وجدته بتقديم الصاد
على الفاء ويأتي بعده ذكره بالثاني وقبل الصاد ولم اقف على الثابت منهما
قال ابن رشيق هو شاعر متسع القافية سالم الطبع عالم باللغة ومن شعرة -

انست بالعلياء نارا لها سنى ليلي بليل قد دجيا وتغصنا

وما اوقدت إلا لحايط ظلمة مضل وضيغ جاء يتناد صيفنا

فما بلغنا حتى اكلا والصقنا قلوبيهما بالارض من شدة الونا

قال وهذا كلام عربي صريح قلما يأتي مثله للمتقدمين المحسنين فضلا عن
المتأخرين لا سيما في هذه القافية قال وانت ترى حال ابي نواس فيها على
جلالته وجراته . ولا بن القصار المذكور من قصيدة اخرى وذكر الشيب
قال ابن رشيق وهو مليح جدا -

ارى البيض لا يمنحن ذا البيض منحة سوى منحة تهوى الكتابة او تتلى
كان لا يام الشباب بسالمة طلبن لا يام المشيب بها دحسلا

ولم تر عيني كالشباب وحسنه اقر لاجفان القيان ولا احلى
ولا كبياض الشيب في اعين الدمي قذى يفسد القذى لاعين النجلا
فلا غرو ان ارعى الشباب وعصره ولا لوم ان انعى المشيب ولا عبذلا
قال ابن رشيق ما رايت اعجب من البيت الثاني من هذه الابيات
اما ينظر الناس الى هذا المعنى الغريب والتخلص العجيب في اللفظ الرائع
المتكمن والنظم الرائق المستحسن . ومنهم ابو الفتح بن محمد قال ابن رشيق
نشأ بسوسة وهو من اهلها وشعره سهل وطبي لا يتكلف فاذا تكلف ظهر عليه
اثر ذلك وانشد له يمدح حسن بن البلبل متولي سوسة وقد رفع عليه مال
وقيل في احوال فلم يضره ذلك -

دم هاكذا دم على رغم العدا ابدًا علاك في اليوم تعلها علاك غدا
قد قدر الله ان تعطى مناك وما اعطى حسودك إلا الين والكمد
ومنهم ابو موسى عيسى بن ابراهيم السوسي المعروف بالقطان قال ابن رشيق
كان شاعرا مشهورا بالشعر مليح المقطعات قال كنت اسمع بذكره وهو بسوسة
الى ان اجتمعت به فانشدني بعض شعره ثم قال كيف رضاك عما سمعت
فقلت احسن رضى واتمه فتكلم بكلام جميل ولم اره بعد ذلك لاجتماع
وانشد له في لأمودج -

اهدى الى الفصن الرطيب قواما والى فوادي لوعة وغراما
طبي اعار الطي منه محاسرا واعارني من ستمهن سقاما
ما ضره لو كان مع كلني بهم يهدي الي مع الرياح سلاما
قال وهذه الفاظ طيبة ومعاني رقيقة . ومنهم عبد الوهاب بن خلف بن
القاسم السوسي ويعرف بابن الغطاس قال ابن رشيق هو من ابناء سوسة
ومستوطنها وهو شاعر متدرب قد جمع الى رقة المعنى متانة اللفظ وقرب
المقصد وانشد له -

وكم ليلة جاذبت من راحتي بها نهود العذارى في قميص الدجى الزحف
وبت يعطيني العقار مهنف هضيم الحشا مخطوفه وافر الردف

واظما فاستسقي ثناياه طامثا فتغني ثناياه عن القهوة الصرفة
واجفان دهرى مغضيات على القذى واياه يقطعن باللهو والتصف
وانشد له ايضا يصف خيارا —

جسم لجين يكاد يجري لولا ترديده ثوب سام
ما اترضته العيون إلا رات به مقبض الحسام
ومنهم محمد بن عبدون السوسي قال ابن رشيق اصله من القيروان وهو من
اكابرها وابوه هو المشتغل الى سوسة قال وهو شاعر وطبع الكلام كثب بعذوبة
اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد بلطافة وسكون جاش وكانت له رحلة الى
ثقة الدولة يوسف بن عبد الله يعني الى صقلية فامتدحه واصافه الى
ولده جعفر فادناه وقربه وكان من اكرم الناس عنده وساله الرجوع الى
وطنه ورفع اليه قصيدة يتشوق فيها معاهدة منها قوله —

بالله يا جبل العسكر دع ريح الجنوب لعلها تسري
كيفما اسانلها فتخبرني ما يفعل الحيران بالقصر
يا قصر طارق الذي طرقت احشاي فيه بلابل الصدر
والله ما قصرت عن قلق لكنني قصرت بالقصر
فسقاك مهمل الحيا وسقى صرا تنقضي فيك من عصر
يا ربع كم لي فيك من غصن يهفو صباه به وكم بصدر
ومناسب لاوصاف اثقله حقف يكاد ينوء بالخصر
قد طال ما عقدت قلائده مني مكان قلائد النحر
ولثمت صدرا فاح عنبه من غير ما طيب ولا عطر
وضممت انفاسي عليه وقد اشققت من نفسي الذي يسري
وكان صدري لا ضلوع له وكان قلبي بان عن صدري
اعطى عهد الله صفقة سن اعطى العهد بجانب الحجر
لو استطيع سبحت من طرب شوقا اليك سواد ذا البحر
حتى اقبل جانبك كما قبلت فيك مراشف البدر

عزفت بهجري وغرقتني بدمع يفيض ولا يقطر
وعاينتني كيف اشكو الهوى كما يشتكي فقده المعسر
قال ابن رشيقي لله انفاس البغداديين النفيسة لم يخنها طبع ولا اعجزتها
صنعة ولو مزج هذا الكلام بكلام العباس بن الاحنف ظريف الشعراء لامتزج
به امتزاج الخمر بالماء والنور بالهواء ولا بن عبدون في ملعب سوسة وهو ما
انشده ابن رشيقي -

اين سن شاد ذا وسن رفع السمك واعلاه فوق ما يحتاج
اين ذاك الملك الشديد الذي كان وذاك السور والادلاج
اين ذاك الدهم الذي يرجف الارض جيوشا يضيق عنها الفجاج
اين تلك الخدور اين بسدور حجبها الجبوش والاعلاج
اين اربابهم وسن رفع التاج على راسه واين التاج
ضمت الارض والبلاد عليهم فطوتهم وطبها ادمع
طحنتهم طحن الرجا فاذا لانه سان والدهر صخرة وزجاج
ومهمهم عبد الحليم بن عبد الواحد السوسي الكاتب لم يذكره ابن رشيقي
وذكره ابن الصلت في الحديثه وانشده له -

هممت بان تخفي بقايا شببية كفرة ليل او حشاشه مهزوم
تري الشعرات السود والبيض حولها كمثل اسارى الزنج في عسكر الروم
وانشد له في عود نشابة -

ليالي في نقص حالي عطيات حار في وصفها ذوا الالباب
صرت في الخوص بعد لبس الخوافي واعتمادى بازرق كالشهاب
بعد ذب الكماة عن حرم العز تنقلت بي لذب الذباب
وله مما لم ينشده ابو الصلت -

نذرت لله اذا ما التقيت شفاها بعد النوى للقبيل
صومي على الراح سوى ما حوى مبسمها العذب وراح المقليل
وانشده ايضا -

عيني هدتني والعين الكحيله مع عين الرقيب واخذ الناس بالعين
هبنني اتقيت عدوا من لاربعة ما اجلب العين مذ كانت الى حيني
ومنهم التراب السوسي ذكره عماد الاصبهاني في الخريدة وانشد له من
قصيدة يمدح بها جبارة بن كامل المتولي على سوسة وقد قدمنا الخبر على
تملكه لها -

بات بالابرق يرق يتسامى فجفى الجفن لروياه المناما
طلعت راياته خافقسته خفقان القلب امسى مستهاما
بذمام الحب يا برق عسى لك علم حبه اعبي الانامسا
انسوا عاما فلها ملكوا رق قلبي اوحشوا عاما فعامسا
واستمالوني بوصل خادع فكما ملت راوا وصلي حرامسا
وحنها في مدح جبارة -

فاذا ابصرته اكبرته واذا خاطبت خاطبت هاما
واذا استصرخت في حادثة فعلى الحادث جردت حساما
وله فيه هذه القصيدة قال التجاني وقد اولع اعراب زماننا بانشادها وكثرة
تردادها ولاجل ذلك ذكرناها بكمالها وان كان فيها بعض طول فان الحسن
غدير ملول -

سلم على ذي سلم مغنى الهوى المستغنم
وقف بها مسايلا عن ساكن والخيم
واستمطر العين بها صوب دموع ودم
فهذه اطلالهم مندرسات الارسم
وهذه عراصهم مستوحشات المعلم
كانهن اسطفر في كتب لم تفهم
لم تبق منهن الصبسا وراعات الديم
سوى ثلاث صائمات قائمات جشم
واشعث مطرح بربعها المهيم

اضحت خلاء بلقعا	براليا كالرمام
لا تسمع لاذن بها	إلا نقيب الاسحمام
الى صرير جنذب	الى غواء ديسمام
الى ضبيح ثعلب	الى زئير صيفمام
ولا ترى العيس سوى	خدرنق مخيممام
وشوذق ونقنشق	ولتلق وشيهممام
بعد السرور والمنسا	والامل المتممام
والغانيسات كالدما	يسجن كل معلمام
من ابيض محبسر	واخضر مسننمام
واحمر معتسق	واصفر مسهممام
من كل خود كحلت	مقاتها بالسقممام
جيينها من قمر	وفرعها من ظلممام
وقدها من غصن	وخدها من عنسدم
يلوح في بنانها	وكفها والمعصمام
رقم من الوشمي في	سلخ اديم الارقممام
تفتتر عن مفلج	عذب الشايبا شيممام
منقوض مذهب	مدبج بهرسممام
حلو اللما وانمسا	لحطي جناه لافمي
من كل ريم مائس	كالغصن المنعصمام
وصاله من مكر	وصده من علقمام
مبتسم عن جوهسر	في عسجد منظمام
ان قضاء في برقعهم	كالشرفي المخسدم
قامت له مدامعي	مقام مهراق السدم
مقيا لذات تربها	وعيشي المنصمام
ايام كانت لمسي	مسودة كالحمام

وقامتي قويمــــة
والدهر لم يخط الى
فلا نهاني عــــذلي
ثم انقضت بسرعة
كانني كنت ارى
يا ربع احباب نــــووا
انعم صباحا واسلم
ان لم امت من اسف
كذبت في دعوى الهوى
كانني بالوصل من
ولم ابت ريسان من
في ليلتين ليلــــتي
ما بين تفاح الخدو
وبين رمان النهـــو
في فرش وثيــــرة
حتى تولى الليل في
واقبل الصبحاح في
كانه لما بــــدا
وجه الامير ابن الاميد
جبارة بن كامــــل
الفراس الذي اذا
وصل كل مرهــــف
واضمرت نــــار الرغى
واشفق لا بطال من
وحشرت نفس الجبا

وافى على ظامي الحشا
 من الهلال مسرج
 من الضحى مجمل
 مقلدا بصارم
 ثم انثنى يسبح في
 فاجفلوا امسائه
 كأنه ضياءهم
 حتى اذا الليل دجا
 وروع السرحان من
 وجئت معتزا الى
 الفيتة خير فتى
 يلقاك من قبل الندى
 الى كريم خيمهم
 عاراة في الحادثا
 وحمله امنع من
 وخلقهم احسن من
 نهابة الى الفعاع
 صيد من العرب الاولى
 وكانت لارض ارتوت
 من دير سمعان الى
 بجاني وادي القرى
 ثم انقضوا وذكرهم
 من بعد ما اوصوا بنى
 بالصبر في وقت الرضا
 فجاء يقفوا مجدهم

يا حاسديه انتبهسوا	من رقدة التوههم
انظمعون في عـلا	قد حازها او همهم
كلا ولو رقيتهم	الى السما بسلمهم
ابا عنان زد عـلا	على محل لانجهم
اقسمت بالبيت الحرا	م والصفاء وزمهم
لانت من بعد النبى	ي المصطفى المكرم
وعالم وصحبهم	اهل الوفى والذمهم
اجل سن تحت السما	من جميع الامهم
لو كنت يا ابن الاكرمي	ن في الزمان الاقدم
لا نزلت في فضلك الـ	مكمل المتمهم
مفصلات سور	من الكتاب المحكم
انت الذي لو لم اكن	من عزة في حـرم
لقلبت للدهر الظلمو	م الجائر المحتكم
يادهر ان شئت فصل	حبلي او شئت اصروم
وان تشا لن واستقم	وان تشا جر واطلم
فما اباليك ولا	القال كالمستعصم
اني من ابن كامل	ذي الباس والتكرم
في ظل سيف مرهف	وقائل منسجم
وعزة قد خيمت	بين السهى والمرزم
قد رفعت من الثرى	الى الثريا قدمي
فالنجم لي مجالس	كانه من حـرم
والسعد لي مساعد	كانه من خـذم
هو الذي لو امه	كل الورى لم يسام
ولو سخي بنفسه	لسائل لم ينـدم
علمني الجود بما	قلدني من انعم

فرحت والدينار في يدي مثل الدرهم
 فان غدوت مادحا لغيره من عسدم
 فجسائر ضرورة على حدود الحرم
 كالماء ان عدتسه صليت بالتيمن
 لاجعلن ما حيي مت ذكره شغل فسم
 وان امت فشكره في القبر شغل اعظم
 لا زال طول عمرة مويدا بالعصم
 مستمسكا من سعده بعروة لم تفصم
 ربوة ماهره بسابغات النعم
 وسمة محمودة من العداة بالسدم
 ما اومضت بوارق في جنح ليل مظلم
 وما شدت حمائم على فروع السلم

قال التجاني وما ينسب الى سوسة هذه شيخ شيوخنا ابو عبد الله محمد
 ابن عبد الجبار الرعيبي السوسي قديم المولد كان يسمى ملحق الالباء بالابناء
 لطول امده وقدم مولده توفي بتونس في الثاني والعشرين لذي القعدة سنة
 اثنتين وستين وستمائة وكان مولده سنة سبع وستين وخمسمائة وكان له
 اخ شاعر توجه الى المشرق فمات بالموصل سنة اثنتين وعشرين وستمائة
 وانشد له ابن سعيد في خزائن الاداب -

عكفنا على الكاس في جنة نحاكي بها ميل اخوانها
 ورسل النسيم بها سحرة تحوش ما بين ويحانها
 اظن تغاريد الحانها زهتها فاصغت بأذانها

ولابي عبد الله شعر حسن والوجود منه قليل ومنه قوله من بداية قصيدة
 يمدح بها الشيخ ابا محمد عبد الله بن الشيخ المقدس ابي محمد عبد الواحد
 ابن ابي حفص -

وجردت عزمك صارما مسلولا ماء ولكن ما يبل غليلا

وقوله يخاطب بعض الروسا وقد قدم له فرسا اشهب حديدي لركوبه —
اركب باقبال السعادة اشها مثل الصباح اذا يشوب الغيها
ما شاب من مر السنين وانما لاقى سناك فراح يحكي لاشيا
قد الجموة بالثريا فانثنى ينقص في ليل العجاجة كوكبا
وكان يداعب طلبته من اهل تونس بسؤالهم عن قول الشاعر —

لا تلني على الدنساء اني تونسي وجزت يوما بسوسة
اي البلدين يقتضي الشعر ان يكون اعظم دناءة فيقولون له سوسة وهذا
البيت ذكره جعفر بن شرف في تاريخه . قال التجاني كما انشدته
وسمعت كثيرا من مشايخنا يقولون انه مغير وان البيت المشهور انما هو
غير ذلك مما اضربنا عن ذكره . قال التجاني ونختم هذا الفصل من ذكر
سوسة وشعراتها بحكاية ذكرها الحميدي في تاريخه قال اخبرنا بعض
اصحابنا بالاندلس عن سليمان بن محمد المهدي الصقلي قال كان بسوسة
افريقية رجل اديب شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وكان الغلام
يتجنى عليه ويعرض عنه قال فينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر
عن نفسه وقد غلب عليه السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قيس نار ويحرق
عليه دارة لتجنيه عليه فقام من حينه وفعل ذلك واتفق ان رعاة بعض
الجيران فبادروا النار بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموه فاحضره
القاضي وساله عما فعل فانشا يقول —

لما تمادى على بعادي واضرم النار في فوادي
ولم اجد من هواه بدا ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي اقل في الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علمي ولم يكن ذاك عن مرادي

قال فاستظرفه القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا يعود وخلي
سيله قال الحميدي كنت اظن ان هذا المعنى مما تفرد به هذا الشاعر حتى

حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بالفسطاط قال قال لنا القاضي ابو الحسن بن صخر اخبرني بعض شيوخ البصريين ان ابا القاسم نصر بن احمد الخزوري الشاعر دخل على ابي الحسن بن المثنى في اثر حريق المربد فقال له هل قلت في هذا شيئا فقال ما قلت شيئا فقال اويحسن بك وانت شاعر البصرة والمربد اجل شوارعها واعظم اسواقها ولا تتول فيه شيئا فقال ما قلت شيئا ولكني اقول الان وانشد مرتجلا -

انتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون ان تحمدوا
فيا مربديون ناشدتكم على اني منكم مكمدا
جري نفسي صاعدا نحوكم فمن اجل ذا احترق المربد
ولولا دموع جوت لم يكن حريقكم ابدا يخمد
وهاجت رياح حنيني لكم فظلت بها ناركم توقد

قال الحميدي فاقى بالمعنى وزيادة وذكر هذه الحكاية ابن بشكوال في الصلة فاقلا لها عن الحميدي . وقبل ارض سوسة ارض دلاج وقبلت ارض دلاج ارض حكيم وطرود وقبلتها بلدة تعرف بزرمدين بفتح الزاي وسكون الراء وكسر الدال المهملة هكذا ضبطه التجاني وبها حصن حصين اسلمه جارة واعلاه طين ياوي اليه اهلها وبخارجها مقبرة الشيخ ابي محمد السيد الزرمديني من اهلها يذكر عنه صلاح وفضل وبقر بها بلد جمال وبنواحي تلك البقاع قصور عديدة وقرى متفرقة قد اخلتها العرب واجلت ناسها وهنالك قصر الوردانيين وهي القرية التي ازمع اهلها على قتل الشيخ الصالح ابي يوسف الدهماني رحمه الله ايام سكنه بمسجد غانم على قرب منهم وانفقوا مع بعض العرب فظهرت له معهم الكرامة المشهورة ولقيه العربي فخر عن فرسه لاثما قدمي الشيخ طالبا منه الدعاء وعرفه بالقضية وسال منه ان يركب فرسه فاسعفه بذلك وقال له يا بني علم الله ضعفي وقلة قدرتي على المشي فاتاني بك وتاب العربي وحسنت حاله . وينسب الى الوردانيين هذه ابو محمد يونس بن محمد الورداني كان صالحا جليل القدر ثبتا في روايته اخذ

العلم عن سجنون بن سعيد وصحح عليه جميع نسبه ودعى الله ان يخمل ذكره فكان لا يولد له . ولما دخل عبيد الله الشيعي افريقية وغلب التشيع على اهلها جمع ابو محمد هذا اهلهم وقال لهم ان امر هؤلاء القوم قد اشتهر فامسا ان تتركوني افر بديني الى بلاد لا حكم لهم عليها واما ان احمل نفسي على الاشتغال برعي البقر لعلي اسلم من فتنتهم فعظم ذلك عليهم ثم راوا ان رعي البقر خير لهم من مفارقتهم فاجابوه الى ذلك فكان يحمل مصحفه معه ويبعد عن العمران ويقبل على القراءة فاذا جن الليل اقبل بالبقر الى منزله وربما اراد بعض الناس زيارته فاذا رءاهم من بعد صاح وهول يريهم ان في عقله اختبالا توفي سنة تسع وتسعين ومائتين . وقبلته بنحو مرحلة الحصن المعروف بالجلم وهو اعظم حصون افريقية واشهرها على القدم وليس بافريقية بعد الحناينة التي بقرطاجنة بناء اصخم منه ولا اعجب وشكله مستدير وارتفاعه في الهوي مائة ذراع وذكر البكري ان تكسير دائرته في الارض ميل ويقال ان الكاهنة المتقدم ذكرها المعروفة بكاهنة لواتة حصرها عدوها في هذا الحصن فحفرت منه سربا في الحجر الصلد نفذت به الى مدينته سلقطة وكانت اختها هنالك فكان الطعام يجاء به اليها في ذلك السرب على ظهور الدواب وتسام خبر الكاهنة واسمها ياتي في الفصل الرابع من الباب الثالث في فتح افريقية . وقد قاتل هذا الحصن يحيى بن اسحاق الميورقي فاعياه وارتحل عنه خائبا ويذكر انهم رموه منه بعد المحصر الطويل بالسلك حيا وانهم جلبوه من ذلك النفق النافذ الى سلقطة فحيث ايس منهم وارتحل عنهم . والى جانب هذا الحصن قرية عامرة بها جنات ومزارعات متسعة ومسجد جامع واسواق نافقة يسكنها قوم من البربر كانوا قبل ساكنين بقصر مليتة من ارض زوارة فاجلتهم العرب منه فسكنوا بهذه الارض . وبتمام ارض حكيم وطرود مبدا ارض اخوتهم حصن ومن مفارقة ارض الجلم يدخل السائر في الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل وقد ذهب اكثره بفساد العرب وتغيرت اسطوره بعد استوائها فانه كان مغروسا

على حالة حسنة معلومة واسطر متناسبة منظومة فابطل لافساد اكثر ذلك وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات افريقية في القديم . وقد روي أن ابن ابي سرح لما افتح افريقية وقتل ملكها وجد اكثر اموالهم الذهب والفضة فغنم منها ملء ايدي جنده وسالهم انى لكم هذا فجعل احدهم يلتمس شيئا في الارض حتى اتاه بنواة زيتون فقال له من هذا اصبنا هذه الاموال . قال الرشاطي في كتابه المسمى باقتباس الانوار وانما سمي هذا الموضع الساحل وليس بساحل بحر لكثرة ما فيه من سواد الزيتون والشجر والكرم قال وهو كله قرى متصلة البعض ببعض . وذكر من المنسوبين اليه من العلماء اسرائيل بن روح الساحلي واخبر انه لقي الامام مالكا رضي الله عنه وحدث عنه قال ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب اخبرنا ابو الفرج احمد ابن علي قال حدثنا احمد الواعظ قال حدثنا عبد الله بن احمد بن زياد قال حدثنا اسماعيل بن حصن قال حدثنا اسرائيل بن روح الساحلي قال سألت مالك بن انس فقلت يا ابا عبد الله ما تقول في اتيان النساء في ادبارهن فقال اما انتم قوم عرب هل يكون الحرث إلا في موضع الزرع اما تسمعون الله تعالى يقول - نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم - قائمة وقاعدة وعلى جنبها ولا تعدوا الفرج فقلت يا ابا عبد الله انهم يقولون انك تخبر بذلك فقال يكذبون علي وكررها ثلاثا . ويتصل بهذه الغابة منزلة تعرف بام الاصابع لدى قصر قد شيد في سالف الزمن بنيانه واحكم تاسيسه واتقانه وجعلت ابراجا مستديرة اركانها إلا ان طول الزمان المتباعد قوض احد تلك الاركان من القواعد وهذه البناءات التي وصلوها به من بعد ليتداركوا بها ما انهدم لا مناسبة بينها وبين ما كان وبذلك الابراج المستديرة به سمي ام الاصابع لانها بقيت لارتفاعها مما اتصل بها من البنيان كانها اصابع قائمة وقريب منها قرية صغيرة ذات قصور مرتفعة مشرقة تعرف ببرشانة وقريب منها قصر زياد على ساحل البحر وهو قصر حصين في اهل نجدة موصوفة بالشجاعة . قال الليدي في اخبار الشيخ ابي اسحاق الجبنياني

نفننا الله بموكان قصر زياد يسمى دار مالك لكثرة سن به من اهل العلم في ذلك الزمان وبين هذا القصر وصفاقس جزيرة قرقنة وهي جزيرة قوية العمارة شهيرة الذكر من القديم قال التجاني والنصاري في وقتنا هذا وكانت سنة ست وسبعمائة تغلبون عليها متحكمون في اهلها ليس لها سور ولا دور وانما سكنى اهلها في اخصاص يجعل كل واحد منهم في ارضه ما احب منها وفي الجهة الغربية منها كهوف يتحصنون بها وطول هذه الجزيرة ستة عشر ميلا وعرضها ثلث ذلك . وقد مر بقريب ذكر قصر الجهم ولما وصل القلم الى هنا اتصلت بقطعة معربة ممن له وثيق خبرة باللسان الاسبانيولي عن ما قيده القسيس الذي ورد لتونس وانشا المارستان لمرضى النصاري شرقي جامع ترشيش داخل باب البحر وكان ذلك المكان به حمام وبازائه حانات خمر وملخص تقييده ان هذا القصر جعل للالهى والتنزهات في اعياد النصاري وهو في ارض مرتفعة قليلا يظهر بنيانه للناظر من بعد على هيئة بيضة إلا ان فيه قليل انحراف ولا يتبين ذلك لانحراف بديهة إلا بعد التامل دورة الف قدم واربعمائة قدم وارتفاعه مائتان وخمسون شبرا به اربعة ادوار في كل دور ثمانون طاقة ما بين الطاقة والطاقة نصف سارية براسها وكل طاقة ارتفاعها خمسة عشر شبرا وعرض كل سارية ثلاثة اشبار وطولها ثلاثون شبرا ثم الدور الاول ارتفاعه اربعون شبرا والدور الثاني ارتفاعه اربعة وثلاثون شبرا والدور الثالث ارتفاعه عشرون شبرا والدور الرابع ارتفاعه خمسة عشر شبرا بنيانه كله بالحجر المنحوت من مقطع الحجر الذي قرب المهدية وقدر الحجارة المبني بها من سبعة اشبار الى ما دون ذلك في وسطه رحبة متسعة وفي وسط الرحبة بئر وفيها ست طبقات دواميس وعليها الادراج كلها والدواميس الاولى تنفتح عن خمسة عشر شبرا عرضا وعليها دربوز دائر بالقصر المذكور وبه ضوء كثير لكثرة ما به من الطاقات وفي الدور الثالث من الدوامس المذكورة درج للطلوع الى ما فوق ودرج للنزول الى ما تحتها وفي الدور الثالث دربوز ايضا وفي الرابع

درج اخرى للطلوع والنزول وفي الدور الخامس دربوز ايضا وفي السادس
 درج ايضا للطلوع والنزول كما في ما قبله والدربوز الاول فيه ثلاثة ادوار
 دواميس ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وفي الثاني اقل مما تحته وعلم
 جرا الى التمام والدرج التي به كل درجة مساحتها ثلاثة اشبار طولا وعرضا
 إلا ان العرض اقل يسير وله بابان للدخول فيه والخروج منه . وفي زماننا
 هذا انهدم منه بعض النواحي وكان غالبها عن اذن محمد باي ابن مراد باي
 لما كان يلجا اليه ارباب الفساد من العربان وما مر احد بتلك النواحي إلا
 انتهبوه فامر لاجل ذلك بثلمه وبعضه اخنى عليه القدم وكساه حليته الهرم
 وفي الجهة القبليّة منه بعض انصداع وخشوع وايماء للركوع وسبحان سن
 تنزه عن الاخرية والفرجة التي انهدمت منه عرضها في مقدار ستة وثلاثين
 شبرا عرضا وفرجة اخرى من ناحية الجبل اقل من الاولى ورفعت تلك
 الاحجار من محالها وكان من جملتها الحجر المكتوب فيه تاريخ البناء الاول
 والحامل على ابتكار الجم على ما حدث به القسيس المذكور قال كان ملوك
 النصارى ومعظم توابعهم يجتمعون في الادوار المذكورة ويخرجون الاسود
 والتمور وغرائب الحيوانات تصدر منهم عجائب المواخذة والاقتراس السبعي
 بحيث يتمتعون بالنظر وهم في امان من تعديهم عليهم ويجتمع خارج التصر
 من ارباب الملاهي والصنائع الغريبة وانواع المصارعة والمسابقة والرمي
 ويحصل لهم بذلك الحظ الوافر وذلك دابهم . ومن البلدان المشهورة صفاقس
 قال التجاني دخلتها فرايت مدينة حاضرة ذات سورين يمشي الراكب
 بينهما ويضرب البحر في الخارج منهما وكان بها قبل غابة زيتون ملاصقة
 لسورها فافسدتها العرب فليس بخارجها الان شجرة قائمة وفواكهها مجلوبة
 من قابس وماوها شراب لا يستساغ وانما يعتمدون في شرابهم على ما يدخرونه
 من مياه الامطار ويصطاد بها من السمك انواع تقوت الاحصاء وببحرها
 يوجد صوف البحر الذي يعمل منه الثياب الرفيعة الملوكية وربما وجد في
 بحرها صدف يشتدل على لولو صغير الحب ومرساها موسى حسنة ميتة الماء

والماء يمد بها ويجزر عنها كل يوم فاذا جزر استوث السفن على الحماة واذا
مد عامت وفي هذا المد والجزر يقول بعض المجيدين من شعرائها وهو علي
ابن حبيب التنوخي وسياقي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى -

سقى لارض صفاقس ذات المصانع والمصلى
يحمي القصير الى الخليل مج بقصرها السامي المعلى
بلد يكاد يقول حبيب ن تزوره اهلا وسهلا
وكانه والبحر يجـ زر قارة عنه ويمسلا
صب يريد زيادة فاذا راى الرقباء ولي

واين هذا من قول ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابي تميم المعز بن
سليمان يذمها ويخيل ان هذا الجزر هروب من البحر عنها لقبها وقد كان
ولي اشرافها سنة خمس وستين وستمائة -

صفاقس لا صفى عيش لساكنها ولا سقى ارضها غيث اذا انسكبا
ناهيك من بلدة سن حل ساحتها عانى بها العاديين الروم والعربا
كم ظل في البر مسلوبا بضاعتهم وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
وليتها فتولتى الهموم وقصد لقيت من سفري في ارضها نصبا
قد عاين البحر قبحا في جوانبها فكلما هم ان يدنو لها هربا
قال في عقد الجمان في باب السين ما نصه : صفاقس بفتح السين والفاء
وبعد الالف قافى مضمومة وفي آخرها سين مهملة ذكرها الرشاطي في
باب السين المهملة وذكرها غيره في باب الصاد وهي مدينة شرقي المهدية
مائلة الى الجنوب وهي صغيرة ولها سور وءابار يشربون منها ولها بساتين
يسيرة وهي في مستوى من الارض والجبل جنوبيها بينها وبين قلصمة مرحلتان
ويسمى ذلك الجبل جبل السبع . قال الذرعي وصفاقس حصن مسور في
ارض قفراء جذبة يابسة بيضاء لا نبات فيها وقبالتهم في البحر جزيرة
قريبة فيها رياضهم واشجارهم وثمارهم ونخيلهم يقطعون اليها بالصنادل في
بحر قصير لا تجري به السفن الكبار وذلك من الاسباب التي منع الله بها

صفاقس وجربة من النصارى دمرهم الله . وبها جامع حسن ذكر البيدي في اخبار الشيخ ابي اسحاق الجبناي رحمه الله تعالى ان علي بن سالم جد الشيخ ابي اسحاق هو الذي بناء وكان سكنون اولاه قضاء صفاقس وهو ولده من الرضاة ارضعته زوجته ام محمد بن سكنون مع محمد قال وهو الذي بنى ايضا سور صفاقس بالطوب وبني المحرس المعروف في القديم بهرس علي وعرف بعد بالمحرس الجديد . قال التجاني وقد شاع في الناس تسمية صفاقس بلعنة الله وبلغ الامر في ذلك الى ان بعض الملوك قال لبعض من راجعه الكلام اذهب الى لعنة الله فاخذ في الارتحال الى صفاقس وكانت ولاتها في القديم تتردد عليها من قبل صنهاجة الى ان ولي المعز بن باديس عليها منصور البرغواطي وكان من الفرسان المعروفين بالاقدام فاراد ان يثور بها واخذ في مخالفة العرب فعاجله ابن عمه حمو ابن مليل وقتله غدرا في الحمام وذلك سنة احدى وخمسين واربعمئة ولما قتله وصل خلفاء منصور من العرب فحاصروا حمو بصفاقس فبعث اليهم يسالهم هل قصدتم الاخذ بشار ابن عمه منه او المال فقالوا نحن لا ندخل بينكم في الدماء وانما غرضنا الاموال فالتزم لهم بالمال ما رضوا به وعجل لهم ما تيسر وانفصلوا وكان حمو بصفاقس واظهر العناد على بني مناد ومات المعز ابن باديس سنة اربع وخمسين وولي تميم ولده فطمع حمو في تمام الاستبداد والغلب على غير صفاقس من البلاد فخالف جماعة من العرب عديا ولائخ وسن ضامهم وزحف بهم وبمن معه من رجاله الى بعض القرى فملكها واستحوذ عليها ثم نهض الى المهدية يريد حصرها فنهض تميم للقائه فولت فئة حمو ادبارها واسرعت فرارها ورجع الى صفاقس ودام امر حمو بصفاقس زمانا ثم وجه تميم ابنه يحيى لمحاصرته فحاصره اياما ثم رجع عنها . ويقال ان يحيى احب الابقاء على حمو فلم يبالغ في حصاره وكان حمو يقول ان هذا لعجب بالاس اخلص يحيى من القتل يشير الى حكاية ذكرها ابو الصلت وغيره من المورخين قال كان فلان التركي هاجر من المشرق الى تميم في جماعة

في جماعة من أصحابه فأكرمهم وتميم ورتب له جراية فلم ترضه وبلغه
عن تميم ما أوحشه وكان داهية ذا مكر وخبت فخرج يوما في جماعة مع
يحيى بن تميم يتصيد فلما أبعثوا عن المدينة قبض التركي على يحيى وعلى
جماعته وتوجه به هاربا فافلت رجل من حضر فوصل يركض الى تميم
فاعلمه فاستعظم ذلك تميم وانفذ الخيل تطلبه فبات ولجأ الى صفاقس
فاكرمهم حمو بن مليل وبالغ في امر يحيى وحبسه عنده ثم خاف ان يولييه
اهل صفاقس عليهم فاحب اخراجه من البلد فكتب الى ابيه يعرفه انه
ان بعث اموال الترك الهاربين واهلهم وجه اليه ابنه يحيى ففعل تميم
ذلك ووجه اليه ابنه يحيى فلما وصل يحيى الى تميم رده لحصار صفاقس
كما ذكرنا فرجع عنها ولم يفتحها . فلما كان سنة ثلاث وتسعين توجه اليها
تميم بنفسه فافتحها وفر حمو منها فاستجار بمكن بن كامل الرياحي بقابس
وكان لحمو بن مليل ايام ملكه لصفاقس كاتب يعرف بمظفر بن علي مشهور
بالبلاغة وحسن الكتابة وكان يكتب عن حمو الى تميم ما يغيظه ويبالغ منه
كل مبلغ فلما فر حمو الى قابس لم يشعر تميم الا ومظفر قائم بين يديه
يطلب العفو فعفا عنه تميم على شدة حقه عليه . قال ابو الصلت ومثل
هذا الذنب لا تغتفره الملوك بل يجاوز فيه الشريب الى التعذيب ويتعدى
العقاب الى ضرب الرقاب . وذكر ابو الصلت جملة مما تمثل به مظفر
في الكتب عن مخدومه الى تميم قال امكنت حمو فرصة في طائفة من جند
تميم فقاتلهم بصفاقس وكتب مظفر في ذلك الى تميم متمثلا بقول ابي الطيب
فان كان اعجبكم عامكم فعودا الى مصر في القابل
فان الحسام الخنثى الذي قتلت به في يد القاتل

قال وتحدث مرة بالمهدية بموت حمو وبلغه ذلك فامر مظفرا ان يكتب
الى تميم في هذا المعنى فكتب اليه متمثلا بقول ابي الطيب ايضا -

كم قد دفنت وكم اقبرت عندكم ثم انشفت فزال القبر والكفن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وكتب اليه تميم يوعده ويهدده وتمثل فيه بقول الشاعر -
 ستعلم ليلي اي دين تداننت واي غريم للتقاضي غريمها
 فراجعه عنه مظفر متمثلا بقول قيس بن الذريح -
 ستعلم ان شطت به غربته النوى وزالوا بليلى ان ثقلك زائل
 وفي رواية ان مظفرا تمثل له في مراجعته عن هذا الكتب بقول جرير -
 زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا ابشر بطول سلامة يا مربع
 وكتب اليه في اثر وقيعته كانت له عليه كتاب ايناس والطاف فراجعه
 متمثلا بقول عبد الله بن محمد العطار -

لا تظنن امسرا اغضبته سبب ثم انتضى ذاك السبب
 سالم الصدر من الحقد ولو اظهر الود ولم يبد الغضب
 كرماد النار يبقى حرها كامنسا فيه وان زال اللهب
 ولما افتتح تميم صفاقس كانت ولاتها تتردد من قبله الى ان توفي سنة
 احدى وخسمائة وولي ابنه يحيى فولى عليها ابنه ابا التتوح فقام عليه
 اهلها ونهبوا قصره وارادوا قتله فغضب يحيى لذلك واخذ في تفريق كلبه
 اهل صفاقس وتشتيت شملهم ولم يزل يولي عليهم البوس ويملا منهم الحبوس
 الى ان شفى نفسه منهم ثم عثا عنهم بعد ذلك وفي الواقعة يقول ابو الصلت
 يذكرها ويشكر ليحيى عفو عنهم من قصيدة طويالة -

ورب اناس اججوا نار فتنة يجنبها الاتقى ويصلى بها الاشقى
 وجر عليهم جهلهم حلم مسالك يرق ويحنو كلما ملك الرقى
 ولو شاء روى السيف منهم فطالما نضاه فسقاءه من الدم ما استسقى
 ولكن دعاه الحلم والفضل والحجى الى ان يكون الاحلم الاكرم الاتقى
 سحبة يجبول السجايا على الهدى اذا غضب استانى وان ملك استبقى
 واول هذه القصيدة -

قضى الله ان تقنى عدالك وان تبقي وتخلد حتى تملك الغرب والشرقا
 قال ابو الصلت انشدت يحيى هذه القصيدة وخاصته بين يديه وعبد
 العزيز

العزیز بن عمار فی الجملة وكان فی هذه الصناعة ابصر الجماعة فقال له یحیی کیف ترى ما سمعت فقال حسن الحوك محكم السرد فقال اتعرف قائله قال لا قال هو ذلك الجالس یشیر الی فعلاه فتور ونفور عن الاستماع بحسب ما یعرض من العوام الرعاع عندما ینشدون لمن جمعهم وایاه مكان وزمان وان كان فی اول جريرة ذوی الاحسان وانما عنوا بامتداح القديم وتعظیم العظم الرميم وسبب ذلك الحسد فكثيرا ما یعيد الصواب محالا والقوام اصوجاجا والعذب ملحا اجاجا . ثم ولی یحیی علی صفاقس ابنه عليا وهو ولی عهده فلما كانت سنة تسع وخمسمائة توفي یحیی وعلي بصفاقس فوصل واستبد بالملك وكان یبعث الولا لصفاقس الى ان توفي وولي ابنه الحسن ف وقعت الوحشة بينه وبين روجار فوجه روجار اساطيله لحصار المهدية وكان من تغلبه طليها وخروج الحسن منها ما یاتي ذكره مستوفيا بعد هذا ان شاء الله تعالى . فلما تلك المهدية واستقر عامله بها وذلك فی سنة ثلاث واربعين انفذ منها اسطولا لمدينة صفاقس فملكها وامن اهلها وقد اسكن بها جماعة من النصارى الذين افتتحها بهم وحصل منها رهائن منهم شیخ البلد وصالحه ابو الحسن الفرياني وبقي ولده عمر بن ابي الحسن متصرفا فی اعمال البلد وكان ذا اقدام وشهامة ولما ودعه ابوه قال له - يا بني اني قد كبرت واشرفت علی الموت وقد صدقت نفسي علی المسلمين فان امكنتك الفرصة فی هولاء النصارى الذين عندك فاغتنمها ودعني اقتل . فلما كانت سنة احدى وخمسين وخمسمائة امثل ابو علي وصية ابيه وثار علی سن بصفاقس من النصارى فقتلوا قتلا ذريعا فبلغ ذلك طاغية صقلية غلیم بن روجار فقيد الشيخ ابا الحسن وسجنه وارسل الى ابنه عمر یهدده بقتل ابيه ان لم يرجع الى الطاعة . قال الرسول - فوصلت الى صفاقس فلم امکن من النزول الى البر ولما كان من الغد سمعت فی البلد ضججة ثم فتح باب البحر وخرج الناس یكبرون ویهللون ومعهم نعش قد رفعوه علی رؤوسهم فحطوه ثم تقدم عمر فصلی بهم ودفنوه وعزاه الناس وانفصلوا - قال - فاستدعيت الجواب فقيل لي

ان الشيخ مشغول بالعزاء في والده الذي بصتلية والنعش الذي رايت نعشه
وقد عزم على موته والسلو عنه ولا لك جواب إلا ما رايت . فلما بلغ ذلك
طاغية صتلية امر بالشيخ ابي الحسن فسحب الى المشنقة بوادي عباس
فشق وهو يتلو كلام الله الى ان فاضت نفسه رحمه الله تعالى وكان انتقاض
صفاقس على النصارى سببا في انتقاض سائر بلاد السواحل وزوالها من ايديهم .
واقام عمر يدبر امر البلد الى ان نزل الخليفة عبد المومن بن علي الى افريقية
لحصار المهدية فوصل اليها عمر المذكور مع جماعة من اشياخ صفاقس فاذعنوا
له بالطاعة وعين لهم عبد المومن حافظا من الموحدين وامر عمر بالرجوع
الى بلدة وان تكون الاشغال المخزنية فتصرف على يده . فاقام على ذلك
الى ان توفي وخلفه في ذلك ولده عبد الرحمن بن عمر وقام مقامه فوصل
الميورقي الى صفاقس واستولى عليها فرغب اليه عبد الرحمن ان يسرحه الى
الجبل فارتحل باهله ولم يعد وبقي بعض ولده بصفاقس وذريتهم بها ومنهم
من له شعر وسياتي ذكر ما امكن منهم ان شاء الله تعالى . ومن ذكر ابن
رشيق في الانموذج من شعراء صفاقس علي بن حبيب التنوخي قال موطنه
صفاقس وبها نشأ وهو شاعر عذب اللفظ لطيف المعنى سهل الطريقة قليل
الشك رحل الى المشرق ولقي جماعة من رؤساء العرب فخطب عندهم واقام
بمدينة لك هذه الى ان تشاجرت القبائل على يديه ونجا بشعرة من شر عظيم
قال وانشدني لنفسه في غلام جاء في طلبه الى الحضرة بعد ان امتحن عليه -

يامعطشي من صذب مورده برد غليل جوانحي العطشى

انرى الذي ارجو افوز به منكم فقد كان الذي اخشى

ولقد شخصت اليك من بلد قد اظلمت ارجاؤه وحشا

وتنكرت للعين بهجته منذ ارتحلت كاني اعشى

والله ما من ساعة تبرت إلا علي لذكركم يغشى

قال ومن جيد كلامه قوله من قصيدة -

يا ليالي في ذرى ابن حسين هل معاد قبل الممات اليها

قد نشرنا

قد نشرنا صحائف الحزن نشرنا وطوينا العزاء بعدك طيا
واطلنا البكا عليك واني لعليم ان ليس يرجع شيا
فالى الله من فراق رماني عنك بعد الدنو مرمى قصيا
ولكم قد حذرت منه ولكن كان امرا متقدرا مقتضيا
قال وفوق النهاية من شعرة قوله في الوعظ والزهد —

للمرء في ايامهم واعظ لو فكر المغرور في امسهم
كم من قرير العين في غبطة اعراة صرف الدهر عن لبسهم
ففارق الاحباب عن كرههم واستبدل الوحشة من انسهم
يا رب غفرانك يرجو الذي اسرف في الدنيا على نفسه
وننهم مطر بن نعيم الفزاري قال ابن رشيق موطنهم صفاقس وهو شاعر
حسن الطريقة في الشعر وانشد له —

يا من عذيري من شوقي وتسهيدي ومن معني على نوحى وتعيدي
تطاول الليل وامتدت غرائبهم وصبح لي ورد عين غير مورودي
لا اطمع الغمض إلا ان يطيف به طيف ويذهب مقتودا به مقتودي
قال هذا من حر الكلام ونفيسه وفي هذه القصيدة يقول —
وما استقرت على بحر الهوى سفن شطت بهم عن كئيب القلب معمود
استودع الله سن ولى واودعني شوقا اليه جديدا غير مجدود
قال قوله جديدا غير مجدود من غريب الشعر والمجدود هنا المحظوظ واو
جعلته من الجمد الذي هو القطع كانه قال غير مقطوع لكان جيذا والاو
اشهر . ومن علماء صفاقس وشعرائها ولم يذكره ابن رشيق في لانهودج وهو
من المعاصرين له ابو عمرو غسان بن ابي بكر بن حمودة الصدي المعروف
بابن الضابط الامام المحدث الشاعر له رحلة الى المشرق واخذ فيها عن
جماعة يطول تعدادهم منهم الحافظ ابو نعيم صاحب باصبيهان وكتب عنه
كثيرا ذكر انه كتب عنه بخطه مائة الف حديث وكان يقول لم ار مثل
ابي نعيم علما وعملا ثم توجه الى الاندلس سنة ست وثلاثين واربع مائة

فاقرا بها واخذ منه علموها واثنوا عليه وعاد منها الى القيروان فوجهه صاحبها الصنهاجي رسولا الى القسطنطينية فمات في طريقه اما واردا او صادرا وذلك بعد سنة اربع واربعين ذكراه ابو عمر بن الحراء في تسمية رجاله الذين التقى بهم فقال قدم علينا بطليطلة وسنه نحو الخمسين وكانت له رواية واسعة ومع كنب كثيرة قد رواها بالعراق والشام والجزيرة وعصر وتحول عندنا بالاندلس نحو عشرين ثم انصرف الى القيروان وكان لي صديقا وتكررت كتبه الي من القيروان الى ان ارسله الصنهاجي الى القسطنطينية فبلغتنا وفاته وذكره الحميدي ايضا فقال كان حافظا عاقلا قرأت عليه كثيرا وكتبت منه وانشدني —

اذا ما عدوك يوما سما الى حاجة لم تطق نقضها
فقبل ولا تانفن كفه اذا انت لم تستطع عضها
وذكره ابو القاسم بن بشكوال في الصلة واثني عليه واخبر عنه انه قال بعث
الي شعراء القيروان حين مقامي بها منهم ابن رشيق وابن شرف وابن هجاج
والعطار يسالوني ان ارسل اليهم بشعري فقلت للرسول انه في مسوداته
فقال احمله كما هو فاخذته وكتبت عليه ارتجالا ثم بعثت به —
خطبت بناتي فارسلتهن اليك عواطل من كل زينته
لتعلم اني ممن يجود بمحض الوداد وليس ضنينه
قال فاجابوني عن بطء بيذه الابيات —

انتنما بناتك يرفلسن في ثياب من الوشي يفتن زينته
فلما سفرن فضحن الشمسوس وسرب الطبسا واخجلن عينه
ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه
اي بابل نحن ام في العراق وفوق البسيطة ام في سفينه
فدعني اراقب ضوء الجميع لتسمع من كل مدح عيونه
وابو عمرو هذا اول من ادخل الى الاندلس كتاب غريب الحديث المخطاطي
وامه جزء تضمن عوالي كتبها لابي محمد عبد الرحمن بن عتاب تعرف بعوالي
الصفاقسي

الصفاقسي . وبحسن صفاقس قبر الامام ابي الحسن علي بن محمد الريعي المعروف بالسخمي وهو فقيه فاضل دين متقن ذو حظ من الادب والحديث حسن الخلق قيرواني نزل صفاقس وتفقّه بآبن محرز وآبي اسحاق التونسي والسيوري وغيرهم وتشتت به جماعة منهم الامام ابو عبد الله المازري وابو الفضل النخعي والكلاعي وابو علي وعبد الحميد الصفاقسي وله تأليف حسنة مفيدة من احسنها تعليق على المدونة مفيد سماه التبصرة حاز رئاسة افريقية جملة وبعد صيته بها توفي سنة ثمان وسبعين واربعمائة رحمه الله ونفعنا به آمين . ومن منازل صفاقس الراجعة الى عملها المحتوية على سن يذكر من الفضلاء جنيانة التي منها الشيخ الصالح العالم ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي بن سالم وكان جده علي بن سالم قاضيها بصفاقس فلما مات تولى ابنه احمد خارج افريقية في ايام بني الاغلب فتورط معهم وكان من اهل الادب والفهم ثم ارتقت حاله معهم الى ان كان مشاورا ووزيرا وكان اذا مشى مشى في عسكرة وبين يديه ومن خلفه النجائب كما كان الوزراء يمشون اذ ذاك وكان له بصفاقس نيف واربعون دارا وربي الشيخ ابو اسحاق رحمه الله في مثل هذا الحال . قال التجاني اخبرني بذلك سن رءاه وهو صبي وقد وكل بحفظه خمسة عشر صقليا يحفون به اذا مشى ثم ترك ذلك لله لما ناهز الحلم ولبس عباءة وفر عن والده والدة ثم على تلك الحالة التي كانا عليها مع بني الاغلب . وكان ابو اسحاق يتطوف على سن بالساحل من العلماء والصالحين فاذا علم ان اباه طلبه اخفى نفسه الى ان اختلفت الدولة وطلب ابوه في سن طلب واخذت املاكه ومنزله وربوعه وامن في نفسه لزم الخير وقراءة العلم والقرءان ثم توجه الى الحج فحج ومات رحمه الله . واشتهر ابو اسحاق بالعلم والعبادة ولزم سكنى جنيانة الى ان توفي بها رحمه الله وكانت وفاته في التاسع عشر المحرم من سنة تسع وستين وثلاثمائة ودفن بشريقي جنيانة . قال التجاني وررت قبرة ودعوت عنده واخبارة رحمه الله مولفة مشهورة وولده ابو الطاهر كان صالحا

فاصلا وكان لابي الطاهر ولد يسمى عبد الله اديب شاعر ظريف ذكره ابن رشيقي في الانموذج واخبر ان صفاقس موطنه وان بها منشاءه قال وكانت له نباهة ونظافة في جميع احواله مع نزاهة نفس وبعد همة قال واجتمعت به في صفاقس فكنت اقطع الغربية بقربه ثم انفصلت الى المحضرة فلم يكن إلا قليل حتى اجتاز علينا متوجها الى الاندلس فسألته عن سبب ذلك فاخبرني ان عليه ديننا ثقيلًا قد استغرق ذمته وانشدني لنفسه وهو يتمايل وكان متعلق النفس بجارية له ام ولد تركها بموضع —

ساصرب في بلاد الله برا وبحرا بالسفائن والركاب
الى ان تنكر الاحباب مني ثواري بالمغرب واغترابي
لا كسب ثروة وافيد مالا وابلي عذر نفسي في الطلاب
فان نلت المراد فذاك حسبي وان احرم فاني ذو احتساب
وما فارقت اخواني واهلي وسن احببت إلا عن غلاب
قال وارتحل فاتصل بالحاجب الموفق مجاهد بن عبد الله فاكرمه وعظمه
وادناه وقربه وكشف عنه فوجد فضلا وجلالة فاستمسك به وحسده على
مكانه منه فوجد في منزله مذبوحا وسكين الاقلام بين يديه مغالطة كانه
فعل ذلك بنفسه وبقيته الروح فيه فسأله سن به فاشار الى فقيه الموضع
وكان الفقيه المذكور كثير الملازمة له وهلك من ساعته فقال الفقيه انما
اشار الي بالوصية فقيد وسجن الى ان جاء ولي الدم فطلبه فلم يتوجه
له عليه حق فاطلقه وكانت وفاة عبد الله سنة خمس عشرة واربعمائة .
ومن منازل صفاقس ايضا قرية ليدي كذا تحققتها وسمها الرشاطي لبيدة
ينسب اليها الفقيه الصالح ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي
الليدي . قال ابن شرف في صلته لتاريخ الرقيق كان بقية اهل العلم
وله تصانيف في النظم وبها الفتيا وذكر الرشاطي ان كتابه المسمى بالشرح
والتفصيل لمائل المدونة كتاب كبير قال وتوفي قريبا من سنة ثلاثين
واربعمائة وابن شرف قد نص في تاريخه على ان وفاته كانت سنة

اربعين وهو المؤلف لآخبار الشيخ ابي اسحاق الجبني التي نقل التجاني منها ما تقدم وانشد لنفسه في كتابه المذكور شعرا ضعيفا وولده ابو بكر ابن عبد الرحمن كانت له رئاسة وسعة حال وكان من اهل الادب والفهم وله شعر حسن اخبر عنه ابن شرف في تاريخه . ومن شعراء صفاقس ايضا ثم من الفريانيين روائها عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الفرياني مولده بمالقة من بلاد الاندلس وابوه هو المشتل اليها من صفاقس له رحلة ابعد النجعة فيها شرقا وغربا . قال التجاني اخبرنا عنه صاحبنا ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموي الناجوري وقد رآه وجالسه بطرابلس كثيرا وسمع منه بعض شعرة وكان هجاء ومن شعرة حين ولي السعيد مراکش وكان السعيد اسد اللون —

كان الخلائف قبل في مراکش صورا من الكافور يعجب خالصه
فاتي علي بعدهم ختما لهم كالمسك لونا ليس فيه خصائصه
وله في مثل ذلك —

اسفنا على مراکش وولاتها لم يبق لالايم فيها رونق
كانوا حماما فالليالي لم تدع في دارهم الا غرابا ينسحق
والم ابن الابار في التحفة بذكر جماعة من هجاء الشعراء فذكر اولهم ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني وكان باشبيلية ناظرا في المواريث لابي سليمان داود وانشد له بيتين في هجاء ابن زهر وهو غير الذي ذكرنا وان توافقا في الاسم واسم الاب والنسب والصفة لبعدهما بينهما في الزمن فان مولد الفرياني الذي ذكرناه سنة تسع وستمائة ولعله سنة وفاته . وبقریب منها طينة قال التجاني بكسر الطاء وفتح النون وبعدها نقطة بفتح النون وتشديد القاف وهما قصران ويقال ان جماعة من اصحاب معروف الكرخي رحمه الله رابطوا بقصر نقطة هذا وماتوا به فقبروهم هنالك وبعدهما المحرس وهو قصر قديم البناء سام للسماء ينسب بناؤه لابن الاغلب والى هذا الحسن يا حبا جميع اهل تلك القصور اذا وصل اليهم عدو او اضطروا

الى قتال . ويقال ان الميورقي اجتاز عليهم واراد محاصرته ففتح اهلهم باب
الحصن ووقفوا دونه يقاتلون فعلم انه لا مطمع له فيهم فتجاوزوه الى غيره
وام يتعرض له واهله قوم من هواره كانوا ساكنين قبل هذا بالتصور المعروفة
بتصور بني خيار فاجابهم العرب منها فانقلوا الى هذا الحصن وكان مسجدا
خاليا للعبادة والرباط فابتنوا ديارا الى جنانهم وجعلوا على الجميع سورا .
وقصور بني خيار قال الشجاني مريت بها سنة ست وسبعمائة وهي خالية
خربة في جبال مسالمة من شرقي طرابلس . وبعد المحرس في اول المرحلة
المورد المسمى بصعيب وهم يكرهون هذا الاسم فيكونون بابي سهل . وفي
منتهى اخر مرحلة طويلة منه قصور المباركة وهي كلها عامرة قال الشجاني
واهلها موصوفون بالبخل وهي متهى ارض بني عوف وبعدها ارض بني دباب
ابن ربيعة بن زغب بن جرو بن مالك بن خفاف بن امرء القيس بن
بهية بن سليم بن منصور قال الشجاني كذا ثلثينا هذا النسب من علماء
الاعراب المعروفين بحفظ الانساب وكذا ذكره الرشاطي في كتابه وهذه الارض
لطائفة من الدبابيين يعرفون بالنوايل ينسبون الى نايل بن عامر بن جابر
ابن فائد بالفاء ابن رافع بن دباب وهم اخوة لبني وشاح بن عامر وبني
سنان بن عامر وبعدها قصر وذرف قصر متسع وحوله فخيالات وعيون ماء
جارية وفي هذا الموضع يقول ابو عبد الله محمد بن محمد المزدوري الهنتائي
ايام اضطره الحال الى الخروج من تونس والسكنى بتلك الجهات على ما
رواه عن الشجاني في رحلته قال انشدني --

هذي عيون وذرف دح العيون تذرف

بذلت من ارضي بها واسفي واسفي

ومنها بيسير تظهر قابس قال ابن الشباط بينها وبين القيروان اربع
مراحل وقابس مدينة عظيمة على البحر المالح عامرة كثيرة الاشجار والعيون
المجارية واهلها اخلاط من العرب والعجم والبربر ينسب اليها جماعة من
العلماء منهم ابو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي الفقيه المالكي الزاهد
المشهور

المشهور كان قبل سنة اربع مائة كذا نقله من اختصار اقتباس الانوار . وقال
البكري رحمه الله مدينة قابس مدينة جليلية مسورة بالصخر الجليل من
بنيان الاول ذات حصن حصين وارباع واسواق وفنادق وجامع وحمائم
كثيرة وقد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون
امنع شيء ولها ثلاثة ابواب ثم زيد لها باب رابع وشرقيها وقبليها ارباعها
ويسكنها العرب والافارق وفيها جميع الثمار واللوز بها كثير وتتميز على
القيروان بكثرة الفواكه وبها الثوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة من
الحريز ما لا يقوم من خمس شجرات من غيرها وحريزها اطيب الحريز وارقه
والصلب بسنتين ثمارها مقدار اربعة اميال ومياهها سائجة مطردة يسقى بها
جميع اشجارها واصل هذا الماء من عين خراقة في جبل بين القبلة والمغرب
منها يصب في بحرهما وقصب السكر كثير بها . وبين ساحل قابس والبحر
ثلاثة اميال قال ابن الشباط وانشدني والدي ابقى الله بركته علي وجعل
رحمته نورا يسعى بين يدي هذه الابيات ولم يسم قائلها --

لئن كان من قبل التفرق مذهبي سوى ما عليه الاشعريون أصفة -- وا
بان المسمى غير الاسم فها انما اقول سواك حين جد التفرق
الم تر اني كلما قلت قابس صبا قيس من جانب القلب يحرق
وان قلت ان الشمل منها ممزق فان فوادي عند ذلك يمس -- زق
قال ابن الشباط ناقلا عن مختصر الطبري ان معاوية بن ابي سفيان عزل
معاوية بن حديج عن مصر سنة خمسين وولى مسلمة ابن مخلد مصر
وافريقية وجمع له ولاية طرابلس وباب قابس وهو اول من جمع له
المغرب وام يزل واليا حتى هلك معاوية بن ابي سفيان رحمه الله . قال
ابن الشباط قوله باب قابس يريد والله اعلم انه ولاية قابس واعمالها فانها
الباب الذي يسلك منه من رام المسير من المغرب الى المشرق او من
المشرق الى المغرب ليس له سلوك الا منها ولا عبور الا عليها فكانت كالباب
الذي يدخل منه الى مكان ويخرج لآخر قال وهذا يؤذن انها افتتحت

قبل ذلك وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما أرسله سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة سبع وعشرين ومرو على طرابلس واخذ منها مغنما كثيرا عظيما وكان معه عشرون الفا سار الى قابس فحاصرها فاشار عليه اصحابه بتركها وتأخير امرها فسار وبث السرايا حتى وصل الى افريقية وكان ملكها وطاغيتها يقال له جرجير فكان بين عبد الله وبينه مراسلة وخيرة فيما بين الاسلام والجزيرة فاعتنع من الاسلام وقال لو سالتوني درهما واحدا ما اعطيته فعزم عبد الله على قتاله فلما رأى ذلك جرجير اشتد رعبه وارسل ديدبانا من خشب فصعد بحيث ينظره العسكر وامر بنشر السلاح وامر ابنته فصعدت الديدبان مع خدمها وكانوا خمسين خادما عليهن الحلي الرفيع والجوهر النفيس واسفرت ابنة جرجير عن وجهها واقسم ابوها بدينه لاهل عسكرة لا يقتل احد منهم ابن ابي سرح الا زوجها اياه ويبلغه عنده من المنزلة ما لا يبلغه احد من قومه فما زال حتى انتهوا الى عسكر عبد الله وبلغه فقال عبد الله والذي جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل احد منكم جرجيرا الا نفلته ابنته وخدمها ثم حمل بمن معه من المسلمين والتحمت الحرب وكان المسلمون في عشرين الفا والمشركون في مائة الف وعشرين الفا فضاق بالمسلمين امرهم واختلجوا على عبد الله بن ابي سرح في الرأي فدخل فسطاطه ليخبره برأيه ويفكر في امره قال عبد الله ابن الزبير فرايت من جرجير غرة والناس في مصافهم وذلك اني رايتهم على بردون خلف اصحابه منتظعا ومعه جاريثان تظللانه بريش الطواويس من الشمس فاتيت فسطاط عبد الله فاعلمته فخرج فرأى ما رايت فقتل ايها الناس انتدبوا مع ابن الزبير قتال عبد الله فانتدبت الي طائفة وقلت احموا ظهري وانا اكفيكم امره ثم تسارع الى جرجير فهرب منه فادركه عبد الله وقتله وحمل المسلمون فقتلوا النصارى كيف شاءوا . اه من ابن الشباط . قتال التجاني دخلتها فرايت بلدا قد استوفى المحاسن واستغرقها . وادكر بمنظرة الانضر وورقه الاخضر جنة الخلد واستبرقها . وقد احدثت غابتهم

من جميع جهاتهم وبهذه الغابة من الطلع الباسق . والنخيل المتناسق . ما
يستوقف الطرف . ويستوفي الحسن والطرف . ويحق ما قيل ان قابس
جنة الدنيا وانها دمشق الصغرى وهي مدينة بحرية صحراوية فان الصحراء
متصلة بها والبحر على ثلاثة اميال منها فهي احق بقول ابن عيينة —
زر وادي القصر نعم القصر والوادي وحذا اهل من حاضر بسادي
تزدو قراقره والعيس واقفست والضب والنون والفلاح والحادي
وبقول الخليل بن احمد —

يا جنة فاقت الجنان فما لعلها قيمة ولا تُسمن
ظاهر حيتانها الضباب بها فهذه جنة وذا خمسن
من سفن كالنعام مقبلت ومن نعام كانتها سمن
ويقال انه لا يجتمع صيد البر وصيد البحر واصناف الثمر في مائدة إلا
في مائدة سن يسكن قابس وعلى قابس سور صخر جليل من بناء الاول ولها
ارباض واسعة وجل اسواقها في ارباضها وقد دار بسورها خندق متسع يجرون
الماء اليه اذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون امنع شيء لها ولها وادي
يسقي بساكنيها ومزارعها ويخترق في مواضع كثيرة من مواضع الغابة ودورها
وشوارعها واصل هذا الوادي من عين خراة في جبل بين القبلت والمغرب
منها واكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر وبذلك الجهة الساحة المعروفة
بساحة عنبر قال التجاني وانشدني الفقيه الكاتب البليغ ابو الفضل
مجد بن علي التجاني لنفسه يصف احدى عشاياه بتلك الجهة في تلك
الساحة وما افضبه بها من لانس والراحة —

اذكر عشيتنا بساحة عنبر والجو يتحفنا بنكهته عنبر
حيث النخيل عرائس نسج الحيا بسطا لها من اخضر او اصفر
والشمس تستحي فتستر وجهها عنا بستر للعروس محسب
والثور بين مقتضى ومذهب والثور بين مدرهم ومسدنر
والنهر وانعذر ارضه تحصنا اذ صفت الغابات صف معسكر

والبحر يرمقنا بمقاساة أزرق والبر يرمقنا بمقاساة أصفر
 في جنة لو نلت من خلد بها قصدي بلغت الى النعيم الأكبر
 ومحل انس قلت بين رياضه برياضة قادت لابهى منظر
 ملنا بمنعرج المصلى فحسوة حذر الرقيب وليلة لم تحذر
 وجري لنا فيه حديث كلم لطف حضرنا منه اطيب محضر
 فجري احاديث الصباقة والصبا بارق من مسرى الصبا المتطر
 وندير كاسات المحبة بيننا فنهيل منها بالحلال المسكر
 حتى اذا ولي العشي وآن ان فتمتاز عن نظر المـراد الانضر
 قمنا نجر من العناني سوابغا لـنا نغيرها بصبغة منكر
 واليوم قابس جنة الدنيا وفي قلبي لوشك اليبس حرقة مسعر
 ومن المكاره التي حفت به جنة قابس ما يتعدى اليها من الوباء وينال
 ساكنها من الامراض وسبب ذلك فيما بذكر اهلها كثرة شجر الدفلى بها
 فيكتسب الماء منه لدى جريه سمية ومرارة تضر بابدان ساكنها كثيرا
 ولذلك لا تجد وجوه كثير من اهلها الا مصفرة . وفي هذه البلدة ايضا فساد
 وتغير وسببهم كثرة غفواتها وايس في جميع مياهها ما يسلم من ذلك الا العين
 المعروفة بعين الامير والعين الاخرى المعروفة بعين سلام فان ماء هاتين يسلم
 من الفساد لعدم مروره على الدفلى والاولى منهما منسوبه للامير الاسدي
 المعروف بابن الصغير واما الثانية فالمشهور في اسمها عين سلام باللام المخففة
 وهي انما توجد في عقودهم القديمة عين سنام بالنون . ومما يذكر اهل
 قابس وهو من جنس الخرافات ما حكاه البكري عنهم ان مدينتهم كانت سالمة
 من الوباء الى ان احشروا فيها موضعاً تودعوا ان فيه سالاً فاستخرجوا منه
 توبه ذراعاً فحدث الوباء عندهم . وقد اشتهر عن اهل قابس ما اشتهر من
 بيع فضلتهم وهم يقولون بذلك ويدعون شدة احتياجهم اليه وان النخيل في
 بلادهم لا ينهر الا به . ومن رسالته لابي مطرف بن عميرة في وصف قابس
 وكان ولي قضاءها في اول مدة الخليفة المستنصر - بلد غوطي البساتين .
 طوري

طوري الزيتون والثلين . فاما النخل فجمع عظيم . وطلح عظيم . وسدك مابورة .
ونواعم في الخدور مقصورة . وان بقعته لوارفة الظل . آمنة الحرم والحل . جنة لو
نزع ما في صدور أهلها من الغل . وبالجملة فهو تام الغرابة . مدهام الغابة .
مستأثر بسيد من سادات الصحابة . ولا عيب بتربته إلا وخامة مائها . وحميات
قلما يعرى من عدوانها . وفي فصل من رسالة اخرى له يصف شدة الوباء بها
وكثرة عثارها - وهذه البلدة الان في ضلال من شرح الشباب . وظلال
من ثمرات الخيل والاعناب . فهي لا عيب فيها إلا هواء وخامته تخاف .
وماء غير من خالصه الماء المضاف . ولييوت المدينة دواجن سيمة الجوار .
سريعة الى القطان والزوار . كراها تنثيه . وسرعا تخشيه . وصاحبها لا يطمع
احد فيه . فتقبحت شائلة الاذنان . شاملة بالعذاب . كأمته بارزة .
هامزة لامزة . تطرق بالبلية . وتنقسم شرها بين البر والشاجر بالسوية .
قال دبت عندنا ليلة لمن كان يرمى ذبيبتها . ويحاول قبل ان تصيبه ان
يصيبها . فلو قعحت به لدغا في القدم . فلاقى اشد ألم . قال وبات وبنا
معه في ليلة اخي ذبيان . وجل الله مما اطول ما كانت وادول ما كان .
واشار ابو المطرف في الرسالة السابقة مستأثرا بسيد من سادات الصحابة
الى ما يذكره اهل قابس ان ابا لبابة الانصاري مدفون ببلدهم وقبره عندهم
مزار مشهور . - وبقابس ايضا مسجد ينسبون له اليه قسالة التجاني ولم ار
احدا من المورخين عد ابا لبابة ممن دخل افريقية من الصحابة فلعله
ان ثبت قبره هناك مما اغفل المورخون ذكره منهم . واسم ابي لبابة بشر
ابن عبد المنذر وهو ممن شهد العقبة وبدرا ويقال بل امرة النبي صلى الله
عليه وسلم على المدينة في غزوة بدر ولم يشهدها غير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرة ايضا على المدينة في غزوة السويق ومات في خلافة علي
رضوان الله عليه ولعل قدومه الى افريقية كان هجرانا لدار قومه بسبب
ذنبه الذي اذنبه فتاب الله عليه قال يا رسول الله ان من توبتي ان اعجز
دار قومي وان انخلع عن مالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك

من ذلك الثالث . واختل في ذنب أبي لبابة فقيل هو تخلشه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما غزا النبي صلى الله عليه وسلم ورجع ندم أبو لبابة فربط نفسه لسارية وقال والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى يتوب الله علي أو أموت فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بتوبته الله عليه فقال والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم فحمله بيده فقال يا رسول الله ان من توبتي ان أهجّر دار قومي - الحديث . وقيل بل ذنبه أشارته إلى حلفه لبني قريضة حلفائه بالشارة ان نزلتم على حكم سعد بن معاذ فنزلت فيه - يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أمانتكم - ثم تاب الله عليه والله اعلم .
وانشد أبو المحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة في كتابه الكبير الذي سماه منتهى السؤل في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي المظفر بن عبيدة وقد أنصرف من قبر أبي لبابة -

خبر الاحبة ما الذ مساقسه وجنى الطبيعة ما امر مذاقه
وهوى القلوب لها عليه شواهد سبقت بناطق حالها استطاقه
أي المنازل ان ذكرت عهدهما فتهيج من كلف بها اشواقه
يعتاده منها جوى بين الحشا والصدر رقرق دمه وراقه
ويبيت منها كالسليم وماله راق اذا مد الظلام رواقه
حمل الغرام وما استقل بحمله قبل النوى فالان كيف اطاقه
ورمت به الاقدار كل تنوفته لم تاله لجمالها اغراقه
قفرت تشاكينا الفراق لديه والاشهى لنا ان نستديم فراقه
وموارد حملت أجنته اجسن يلقى بها طعم النوى سن ذاقه
خفق الجوانح دونه ويرد سن افضى اليه مع الصدى اخفاقه
ما زلت اقطعها مهامه لم تزل بالصبر حتى خرقته اخلاقه
حتى وقفت وما افقت بمنزل كالظلم في صدري ارى احداقه

وقبست من شوقي لقابس جذوة شبت على قلب سواها شاقه
 من بلدة في العين اظلم جوعها مع انها ما انكرت اشراقه
 قد كان منظرها يروق بعين سن يشكو النوى لو ان شيئا راقه
 لكن بقبر ابي لبابة لي سوى ما من هوى للنفس إلا فاقه
 امل بنفسي لو ظفرت بتربسه فجعلت ائمه ناظري دقاقه
 وتمثل الثبر الكريم بمثلتي فدنوت منه والتزمت عناقه
 فوثاق ذنبي ارتجى لفكاكسه عن افك قول العالمين وثاقه
 صلى الاله على النبي محمد واناله بجواره استحقاقه
 وعلى صحابته وعترته السني لزمت رضاه واقننت اخلاقه
 وقضى لنا من بطنا في سيرنا يوم الجزاء على الصراط الحاقه
 وبشرقي قابس موضع يعرف بانارة كان به منار مرتفع يظهر للآقي من جهته
 المشرق قبل وصوله الى البلد بمسافة بعيدة وقد سقط الان فلم يبق له اثر .
 وذكر البكري ان الحداة يحدون عند قدومهم من مصر الى افريقية فيقولون :-
 لا نوم لا نوم ولا قرارا حتى ارى قابس والمنارا
 وفي وصف بطحاء قابس وهي في سرتها يقول ابو عبد الله محمد بن العطار
 القرطبي -

لهشي على طيب ليل خلت بجانب البطحاء من قابس
 كان قلبي عند تذكارهـــــــــــــــــ جذوة نار في يدي قابس
 وبداخل المدينة مسجدها الجامع وهو مسجد متسع له منار مرتفع قد مال
 وخرج عن الوزن إلا انه لصحة موضعه لا يخشى من وقوعه . وبمقربة
 من هذا الجامع قصبة قابس وبها المبنى المشتهر المعروف بالعروسيين الذي
 لا يرى مثله طرفا وحسنا وقد استولى الخراب على القصبة وعليه . والعروسيان
 من بناء بني جامع الهلاليين الذين كان لهم امر قابس فطوت ايدي التوحيد
 آثارهم ومحت أخبارهم . واهل قابس ينسبون بناء لرشيد بن مدافع بن
 جامع احد سن تملكها منهم وممدوح ابي محمد عبد الجبار بن حمديس

الصنابي بثصيدته التي يقول فيها —

افلا يحالني الرشاد ومديتي قصدت عزيزتها الامير رشيدا
قـال التجاني وقد وقفت في بعض ابواب القصر على أسطر كتبت نقشا في
الحجر نصها -- امر بعمل هذا الباب الامير رافع ابن امير الامراء مكن بن
كامل بن جامع في رجب سنة خمس مائة -- فان كان ما يذكره اهل قابس
من ان راشدا هو الذي ابتناه صحيحا فيكون هذا الباب خاصة هو الذي
امر ببنائه رافع بن مكن . وقال التجاني واخبرني بعض الطلبة من
اعلمها انه وقف لبعض المؤرخين على ان صنهاجة هم الذين ابتدوا ببنائه
وانتهوا به الى قدر ثلثيه فاتمه بنو جامع الهلاليون . وكانت ولاية قابس
ايام الشيعة مترددة في بني لقمان الكتاميين وفي بعض امرائهم يقول الشاعر --
لولا ابن لقمان حليف النداء سل على قابس سيف الردا

فلما ملكت الشيعة مصر وانقلبت الدولة الكتامية بافريقية صنهاجية
رجعت ولاية قابس في صنهاجة وعبيدهم فولينا في اول امرهم بنو عامر ثم
رئيسا ابراهيم بن يوسف بن زيري وهو اخو باديس ثم منصور بن فارس ثم
تراث بعد في اقوام من برغواطة ولاهم المعز بن باديس . فلما اجتازت العرب
الى افريقية بتدبير الوزير الباروني حسبما تقدم قبل هذا فتغلبوا على اكثر
البلاد والجموا المعز الى المهديّة كان والي قابس اذ ذاك المعز بن محمد بن ولوية
الصنهاجي وكان اخواه ابراهيم وقاضي قائددين للمعز بن باديس على جيوشه
فعزلهما لغرض عنّ له ففرا عنه مغاضبين ولحقا بمونس بن يحيى الهلالي
الصنبري امير رباح من الاعراب القادمين من مصر فاكرمهما وكساهما ثيابا
وصلت اليه من مصر وسر بتدومهما وانصرفا الى قابس فاجتمعا باخيهما فاتفقا
على قطع اسم المعز بن باديس من الخطبة وصرف الطاعة الى مونس بن
يحيى فكان ذلك اول تملك العرب بها ولحق المعز بن محمد بمونس فكان في
صحبه واقام ابراهيم واليا على قابس وهو في طاعة مونس الى ان توفي المعز
ابن باديس وولي بعده ابنه تميم . ثم مات ابراهيم بقابس فولي بعده اخوه

قاضي

قاضي وكان سبي السيرة فقتله اهل قابس وبعثوا الى عمر بن المعز بن باديس اخي تميم بن المعز وكان مخالفا عليه فامروه على انفسهم وذلك في سنة تسع وثمانين واربعمئة . فلما علم تميم بولاية اخيه تحرك الى قابس وجد في حصارها الى ان افنتكها وكان قبل ذلك متراخيا عنها فقيل له لم ذلك فقال لما كان فيها قاضي اخو ابراهيم كان بمنزلة عبد من عبيدي فكان زواله سهلا علي متى اردت واما الان ابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس صعب على النفوس . وفي فتحها يقول الشاعر -

ضحك الزمان وكان قدما عابسا لما فتحت بجند سيفك قابسا
اصدقت عذرتها نكاحا جائزا سمر القنا وبواترا وفوارسا
من كان بالبيض القواضب خاطبا حلت له بيض البلاد عرايسا

ثم خالفت قابس بعد ذلك على تميم ورجعت الى طاعة العرب واختلف عليها امرؤهم فوليتها منهم مكن بن كامل بن جامع وهو الذي اجار حمو بن مليل البرغواطى الشائر بصفاقس لما اخرجهم منها تميم ابن المعز وقد ذكرنا ذلك قبل هذا وبعده ابنه رافع بن مكن وهو الذي كتب اسمه في عروسيها كما تقدم . وتوفي تميم ورافع باق على ولاية قابس ثم ولي يحيى بن تميم فصالحه وداراه طول حياته . ثم توفي يحيى وولي بعده ابنه علي فانف من مصالحة رافع وكان راي يحيى يحتمل امورا لرافع لم يحتملها علي منها ان رافعا انشا بساحل قابس سفينة اعداها لما يعرض له في البحر من الامر فلم يفد يحيى انكارا لذلك بل اعانه عليها وامده بما يحتاج اليه فيها . فلما ولي علي انف عن ذلك وكره ان يقاومه احد من اهل افريقية في اجراء السفن في البحر فانفذ اسطولا الى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الاقلاع واخذها ان اقلعت . وعلم بذلك رافع فكتب لروجار صاحب صقلية يساله لاعانة علي ويخبره انه لما انشا تلك السفينة ما قصد بها إلا ان يبعثها هدية اليه . فبعث روجار الى قابس اسطولا ضخما لنصرة رافع . فلما بلغ ذلك عليا جمع رجال دولته واستشارهم في ذلك فكلهم اشار عليه باسترجاع اسطوله

والتناصر عن رافع في هذه المسألة حفظاً لما بينه وبين روجار من الصالحة .
 فزاد علي في ذلك وحنا عليه فامر ببقية اسطولهم فلخرج للحين ووجههم الى
 قابس فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم فغلبهم المسلمون وقتلوا منهم جماعة كبيرة .
 وكان ذلك من اشد الاسباب في الوحشة بين روجار وعلي وسياتي ان
 شاء الله طرف من تراجم هؤلاء عند استئلالهم بولاية افريقية متتبعا بالسنين
 المذكورا في الباب السادس عند ذكر الامراء الذين قبل ولاية آل عثمان .
 ولقد اوجب عارض هذه الحركة التي وقعت بين علي ورافع تغلب الروم
 على المهدية وانقراض دولة بني مناد منها وفي هذا الفتح يقول محمد بن عبد
 الله الكاتب يمدح علي بن يحيى من قصيدة ضعيفة النظم —

ليهن المعالي ان تملك رقهسا علي بن يحيى بالحجى والتكرم
 جرى وجرى صيد الملوك فردهم الى غاية بالمجد لم تتقدم
 وصمم تصميم الحسام مبادرا لاطفاء نارء اذنت بالتضمر
 تعدت عن الاعلاج في بحر قابس وسار اليهم في الخميس العرمم
 فولوا على الادبار رعبا واجفوا بناب نبا عنها وظفر مقلهم
 ولما تم هذا الفتح لعلي دون قبائل العرب واعد الاساطيل لمحاصرة قابس
 وذلك في سنة احدى عشرة وخمسمائة . فلما بلغ ذلك رافعا ارسل جماعة
 من وجوه قومه الى علي راغبا في الصالحة فلم يجبه علي اليها فرأى انه
 ليس له قبل بقتال علي فتصد الى القيروان وكانت تحت ملك العرب
 فاتفق بنو عمه على ان اعطوه اياها ففي دخوله اليها يقول محمد بن رشيد
 من كلمات —

سل رافعا ما الذي اجرى تنصرة وهل يقي الذل منه سن به وثقا
 لو لم ير الروم اهلا والصليب ابا لم يشك من عيشه في قابس رنقا
 انفاقك المال في العلياء تاسخه فالقيروان التي تعتدها نفقا
 ابدت له عزة للجاهلين يسد وكان ستر عليه قبل فنانخرقا

لله فعلك ام الهال تجمعهم — وكيف ذاك وقد شتمه مرقسا
 وكان مالا تشد المكرمات به — اشد ما هو توفيرا اذا محققا
 ومالك قابس بعد دخول رافع للثيرون محمد بن رشيد من بني جامع ايضا
 وغلب على دولته مولاة يوسف . واتفق ان خرج محمد من قابس لحرب عدو
 له وترك احد بنييه نائبا عنه بها فطرد يوسف مولى ابيه منها واستولى على
 المدينة وانتسب الى طاعة روجار . فقام عليه اهل قابس ودفعوه الى العرب
 فعذبه عذابا شديدا وقطعوا مذكاة لانهم نسبوه للتعرض لحرم مولاة . وكان
 ليوسف اخ اسمه عيسى ففر الى صقلية مستنصرا بطاغيته وزعم له ان اخاه
 انما صنع به ما صنع وهو منتسب الى طاعته فخرج روجار اسطوله لحصار
 قابس فحاصرها مدة ثم رجع . وكان اخر سن ملكها من بني جامع مدافع
 ابن رشيد بن مدافع بن كامل بن جامع ومن يده اخذها الموحدون . وقد
 كان عبد المومن بن علي لاطفه واستدعاء باشعار خاسطيه بها ويلوم عليه
 فانتزع من جوابه فلما وصل الى حصار المهدية انفذ اليه عسكريا قائده ابنه
 عبد الله . فلما علم مدافع باقباله جمع اهل وعشيرته وسن انحش اليه
 وفر واقية عسكري عبد الله فاتبعته شذمة منه فواقفها ساعة ثم انهزم وقتل
 جماعة من اهل وعشيرته وملك الموحدون قابس وتوغل مدافع في الهرب
 واستجار باعراب طرابلس فاجاروه . وكان شاعرا حافظا للسير والاخبار عالما
 بالانساب . فلما مر عليه عامان طريدا شريدا استشار عشيرته باللاحاق
 بعبد المومن فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقيه بمدينة فاس فرضى عنه
 واسكنه هنالك فتوفي بها وقد ناهز التسعين . وكان له ايام ملكه وزير
 يعرف بسلام بن فرحان بذل نفسه دونه يوم خروجهم من قابس وقتل
 عنه الى ان قتل . وانشد له العماد الاصحابي في الخريدة في مدح مدافع
 المذكور —

ما زلت افري اديم الارض منفردا اطوي المفاوز غيطانا وءاكاما
 حتى حططت رحالي في ذرى ملك غمر المواهب للتصاد بسانما

يهني المدافع ان الله خولس سعدا ينال به كل الذي رامسا
 قم فافتح الارض فالاملاك كلهم سواك اضحوا عن العلياء نواما
 وانشد له من ابيات ذكر انه قالها يوم قتله -
 اكذا اموت وما بلغت مرادي بين الصوارم والثنا الميساد
 حيث العيون لوامح وطوامح ما بين احباب وبين اعداي
 وذكر صاحب الخريدة ايضا ان ابا مكن عامر بن محمد بن مكن ابن كامل
 ابن جامع خلص يوم خروجهم واتصل به الفرار الى دمشق فاستوطنها وقال
 يذكر ايامهم بقباس -

يا جار طرفي غير هاجع والدمع من عيني هاجع
 ولقد ارقت مسامرا نجما بدا في الشرق طالع
 متذكرا بصروف دهـ مر اصبحت فينا قواطع
 اني من الشم الاولى شادوا العلا ابناء جسامع
 اهل المراتب والكتبا ثب والمواهب والصنائع
 يتسابقون الى المعسا لي كلهم فيها مسارع
 ولقد ملكنا قابسا بالمشرفيات القواطع
 تسعين عاما لم يكن فيها لنا احد منازع
 وجنابنا للعتفيـ من بزاهر المعروف يانع
 واذا شهدنا مجمعا يومى الينا بالاصابع
 عبثت بنا ايدي الزما ن واحداثت فينا البدائع

وذكر ابنه مكن بن عامر وقد ورد ايضا الى دمشق وكان موجودا بها سنة
 احدى وتسعين وخمسائة وانشد له -

اذا عزس اهوى اغتن لم طرفي واخفي الذي بي من سقام ومن ضعف
 واكتم عن سري هواه صيانسة ولو كان في كتمان ايدا حتفي
 مخافة ان يشكو فوادي صبابتي الى مقلي يوما فتبدي الذي اخفي
 وتغلب على قابس بعد خلوصها للوحددين شرف الدين قراقش الارمني
 مملوك

مملوك الملك الطافر تقي الدين بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي بن اخي
السلطان صلاح الدين وكانت بينه وبين علي ابن اسحاق الميورقي
مهادنة ومصالحة وكانا يجتمعان في اكثر حروبهما ويقيمان الدعوة العباسية
بهذه الجهات . وسأذكر سبب وصوله الى هذا البلد باثر الفراغ من خبري
هذا ان شاء الله تعالى . فتذكر اليها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد
المومن فكانت له الوقعة المعروفة بوقعة الحامة وذلك في سنة ثلاث
وثمانين . وسيأتي خبر هذه الوقعة عند الكلام على الحامة ان شاء الله
تعالى . وفر قراقش والميورقي فدخلوا الى صحراء توزر ورجع المنصور الى
قابس فاستسلوا له وفتحوا ابوابها وسلوا له اتباع قراقش وشيعته وقد كان
اعدها حصنا وشحنها باهلها واتباعه وامتنع اهلها بقصر العروسيين منها يومين
ثم نزلوا الى المنصور واغبيين في كلمان فبعث بهم في البحر الى حضرة تونس
ثم رفعوا بعد الى مراكش والى المغرب . فظهر قراقش الانابة وعاجر الى
الموحدين وذلك في سنة ست وثمانين وقد مات علي بن اسحاق الميورقي
وولي اخوه يحيى . فاجتمع قراقش بتونس بالسيد ابي زيد ابن السيد ابي
حفص وهو اذ ذاك الوالي عليها من قبل المنصور فاقام بها زمنا تحت
كرامة ثم انصرف فارا عنه ورجع الى قابس وخادع اهلها حتى دخلها
فقتل جماعة منهم وظهر الرجوع عن الانابة واستدعى اشياع العرب
الدبايين فقتل اعيانهم بقابس . ومن جملة من قتل منهم محمود بن طوق
ابن بقيقة واليه تنسب المحاميد وحديد بن جارية وهو ابو الجوارى في
سبعين من كبارهم وذلك بدخل قصر العروسيين في موضع منه معلوم الى
الآن . قال التجاني واخبرني ابو صبرة مساعد بن الازرق والضريسي ان
الدعي ابن ابي عمارة لما تغلب على قابس سنة اثنتين وثمانين وسثمائة ادر
بحفر ذلك الموضع لبناء احب احداثه هناك قال فوافق الحفر موضع دفنهم
فرفعوا منه بين ايدينا ليغا وستين راسا فامر الدعي بنقلها الى غير ذلك الموضع
فدفنت به . ثم توجه قراقش الى طرابلس بعد افتتاحه قابس وكانت قد

وبايعتم اول اقباله وانتفضت عليه فحصلت طرابلس وقابس تحت يديهم .
 ووقع بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقي تغير والميورقي اذ ذاك ببلد
 الجريد فسار الميورقي اليه الى طرابلس وخرج قراقش الى لثائه فالتقيا
 بخارجها فانكسر قراقش وفر الى جبالها ولم يدخل الى البلد خوفا من
 المحصار . ثم اخذ الميورقي ايضا في الحركة الى قابس وكان نائب قراقش قد
 خرج منها لما انهزم قراقش ووجه اليها الشيخ ابو سعيد بن ابي حفص من
 تونس حافظا من الموحدين يعرف بابن تافراجين . فتحرك الميورقي اليها
 ووصل الى المنزل المعروف بزريق بتقديم الزاي على الرء وكتب الى اهل
 قابس ينذرهم ويحذرهم . ومن فصول كتبه في ذلك — ولما عزمنا على قرع
 بابكم . والحلول بجنابكم . راينا تقديم الانذار اليكم . وايراد النصيحة عليكم .
 والكث عنكم ثلاثة ايام . لا تمد لكم فيها يد . ولا يتقدم اليكم بالاضرار
 احد . لنعلم ما عندكم . ويتبين غيكم او رشدكم . فان ءاثرتم الطاعة .
 وتبعتم الجماعة . وطانا لكم اكناف العدل . واتبعنا فيكم كريم القول وصحيح
 الفعل . وان ابيتم الا الخلف فقد ابلغنا النفس عدرا . واتينا بالبتر ومن
 امركم يرى . ولا تغتروا باهل طرابلس فلو كان لهم سواد يقطع . او مياه
 تصدع وتمنع . نجروا الى الطاعة . وحملوا انفسهم منها فوق الاستطاعة .
 فلما انتضى اجله الذي حده ولم ير منهم اجابة ولا انس منهم اناة . زحف
 اليها بجموعه فحاصرها حصارا شديدا وقطع جميع غابتها . فيقال انه لم
 يبق منها الا نخلة واحدة تركها عبدة لهم . فانابوا له بعد ان اشروطوا عليه
 مسالمة واليهم ابن تافراجين وان يتوجه باعلمه وماله في البحر فاشترط لهم
 ذلك ووفى به واغرمهم ستين الف دينار عقوبة لهم . وقد وصف ذلك كله
 كاتبه ابو محمد عبد البر بن فرسان في كتاب كتبه عنه لاهل طرابلس وهي
 اذ ذاك في طاعته مبشرا بافتتاحه لقابس ونقل التجاني ذلك الكتاب في
 رحلته وكان بطرابلس بخط شيخه الفقيه ابي فارس عبد العزيز بن عبد
 العظيم ابن عبيد يقول في بعض فصوله — الحمد لله الذي عاض من النصب
 راحة .

راحة . واضاء باشراف الدعوة العباسية كل جهة من هذه المدينة كانت مظلمة وساحرة . بعد الحاجة شيطانها . ومكابرة قطانها . وتضييق اعطانها . بمجانيق مسامية لمبانيها . حواشكة على ثوانيتها . لا تبلع احملها ريقا . ولا تجدي المدافعة طريقا فريقا . ترهب على البعد وتقتل فريقا . وكنا قبل وصع تاجها . وخلع رتاجها . وكسر مهابتها . والترفل في غابتها . خاطبنا جمهورهم . واستنزلنا معمرهم . للطاعة ومعمورهم . رغبة في الابقاء عليهم . وانذارا لم يكن بد من تقدمهم اليهم . فرفعوا عوامهم . وركبوا هراهم . واستنهضوا اغوياءهم فصبوا للشقاوة لواءهم . وكان فيها من رجال الدرع . ورماع المردق . غنائم اسندوا اليهم ظهورهم فالتصمت . وتمسكوا بعراهم فالتصمت . وغوغاءهم استنفروا من الجبال وكندرا بعد الهبوب . وعرفوا سوم تلك الحبوب . ومن فصول هذا الكتاب - فالحذم قول الحصار . واحاطت الخيام بالاسوار . حتى كانت المدينة معها كالزبد في ضمن السوار . وكالعتق تحسنت بخيط الازار . وكالمركز للثلك الدوار . وكما لاحت في حالتها اجسام الاقمار . لا ينسبون الا على اذن واعية . ولا يتسللون الا على عين مراعية . فصنعوا من ثلاث ساقطهم الى التشعب سوق احتشاث بعد القصوة . وانصداع عصي الاسوة . والعجز عن حماية الاولاد والنسوة . ولما سقط في ايديهم . ولم يجدوا راحما يعصدهم ممن يوذهم . سلكوا للطاعة طريقته . ونظاهروا بها بجازا او حقيقة . فقبلت على حكم التسليم والتفويض . والقيام باعباء طسيمة المذل والنهوض . وانتقلوا من الحرم الى الحل . ومن الحرور الى الظل . وقصر عن المد حدد السيف المطل . وتفقدوا سوادهم فوجدوه طامس الاثار . فشجيت الاشجان بغور المياه الغزار . لا منورا ابقمت لايدي منهم ولا منشورا . يقول فاطرة متعجبا ومعتبرا - وكان الله على كل شيء مقتدرا - وفي فصل منهم - واذن تنقرر على الشرط حكم الاصطلاح . ووجد المسترزق منهم والمنطوع من ملابس السلاح . وحمل غويهم المومن في نفسهم واعلم مع ما اختار صحبتهم من جنده الخماس على ذات الدسر والالواح . فرضنا عليهم مائة الف دينار

عددا . لم نفسح لهم في اقتصائها امدا . فحجزوا واستكانوا . وتضاءلوا بذلك
كانهم غير الذي كانوا . فوسعهم الثقات ديني ونظر دلى الرحمة مبني حثف
المتون . فاضحت المائة وفي ستون . وهم في شأنها مفيضون . وعما عدادها
معروضون . فخطبناكم بهذا الفتح الذي اشرقت من جانبيه شمس النجى .
لتأخذوا من المسرة بحض من تبين اعينهم تبليج الصبح . فقد تقرر لدينا مما
تعتقدون من الاعتماد علينا والاقتصار . وتزيدون النظر كل عين في احكام الطاعة
والاستبصار . ما تصد خبره بالاختبار . ولم يرتفع منه إلا ما وقع بالواقعة وجاء
على الاختيار * - وتاريخ الكتاب العشر الاخير من ربيع الثاني سنة احدى
وتسعين وخمسمائة . وفي هذا الفتح والتخفيف على اهل قابس فيما ظهروا
يقول ابو محمد عبد البر بن فرسان المذكور وزعم ابن خنيل في تاريخه ان عبد
البر قال هذه القصيدة عند فتح بلرابلس - قال التجاني وليس كما زعم -
اجل انه النصر المهنى والفتح
صموا ثم جاءوا طائعين امامهم
عدوا للهدى بعد اقتحام مظلمة
عموا عن سبيل الرشيد ثم اصبوا
رفاءا وعن حين اقتراء سمائهم
اجالوا قداح الراي اناء عزيمهم
وما اذعنوا للشرط حتى اراحهم
فما وريث منهم زناد استقامهم
جشوا لقبول العفو في مجلس الرضى
فلوسعتهم عفوا وخففت عنهم
وهبت الذي لو ظن غيرك انهم
وما ائمال إلا للنفوس وقايستهم
تقود الجيوش الدهم برا والجسم
تدازل سن عاداك في قعر داره
وتضرب

وتضرب بالحق الصحيح كلا العدا إذا كان حظ البطل من غيرك المخرج
وتطلع فجر العدل في مشرق الهدى إذا امتد من ليل اعتداء العدا جنح
وتسرد من عاي العلا سورا لها براحين لا يخفى لها أبدا شرح
تتكرم لها بالشكرات دلائل كما قام عن مستودع الروضة النشج
ولا زلت فتاح البلاد منها سدا جرائبها ما لاح من بارق لمح
ودان لك الداني وقص من الذي بغى طائفا وريش وصح له ذبح
وبقيت قابس في حكم الميورقي إلى أن وصل الناصر إلى إفريقية في سنة
أحدى وستمائة فاستنقذ من يده قابس وغيرها وتردد عليها حفاظ الموحدين
من قبل الناصر مدة أقامته بإفريقية ومن قبل الشيخ أبي محمد بن أبي
حنص بعد انفصال الناصر وهلم جرا . وفي آخر هذا استقر قراقش بوزان فتوجه
الميورقي إليه بمن استصحب معه من العرب الذبايين الموثورين من قبل
قراقش فحاصره بها إلى أن فنى طعامه وأعطى بيده سلما واشترط على العرب
أن يقتلوه قبل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو وولده إليهم
قال له الولد - يا أبت إلى أين يروحون بنا - فقال له - إلى أين رحنا
بأبائهم - فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه الميورقي بظاهر ودان وذلك في سنة
تسع وستمائة . وهذا الخبر من سنة موت قراقش كان تلقاه التجاني من أفراد
العرب حسبما نص عليه بقلمه في رحلته قال والعرب الذبايون الذين روى
عنهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن آبائهم ممن حضر لذلك من أجدادهم .
وترك قراقش ولدا آخر أشهر امرأة بعد مدة وكان شجاعا كريما حسن الصورة
جدا تميل العيون إلى شخصه والاسماع إلى ذكره رتبة الخليفة المستنصر
بالحاضرة في أجداده وقدم له لطائفة منهم فحدثهم نفسه أن يشور وأراد أن
ينسج على منوال أبيه فهرب من أصحابه وألحق ببلاد ودان فأنقذ إليه
ملك كان من قتلته وأراح منه ومن فتنه تلك البلاد وحمل براسه إلى بلاده
فطيف به بها وذلك في سنة ست وخمسين وستمائة وقد كان البطالون
من الأجداد بالحاضرة قد اشتغلوا بذكره وأكثروا الخوض في أموره . والموجب

الداعي اول الحال الى وصول قراقش الى هذه البلاد ان صلاح الدين يوسف
 بن ايوب كان ملك مصر هو وعمه اسد الدين شيركوه بجيش نور الدين محمود
 ابن زنكي وقوة سلطانه وحما في ذلك من جملة امرائه واعوانه ثم بعد استيلائه
 عليها وميت عمه اسد الدين حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة
 خاف بسببها صلاح الدين ان يتحرك نور الدين على مصر ويستولى عليها
 فاحتاط لنفسه وبني على الاندفاع امامه وكان ذلك في سنة ثمان وستين
 وخمسمائة فانقسم امره بين بلاد اليمن وبلاد المغرب فقال له اخوه توران شاه
 ابن ايوب انا اتوجه الى اليمن وافتتحها واعيدها لك ان احتجت اليها
 فتجهز اليها في السنة المذكورة وافتتحها في السنة التي بعدها وهي سنة
 تسع وستين وخمسمائة وقال له الملك المظفر تقي الدين ابن اخيه
 شاهنشاه بن ايوب انا اتوجه الى المغرب فافعل مثل ذلك فاشتغل تقي
 الدين بالنظر في حركته ثم انه زهد في بلاد المغرب وعرف ما بينه وبين
 افريقية من العربان والمهالك فاستغنى من ذلك وقد كان اسر خبر تغريبه
 الى جمع من جنده وخواصه فاشرفوا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقي الدين
 من التغريب فر بطائفة منهم مملوكه شرف الدين قراقش الارمني وبطائفة
 اخرى ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظمي وهو منسوب الى الملك المعظم
 شمس الدولة اخي صلاح الدين وكان في اجناد تقي الدين فجاز المذكوران
 بمنعهما الى المغرب . ولما جاوزا العقبة رايا ان يشرقوا لينفذ كل واحد
 منهما بما قدر له من الملك والرئاسة فسار قراقش الى سترية فافتتحها
 وخطب فيها للسلطان صلاح الدين وللاستاذة تقي الدين بعده وكتب اليهما
 بذلك وافسح زلة واوجلت وازال من بلاد فزان دولة بني خطاب الهواريين
 وكانت قاعدة ملكهم زويلة وهي المعروفة بزويلة بني خطاب وعذب ملكها
 محمد بن خطاب بن يصلث بن عبد الله بن صنفل بن خطاب آخر ملوكهم
 على المال حتى هلك وخطب فيها لصلاح الدين ولتقي الدين ولم يزل على
 هذه الطريقة يفتح البلاد ويخطب فيها لمن ذكر الى ان وصل الى طرابلس
 فاجتمع

فاجتمع عليهم الذباييون ونهضوا معه الى جبل نفوسة فاستولى عليه واستخلص منه اموالا عظيمة ارضى بها العرب . وكان من الاتفاق ان مسعود بن زمام امير الرياحيين خالف في ذلك الزمن على بني عبد المومن وفر امامهم فوصل الى هذه البلاد فكان تارة يكون مع زغب وتارة مع ذباب . فلما سمع بوصول قراقش وسن عنده من رماة الغز سر بهم وتوجه بمن معه من ابطال الرياحيين اليهم فحصر قراقش بهم طرابلس وصادف بلادا لم تستوقع ثائرا ولا مخالفا فهي خالية من الاجناد ومن العدد والاقوات فاستولى عليها فاعظم اذ ذاك امرة وتوقع من تونس وغيرها شرة ووصلت اليه العربان من كل مكان فاحتاج الى تكليف الرعية فوق طاقتهم فبغضه الناس بعد ان كانت القلوب كلها قد مالت اليه واقبلت عليه ولم يزل امرة من تلك الافعال الشنيعة ومخالفة على بني عبد المومن وتلاعبه بالمهاجرة اليهم وفرارة عنهم ودام ذلك نحو من اربعين عاما الى ان قتل الميورقي . واما ابراهيم ابن قرانكين فانه سار بجمعهم ووقع في خائطة المهاجرة الى بني عبد المومن والركوب عندهم فصعد اشياح العرب المخالفون عليهم وحملوه على الانفراد وطلب الرئاسة وساروا معه الى قفصة فاستولى على جميع منازلها وارسل الى بني الزند روساء قفصة فمكثوا من البلد لانحرافهم عن بني عبد المومن وحبهم في الخطبة العباسية التي التفتوا فدخلها ابراهيم وخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصلاح الدين . وقدّر ان كان قتل ابراهيم المذكور وجملته اجناده بعد ذلك على يد المنصور يعسوب بن يوسف بن عبد المومن في قفصة . وكان يقال لقراقش المظفري لانه مملوك الملك المظفر والناصري لانه كان يخطب للملك الناصر صلاح الدين وكذلك كان يكتب في طهائره قال التجاني وقفت على ظهير بتسويغ املاك لبعض اهل طرابلس سمى فيه نفسه - قراقش الناصري ولي امر المومنين - بسكون الميم في لفظة امر . وكتب علامة الظهير بخطه - وثقت بالله وحده - وتاريخ الظهير عام تسعة وسبعين وخمسمائة . وكان الميورقي يكتب العلامة في كتبه - وثقت بالله وحده - ويجعلها في اسفل الرسم الذي بينه وبينهم

لأنه وإياهم من سليم ويعيرهم انقيادهم لتراش ويستدعيهم للوصول لحضرته -
يا ايها الراكب الساري لطيبته على عذافرة يشفى بها كالم
بالغ سليما على بعد الزار بها بيني وبينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب ان حدث واستسكوا بعري الايمان واعتصموا
يثودهم ارمي لا خلاق له كانه فيهم من جهاهم علم
الله يعلم اني ما دموتكم - دعاء ذي بزة يوما فيتقهم
ولا لجأت لامر يستعان به من الامور واهل الحق قد علموا
لكن لا جزى رسول الله عن رحم تنى اليه وتوعى نلكم الذمم
فان اتيتم فحبل الود متصل وان ابيتم فعند السيف نحتكم
ومن غريب الاتفاق ان ما حفت بقباس من عين سلام ومن المنار والعروسيين
والوادي كل ذلك اسماء اماكن حفت بقلعة بني حماد ابن علي بن حماد
فصا سواه وحينما ورد شيء من هذه الاسماء في شعر ابي عبد الله محمد فانسأ
يعني بذلك مباني القلعة فانه كان يوما بندقها كقولهم من ابنيات يندب
بها تلك المعاهد -

ابن العروسان لا رسم ولا طلل وابن ما شاد منه السادة الاول
ومجلس النوم قد هب الزمان له بمحادث قل فيه المحادث الجلل
وما رسوم المنار الان مائل - لكنها نبذ يجري بها المثل
وكقولهم من اخرى -

الا ليت شعري هل ابيتم ليلة بوادي الجوا ما بين تلك الجداول
وهل اسمعن تلك الطيور عشية تجاوب في تلك الفصون البلابل
وهل اردن عين السلام على الصدا فسايرد من حر الضلوع النواهل
وانظر طيقان المنار طلست على الوجنات الزاهرات الخمائل
كان القباب المشرقات بافقه نجوم تبدت في سعود المنازل
فان ثنت الايام عنها اعنتي وانزلني في غير تلك المنازل
فصبر جميل غير ان صبابتي ستبقى بقاء الطالعات الاوائل

وقال

وقال من أبيات أخرى على عين السلام .-

على عين السلام سلام صب غـذاه مارها العذب النـمير
 تاود أيتها وجرت صباهـا وشـم لها كما فتق العـبير
 وأبرد ما يكون الجو فيهـا وأنـدى حين يحتدم الحـبـير
 وما أدري أيجري فوق در ام ابـتـسمت بمنـبـهـا النـغـمـور
 وقد قام المنار على ذراهـا كما قام العروس أو الـامـير
 بناء يزدري إيران كـسـرى لـديـه والخـورنق والـسـمـير
 قال التجاني وقد ورد علي من والدي ونحن على قابس مكثوب وفيه .-
 حملتم القلب إذ جد الرحيل بكم من الصبابة ما لا تحمل الأدل
 فلو ملكت سبيل الخزم ما عجزت إذ ذاك مني عن دفع النوى الخـمـيل
 لكن عراني ذمول يوم بينكم عـصـا يكابد من أحباب الرـجـل
 فالله يجمع منا الشمل عن عـجـل فالحـير أجمل ما في نـيـام العـجـل
 وبعد قابس رئاسة الرشاحين وفي الغالب انهما محصورة في قريتين
 الجواري والمحاميد وسن عدا هاتين القريتين من بني وشاح كالعصور والحيـاويـة
 يضاني اليهما وهما قريتان متكافئتان في العدد والقوة فهما نقص من أحداهما
 فارس بموت أو غيره نقص من الأخرى نظيرة عادة أجراها الله تعالى بينهم فتجد
 إحدى الطائفتين إذا مات واحد من الأخرى يتوقعون موت مقابلهم منهم فيقع
 ذلك عن قرب . ورئاسة المحاميد في بني رحاب منهم وهم بنو رحاب بن محمود
 ابن طوق ابن بقيقة بن وشاح . وبعد رئاسة قرية كنانة وهي قرية صغيرة
 ملتفة الشجر حسنة المنظر كانها بستان واحد خضرة ونضرة وعامة شجرها
 الزيتون وكان غرسه بها أيام ولاية الأمير أبي زكرياء على قابس سنة أربع
 وعشرين وستمائة ولانها قصر كبير يابون اليه وبها عين فوارة عذبة قد
 اجتمعت منها بركة ماء تسعة تلاصق سور القصر من جهة غربية وتخرج
 مذائب ومسارب تخرق الغابة فتعمرها بالسقي . وبعدنا قرية الزارات
 وهي قرية ذات نخل كثير وعاء نمير ينبع من عين حممة قد اجتمعت من

منبعها ايضا بركة متسعة القطر بعيدة القعر ومنها يكون الابداء بسلوك منازل
البربر التمسكين بمذهب الخوارج المستحلين لدماء المسلمين واموالهم .
قال التجاني وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين قابس
وعرابلس وخصوصا اهل الساحل منهم فهم بهذا المذهب يتقربون ببيع سن
يمر بهم من المسلمين الى النصارى فتجد الناس لاجل ذلك يتحامون الانفراد
في قراهم ويتجنبون ليواءهم وقراهم من بقايا الشرذمة التي قام بها ابو يزيد
مخداد بن كيداد في افريقية فانه لما اظفر الله به وراح البلاد والعباد منه
تفرقت اتباعه في لاقطار فسكنت هذه الشرذمة بهذه المواضع وسكنت طائفة
اخرى بجبال بجاية وقسنطينة وما والاها الى بونة ومالت طائفة اخرى الى
بلاد الجريد فاستوطنت نقطة ونفراوة وما والاها . وبعدها وادي بجسر اصل
مائه من الجبل المتصل من المغرب الى المشرق في جهة الجنوب ينحدر مائة
فيجتمع عند جبل صغير يعرف برأس تاجرا على نحو خمسة عشر ميلا منه حيث
اوقع الشيخ ابو محمد بن ابي حفص بالميورقي ابن غانبة وقعت المشهورة التي
استاصل فيها اكثر اجناد ابن غانبة واروى من دمانهم المراقبة ظلمة حداده وهي
الواقعة المعروفة بوقعة تاجرا وكانت سنة اثنتين وستمائة قال ابن نخيل
وكانت الغنائم من عسكرة يومئذ ثمانية عشر الفا من اجمال المال والاشباع
والخبرني والالة . ثم يشرق من تاجرا واديان ينتهيان الى البحر احدهما
هذا الوادي وهو وادي المجسر والاخر الوادي لاهلي الى جهة المشرق وهو
المعروف بوادي الفجاء فلا بد لكل سالك بين تاجرا والبحر من قطع هذين
الواديين . ووادي مجسر منهما معروف بكثرة الاسود وهي موصوفة بشدة
الاسر وقوة النصر . وقد كان بني في وسط هذا الوادي قصر واحيت هنالك
مزارع وجعلت لها من الوادي مزارع فاجلت الاسود ناسها واكثرت فيهم
افتراسها ففارقوا منازلها ولم يستطيعوا لاجل ذلك سكناها . وهذا الوادي ما كان
من ارضه فينحفظا كان الماء به دائما الا انه يعود بطبع الارض ما يجا اجاجا
ولا سيما ما قرب منه الى ارض البحر . وتوجد فيه انواع من الحبوب مستطابة
وما كان

وما كان منه مرتفعاً لم يكن فيه ماءٌ إلا في حين حمله عند نزول الأمطار .
وثبت به غابة مشبكتة من الطرفاء وغيرها وبعده مجاز الجرف ومنه تظهر
جزيرة جربة وعرض هذا المجاز من الجرف الى ساحل الجزيرة اربعة
اميال وبعد المجاز من جانب الجزيرة يسمى ساحل عاجيم بالف ممدودة
وتشديد الجيم وبه مسجد مبارك يذكر ان الامام المهدي سكن به في اول
جوازه الى المشرق (وجزيرة جربة) من اعظم الجزائر خطراً واشهرها في سالف
الزمان عمارة وذكرنا طولها من المغرب الى المشرق ستون ميلاً كذا ذكره
التهجاني ناقلًا عن الشريف في كتاب روجار ومنها الى جزيرة قرقة في البحر
ستون ميلاً وعرض الرأس الشرقي منها خمسة عشر ميلاً وهو اضيق مكان بها
قال ابن الشباط قال البكري قال حنش الصنعاني غزونا مع رويفع بن
ثابت الانصاري المغرب فافتتح قرية من المغرب يقال لها جربة فسلم
فيها خطيباً فقال ايها الناس اني لا اقول فيكم إلا ما سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يوم خيبر قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال -- لا
يحل لامرء يومئذ بالله واليوم الآخر ان يسقي ماءة زرع غيره -- يعني اتيان
الحبال من السبي . وذكر الشيخ ابو عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان
معاوية امر رويفع بن ثابت على طرابلس سنة ست واربعين فغزا من
طرابلس افرقية سنة سبع واربعين وانصرف عنها فعلى هذا يكون فتح جزيرة
جربة سنة سبع واربعين والله اعلم وهي ارض كريمة المزارع عذبة المزارع
واكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب والتين وبها اصناف كثيرة من سائر
الفواكه إلا ان هذه هي اكثر ثمرتها وغيرها من كرائم الارضين يقاربها على
الجملة في ثمارها او يساويها وتفاحها لا يوجد في بقاع الارض نظير لها
يوجد بها منه صفاء وجفاء وطيب مذاق وطارة استنشاق ورائحة توجد
من المسافة المديدة والاميال العديدة وكان من شجرة بهذه الجزيرة قبل هذا
كثير ثم قل الان بسبب ان النصاري يتخفون به ملوكهم وكبارهم دون
تعويض لاربابهم عنه فرأى اهل الجزيرة ان غيرة من الشجر اعود بالفائدة

عليهم فقطعوا اكثره . واختصت ايضا هذه الجزيرة دون غيرها بحسن الاصواف
المحمودة التي ليس بافريقية لما ينسج من اثوابها نظير وذلك معلوم من امرها
شهير . واكثر مساكن اهلها اخصاص من النخيل يجول كل واحد منهم في ارضه
واحدا او اثنين او اكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله وليس فيها بناء قائم إلا
دور قليلة وهم ينقسمون الى فرقين فرقة تعرف بالوهبية ورؤاستهم في بني
سمون وارض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية فما والاها من جهة
الشمال وفرقة تعرف بمستاوة ورؤاستهم في بني عزون ارضهم الجهة الشرقية
فما والاها من جهة الجنوب وكان مدينته جربة فاصلة بين ارضيهم . وكان
النائر النكاري قام على المعز بن باديس سنة احدى وثلاثين واربعمائة
ووصل الى جربة فافتتحها وقتل سن اراد من اهلها وسبى ذراريهم واسراهم
كاديين مقدمهم ثم قتله وعلمه فجهز اليه المعز اسطولا وقتل اصحابه قتلة
شنيعة واستقرت جربة تحت طاعته وتوفي المعز فثار اهلها واظهروا العناد
والفساد وانشأوا مراكب يتطعون بها في البحر على سائر السواحل . قال ابو
الصلت في كتابه الذي ذيل به على كتاب الرقيق لما ولي ابو الحسن بن
يحيى بن تميم بن المعز وذلك آخر سنة تسع وخمسمائة واستتم له امره
واستوثق ملكه امر باعداد الاساطيل لغزو جزيرة جربة وحركه في ذلك ما
ترادف عليه من قطع اهلها في البحر واخافتهم المسافرين فيه فتم ذلك وقدم
على الاسطول قائد الجيش ابراهيم بن عبد الله واصحابه من اهل الدولة
للمشورة فساروا اليها وذلك في سنة عشر وخمسمائة فحاصروها واخذوا بمخنتها
الى ان انتقد اهلها بالطاعة للسلطان واذعنوا لامره ونزلوا على حكمه وضمن
اشياخهم ومقدموهم قطع جميع الفساد الواصل الى ساحل افريقية من قطاعهم
واشرارهم وان لا يتعدوا متاجرهم المهدية وانقطع ذلك الضرر . قال التجاني
قال ابو الصلت وكان من امر جربة في القديم من ايام ابااء ابي الحسن
واجدادهم ان عصوا عليهم على اتساع ملكهم وكثرة جيوشهم ووفور اموالهم ثم
تغلب النصارى على جربة في سنة تسع وعشرين وخمسمائة فقتلوا سن
قتلوا

قتلوا وبقي الباقون تحت طاعتهم فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
 ثار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كبيرة فغزاهم النصارى من عامهم
 وتغلبوا على الجزيرة ثانيا فنقلوا أكثر أهلها سبيا إلى بلادهم ولم يبقوا بها إلا
 سن لا حاجة لهم به ثم تملكها المسلمون بعد ذلك ولم تنزل من أول الفتح
 الإسلامي إلى هذه الصفة مترددة بين تملك المسلمين وتغلب النصارى إلى
 أن غزاها النصارى سنة ثمان وثمانين وستمائة وملكوها . وبجانب جربة
 المعروفة جربة القديمة قال التجاني قال أبو الصلت دخلتها وجست
 خلالها فرايت بقايا مدينة صغيرة الصنع مربعة الوضع ويحديق بها سور
 مرتفع هو باق وبجانبه جامع حسن البناء وقد تخرّب الآن فليس الباقى إلا
 آثاره . قال ورايت على جهة من نقشا لم تصل يد الفناء إليه فوجدته
 في غاية الاحتفال وحسن الصنعة ولم يصل به أحد وفي آخر المدينة بقايا
 أطلال القصبة حيث كانت سكنى حافظ البلد وقد استولى الخراب على
 جميع الأولى وفي موضعها الآن شجرة عظيمة من السدر المعروف في هذه
 البلاد بالسدر المصري قد ملأت ذلك المكان وهذا السدر مختلف لسدر
 بلادنا هذه وهو أكبر ثمرا وأعطى رائحة وأما المطعم فقيم غشائنة قال ورايت
 منه بتوزر وما والاها من البلاد شجرا كثيرا وإنما نسب إلى مصر لكثرة بها
 وكان إلى جانب هذه القصبة حمام صغير هو إلى الآن باق لم يتسلط الخراب
 عليه وأما الناحية التي يخرج بها من قابس لجهة توزر فأول مرحلة بها
 أرض ذباب في منازل بني أحمد وهم بنو أحمد بن ذباب بن ربيعة بن
 زغب وربما شاركهم في منازلهم هذه بنو يزيد وبنو يزيد أربعة أفخاذ من
 ذباب تخالفت وانتسبت إلى مدلول الزيادة لا إلى رجل متسم بيزيد وهم
 الصهبة والحمارنة والخرجة والأصابعة فاما الصهبة بسكون الهاء فبنو
 صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن ذباب والحمارنة بنو حمران بن
 جابر أخوتهم وأما الخرجة بسكون الراء فجماعة من آل سليمان بن
 رافع بن ذباب أخرجهم بنو عمهم إلى سالم بن رافع من أرضهم فمالوا إلى

مخالفة هؤلاء وما كانوا بمنزلهم هذه وكانت ارضهم ارض مسلانة وما قارب
منها واما الاصابة فمنتسبون الى رجل كانت له اصبع زائدة وذباب
يطعنون عليهم في نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم . وبعدهم الحمة وتعرف
بحمة مطماطة تفرقة بينها وبين حمة توزر المعروفة بحمة البهايل وهي
مدينة حاضرة تحف بها غابة نخل وجميع مياه هذه البلاد شروب وهي في
غاية السخانة وبسخانة مائها سميت الحمة والحمة في اللغة هي العين
التي في مائها سخانة . وجاء في الحديث مثل العالم مثل الحمة قسأل
الهرابي في غريبه الحمة عين حارة يستشفى بها المرضى وذكر ابو عبيدة في
كتاب الامثال ان من امثالهم العالم كالحمة ياتيها البعيد ويزدهد فيها القرباء
لم يزد ابو عبيدة على هذا وهو اثر وتماه فينما هم كذلك اذ غار ماوها فانتفع
بها قوم وبقي قوم يتفكرون بالنون اي يتندمون تفكنا وقرأ ابو حازم
فطلتم تفكرون وهو من هذا والنسبة الى الحمة حمي . وذكر ابو عبد الله
ابن علي المصري في صلة السمطان سمع في ذلك حامي بالائف وهو من
شواذ النسب وهذه البلدة في اكثر اوقاتها سالة من الوباء فاذا وبنت بفتح
الواو وان شئت صممت استاصلت اهلها وكانت في ذلك اشد من قابس
وكان عليها سور مرتفع قال التجاني رايت مواضع منه تهدمت ولم يشغل
اهلها برمها فسالتهم عن ذلك فقالوا نحن لا نعتمد على سور وانما سورنا سيوفنا
قسأل فذكرت قول الشاعر —

اذا صدق الحسام ومنتصيه فكل قرارة حصن حصين

وما ليث العرين بذئ امتناع اذا لم يحمه إلا العرين

وبناء داخل هذه المدينة في نهاية الارتفاع وهم يتنافسون في ذلك قسأل
ورايت بقصبتها وهي موضع سكنى الوالي ءاثارا تدل على ضخامتها غير ان
الخراب استولى الان على كثير منها وبهذه القصبة قناة ماء تتسرب اليها من
خارجها في غاية القوة وقد بني عليها بيت على شكل حمام جاء في نهاية
الطرف والحسن وبظاهر هذه البلدة كانت الوقعة للمصور ابي يوسف بن

يعتوب بن عبد المومن ملك المغرب علي بن اسحاق الميورقي وسن معه
من العرب والغز في بلاد افريقية فتحرك الى تونس فلما وصل اليها وجه
ابن عمه يعتوب بن ابي حنص بن عبد المومن في عسكر ضخمة للقاء الميورقي
فالتقوا بمقربة من قصبة فكانت للميورقي عليهم الوقعة المعروفة بوقعة عمرة
قتل فيها اكثر جيوش المنصور وحمل سن سلم من القتل فوصل الى قصبة
فاستدعاهم الميورقي موها لهم الامان فلما اجتمعوا اجال السيف على جميعهم
فامتعض المنصور من ذلك ونكب واستبد براهيم وتحرك من تونس واستخلف
عليها اخاه السيد ابا اسحاق ونزل رادس متلوما وقد ظهر تكاسل الناس
فعاقب اقواما على تاخرهم وتوجه فلما كان على فرسخين من الحمة سرح
سريته الى منازل العرب الذين مع الميورقي فشنت الغارة عليهم ونهبت
اموالهم فذل ذلك شوكتهم ثم لبس المنصور لامته وناجزهم الحرب مباشرة لها
بنفسه فاستوصلت الموارقة وافلت علي بن اسحاق وقراقش فتبعهما الموحدون
سالكين سبيلهما حتى اشرفوا على توزر فوجدوهما قد توغلا في صحرائها فرجعوا
عنها وانصرف المنصور الى قابس فاحاط بها برا وبحرا الى ان فتحوا له
ابوابها مستسلمين وفي ذلك يقول ابو بكر بن فخر من قصيدة طويلة -

لقد برزت الى هول المنايا وجوه كان حجبها اللثام
وما اغنت قسي الغز عنها وليست تدفع القدر السهام
وهي ثابتة في ديوان شعرة ، وما قاله هو والجواري في هذه الوقعة وثبتت
التصيدة في ديوان الجواري -

راى الشتاء ابن اسحاق احق به من السعادة والاحمود محمود
وكيف يحظى بدنيا او بأخرة مخالفة عن طريق الرشيد مطرود
اعمى ونور الهدى باد له وكذا من لم يساعد توفيق وتسييد
والسيف ابلغ في سن ليس يردعه من الغواية ابعاد وتهديد
اولى له لو تراخى ساعة لغدا وريده وهو بالخطي مسرود
انحى الزمان على الاغزاز واجتهدت في قطع خضرائهم احداثه السود

ونازعتهم نفوس الهند أنفسهم فلم يقدم على الهيجاء تغريـ
 خهم على الترب صرحى مثله عسدا ان كان يقضى بان الترب معدود
 ولوا فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مؤسـ
 يوم جدير بتعظيم الانام لـ فما يقاس به في حسنه عسـ
 اصحت على فضله الايام تحسده ان النبى الرفيع القدر محسود
 ثم توجه المنصور الى قصته فحاصرها حصارا شديدا الى ان خرج اليه اهلها
 راغبين اليه في العفو فشارطهم على تامين اهل البلد انفسهم خاصة وتبقى
 ائلاكم بايديهم على حكم المساواة وجميع من عندهم من الحشود والغرباء
 ينزلون على الحكم فوق الاتفاق على ذلك وخرج جميع سن في البلد من
 اهلهم وغيرهم حتى لم يبق فيه إلا النساء فميز اهل البلد وامروا بالرجوع الى
 بلدهم وبقي سن كان به من الغرباء والحشود والاجناد ومن جملتهم ابراهيم
 ابن فراتكين المعروف بسلاح دار المتقدم فتلقوا ساعة ثم جلس المنصور باثر
 صلاة الظهر بموضع جلوسه واخذ الناس مراتبهم وامر باولئك المنفقين فقيدوا
 اليه فامر بذبائحهم فذبحوا بين يديه اجمعين لم يفلت احد منهم وكان
 الاعمى الفهمي حاضرا وهو نحوي فاضل وكان الخليفة يعينه لقراءة اولاده
 نطلب المنصور ان يسمح له بشخص منهم يتولى ذبحه بيده فاجابه الخليفة
 الى ذلك ولما اصبح له طلب يسيرا من الملح والصعتر كما يفعله العامة
 بالتحايا فاضحك بهذا الفعل جميع سن حضروا وامر المنصور بهدم سور قفصة
 وقسمه على جميع سن بالمحلة فاعادوه في مدة يومين اثرا بعد عين وفي هذه
 الخطرة هلك اكثر النخيل اذ كان المنصور قد ادى الى ايام حصاره لها ان يتطع
 كل يوم الف نخلة وفي هذا الفتح يقول ابو بكر بن مخير —

ما غرق قفصة إلا انها اجترست فلم يكن عند اهل الحلم تثريب
 ما بالها زار امر الله حوزتها فلم يكن عندها اهل وترغيب
 ثالث البغي التي خانت فحاق بها وبالزنان بها رجم وتغريب
 قد فض شلمهم عنها وقد نعت فيها من الحين غربان غرابيب

اما يرد سليما ما يباشـــــره وفيه للنفس ترغيب وترهيب
 هاذي اعاديه قد صارت مقسمة على البلايا فمقتول ومسلوب
 وعلى قدر منزلة من الحمة لناحية نثراوة قرية تعرف بمجزم وهي قرية
 كبيرة وعليها نخيل ممتدة وقصور ومنازل ضخمة بالنسبة الى البادية وبعدها
 منزلة تعرف بعيون رحال وهي قفرة تتبع بها عينان نضاختان والى جانبها
 نخيلات يسيرة . وفي تلك المرحلة اليها تنتهي ارض بني احمد وتبدي ارض
 زغب وزغب قبيلة تنسب الى زغب الاصغر بن زغب الاكبر بن جبر
 ابن مالك يجتمعون مع ذباب فبهذا المعنى يقول الذبابيون ان زغبا منهم
 يريدون لهذا القرب الذي بينهم في الكسب . قال التجاني وقد تبين
 من كلامنا هذا وما تقدم ان زغبا الاكبر ولد ولدين زغبا الاصغر وربيعته ابا
 ذباب فذباب على هذا هو ابن اخي زغب الاصغر واذا تداعى الزغبون
 بزغب فانما يعنون به الاصغر ولو عسوا به الاكبر ادخلت معهم في ذلك
 ذباب ولكانت ذباب من زغب . قال التجاني والاشهر في زائم المضم
 والاجدابي قد ضبطها بالكسر قال التجاني وكذلك سمعت النصحاء من
 اعراب زماننا ينطقون به وكذا ذكر الرشاطي هذا النسب في كتابه قال هو
 منسوب الى زغب بزاي مكسورة وعين مهملة قال الامير ابن مأكولاء في
 الاكمال له والى اليوم منهم خلق بالبحار زغبون ولهم غفارة في طريق مكة
 وبين مجزم هذه وبين طرة مرحلة وطرة احدى قاعدتي بلاد نثراوة وهما
 طرة وبشرى . قال التجاني وقفت عليها ورايت بلدا بالاسم وقرية
 بالمعنى وهي محفوفة بالنخيل وبها التمر المفضل على جميع البلاد وليس فيها
 ما ينظر اليه على الجملة غير العين المعروفة بعين طرة فانها بركة ماء
 متسعة حسنة المنظر شارحة للنفس تدخل البهائم اليها عند الشرب الى
 محل معلوم لا تتجاوزة وان جاوزته غابت في مغائص لا قعر لها ويذكرون
 ان لها في كل عام رجلا تقتله لا بد لها من ذلك واكثر ما يكون ذلك في
 الغرباء ومن ماء هذه العين يكسب صبغ بلاد نثراوة عند الغسل ما يظهر

عليه من الرنق والطلاوة . وبمقربة من هذه العين قصبة البلاد حيث كانت
وقد أعادها الخراب دكا فلم يبق منها إلا سورها المحيط بها وبخارج هذه البلدة
نخيل منفرد يدعى بنخيل فرعون يعتقد جميع أهل ذلك الموضع أنه غرس
فرعون وهو غير مستمك وثمرة مباح لمن اجتاز به من الغرباء . ومن الغريب
ما اختصت به هذه البلدة من شدة عصف الريح واتصال ذلك غير مختص
بتصل من فصول العام وهم ينسبون ذلك إلى طلسم كان مدفونا بها وإن
بعضهم أخرجه وكسره فكان ذلك سبب دوام الريح هنالك ويزعم أهل نفزاوة
أن الرياح إنما يشتد عصفها ببلدهم عند نزول الجيوش عليها ويعدون ذلك
من جملة الرفق بهم لأن الجيوش تسرع لارتحال بسبب ذلك عنهم . ونفزاوة
اسم نقل إلى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في أول الدهر وهم بنو
نفزاو بن الأكبر بن زيد بن قيس بن الياس بن مضر بن نزار . قال
الشريف في كتابه المؤلف لروجر ومن ولد نفزاو هذا جالوت الذي قتله
داود عليه السلام واسم جالوت ضريس بن الأصغر بن نفزاو . وعن نفزاو
تفرقت زناقة كلها وهم في الأصل عرب وإنما تبرأوا بسجاورتهم للبربر من
المصاميد ومخالطتهم لهم . وقد اختلف الشيوخ في ضبط نفزاو فبعضهم يفتح النون
منها وبعضهم يكسرها ومن المنتسبين إلى طرة هذه الشيخ أبو يعقوب الطري
صاحب الرسالة التي أولها « الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان
تحصيل ما عليه الوجود في نفسه » قسم فيها مدلولات لنظ العقل ومراتبه
تقسيمًا أخذ جله من كلام الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى فوقف
على رسالة الشيخ أبي علي النطفي رحمه الله تعالى فخطبهم بالرسالة التي
أولها - ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق -
أما أن من أصبح الرشاد تنفس وحتى متى ليل الضلال معسوس
تراني أرى فجر الهدى متعرضا وما لي أصباح ولا أشمط حندس
وما حذري إلا شعوب مغيرة فينزع للترحال صب معسوس
من شيبان الابل إلى الخبر أبي يعقوب أما بعد فإن كتابك قد ورد مشتملا
على

على مادية العقل وحقيقته وقد التزم وافيًا بمقصودك غير وافي بمقصودي
ولست ممن منع عن الدور بالصدف واقتنى علوما لم يورث بها شرعا فاستغرقت
فيها همته حتى نزلت به قدم الغرور في مهواة من التلف وكلما تذرره
رياح الموت فالهمة تقتضي تركه وقد استشهدت بالحديث في النظر في
تغير الاسباب والترقي منها الى متسببها فالامر كما ذكرت لكن ليست اسباب
هي ظلمات ثلاث بل هي اسباب نورانية يستدل بها على متورها بمعرفة
النفس وهو مقام محمود وهو مقام المقربين الذين يمزج من شرايهم الصرف
لاصحاب اليمين فالمقرب من عرف نفسه موحدا لربه وهما هنا نظر لا يسلم
إلا لمن سلم من رغوات البشرية والمخطوط النفسانية ويمكن الارتجاع الى
من عرف ربه موحدا لنفسه . وقد من الله سبحانه بعلوم جليله ربانية
مجدية يعصدها الشرع ويشهد لها العقل السليم الجامع بين الاصل والفرع
كالجمع والافتراق وخرق السبع الطباق وحقيقة المورخين - وما اشتملت
عليه ارحام الانبياء - والترقي من الاين الى حيث لا اين وكيفية الارواح
والاشباح وسكون الليل وانطلاق الصباح واختلاف اللسان والاصوات ومنطق
كل شيء وعجائب الايات الى غير ذلك مما لم يكف قط مسطورا وقد اعتمد
الوجود وبطل دعواه وبرز المكنون على كل شيء كلا بل هو الله واعرب بلسان
ناطق فصيح غمزا او رمزا - هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا -

بل لو ترانا والاحبة بيننا لرايت غزلانا تصيد سباعنا

بل لو ترى تلك البقاع وحسبها لظلمت بالحسن البديع مراعا

كذا وقع مراعا وفعله ثلاثي فانما هو مروع -

شوقي طباع واصطباري كلفة وارى التكلف لا يزيل طباعا

وكثيرا ما يشير الى مطالعة كتب حرام الوقوف عليها عقلا وشرعا ولنا في رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة - من يطع الرسول فقد اطاع الله -
وكفى بهذا جهما والحنيفية السمحة قد اشرق سراجها وغمر نورها وقهر
سلطانها كل اشوس عاقي القلب ليس له تحقيق اهل الاصول ولا ترفيق

اهل الوصول الهمج الرعاع الذين هم لكل نافع اتباع قد اوثق الغي عقولهم
فهم في ريبهم يترددون عافتي معرفتي ارى الشر من ذي النباسة قريب
وكانني بسيدي يقول شب عمرو عن الطوق وما احوجه في حقيقة الشرع
وحالة التصوف الى شيء من الذوق واعلم انه لا تظهر حالة حسنة إلا
بملازمة اصل صحيح فان كنت ممن اراد الاخرة وسعى لها سعيها واناب
الى الله بقلب سليم فيها انا اقبل قدميك متبع لما يوحى اليك وإلا فاطوئي
طومار الهذيان ولا تتعقعق لي - يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم
ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا - يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمان عصيا - يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمان
فتكون للشيطان وليا - قال - سلام عليك ساستغفر لك ربي انه كان بي
حفياء - ولما استبان الصبح ادرج ضوءه بانواره انوار ضوء الكواكب اشرق
في الليل نور بهجته ولا ح حتى طغات المصباح -

ما زلت انكر ايامي واعرفها متى استباننت فلا يرض ولا سود
وجائل في بحار الكشف مختبئا لا القرب قرب ولا الابعاد تبعيد
جعلنا الله واياكم من الموحدين المتبعين ولا جعلنا من الملاحدين المبتدعين
- وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون -
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين *
قال ابن الشباط رحمه الله اعلم ان نفزاوة تشتمل على بلاد كثيرة اعظمها
مدينتان احدهما يقال لها بشرى والاخرى يقال لها طرة وبها تنزل العمال
وكلناهما فيهما العيون والمياه الجارية والنخيل والثمار ويصنع بها انواع من
الملابس الحسنة مما يتنافس فيه . قال البكري رحمه الله ولمدينة نفزاوة
عين تسمى بالبربرية تاورغي وهي كبيرة لا يدرك لها قعر . قال ابو الحكم
صلت ابن الدلاعي يرمى فيها الرمح فيرتفع فوق الماء بقدر ما غاص فيه .
قال البكري رحمه الله ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة ابواب
وبها جامع وحمام واسواق حافلة وهي على نهر كثير النخيل والثمار وحواليها

عيون وبقيتها عدينته اوليته تعرف بالمدينة وعليها سور وبها جامع وحمام
وسوق وحولها عيون وبساتين وبين مدينته نفزاوة وقباس ثلاث مراحل
وبينها وبين قفصة مرحلتان وهي على ثلاث مراحل من قيطون بياضه
فمن قيطون الى نقطة مرحلته ومنها الى توزر مرحلته ومنها الى نفزاوة مرحلته
ومنها تسير الى بلاد قسطينية وبينهما ارض سواخة لا يهتدى للطريق فيها
إلا بخشب منصوبه فان ضل احد يميناً او شمالاً غرق في ارض ديماس
تشبه في الرطوبة بالصابون وقد هلك فيها العساكر والجماعات ممن دخلها
ولم يدر امرها وتصل هذه الارض السواخة الى مدينته غدامس . وفي مدينته
الفاضل مما يتعلق بذكر طرة -- قال وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة
وصل الخبر بان الميورقي حصر ياقوتا نائب قراقش في طرة حتى اخذه واخذ
من الغز الذين كانوا معه مائة فارس اضافهم الى جندة فاطمته على طاعته
العربان واستولى على بلاد الجريد . وفي فصل من تاريخ ابن نخيل قال
ولما وصل الناصر الى افريقية في سنة احدى وستمائة خرج الميورقي من
تونس ووصل بعسكره الى القيروان فاقام بها اياماً ثم انتقل منها الى قفصة
ومن قفصة الى جبل دمر وفي خلال تنقله الى تلك الجهات بلغه من اهل
طرة من اقليم نفزاوة ما غيره عليهم فوصل اليها وقا تلها حتى افتتحها ثم اطلق
الجند عليها فقتلوا الرجال وانتهبوا الاموال واقتصروا الابكار وخربوا المنازل والديار
وجند الميورقي بها رجلين من اجناد الموحدين كانا قاطنين بها منذ زمان
فضرب رقابهما صبرا وترك طرة خساوية على عروشها وخرج سن سلم من
اهلها فشرقوا في بلاد نفزاوة . ومن ذكر قفصة ابراهيم الزوال الاندلسي ذكره
الصفدي في الجزء الحادي والعشرين من كتابه الوافي في حرف الهمزة بما
نصر : ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن اغلب الخولاني
الاديب الاندلسي المعروف بالزوال بالراي والواو والالف واللام سمي هكذا
وقال الشعر وتوفي سنة ست عشرة وستمائة بمراكش ومولده في هذا المثل
سنة اربعين وخمسمائة ومن شعرة في فتح قفصة -- التي وردت

سائل بقصته هل كان الشقي لها بعلا وكانت له حمالة الخطب
لا كان من كافر بالله الهيبا فكان بالكافر الاشقي ابا لهيب
وكان يقال فيه الزويالي بالياء آخر الحروف كان معربا اديبا شاعرا مورخا
راوية روى عن ابي مروان بن قزمان ولازمه كثيرا وكان اقعد الناس به
وروى عن ابي الحسن بن هذيل وجماعة كبيرة واخذ الناس عنه لعلوه
بابن قزمان وهو آخر سن حدث عنه بالسماع وسمع منه ابن صباكر وابو
اسحاق بن عبيد الله الخطيب قاله ابن الزبير ابو جعفر الاستاذ وكان
نقته . ومسن اهل قصته اسماعيل بن علي ابو طاهر المعروف بكاتب
الكرام . قال ابن رشيق في الانموذج شاعر لطيف حلو الكلام كتب
الكرامة للعزير بالله ثم فارقه وتوجه الى ناحية الشرق سنة ثلاث عشرة
واربع مائة ولم يظهر له خبر ولا حظ له إلا قوله -

ولقد قطعت الليل في دعة من غير تأني ولا ذنوب

بأعز من بصري على بصري واحب من قلبي الى قلبي

وكان مستغفا مشهورا بذلك ولا ادري هل اتى عليه او لا . وعلى مقدار
اثني عشر ميلا من طرة قرية بشرى وهي القاعة الثانية من اقليم نفزاوة يمر
الواصل اليها على قرى كثيرة منها قرية تعرف بكليكل وقرية تعرف بياسك
وقرية تعرف ببني ابي يوسف وقرى سواها . وقرية بشرى قرية ضخمة
بالنسبة لما قبلها من قرى نفزاوة وبخارجها عين تعرف بعين تلورغي اعظم
اتساعا من عين طرة واقوى ماء إلا ان في تلك حسنا ليس في هذه وبها
السفرجل قل ان يناظرة في جميع البقاع او يقرب منه طيب مطعم وعصا مة
جرم وكثرة ماء وخلوص صفاء وليس يشبهه إلا السفرجل الموجود بشاجورة
سمرقري طرابلس . قال التجاني وصليت العيد في مصلاها فسمعت خطيبا
صلت . الفصاحة وخطبة في نهاية البلاغة فقل لي انها من انشاء ابي
قال البكري حيون من اهل نفزاوة . وبعد قرية بشرى السبخة المعروفة
وبها جامع وحملمو الحجاج يوسف ابن المنصور هي من غرائب الدنيا التي
اغفلها

اغفلها المورخون وأهمل وصفها الاخباريون فانها اميال في اميال سطحها واحدا
كاللجين المسبوك او المرمر المحكوك يكاد ينفذ البصر لصفائهم وكانما هو غدير
حده بمائمه قال وان وقت صلاة الصبح والناس يمشون فيها كأنهم صلوا منها
على بساط من الكافور او سطح من البلور وبها معالم من جذوع النخل تمنع
السالك من الخروج عن طريقتهما المسالك يميننا وشمالا لان ما على يمينهما
وشمالهما من الارض لا تثبت عليه قدم ولا يسلكها احد جاعلا بها إلا غاص
فيها لما لا قعر له . قال البكري في المسالك وقد هلكت فيها الجماعات
والعساكر ممن دخلها ولم يدر امرها واذا غاص فيها احد التامت عليه الارض
في الحين وعادت كما كانت . وذكر محمد بن ابراهيم بن جامع المرزاسي قال
سألتهم قافلة لنا فيها الف جمل ففر بعير منها عن الطريق وتبعه باقي الابل
فلم يكن اسرع من ان ساخت الارض وغاص فيها كالف جمل ثم عادت
الارض كما كانت وكان لم يكن لتلك الابل اثر . قال ابو العجاج يوسف
وكنا خسطانها وتمادى بنا المشي الى وسط النهار وتولى عليها تكرار الحافر
وتردد الاثار وغرق منها نحو مائة ذراع فيما يقرب من البر فكل ما تاخر من
المحمولة والاثقال ابتلعت وساخت الجمال بلحماتها فما اخرجت إلا اشلاء
بعد نحرها حيث ساخت فهلك بذلك جملة من الزاملة وذهب اكثر
المحمولة . قال التجاني واما انا فشاهدت الرجل يضع سافلة الرمح على
الارض ويعتمد عليها الى عالىته ولو زاد دفعا لازاد نزولا فاذا جذبته عادت
الارض الى حالتها الاولى . قال ووجدنا كثيرا من تلك المعالم قد سقطت
وابعدتها الريح عن مكانها وتحت كثير منها عظام والى جانب عمود منها امرأة
قد ضمب يديها على طفلة فماتا معا . ويذكرون عنها انها غاصبت زوجها
بنفزاوة وحلفت ان لا تبيت يومها ذلك إلا بتوزر او غاصبت بتوزر وحلفت
ان لا تبيت إلا بنفزاوة وخرجت من حينها مع ابنتها فماتا بطريقهما
العجب ان هذه السمجة لا يمكن ان يشرب فيها ماء عذب ولا النخل
استصحب فيها عاد بهوائها ماسحا اجاجا على طبعها . قال التي وردت

احسن ما قالوا واشدنيهم لنفسه الفقيه الحكيم الفاضل ابو ابراهيم بن
حسينة يصفى هذه السبخة وما لقيناه في قطعها —

قطعنا التاكمرت سرى وسرنا صبيحة يومنا حتى الزوال
فلا تسال بما قاسيت فيهم من الاحوال والركب الثقـال
حناء ليس يشبههم حناء يصيق لديم متسع المقـال
وليل لا تسير به نجبـوم كان نيطت الى بعض الجبال
وارياح تصم الاذن منها تهب عن اليمين مع الشمال
تصد عن الطريق القصد قصدي وتضرب حر وجهي بالرمـال
ولا اسطيع فتح العين فيها لبعض الامر الا باحتيـال
واجهد في دفـاع النوم عني لخوفي من سقوط او ضلال
وما زلنا نكابد في سرانـا مبالك لا تقايل باختيـال
الى ان لاحت الغابات ظهرا بظاهر توزر مثل الخيـال
فهنا بعضنا بعضا سرورا ولنا راحة بعد الكـلال

وبعد هذه السبخة بقريب مدينة توزر خارجها يجمع نوع الحسن ويستوفيه
وداخلها يصدق ما قاله ابن زنون فيه واشعار ابي عبد الله محمد بن زنون
فيه اشهر من ان تذكر لم توزر هي قاعدة البلاد الجريدية وليس في بلاد
الجريد غابة اكبر منها ولا اكثر مياها واصل مياها من عيون تنبع من الرمل
وتجتمع خارج البلد في واد متسع تشعب منه جداول كثيرة تنفرع عن كل
جدول منها مذائب يقسمونها بينهم على املاك لهم مقررة ومقاسم من المياه
معروفة ولهم على قسمتها امناء من ذوي الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات
من النهار والليل بحساب لهم في ذلك معروف وامر مقرر مألوف وعلى ذلك
الماء ارجاء كثيرة منصوبة . ومن العجب ان هذا الوادي يحتمل ما يحتمل
صلى الله عليه وسلم او غيره فاذا انتهى ذلك الى المقسم افترق هنالك اجزاء بالسوية
قال البكري باب فدعى كل قسم منها الى مسرب منها قال الشجاني وهذا
وبها جامع وحملا عيانا . وكثير من اهلها انما يسكنون بغابتها ولا مناسبة

بين مباني الغابة ومباني داخل البلد فمباني الغابة اصخم واحسن .
وبداخل البلد جامعان للمخططة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع يعرفونه
بباب المنشر وهو من احسن المتفرجات لان مجتمع الماء هنالك ومنه يتفرج
كما تقدم ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك من الثياب الملونة والاشعة
الموشية ما يعمد على كبره فيتخيّل للناظر انه روض تفتحت ازهاره واطردت
انهارة . وليس بتوزر احسن من هذا الموضع وهو خارج عن غابتها والغابة
ملاصقة لسور المدينة وبذلك تمت حصانها . وقد وصفنا بعض شعرائها
فقال من قصيدة طويلة ارتبها على حسب ما اخترت منها -

زر توزرا ان شئت روية جنة تجري بها من تحتك الانهار	نهر على رمل يسيل كأنه رقة تماح على النظار تمسار
ابا وفاكية حوت وحدائقها غلبا تغرد فوقها الاطيهار	جنايتها مثل الجنان فارصها مسك ونشر نسيمها معطيار
دوح يزف ومنظر يسبي النهي وبرود روض وشبهه الازهار	ومذائب مثل القواضب جردت خلعت عليها لونها الاشجار
وتناثرت مثل الدراهم فوقها انوارها فتضاعفت انوار	فاذا يهب نسيمها ذاعت به من نشر ازهار لها اسرار
والنخل مثل عرائس مجلسه وبدايع حليها الاطوار	واذا هزرت بجذعهن تساقطت رطبا جنيا نشرهن نثار
قطر من الاقطار اشرق حسنه فكانما الليل البهيم نهار	كم فيه من معنى جمال رائق تصبو لروية حسنه الابصار
كملت محاسنه وطاب حديثه فبذكره تزين الاسمار	يا ايها الثاوي به من اعلمه او غيره ممن حوته السمار
لا تصبون الى سواه فانهم هو جنة قد اصبحت محفوفة	للدين والدنيا هدى ومنهم بمكاره هي للقلب شعير والنخل
يا جنة لولا شوائب صفوها تم النعيم بها وعز الجاه التي وردت	

أيامنا مصقولة اطرافهم — بك والليالي كلها افجسار
 قال التجاني واهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح
 الاسلامي وكذلك اكثر بلاد الجريد لانهم في حين دخول المسلمين اسلموا
 على اموالهم وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها بعد الافتتاح وفيهم ايضا من
 البربر الذين دخلوها في قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم فان بلاد البربر
 انما كانت ارض فلسطين وما جاورها من بلاد الشام وكان ملكهم جالوت
 المذكور في القرءان العظيم فلما قتله داود عليه السلام تفرقوا في البلاد وتوجه
 اكثرهم الى افريقية وبلاد المغرب وكانت افريقية للروم فاجلتهم البرابر الى
 جزائر البحر كصقلية وغيرها ثم تراجعت الروم الى بلادها على مياد وصالح
 مع البربر فاخترت البربر سكنى الجبال والرمال واطراف البلاد وصارت الروم
 الى البلاد والعمائر حتى جاء الاسلام وافتتحت البلاد ففر جميع من فيها إلا
 من اسلم او ادى الجزية كاهل الجريد هؤلاء . وقد اشتهر عندهم ما اشتهر من
 بيع فضلاتهم وهم يعيرون بذلك كما يعير اهل قابس . ويعير هؤلاء ايضا باكل
 لحرم الكلاب . قال التجاني ولم ار منهم إلا مقرا باكلها مستطيبا لاجوبها
 وقديما ما هجى من هجى باكل لحوم الكلاب . ومن اشتهر بذلك من قبائل
 العرب بنو اسد ثم بنو فقعس . وقد قال الفرزدق —

إذا اسدي جاع يوما بيلسدة وكان سميناً كلبه فهوءا كله

وقال مساور بن هند —

إذا اسدية ولدت غلاماً فبشرها بلوم في الغلام
 يخرسها نساء بني دبير باخبت ما يكون من الطعام
 ترى اظفار عقد ملقيسات بواضنها على وضم الشمام
 يخرسها اي يجعلن لها الخرس بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وهو طعام
 صلبة وقال مساور بن هند ايضا —

قال البكري ان تحمل العام فاقعسن فهذا اذن دهر الكلاب وعامها
 وبها جامع وحمل ثابت يذكر هذيلاً ويعيرهم باكل لحم الكلاب ولحوم الناس —

ان سرك القدر صرفا لا مزاج له فلت الرجيع وسل عن دار الحيان
 قوم تواصوا باكل الجار بينهم فالكلب والشاة والانسان سيان
 وليس يوقف لوقت بناء توزر على تحقيق لقدم العهد في ذلك وبعض
 المؤرخين يقول ان بناءها من زمن الطوفان من نوح عليه السلام . قال
 التجاني ولما افتتح المسلمون توزر بنوا بازاء كل كنيسة مسجدا قال ابو محمد
 محمود العيني في كتابه عقد الجمان توزر بضم التاء وسكون الواو وفتح الزاي
 وفي اخرها راء مهملة قاعدة بلاد قسطلية ولها نخل ومجصات ونهر يسقي
 بساكنيها . قال ابن سعيد وبلادها جزائر في وسط الرمل والصحاري المكتنفة
 بها وبها الكتان والحناء . وفي صلة السمط قال الفقيه ابو العباس الدلاوي
 رحمه الله في وصف مدينته توزر ناقلا عن اختصار اقتباس الانوار بعد تقديم
 ما جاء من الفصل في النخل ما نصه : اعلم ان من ذلك ما جاء في الكتاب
 العزيز الذي هو القرءان والحجّة البالغة والفرقان ومنه ما جاء في السنة
 السوية عن سيد البرية صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن الصحابة
 الابرار وغيرهم من ذوي الحكمة والاعتبار فاما ما جاء من ذلك في الكتاب
 العزيز فقوله جل جلاله وتباركت اسماؤه - فيهما فاكهة ونخل ورمان -
 فعد ذلك سبحانه في نعيم اهل الجنة وقوله جل وعز لمريم ابنة عمران
 - وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا - وقوله جل وعز -
 وضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي
 اكلها كل حين باذن ربها - قيل الكلمة الطيبة لا اله الا الله والشجرة
 النخلة وقوله عز وجل - ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا
 ورزقا حسنا - وقوله عز وجل - ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات
 من اعناب - وقوله عز وجل - وفي الارض قطع متجاورات وجنات من
 اعناب وزرع ونخيل - وقوله عز وجل - واصرب لهم مثلا رجلين جعلنا
 لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل - وقوله عز وجل - والنخل
 باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد - الى غير ذلك من الايات التي وردت

منبهة على وجه المنة والنعمة بخلق النخل ، وأبو العباس الدلاعي منسوب
الى دلاية قرية من قرى لاندلس من أعمال المريّة وهو أحمد بن عمر بن
أنس العذري محدث مشهور جليل القدر سمع من أبي ذر وأبي العباس
الرازي وغيرهما ومن طريقه يروي الفقيه أبو حفص التوزري رحمه الله
كتاب مسلم مولده ليلة السبت لاربع خلون من ذي القعدة سنة ثلاث
وتسعين وثلاثمائة توفي بالمريّة ليلة الاربعاء وبها دفن بعد صلاة العصر
عشر بقين من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وصلى عليه ابنه أنس .
وكتاب الفقيه أبي العباس في البلدان من أجل ما صنف في هذا الشأن
قال صاحب السمت وقد وقفت على بعضه وكتب الفقيه أبو حفص في
آخر الكتاب من صحيح مسلم قال أبو علي يعني شيخه أبا علي الصدي
رحمه الله انتهيت بالسماع على أبي العباس العذري في قراءة أبي الحسن
طاهر مفرز بن أحمد بن مفرز المعافري بمسجد المريّة من شرقي لاندلس
من كتاب العذري قال وأنا أمسك بكتابي هذا أيضا بعد أن علم بعلامته
العين وأراها لشيخه أبي علي رحمه الله قرأته على الفقيه أبي العباس
أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلاعي بيلنسية سنة أربعين
وأربعمائة قال وحدثني به عن أبي العباس أحمد بن الحسن بن مغدار
ابن جبريل الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي قال حدثنا إبراهيم بن
أحمد بن سفيان قال حدثنا مسلم بن حجاج قال صاحب كتاب تشبيهات
القرءان بعد ما ذكر ما قيل من أنه تعالى عني بالشجرة الطيبة النخلة
ويشهد لهذا التأويل ما جاء في لآثر من فضيلة النخل وأن النبي صلى الله
عليه وسلم بآرك وقال - خير المال سكة مابورة وفرس مامورة - السكة
الطريقة المصطفة من النخل والمابورة بالهمزة الملقحة من الأبر وهو القحاح
النخل يقال أبرها بالفتح يأبرها بالكسر أبر بالسكون ولأباو بكسر الهمزة الاسم
والشابر مصدر أبر بالتشديد . وقوله صلى الله عليه وسلم وفرس مامورة
ويروي ومهرة مامورة وهي الكثيرة الولادة والنسل وأصله عند بعض الأدباء

مؤمرة من أمرت الشيء ءامرة بالمدة اذا اكثرتة يقال امر الشيء بالكسر
وامرتة ثم غير على رايه للاتباع لقوله صلى الله عليه وسلم ما بورة . واعلم
ان هذا التفسير لا ينبغي ان يسار اليه إلا بدليل وقد جاء امرته بالقصر
بمعنى أمرته بالمدة اي كثرته فيحتمل ما جاء في الحديث على هذه اللغة
لا على الاتباع والحديث حجة على ما سواه . واما السنة فمنها ما جاء
في الموطا وفي كتاب مسلم بسنده عن عبد الله ابن دينار انه سمع عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ان من
الشجر شجرة لا يستط ورقها وانه مثل المسلم فحدثوني ما هي - فوقع الناس
في شجر البوادي قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فوقع في قاي انها
النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال فقال - هي
النخلة - قال فذكر ذلك لعمر قال لان تكون هي النخلة احب الي
من كذا وكذا . وفي حديث آخر في كتاب مسلم ايضا - مثلها مثل المؤمن .
ومنها ما جاء في كتاب مسلم ايضا في فضائل ابي طلحة الانصاري رضي الله
عنه انه جاءه صلى الله عليه وسلم بالمولود الذي ولد بعد موت ولد كان
له قبله قال فوضعه في حجرة صلى الله عليه وسلم ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه الشريف صلى الله عليه
وسلم حتى ذابت ثم قذفها في فم الصبي فجعل الصبي يتلذذها قال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم - انظروا الى حب الانصار التمر - قال فمسح
وجهه وسماه عبد الله . واعلم ان كل حديث ورد في هذا المعنى فهو دليل
على فضل النخل والتمر . ومنها ما جاء في كتاب الشبهات من قوله صلى
الله عليه وسلم - نعم المال الراسخات في الوحل المطعمات في المحل . وقوله
صلى الله عليه وسلم خير المال سكة ما بورة وفرس ما مورة . ومنها في الموطا
عن ابي هريرة انه قال قال كان الناس اذا راوا اول الثمر جاءوا به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال -
اللهم بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك

انا في مدنا اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك وانا عبدك ونبيك وانه
مالك لمكة وانا ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثلهم معه - ثم
يدعو اصغر ولد ابراهيم فيعطيه ذلك التمر . وفي رواية اخرى عن مالك
فاذا اخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه على وجهه ثم قال - اللهم
الى اخرة . ومنها ما ذكره صاحب تشبيهات القراء ان قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول - اذا اقبل الرطب فهنئوني فاذا ذهب فعزوني -
وقال - اطعموا نفساءكم الرطب فان الله عز وجل لو علم شيئا خيرا منه
لاطعمه مريم حين نفست بغي - عليه السلام . قال انس بن مالك اولم
النبي صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق . وذكر كمال الدين
الدميري رحمه الله في مادة الدود من كتاب حياة الحيوان ما نصه وروى
ابن عدي بسند فيه عصمة بن محمد بن فضالة عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال - كلوا التمر على الريق فانه يقتل
الدود - . واما ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فممن ما جاء في الامالي
عن ابي علي القالي قال ذكروا عند عمر رضي الله عنه ايما افضل الرطب
ام الزبيب قال - ليس كالصقر في رءوس الرقل الراسخات في الوحل
المطعمات في المحل تحفة الصائم وتغلة الصبي ونزل مريم ابنة عمران وينضج
ولا يعني طابخه ويحترش به الضب من الصلحاء ليس كالزبيب الذي
ان اكلته ضرست وان تركته غرثت - . والقالي منسوب الى قالقلا مدينة
من مدن ارمينية وابو علي يقال له ابو علي البغدادي لسكنه ببغداد والله
اعلم وقيل له القالي لانه ورد بغداد مع قوم من اهل قالقلا فكانوا يكرمونه
لمكانه من الشعر ومكانهم قريب من بلده فانتسب اليهم فغلب عليه القالي
وهو مشهور لا يحتاج الى اطناب . والصقر بفتح الصاد المهملة وسكون القاف
الدبس بكسر الدال وسكون الباء الموحدة وهو عسل التمر وليس المراد بقوله
ليس كالصقر والله اعلم الصقر نفسه واما المراد التمر فسماه صقرا لاشتماله على
عسله وان ذلك يقطر من بعضه وهو على رءوس النخل بخلاف الزبيب
الذي

الذي ليس له صل ولذلك ليس كالصقر الذي في رءوس الرقل والصقر
انما يخرج من الثمر بعد ما يزول من رءوس النخل ويبقى مدة . وقال
في الصبح الدبس ما يسيل من الرطب . وقال ابن قتيبة واهل الحجاز
يسمون الدبس الصقر . وقوله ليس كالصقر كالم فيه حذف ويحتمل وجهين
احدهما ان يكون المراد ليس شيء من الثمار كالصقر الثاني ليس الزبيب
كالصقر . والرقل بفتح الراء المهملة وسكون القاف الطوال من النخل واحدها
رقلة وقوله الراسخات اي الثابتات والوحل بسكون الحاء وفتحها الطين
والمراد انها تنبت بالطين وتنمو على ذلك ولا يتزحزح اصلها بخلاف اكابر
الاشجار ولا يضرها كونها في الوحل دائما بخلاف غيرها . وذهب بعضهم الى
ان المراد بالراسخات في الوحل التي تشرب بعروقها من الارض والاول اظهر
والله اعلم . والمحل الجذب يقال احل فهو ماحل وقد جاء محل في الشعر
وقوله تحفة بفتح الحاء والتعلة بفتح الشاء وكسر العين المهملة وتشديد اللام ما
يعلل به المرء والمعنى ان الصبي يعلل به عن اللبن او غيره فيذهب بكارة
وعلمه . وقوله ونزل مريم بضم النون والزاي قال ابو علي في تفسيره والنزل
ما ينسأغ من الطعام وقيل الاولى ان يحمل قوله النزل هنا على ما يربا
للنزول من الطعام والنزول هو الضيف يقال نزل بالضم والسكون . وقوله
وينضج بفتح الصاد اي يطيب يقال نضج اللحم والتمر بالكسر نضجا بضم
النون ونضجا بفتحها اذا ادرك فهو نضيج وناضج وانضجته انا . وقوله ولا
يعني بالتشديد اي لا يسعب والعناء التعب . وقوله ويحترش بالحاء
المهملة والشين المعجمة اي يصاد والضب حيوان معروف والصلعاء الارض
التي لا نبت فيها هذا قول ابي علي البغدادي رحمه الله . وقال البكري
الصلعاء ارض لبني صبد الله بن غطفان قال والارض التي لا نبات فيها صب
والصلعاء هذه مصيبة . قال ابن الشباط يحتمل ان يكون قول ابي علي محمولا
على الضب التي تكون خالية من النبات ويكون فيها وجار الضب وان
كان ما حولها فيه النبات وحملت على هذا اولى من ان يخص ذلك

بصلعاء بني عبد الله بن غطفان فان ذلك التخصيص لا فائدة فيه والله اعلم .
والصلعاء هنا بالصاد والعين المهملتين وقد جاء في غير هذا الخبر الصلفاء وهي
الارض الصلبة وقد يكون ارضا بعينها ايضا . وقوله ضرست اي تألمت
اضراسك وفي الصحاح الضرس بالتحريك كلال في السن من تناول شي
حامض وقد ضرست اسنانه بالكسر وقال ابن القوطية وضرس الرجل ضرسا
وجعته اضراسه من اكل الحامض . قال ابن الشباط والمراد بالضرس في هذا
الخبر والله اعلم تألم اضراسه اكل الزبيب من رض عجمه واما الحموضة
وان كانت توجد في بعض اصنافه فلا يبلغ حالة اكله مع ذلك الى
الضرس إلا ان يكون الكلام خرج على جهة المبالغة والله اعلم . وقوله
غرثت بكسر الراء اي جمعت يقال غرث الرجل بالكسر غرثا بالفتح فهو
غرثان ❦ واما ما جاء عن غير الصحابة رضي الله عنهم فممنه ما ورد في
الاخبار وممنه ما ورد في الاشعار اما ما ورد في الاخبار فممنه ما يحكى ان
ملك الروم كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بلغني ان بارضكم
شجرة تطلع مثل اذان الحمر ثم تنشق عن مثل اليتق الابيض او الدر
الابيض ثم تخضر عن مثل الزبرجد الاخضر ثم تصفر عن مثل الذهب
الاصفر ثم تحمر عن مثل الياقوت الاحمر ثم ترطب فتكون احلى من
الغالوج اكله ثم تيبس فتكون قوتا للقيم وزادا للمسافرين فان صح ذلك
فهذه شجرة من الجنة . فكتب اليه عمر رضي الله عنه بما معناه ما اخبرتك
به رسلك صحيح وهي الشجرة التي امر الله عز وجل مريم بنت عمران ان
تهز بجذعها حين نفست بعيسى عليه السلام فأتق الله ولا تتخذة الاها من
دون الله . وقوله تطلع بالفوقية اي تخرج طلوعها يقال اطلعت النخلة اذا
ابدت طلوعها وقوله عن مثل اليتق الابيض كذا سمعته من بعض اصحابنا
فيما يغلب على ظني إلا ان فيه اشكالا فان اليتق هو الشديد البياض
الناصع فاذا قلنا اليتق كان في تقدير شديد البياض فكان قوله الابيض
بعد قوله اليتق تكرارا لا فائدة فيه لكنه يحمل على المبالغة والتأكيد وقد

عارض ذلك ما شك انه سمع مثل الينق الايض او الدر الايض . وقوله
ثم قرطب بضم التاء يقال ارطبت النخلة اذا صار بسرها رطبا وارطب البسر
صار رطبا . والفالوذج بفتح الذال المعجمة وبالجميم وهو الجاري على كالسنة
والوارد في بعض الاخبار وهو طعام يصنع بالعسل والسمن . قيل للحسن
البحري رحمه الله تعالى ان فلانا يعيب الفالوذج فقال ايعاب البر بلعاب
النخل بخالص السمن ما اعاب هذا مسلم ذكر ذلك ابن قتيبة في عيون
الاخبار والمخاف في البيان وفي تفسير القرءان للثعالبي رحمه الله في شرح
قوله تبارك وتعالى - لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم - . روي عن عائشة
رضي الله عنها وابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
ياكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلو والعسل وقال المؤمن حلو يحب
الحلاوة وقال في بطن المؤمن زاوية لا يملأها إلا الحلو . وروي ان الحسن
كان ياكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقد ما تقول في
هذا فقال لا اكله ولا احب اكله فاقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال
لعاب النخل بلساب البر مع سمن البقر يعيبه مسلم . وجاء رجل الى
الحسن فقال ان لي جارا لا ياكل الفالوذج قال ولم قال يقول لانودي شكره
فقال الحسن ايشرب الماء البارد قال نعم قال ان جارك جاهل ان نعمة الله
تعالى عليه في الماء البارد اكثر من نعمته في الفالوذج . وقسوله ان تهز
بجذعها الجذع كان يابساً وكان رزقاً شتاءً فهزت به فعاد نخلة وتساقطت
عليها رطبا جنيا . قال جامع عفا الله عنه واحياء موات النخلة لاجل عيسى
عليه السلام تاكيد لدفع ما يريب مريم عليها السلام واقامة دليل على سن
ينكر صديقيتها . ولسان حال الخارقة يقول ان من شأنه ان يطلع هذه
النخلة من جذع يابس لا مطمع في حياته بعد ان اجري ماءها فاحياها ثم
انبت لها ورقا فطلعت واطلعت ووشى صفحتي عذارها باقراط جمارها -
جسم وطيب اللبس كنسمة قد لف في ثوب من الصوف
وانبت زرعه واطلع طلعه -

كصدر فتاة ناهد شفى قلبها سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا
ونشر على طويل ذلك المتن شرحه وطرز بحواشيه بأحـــــــــــــــــم
مكاحل من زمرد خرطبت مقمعات الرءوس بالذهب
وخلع على صير جذعه لطيف يسره واطلع تحت اهلة جريدة ثريا بسره
كانما خوصه عليه زبرجد مثمر عتيقا
وملا موائد رتبته بجفان رطبـــــــــــــــــه

اهليلج من لجين مسمر بالنظــــــــــــــــار
حتى ان انصاج ثمره فجئوا بانامل الشكر يواقيت ثمره
يشف مثل كووس مبلرة من عــــــــــــــــار
لا يستكثر في باهر قدرته جل جلاله خلق عيسى عليه السلام من غير اب
من بنت عذراء ولكن جعله عليه السلام آية فرقت بين سن سمع وعصى
يوم السبت وبين سن اكد الطاعة بالامثال البت - وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله - . ورحم الله شرف الدين ابا عبد الله محمد بن سعيد بن
حماد بن محسن بن عبد الله بن منهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري
ونفعنا به آمين في قوله -

كيف وحدتكم الهأ نفى التو حيد عنه الالباء والابناء
اللة مركب ما سمعنا باله لذاته اجزاء
الكل منهم نصيب من المله لك فهل لا تميز الانصباء
وذيلات هذا المقام بيئين -

ورفضتم جميل جذع اتي منه لمعبودكم غذا وغذاء
كان من سبركم عبادة عيسى فاعبدوا ما به لديه غذا
ويقال هاهنا ما الفائدة في دخول الباء في قوله تعالى - وهزي اليك بجذع
النخلة - والجواب من وجهين احدهما ان يكون المفعول محذوفا اي هزي
الرجون او الثمر بجذع النخلة الثاني ان تكون صلة في المفعول كما قال -
نضرب بالسيف ونرجو بالفرج « وعلى هذا فلها فوائد احدها الاصاق
والثانية

والثانية التاكيد والثالثة الدلالة على المباشرة كما قالوا في قوله عز وجل - فامسحوا برءوسكم - وهنا وجه رابع وهو ان يكون « وهزى بيدك جذع النخلة » ثم حذف ذكر اليد للعلم به فيكون هذا كما قيل في قوله تعالى - وامسحوا برءوسكم - ان الاصل وامسحوا برءوسكم بالماء ثم قلب فصار وامسحوا بالماء رءوسكم ثم حذف ذكر الماء للعلم به وبقي وامسحوا برءوسكم وهذا من باب مفهوم العكس واستشهد له بيت كتاب مسبوويه وهو - كنواح ريش حمامة نجدية - ولاصل فيه ومسحت اللثتين بعصب الاثمد ثم قلب على نحو ما تقدم . وقسوله حين نفست ويقال نفست المرأة بالكسر اذا اصابها النفاس وهو وجع الولادة ويقال نفست المرأة غلاما على بناء ما لم يسم فاعله والولد منقوس كذا في الصحاح . قال وفي الحديث ما من نفس منقوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة او النار . وذكر ابن القوطية ان قولك نفست بفتح النون وكسر الفاء اذا ولدت ونفست على ما لم يسم فاعله حاضت وولدت وذكر غيره انه لا يقال في الحيض إلا بالضم . وذكر صاحب كتاب تشبيهات القرءان هذه الحكاية التي تقدمت في كتاب قيصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - ان رسلي اخبروني ان قبلكم شجرة تخرج كأذان الحمير ثم تنفلق عن مثل اللولو المنظوم في مثل قضبان الذهب فيعسيبون منه مع ذلك ثم يكون كالياقوت الاحمر والاصفر ثم ينضج كالفالودج فهو عصمة للمقيم وزاد للمسافر فان تصدق رسلي فهي شجرة من الجنة - فاجابه عمر رضي الله عنه - هي النخلة التي انبتها الله على مريم عليها السلام حين نفست بعيسى عليه السلام فاتق الله ولا تجعله من دونه إلها - ان مثل عيسى عليه السلام كمثل ءادم خلقه من تراب - : ومنه ما يحكى عن ابي العلاء المعري انه قال - قلت لاعرابي اسدي من اهل عمان أنى لك هذه الفصاحة - قال - سكنا ارضا لا نسمع فيها ناجخة التيار - هي بالنون والجيم والحاء المعجمة صوت البحر والتيار البحر والاسدي بفتح الهمزة وسكون السين ويقال ازدي ايضا بالزاي وهم اسد عمان وازد

همان وثمان هنا بضم العين وتخفيف اليم وهو موضع باليمن فاما عمان بفتح
العين وتشديد اليم فهو موضع بالشام . قال ابو العلاء المذكور للاسدي صفها
قال : سيب افيح . وفضاء صحصح . وجبل صودح . ورمل اصبح . فقال
له فما مالك . قال النخل . فقال له فاين انت من الابل . قال ان
النخل حملها غذاء وسعفها ضياء وجذعها بناء وليفها رشاء وخصوصها وعاء
وقرءها اناء . قوله سيب هو بكسر السين المهملة الشاطي وفيه اشكال ان
اراد به سيب البحر فانه يناقض ما قبله وان اراد سيب نهر من الانهار
فلا اشكال وقد يكون قوله سيف بالفاء اخت القاف تصحيفا من سيب
بالباء الموحدة وهو يجري الماء فيكون قوله افيح اي واسع والصحصح المكان
المستوي والاصبح الذي تعلق بياضه حمرة والقرء وعاء من جذع النخل
ومنه قول عمران الكاهن حين اعلم اهل سبا بتفريقهم في البلدان وتشيتهم كما
قال الله عز وجل - ومزقناهم كل ممزق - ووصف لهم البلدان لينخروا منها
المواضع التي ينزلونها فقال - ومن اراد الراسخات في الوحل المطعمات في
المحل فليالحق بيثرب ذات النخل - فالحقت بها الاوس والخزرج ابناء
حارثة بن ثعلبة بن عمرو وعمران الكاهن هو اخو عمرو بن عامر الملقب
بالمزقياء لانه كان يمزق كل يوم حلة اذا لبسها فلا يعود اليها . ومنه ما
حكاه صاحب تشبيهات القرء ان قال ابو حاتم من فضيلة النخل ان الله
تعالى لم يجعله في بلد كفر وما منه شيء الا في بلاد الاسلام او ما قد وصل
اليه الاسلام . واما ما ورد من ذلك في الاشعار فمنه قول سويد بن
الصامت الانصاري وقد ذكره دعلج بن علي الخزاعي في طبقات الشعراء -

ادين وما ديني عليك بمغرم ولكن على الشم الجلاذ القراوح
على كل خوار كان جذوعها طلسين بقار او بحماة مائح
لها قابل اوعى الجوانح كلها تناول كفاه البسار الجوانح
وليست بسناء ولا رجبيسة ولكن عرايا في السنين الجوانح

وقبل هذا البيت بيت آخر وهو -

واصبحت قد انكرت قومي كاني جنيت لهم بالدين احدى الفضائح
وبعد بيت آخر ايضا وهو —

ادين على ائمارها واصولها لاولى قريب او لآخر نازح
وقوله ادين بفتح الهمزة اي اخذ الدين واما ادين بضم الهمزة بمعنى اعطى
الدين يقال دان الرجل اذا اخذ الدين وادان بمعنى اعطى وفي حديث
الموطا ادان معرضا والشم بضم الشين العالية المرتفعة والجلاد الصلاب الشداد
وقال ابن قتيبة في كتاب معاني الشعر له معناه القوية الصبر على العطش
والقراوح جمع قرواح والاصل القراويح بالياء فحذفها لضرورة الشعر والخوار
الناقة الغزيرة اللبن والقار الزفت وقال ابن قتيبة ان النخل اذا اسودت
جذوعها كانت اصلب والمائع بالهمزة الذي ينزل البثر فيملا الدلو اذا قل
ماء البثر والمائع بالمشناة الفوقية الذي يزيل الدلو من اعلا البثر . قال
صاحب تنقيف اللسان الاءلى للاعلى والاسفل للأسفل من حيث النقط .
وقوله لها قابل اوعى قال ابن قتيبة القابل الذي يتناول الدلو يعني
لسقي النخل والجوانح عظام الصدر وقوله تناول بضم اللام وحذف احدى
التاءين تخفيفا للعلم بها . والبسار بكسر الباء وبالسين المهملة والراء الميم
التي في الدلاء وسمي الدلو بسارا لاشتماله عليها . والسنهاء التي تحمل عاما
وتحول عاما . والرجبية بضم الراء وتشديد الجيم ويروى بتخفيفها النخلة
التي يخشى عليها ان تسقط فيبنى باسفلها رجة وهي مثل الدكان والرجبة
بضم الراء وسكون الجيم جمعها رجب كركبة وركب ومنه قول حباب بن
المنذر — يوم سقيفة بني ساعدة — انا عذيقها المرجب — وجذيلها المحكك .
والعريّة النخلة يعطي الرجل اهل البيت ياكلونها . قال ابن الشباط
وهذا البيت ينشده الفقهاء شاهدا على العريّة ثم قال واعلم ان ما تقدم
ذكرة من تفسير السنهاء والرجبية هو الذي ذكره اللغويون في ما علمت إلا
ان البيت عندي فيه اشكال وهو ان حكم « لكن » ان يكون ما بعدها
مخالفا لما قبلها كما تقول اكرمت زيدا لكن عمرا لم اكرمه وما اكرمت

زيدا لكن عمرا اي لكن اكرمت عمرا والبيت وردت فيه لكن على خلاف
هذا الحكم فان قوله ليست بسنها ولا رجبية معناه على ما فسر ليست
بمنقطعة الحمل في بعض الاعوام ولا بمدعمة بدعامة فكان يجب على هذا
ان يقول لكنها متصلة الحمل غير محتاجة الى دعامة لاستقامتها وشدتها فهذا
هو المناسب على ذلك التعبير السابق . واما قوله ولكن عرايا في السنين
الجوائح فانه لا يناسب ذلك قال واذا ظهر لك ذلك فاقول الاولى ان يفسر
السنها بانه لا يباع ثمرها مسانته ورجبية بانه ليست عندهم معظمت
يدخرون ثمرتها لانفسهم فان الترجيب هو التعظيم بل هي مبذولة عرايا في
اوقات الحاجة لاهل الخلة والسكنة فعلى هذا يلتئم صدر البيت وعجزة
وتكون لكن جارية على حكمها فيكون المعنى انهم لا يبيعون ثمرتها
مسانته ولا يدخرونها لانفسهم ضنانه وبخلا لكن يخصصون بها ذوي الحاجات
في اوقات الضرورات . ومنه قول الآخر في نعت النخل وقد نسبها علي
ابن حمزة البصري في كتاب التنبهات على اغاليط الرواة لذكوان العجلي
وذكر انه من جيد النعت للنخل -

نواضر غلبا قد تدانت رءوسها من النبت حتى ما يطير غرابها
ترى الباسقات العم منها كانها طعائن مضروب عليها قبايهها
تدر اذا ما الشول لم يوج درها وامست من الالبان صفرا وطايبها
بعيدة بين الزرع لا ذات حسرة قصار ولا صعل سريع ذمايهها
قوله نواضر اي نواعم وغلبا اي غلاظ ويحتمل ان يريد غلاظ الرقاب فانه
دليل على قوة النخل والاعلب من الرجال الغليظ العنق فاما قولهم حديقته
غلباء فمعناه ملتفة كما في الصحاح ومنه « وحدائق غلبا » . وقوله ما يطير غرابها
يحتمل وجهين احدهما لكثرة حملها او خيرها كما يقال « خير لا يطير غرابه »
معناه يقع الغراب عليه فلا ينفر والثاني ان يريد بذلك تكاثف جريدها
والثفافة حتى لا يجد الغراب في الغالب مطارا بينها . والباسقات هي
الساميات العاليات والعم الطوال والطعائن جمع طعينة وهي المرأة في اليهودج

وهي التي يسافر بها . واعلم ان تشبيه هذا الشاعر النخل بالطعائن هو والله اعلم لما تشتمل عليه من خضرة الجريد وحمرة الثمار وصفرتها كالهوادج التي تزين بالرقم وانواع الالوان ولذلك قال مصروب عليها قباها . وقوله تدر بضم الدال وذلك يحتمل وجهين احدهما ان يكون ذلك استعارة شبه حمل النخلة بلبس الشول والمراد انه اذا عدم در الشول وجد در هذه يريد في عام الجذب الثاني ان يريد بذلك الدبس الذي هو عسل التمر يسيل منها فشبهه بدر الناقة ولاول اولى . والشول التي جف لبنها وارتفع ضرعها ومضى عليها من وقت نتاجها سبعة اشهر او ثمانية والواحدة شائلة وهو جمع على غير قياس والصحيح انه اسم جمع لا جمع . والصفير الخالي والوطاب جمع وطب وهو زق اللبن . وقوله بعيدة بين الزرع يجوز فيه وجهان احدهما نصب بين والثاني خفضه اما النصب فعلى ان المضاف محذوف للعلم به اي بعيدة ما بين الزرع ثم حذف المضاف اليه وهو ما وهذا الوجه فيه ضعف وقد لا يجيزه بعض النحويين او اكثرهم وجتهد ان الموصول لا يحذف لانه مع صلته كالشيء الواحد فكما لا يجوز النطق ببعض الكلمة كذلك لا يجوز النطق ببعض الصلة ولا بالموصول دونها ولا بما دون الموصول وهذا الاحتجاج وان كان واضحا إلا ان هاهنا ما يعارضه وهو قولهم ان الموصول مع صلته كالشيء الواحد وهو دليل المنع . قال ابن الشباط وما استدللتم به في المنع هو الدليل على الجواز . فانه لما كان مع صلته كالشيء الواحد كان النطق ببعضه دليلا على الباقي المحذوف وذلك مسوغ للحذف لا مانع منه . واذا كانت القرينة الحالية مسوقة للحذف مع انها لا اثر لها في اللفظ فما يكون اللفظ دالا عليه اولى ان يسوغ حذفه . واما قولهم لا يجوز النطق ببعض الكلمة فكذلك الموصول ففيه تفصيل . قال ابن الشباط لا يسوغ النطق ببعض الكلمة هذا اذا لم تدل دلالة على المحذوف اما اذا دلت فمسلّم . وقد جاء ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم . كفى بالسيف

شا - اي شاهدا وفي قول الشاعر -

بالخير خيرات وان شرافشا ولا نريد الشر إلا ان تشا
يريد ان شرافش فاكفى ببعض الكلمة . فان قلت حذف الموصول وابقاء
صلته ولاكتفاء بها لم يرد في سماع فالجواب بل ورد في السماع وجاء
في الكتاب العزيز وهو قوله عز وجل - والذي جاء بالصدق وصدق به -
اي والذي جاء بالصدق والذي صدق به . قيل الذي جاء بالصدق
هو النبي صلى الله عليه وسلم والذين قالوا هذا القول اختلفوا في الذي صدق
به فقالت طائفة هو ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقالت طائفة هو علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه وقالت طائفة الذي صدق
به المؤمنون وعلى كل تقدير فالموصول محذوف وقد اكتفي بصلته . فان
قلت تقدم الذي في صدر الاية دل على المحذوف بخلاف المسألة التي
نحن فيها فالجواب هذه قرينة عقلية وتلك حالية ولا فرق بينهما عند
ذوي الاعتبار من اهل النظر . واذا عرفت ذلك فاعلم ان المراد بالزرع هنا
النخل انفسها اي انها بعيدة في الزرع والغرس . واما الخفض فعلى وجهين
احدهما ان تجعل بين بمعنى البعد والثاني ان تجعل بين بمعنى الوصل
فان البين من الاصداد اي بعيدة وصل الغرس والمراد انها لا وصل بين
غرسها بل هي متباعدة الوصل . وهاتنا وجه ثالث وهو ان تجعل الاصل
بعيدة ما بين الزرع ثم تحذف ما للعلم بها كما تقدم ثم تخفض الطرف
على الاتساع لفهم المعنى من دلالة الحال عليه . وفي الكتاب العزيز - لقد
قطعت بينكم - قري بالفتح وهي قراءة نافع وحفص والكسائي وبالضم وهي
قراءة باقي السبعة . فاما قراءة النصب فاولت على وجهين احدهما ان
الفاعل محذوف اي تقطع وصلكم بينكم اي ما انتم عليه من الشرك
بينكم والثاني ان يكون الفاعل هو قوله عز وجل بينكم . واختلفوا في
مجيئه على الفتح فليل لان اصله الظرفية واكثر استعماله كذلك فابقي
في حال الرفع على هيئته وقيل ان الظرف هنا مبني لبناء ما اضيف اليه
لان المضاف قد يكتسب صفة البناء باضافته الى المبني كما قال الشاعر -
لا يمنع

لا يمنع الشرب منها غير ان نطقت حاتم في غصون ذات اوقال
واما قراءة الرفع فاولت ايضا على وجهين احدهما ان الطرف اتسع فيه
فرفع برفع الفاعل الثاني ان الين هنا بمعنى الوصل فالرفع على بابه لا
على الاتساع . واعلم ان ما جاء على الاتساع ما ذكر بعض النحويين من
قولك هذا رجل حسن بين العينين لا قبكه بخفض بين هذا اذا لم
تنطق بما فان نطقت بها ففي ذلك وجهان احدهما ان تجعلها زائدة
فيبقى الحكم على حاله فتقول هذا رجل حسن ما بين العينين لا قبكه
بخفض بين الثاني ان تجعل ما بمعنى الذي حينئذ لا يجوز في بين إلا
النصب على الظرفية . ثم قال ابن الشباط واعلم ان ما اجازة النحويون
من الاتساع ابعد من حذف ما وبقاء الطرف على حاله فان هذا المعنى
ليس فيه إلا مجاز واحد وهو حذف ما فقط للعلم بها . واما الاتساع ففيه
وجوه من المجاز احدها حذف المضاف الثاني اقامة الطرف مقامه الثالث
ايصال الفعل اليه ونصبه الرابع اخراجه من باب الظرفية الى باب الاسمية
حتى ارتفع فاعلا وانتصب مفعولا على الاتساع . ثم بعد ذلك كله لا يفهم
المعنى حتى يرد الى اصله وينطق بما في تقديره ويبين وجه الاتساع
فيه . وهذه الوجوه كلها معدومة في الوجه الاول ولا شك انه مهما قل
العمل في المجاز كان أرجح إلا في باب الاستعارة المستحسنة . ولهذا العلة
والله اعلم مال النحويون الى هذا الطريق على طوله وكثرة العمل فيه وتركوا
الاول على قربهم وقلة العمل لما في هذا من الاستعارة وعدم ذلك في الاول .
وقوله لا ذات حسرة يحتمل وجهين احدهما ان يستعير له الحسرة وهي
اشد التلief على الفاتئ اي انها ليست بقصار فتلief على ما فاتها من
الطول كما تتلief المرأة القصيرة على ذلك اذا رات الطوال الثاني ان يريد
بالحسرة الانقطاع والاعياء من قولك حسر بعد الشيء لحاقا بالنصب اذا
اعياها كان النخل القصار اعياها ان تالحق الطوال فنفي ذلك عن هذا النخل
وهذا كله من باب الاستعارة . وقوله قصار جمع وهو نعت لقوله ذات

حسرة وان كان قوله ذات حسرة مفردا لان قوله ذات حسرة لا يراد به الواحدة وانما يراد به الجمع والاصل ذوات حسرة فوضع المفرد موضع الجمع . والصعل بضم الصاد وسكون العين المهملتين جمع اصعل وصعلاء وهو في هذا المكان يحتمل وجهين احدهما ان يريد الصغار الرؤوس والصعل صغر الرأس في الناس والنعام يقال رجل اصعل وامرأة صعلاء فنفى عنها صعل الرأس لانه دليل على ضعف النخل الثاني ان يريد بالصعل العوجاء من النخل الجرداء اصول السعف إلا ان هذا فيه اشكال لان فعلاء لا يجمع على فعل لكن يحتمل ان يجمع فعلاء على فعال ويجمع فعال على فعل . ومنه قول الآخر وقد نسبته علي بن حمزة البصري لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير -
دهم الخوافي منطقات خرس تحار في اطلالهن الشمس

• كانهن الفتيات اللعس •

والخوافي اصلها في ريش الجناح فاستعارها لجريد النخل وجعلها دهما لشدة خضرتها حتى تميل الى السواد وهو دليل قوتها ونعمتها . ومنه قوله عز وجل - مدهامتان - وقوله منطقات خرس وصفها بالنطق وذلك يحتمل وجهين احدهما ما يسمع لها من جفيف الجريد عند هبوب الرياح الثاني ما يسمع بها من اصوات الطيور التي تالفها . قال الاعشى -

طريق وجبار رواء اصوله عليه ابابيل من الطير تنعب

والطريق جمع طريقة وهي اطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة والجبار من النخل التي تقوت اليد والابابيل الجماعات قيل واحدها ابول وقيل لا واحد لها وابابيل مما يستعمل في الكثرة والجنان التي تكون ملتفة الاشجار تالفها الطيور وتوصف بذلك فيستعار النطق لاجل ذلك كما قالوا روضة غناء اي يغني بها الذباب . وقوله خرس وهو جمع اخرس وخرساء وهو الذي لا ينطق وقوله تحار في اطلالهن بالطاء المعجمة جمع ظل يصفها بالتفافها وتكاثف جريدها . قال علي بن حمزة البصري ولا تحار فيها الشمس إلا لتكاثف الجريد واطراق الخوص . وقوله كانهن الفتيات اللعس

شبههن بالفتيات اللبس وهن السمير الشفاء لنضارتهم وشدة اخضرار اعاليهن
واللبس في الشفاء من الصفات المستحسنه وهو ان يضرب لون الشفة الى
السواد قليلا ومنه قول الآخر -

فان لنا حظائر ناعمات عطاء الله رب العالمين
طلبن البحر بالاذناب حتى شربن جمامه حتى روين
تطاول محرمي صدي اشي بوائك ما يباليين السنين
تخرمها العطاء فكل يسوم يجاذب راكب منها قرينا
كان فروعهها في كل ربح جوار بالذوائب يتصينسا
بنات بناتها وبنات اخرى صواد ما صدين وقد روينا
والحظائر الحدائق واحداثها حظيرة والاصل في الحظيرة ما حظر بخائط او
غيره وقوله عطاء الله رب العالمين منصوب لانه صفة لقوله حظائر ويجوز
ان ينصب باضمار فعل اي اعطانا الله سبحانه ذلك ويجوز فيه الرفع على
اضمار المتبدا اي تلك الحظائر عطاء الله عز وجل والرب المالك والعالمين جمع
عالم بفتح اللام والعالم تارة يطلق على كل موجود سوى الله عز وجل وبهذا
الاعتبار هو جنس لا يصح فيه تثنية ولا جمع وقوله طلبن البحر بالاذناب
معناه انهن طلبن الماء بعروقهن واراد بالبحر الماء الملح وانشد بعضهم للناطقة
في معناه -

من الواردات الماء بالقاع تستقي باذنائها قبل استقاء الحناجر
والجمام بكسر الجيم جمع جمه بالفتح وهو ما اجتمع من الماء والاصل في الجمه
والله اعلم انه الموضع الذي يجتمع فيه الماء والجمه البئر الكثيره الماء والمحرم
بفتح الميم وكسر الراء منقطع انف الجبل وصداء جناياه واشي بضم الهمزة
وفتح الشين المعجمة وتشديد الياء قال ابن قتيبة واشي واد معروف وقال
البكري واد او جبل في بلاد بني العدوية من تميم وقسال عمارة بن عقيل
اشي واد البراجم وقال فيره بلد قرب اليمامة وقال زياد بن جبل وهو المرار
العدوي -

وحبذا انت يا صنعاء من بلد ولا شعوب هوا منا ولا نعسم
 وحبذا حين تمسي الريح باردة وادي اشي وقتيان به نغسم
 وقوله بوائك قال ابن قتيبة والبوائك الحواصل وفي الصحاح السمان
 من النوق ومن كلامهم انه لمنحار بوائكها وعليه انها النخل القوية الغلاظ
 وقوله ما يبالي السنين اي اعوام الجذب لانهم يشربون بعروقهن وقوله
 قوينا يحتمل وجهين احدهما ان يريد نخلة تجاورها اختها فهي مقرونة
 بها الثاني ان يريد جريدة تقارنها اختها وقوله كان فروعها في كل ريع
 البيت قال ابن قتيبة يريد ان سعف النخلة منها ينال سعف النخلة
 الاخرى لقرب بعضها من بعض والمناسبة المجاذبة يقال تناصى الرجلان
 اذا اخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه وقوله بنات بناتها وبنات اخرى
 صواد اي طوال وقوله ما صدين اي ما عطشن والصدا العطش وهو من
 ابيات المعاني وقوله وقد روينا مع ما قبله ايطاء وهو من عيوب الشعر ومن
 مستحسن التشبيهات كما نقله ابن الشباط عن صاحب كتاب تشبيهات
 القرء ان قول كعب ابن الاشرف —

ونخيل في ملاء جملة تخرج الطلع كالمثال لاكف

وقول الاخر في حسن تاليفها وتشبيه لينها —

جاءت على غرس طبيب ماهر عشرين عشرين بذرع واقـ
 ترى لها بعد ابار الابـ مـأزرا تطوى على مأزر
 ولعبد الصمد بن المعذل يصف حمل النخل —

كانه في ناظر الانصان زمرد لاح على تيجان
 حتى اذا تم له شهران وانسدلت عشاكل القنوان
 رايته مختلف اللسان مثل الاكاليل على العقيان

وقال ابن المعتز يصف النخل —

اعددت للسجار وللغفات رواقا في المحل مطعمات
 تفضل فيها الطير ناغمات كواذب الاقوال صادقات

نوات اطواق مرصعات فيها يصفقن مثقلات
تصفق نسوان على اصوات ما بين اكمام مهدلات
بدت من الكافور ضاحكات حتى اذا صرن الى ميقات
رحن من الجوهر موقدات بالذهب الرطب مكللات
ثم تبدلن باوعيات للعسل الماذني ضامنات
بخالص التبر مقنعات

قال ومن ملح التشبيهات قول بعض العرب -
وتعمر كاطفال الزوج اتوا بها وقد همموا بالتبر منها رءوسها
فما زالت الانياب تقري بطونها كما فرت الاساد يوما فريسها
ومن الطف التشبيه ما ذكره بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي
في كتابه نسيم الصبا حيث قال فمها نخيل بتخفة غير بخيل :
فجمارة -

جسم رطيب اللمس لكنه قد لف في ثوب من الصوف
وطلمه -

كصدر فتاة ناهد بثف قلبها سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا
وباحه -

مكاحل من زمرد خرطت مقنعات الرءوس بالذهب
وبسرة -

كانما خوصه عليه زبرجد مشر عقيقا
ورطبه -

اهليج من لجين مسمر بالنظر -
وتمرة -

يشف مشل ككوس مملوة من مقنعات
قال ابن الشباط واخبرني بعض شيوخ بلدنا ان الفقيه القاضي ابا محمد
عبد الله بن عبد العزيز البكري عن الشيخ الصالح ابي الفضل البكري

انه قال - صعدت المنار بتوزر مع الفقيه ابى الحسن ابن التقيوسي فاشرفنا على الجنان فقال الفقيه ابو الحسن - كانما البست من سندس حللا - فقلت - ولقد الله في اجيادها ذهباً - قال ابن الشباط وهنا وجه آخر من التفصيل وهو ان المدينة التي اختارها الله عز وجل لمهاجرة نبيه صلى الله عليه وسلم اختصت بالنخل وهو خير الانبياء وامامهم وخاتمهم الذي به تم عقدتهم وكمل نظامهم وجعلها الله عز وجل مقرا له بعد الهجرة في حياته ومجلا لجسده الطاهر المبارك بعد وفاته وظهر الايمان والاسلام منها وجعل فتوح البلاد ورحمة العباد صادرة عنها فكل بلد اشتمل على نخل فله شرف فشيخة المدينة بشرف لا ينكر وفخر لا يزال على الايام ينشر ويذكر - واذا عرفت ذلك فاعلم ان بلاد الجريد انفردت بمزايا لاولى ان اموالها ثابتة لا يخشى عليها التغير مع غيبة صاحبها عنها الثابتة لثباتها وعدم تغيرها يداين صاحبها ويعامل حيث كان شرقا وغربا الثالثة ان اهلها لا تنالهم مضرة المجاعة في اوقاتها الرابعة ان اثمان الرباع بها واكرمتها لا تنقص في ايام المجاعة الخامسة ان مناصبهم ومراتبهم محفوظة ما لم تنتقل عن ايديهم السادسة ان اهلها لا ينحشون فقرا ولا حاجة ما دامت املاكهم باقية لهم السابعة ان اموالها كافية لكل احد بقدره فان سن كان عنده قليل او كثير كفاة الثامنة ان اهلها لا تتعذر عليهم الاوطان كما تتعذر على غيرهم بكثرة الامطار التاسعة ان بعضهم قال ليس في الارض شجرة يصنع منها للبعير اكله ورحله وجميع ما يحتاج اليه ثم يوقر حمله منها غير النخلة قال ابن الشباط ومع ذلك انه يغلف منها العاشرة انها في بلاد عبادة وزهادة لوجود المياه في كل المواضع وتيسير الاقوات في اكثر الاوقات - واذا تبين ذلك فقد قال الفقيه المحدث ابو العباس احمد بن عمر العذري الدلاعي رحمه الله وتوزر هي ام بلد قسطنطينية قال في صلت السط والصواب بلاد بالجمع وهي كبيرة وبها جامع شريف واسواق عامرة حولها ارباض كبيرة وهي حصينة منيعة وذلك لقرب النخل من سورها وفي بساطينها جميع الثمار حاشا قصب السكر - وتتمير توزر افريقية

افريقية بالتمر يخرج منها في اكثر الايام الف حمل واكثر من ذلك فيتفرق
في نواحي افريقية وبها اخرج خارج عن الحدد في عظم خلقه وطيبه وكثرة
مائه . وفي اختصار اقتباس الانوار في حرف القاف القسطلاني ينسب الى
قسطلية وقسطلية فربي قفصة وهي اربع مدائن في ارض واسعة فيها
النخل والزيتون فالمدينة العظمى توزر بضم التاء وفتحها كما تقدم وبها تنزل
العمال والثانية الحمة بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم سميت بذلك لان
بها عين حارة والثالثة نقيوس بفتح الناء وسكون القاف وضم المشاة التحتية
وبعدها واو واخرها سين مهملة والرابعة نفطة وهي بفتح النون وسكون
الفاء وطاء مهملة وهاء ساكنة وحول هذه المدن اربع سباح ذكر ذلك
اليقويبي منها جماعة من اهل العلم منهم خالد بن نصر كان سمع من سحنون
واصبغ ذكره الشيخ محمد بن احمد التميمي وهو ابو العرب وذكر منها جماعة .
قال في اختصار اقتباس الانوار توزر ينسب اليها بجيج بباءين موحدتين
وجيمين هو ابن خراش ابو سعيد المغربي المقرئ يروي عن سحنون وروى
فيه ابو العرب محمد بن احمد التميمي وكان علي ابن اسحاق الميوزي نزل
عليها هو واخوه يحيى فحاصروها مدة وقطعا غابتها ولولا الخيانة من اهلها لما
تملكا عليها ولما افتتحها سالا اهلها الذين باطنوها على فتحهما واستاملا
اموال الآخرين ثم الزمام بعد ذلك اموال اخرى يشتدون بها انفسهم فكان
الرجل منهم ينادى عليه فان وجد من يفديه اطلق والا رمي بعد قتله في
بئر هناك يسمونها بئر الشهداء اضيفت الى هؤلاء الذين رموا بها وكان هذا
بعد فرارهما من بجاية عند وصول جيش المنصور اليها سنة اثنتين وثمانين
 وخسمائة ولما بلغ المنصور منهما ما فعلاه في توزر انفذ ابن عمه يعقوب بن
ابي حفص بن عبد المومن اليهما فكانت للموارقة عليه الوقعة المعروفة
بوقعة عمرة فتحرك المنصور بنفسه ووقع بهما الوقعة المشهورة بظاهر حمة
مطماطة وقد تقدم ذكرها عند ذكر الحمة وتبعهم الى توزر فتوغلوا في صحرائها
فرجع عنهم وقدر ان مات علي بعد ذلك على توزر وجاءه سهم فأتى في

ترقوته فعات منه . ولا شهر في اسمها توزر بفتح التاء وبعض الناس يضبطها بالضم ولا وجه لذلك فان المستند في اختيار الضم الى مذهب سن راى ان الالفاظ الاعجمية في اي وزن كانت تخلى على ما وقعت في كلامهم ولا يغير منها الا ما غيرته العرب واما الى مذهب سن راى انها ان لم توافق وزنا من اوزان العرب غيرت ونقلت الى اقرب ذلك منها . قال التجاني وارض توزر في زماننا هذا من العرب لبني مرداس وقد تقدم ان رئاسة مرداس في بني جامع منهم وهم اشهر عرب افريقية قدما ورئاسة . وبتوزر مصلى كبير يحقق به حائط عظيم مرتفع وبمقربة هذا المصلى مقبرة الفقيه ابي محمد بن يعقوب رحمه الله وهي بدار اعدت هنالك لدفن سن يموت من الغرباء ذوي الاخطار ومعه فيها جماعة سواء وقبر الفقيه ابي محمد في بيت صغير مكتوب عند راسه تاريخ وفاته وكانت في السابع من جمادى الاخرى عام اثنين وسبعمائة . قال التجاني ووصلنا بتوزر قصيدة الفقيه الاجل الاديب ابي بكر محمد بن احمد بن شبرين الجذامي السبتي من مستقرة غرناطة وهذا الرجل من اعظم من رايت تحقيقا واحسنهم في النظم والنثر طريقا قال وكنت اجتمع به في تونس وقد وصل الينا في الخامس لذي القعدة من عام ثلاثة وسبعمائة وكان في نيته التوجه الى الحج فلم يقص له ذلك فاقام بتونس مدة ثم ارتحل عنها عائدا الى وطنه مبتة وكان رحيله في التاسع عشر من المحرم مفتتح عام اربعة وسبعمائة فاتفق بعد وصوله الى بلدة من اخذ البلد ما اتفق وطرق اهله من التشتت بسبب ذلك ما طرق فكان هو وابوه ممن انتقل الى غرناطة فخطط هنالك بكتابة الرئيس الوزير ابي عبد الله بن الحكيم الرندي وبعث الي بهذه القصيدة لتونس معرفا بذلك فوجهت الي من تونس وقد كان حصل بيني وبينه مدة اقامته بتونس من المخاطبة والمجاوبة ما ملا سفرا جمعه وسميته نفحات النسر في مخاطبات ابن شبرين ونص قصيدته هذه —

ما ذا على صوب الحيا المتيجس لوجساد رسا بالكثيب الاوعس

ايه

ايه على الهي الذين تحملوا
 من كل اغلب محرز خصل العلا
 لا يوحش الله المنازل بالحصى
 سقيا وتكرمة لما اسلفت من
 واثمن نسيت فليس انسى جيرة
 هيهات ما ان شاقني بعد النوى
 لكن تذكر سادة قد انطقوا
 يا نسمة محبت فضول ذيولها
 والورق قد صدحت على افنانها
 حطبي رحال تحيقي في معهد
 والهي من تجان فاشرح عندهم
 واذا هم سالوك فاذكر انني
 وحملت ساحة ماجد متهلل
 لابن الحكيم مآثر ما زال بالـ
 ءانست نار الجود من ناديه في
 لولا تالق نور تلك النار من
 يا ليت قومي يعلمون بانني
 ابا محمد العزيز وانـ
 لله درك من بليغ لا بـ
 حاشاك ان تنسى على شطط المدى
 دعني اسدد من حديد ملاقتي
 هل انت ذو علم بما اصبحت من
 ما زلت مذ فزحت ديارك اسال الـ
 اوحشت من سحر البلاغة محضري
 ابديت لي هجرا لغير جنائسة

والشوق يتبعهم دماء الانفس
 يوم الرهان وكل اشنب العسى
 وسقى جهود الغانيات الانفس
 عهد بذات الرقمتين مقدس
 واصعتم در المني في تونس
 زمن تصرم للظباء الكنـ
 بصفات مجدهم لسان الاخرس
 ما بين ورد بالعذيب ونرجس
 والارض قد لبست ثياب السندس
 بين الجوانح منه عهد مانسي
 فرط اشتياقي نحو ذاك المجلس
 قد لذت بالعز المكين الانفس
 سن يعتصم بعلاء يحم ويحرس
 سلف الكريم الاصل فينا ياتسي
 ليل الشجون فكنت اسعد مونس
 ناذيه طال تخطي في الخندس
 في دوحه العلياء طاب معرسي
 لدعاء ود في علاك موسـ
 من حلة الاداب اسبغ ملبس
 همدا نقي العرض غير مدنس
 سهما يفوت المرسلات من القسي
 كاس الشجون لاجل بعدك احتسي
 وركبان بين مهجر ومغلس
 ولقد عهدتك في القديم مونس
 والهجر منك بخاطري لم يهـ

وأنا الذي مازلت احصلك الهوى وامت بالمحب الزكي المغروس
 اسعى حسود بيننا فاستشعرت عليك من جراي خيفة مونس
 لا تخفون ذمام اخلاصي فقد اظفرت بالزجر الخطير الانفس
 ان لم تحرك لي فواذك هذه نصرب على الود القديم ونيساس
 استغفر الرحمن لا انساك مسا لم اطو في شق الضريح وارمس
 يا معلمين من البدائع اكوسا عاظوا الغريب الدار فضل لاكوس
 وتعطفوا برسائل من نحوكم تاتي باحسان على العبد المسي
 واذا هفت من نحوكم نجديت تهدي نسيم المسك عند تنفسي
 فاتبثوا للمستهام تحييت تدني مسراقي وتذهب ابوسي
 لا زتم تلقون في اطواركم عزاء تدين لديم شوس الارءس
 واتصل بهذه القعيدة من الكتب : سيدي دامت سعادتك . وحرس لاجياء
 الاجادة جودك . ان فوقت سهام العتب . فاضنتك بالكتب . وان هممت
 بالسلام . فلا بطاء بلاغ السلام . فقد استحالتي فيما اظن عندك الاحوال .
 وجفتنا انباوك ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال . حتى كانك تعرفت بعدي . ما
 احالك عن عهدي . وتلقيت من انبائي . ما صرفك عن ولاعي . وقد
 اكثرت بالمخاطبات . واتقلت بالمراسلات ظهور المواخذات . فما روجعت
 بحرف . بل عبت مودتي على حرف . واتخذتها نسيا منسيا . ونبتتها
 في الظاهر لا اقول في الباطن ظهريا . ومع هذا فلا اشك ان عند سيدي علما
 بما جرت به احكام الليالي . وتشوقسا الى تعرف ما تزيد من خاصيتي
 مرحالي . فقد حلبت الدهر في هذه الحادثة اشطره . وخبرت الناس في
 حالتي العسرة والميسرة . الى ان اقتادتني السعود بزمام . واحلتي الامال
 الناجحة بمشوى امام ياله من املم . حيث الامر المويد العالي مرفوع
 مناره . واصبحت للسالكين عاثرة . والسيادة الوزيرية . الحكمة العلمية .
 ملتقى الامال . ومهبط الرجال . فاسخمت احكام الادبار بالاقبال . فهناك
 اصاءت لي البركات املي المدلهم . ونادت بي العكرات ألا هلم ألا هلم .
 لا زال

لا زال هذا الامير العزيز مقصودا منصورا ، بالغا من اماله الشريفة ما يقر
من المؤمنين اعيانا ويشرح منهم صدورا ، والسلام - . كنم الثقيف ابو بكر في
هذا الكتاب اخذ بلدة وطواه ، واوما فيه اليه اكتفاء بما في سواه ، فلقد كان
كتب الي قبله كتابا يصف فيه ذلك وكان صدره بهذه الابيات -

يا ايها الراكب الذي طلعا القيت مستوطننا وحتجعبنا
انزل وحدث بما تشاء فقد وجدتنى للحديث مستمعنا
لعل في مقتضى حديثك من انباء ما قد وددت لمعنا
استودع الله لا اقول هوى قطع قلبي بصدقه قطعنا
لاكن صديقا حمدت خلته لدن شربنا كاس الصفاه معنا
من غير ثخانة له خلق على المعالي مزاجها طبعنا
انعم صباحا على البعاد ابا محمد لا برحت مصطنعنا
واحفظ فوادي لديك انه قد تركته في حماك منقطعنا
اسا ودادي الذي علمت به فانه في الضمير قد ربعنا
لولا ولاي ظفرت منك به لكنث اشدو بتونس جزفنا
وارحمنا للغريب بالبلد الـ سنازح ماذا بنفسه صنعنا

قال التجاني فصدرت الجواب عن كتابه هذا بقولي واشرت الى بسط القصيدة

حدث عن الحادث الذي وقعا تلقى مصيبتنا اليك مستمعنا
وهالك ما قد سمعت منه وان تركت قلبي بذالك منصدمنا
هل معهد لانس كيف كان فقد عهدته للكمال مجتمعننا
وعل حى العز فيه محترم ام سلب العز منه وانتسزنا
واين نلس هناك اعهدهم على المعالي جميعهم طبعنا
من كل طلق اليدين مبسم ارضع در السماح فارتضعنا
تلقية كالنجم رفعة وسنا لا بل كبدر الدجى اذا طلعتنا
فاضطرم حادث ففرقهم فاضطرهم ففرقهم فاضطرهم
وجر هدوانه فجرهم فاضطرهم فاضطرهم فاضطرهم

يا ليت شعري وفي المنا سعة ان ابقت الحادثات متسعا
هل يرجع الدهر ما مضى فلكم قد عاد من ذاهب وقد رجعا
ام لا يرى عائدا فوا اسفعا على زمان مضى وواجزعا
هيهات ثم التضاء وارتفعت مطامع النفس عند ما ارتفعا
فلست مما طلبت عودتكم اول من في المحال قد طمعا
مهدي بهم والشجون تقلقهم لاجنب منهم يزور مضطجعا
منتشر في البلاد نظمهم يا سن راى السلك بعد ما انقطعا
امر من الله لا مرد لهم لم يبق كهلا منهم ولا يفعا
وخذعتكم ثم امرها فبضت وكم سديد الاواء قد خدعا
هاك سلامي على البعاد ابنا بكر بقلب اليك قد نزعا
وثق بود ادين فيك بكم ملتزما منه كل ما شرعا
ان حال خل عن المسودة او اجاب داعي السلوحين دعا
فانني ما قطعت ذكرك بسل ما زلت للشكر فيك منقطعا
اقسمت بالركن والمقام وسن قد طاف بالبيت نحوه وسعا
ما طاب لي بعدك البقاء ولا وجدت لي في الحياة منتفعا
قال وكتبت ايضا من توزر للشيخ المكرم محمد عبد الواحد بن ابي يغمور
الهنثاني وهو بنفزاوة كتابا صدرته بهذه الابيات —

يا نسمة صدرت عن روضة ظهرت في برد رقم بصوب السحب منشور
فكلما يمت في سيرها جهته مرت بذيل على الازهار جـرور
انهي اشتياقي وتسليمي لمجد ابي محمد بن ابي زيد بن يغمور
واعلميه بما يطوي الضمير له من اعتقاد وتعظيم وتوقير
وانني بين قلب للسوداد له مفرغ وفم للشكر مقصـور
وقرري ذاك تقريرا يثبتـه ولست فيه بمحتاج لتقرير
لا زال في نعم موصولة وعـلا باق وحظ من الاسعاد موفـور
قال التجاني واكثر الفقيه الطيب الفاضل ابو ابراهيم بن حسينة من
لطائف

لطائف نظم لي فممه قوله —

اعبد الله فقت ذوي المعالي حباك الله اياما سعيدة

ونلت منال ابناء كرام لهم في المجد اثار حميدة

اردت اليك ارسالا بشعير لاسمع من جوابك لي مزيدة

فانك مستمد من بحر سواحلهما غدت مني بعيدة

فان جاوبت عن نظم بنظم بعثت بقطعة ايضا جديدة

ولا ابقيت اطلب منك نظما ولا ابقيت تطلب لي قصيدة

قال واجبته عن ذلك بقولي —

امحرز كل منقبة حميدة وسن لم نلف في الدنيا زديدة

اعنت على النظام بحسن طبع وافكار مويده سديدة

وتسألني الجواب وان فكري ليقرر عن مجاريك المديدة

فمهدي لي على التقصير عذرا وهون من مطالبك الشديدة

ودم في عزة وبلوغ قصند وسعد دائم وعلا جديدة

قال وخاطبني الفقيه الاجل ابو بكر بن فتح المتقدم الذكر بقوله —

لقاوك فتح فهل لابنك وقد حل بابك اذن كريم

فخذ منه فالاً ومقلوبه تفاول كل حسود وجيم

واجتمعت به فاذا هو شيخ ظريف المنزع حلو المحاورة لطيف الاشارة وكان

سبق بيئي وبينه وعد لازب من جناب مخدومنا فارسل لي في ذلك

قصيدة بعد الملاقاة يشير بها الى ان الحجاب صدوه عن الوصول —

وقفت بباب عز لا يسامي مليا وقفت الرجل الذليل

لوعد كان قرت منه عيني جميل جاء عن سعي جميل

وكان القصد تسليمي على سن اليه قطعت ميلا بعد ميل

على كبر وضعف انت تدري بمسا عانيت منه ومن نحولي

وما اليت عند الباب جهدا معينا للملاطف والمسبول

فايدي الوازعون هناك فجئها وقالوا ما لقصدك من سبيل

فرحت وقيث حالي لست ادري دبيري ما ايمم ام قبيلي
وما انا قد عزمت على انطلاقي الى صفف وليسوا بالقليلى
تركهم على قدم الترجسي وكل مد سالفة التليلى
الى فرج قريب من ايابي كما يرد الطبيب على العليلى
فما ظني اذا ما قيل اكسدى على بحر النداء امل العيلى
هناك شماتة الاعداء وتاتي باجهار وضيق في مقبول
وداعا يا حبيبي فاحفظ بي لعهد قد وثقت به مشيلى
سلام سالتك يد الليالى وعش للعز في ظل ظليلى
وبلغ دمى تسليمي ولثمي هناك مواطى الشرف الجليلى
قال فاجبته —

اسحرز غايمة الشرف الاثيلى وسن قد جل عن كفء مشيلى
اثني منك ابيات حسان شمائلها ارق من الشمسول
يعز علي ما بينت لي مسن وقوفك وقفة الرجل الذليلى
فاقسم بالهدايا مشعرات تجوز الارض ميلا بعد ميلى
اذا اشتكت الطوى بلسان حال قرين بالوخيد او الذمينلى
توم بسيرها اسنى بحلى به نزل الكتاب على الرسول
لو اذك بالذي استحققت تجزى لما جوزيت إلا بالجزىلى
وما انا اشتكي لعلاك شكوى تبشك بعض ما بي من غليلى
ارى الايام تمنعني مرادي وتلقاني بقصد مستحلى
واطلب للعلا فيها وصولا فيصعب للعلا فيها وصولي
ويمضي الامر غيرى وهو دوني وامري لا بس ثوب الخمول
وان قلتم قد انالني قليلا فمئلي ليس يقنع بالقليلى
وما ظني لها إلا لعلى اسوء عداي او ارضي خليلى
وليس ينال حظ باجتهاد ولا يجري على قدر العقول
فحسب المرء تعليم وصلى ييمم منهما اهدى سبىلى
ولكن

ولكن لي على الاقدار دينس لوت بقضائهم لي الطسول
فان هي بلغتنيه فكم لي مع الايام من خبر طويستل
خرجت عن المراد الى حديث نقت بشرحه نفت العليل
اودع ودك الاصفى فانسني دعائي للتوى داي الرحيل
واطلب منك زادا من دعاء تواصله ومن ذكر جميل
وقد اصفيت نحرك باعتقاد صحيح من فواد لي عليل
وكملت له مامول وعده وكانت ليلته اول ما اجتمعنا وآخر ما افترقنا *
ومن العلماء الافاضل الذين ينسبون الى هذه العمالة الجريدية الحمي
قال في اختصار اقتباس الانوار في حرف الحاء الحمي ينسب الى حمة
قسطيلية روى عنه ابو عثمان سعيد بن محمد . وفي حرف النون نقطة في
قسطيلية من افریقیة منها ابو عبد الله محمد بن الحسن سكن القيروان وكان
له بها سماع من محمد بن بشر الوراق ومن سفيان بن بشر الكوفي وكان فيه
تشيع ذكره ابو العرب قال وما سمعته يذكر احدا من الصحابة بسوء مات
بنقطة سنة اربع وتسعين ومائتين . وفي حرف الفاء الفرشاني ابو الحسن
ابن اسماعيل من اهل فرشانة قسطيلية سكن القيروان وكان قديم السماع
من سحنون سمع منه سنة سبع عشرة ومائتين وسمع من اصبع بن الفرج
ومن سعيد بن اسد بن موسى وغيرهما وسمع منه احمد بن ابي سليمان
وموسى بن عبد الرحمن وجماعة غيرها من اصحاب سحنون وغيره توفي
في رجوعه من الحج سنة ثلاث وستين ومائتين ذكره ابو العرب . وقيل
البكري رحمه الله مدينة نقطة مبنية بالصخر عامرة بها جامع ومسجد
وحمامات كثيرة وهي كثيرة المياه السائحة وشرب جميع بلاد قسطيلية بالوزن
إلا نقطة فان شربها جزاف وتسمى الكوفة الصغرى . واما فرشانة فكانت
في القديم من عمل نقطة وفي اليوم خراب وخرب معها من عملها غيرها ولم
يبق لها إلا درجين . وبلاد قسطيلية كلها بها المياه المطردة الكثيرة . واما
توزر فان نهرها ينقسم على ثلاثة انهار كبار وينقسم كل نهر منها على ستة

جداول واحد انهارها يدخل المدينة ويجري في مواضع فيدخل الى القصبة
ثم يخرج الى ساقيتين واحدة للرجال واخرى للنساء ثم ينخرج فيدخل
القصبة من ناحية اخرى ثم يمر بدار من دور القصبة فيجري تحت سور
المدينة الى ان ينتهي الى باب من ابوابها في ربع ثان فينقسم الى ساقيتين
واحدة للرجال واحدة للنساء فينتهي الى قسمين احدهما الى الجنات والاخر
تحت السور الى ربع ثالث فيدخل الى ساقيتين ثم ينخرج الى موضع آخر
يجتمع فيه مع السابق ثم الى موضع يسقي جنات ذلك الجانب . ويقال
ان جامعها بني على رتبة جامع القيروان وان كان جامع القيروان يفوته عظم
وفخامة . وبتوزر من غرائب البنيان والاتقان ما يقصر عنه الوصف .
ولمدينة توزر اربعة ابواب ولا يعرف وراء قسطلية عمران ولا حيوان الا
الفك انما هي رسال وارضون سواخة وهم يخبرون ان قوما ارادوا معرفة
ما وراء بلادهم فاستعدوا وتزودوا الازواد وذهبوا في تلك الرمال اياما فلم يروا
اثر العمران وهلك اكثرهم في تلك الرمال . وذكر الفقيه ابو عمرو عثمان بن
ابي القاسم عبد الرحمن بن حجاج رحمه الله في تاريخه ان ابتداء الصومعة
بجامع توزر كانت سنة ثمان مائة واربعمائة وثمان مائة وستين وعشرين
واربعمائة وقد اختصت باربعة قباب جملة اعلاها وكملة جلاها كانها عرائس
جلت على منصة وجبت من بدائع الحسن باوفر حصنة وبها من غرائب
البنيان وبدائع الاتقان ما يقف عليه الطرف ويتصر عنه الوصف يقول كل
من رءاها ممن جال شرقا وغربا بعد او قرب ما رايت مثلها ولا عاينت في
الاقطار شكلها . قال ابن الشباط واخبرني بعض شيوخ بلدنا ان الباني
الذي بناها شرع في بنائها الى ان انتهى في موضع منها بالقرب من اعلاها
وكان يبني كل ما بناه بالصخر العظيم حتى انتهى الى ذلك الموضع فجهزته الوفاة
فقيل له الى سن ترشدنا يتم هذه الصومعة فقال لهم رجل بالقيروان وسماه
ثم صور لهم ثلاثة جوامير من شمع يختار منها ايها احب يصنع مثله فلما
قضى بانيتها نصب قدمته رفقة من القيروان والرجل المشار اليه صحبتهم
فذكروا

فذكروا له الوصية وتم الصومعة بصغر دون ذلك الضخم وهو الان ميمز
بالبدية واختار من الجوامير شكلها الموجود الان . قسسال ابن الشباط
وشبيه بهذه الحكاية ما اخبرني به بعض الشيوخ من البنائين ان القبة
التي على الباب الشرقي من الجامع الذي يخرج منه الى سوق الخرازين
سقط بعض جوانبها السفلية وبقيت معلقة فطلبت لها دعائم تدعم بها فما
وجد ما يساوي ارتفاعها فاتفق ان سقطت تلك الليلة دار ووجدت فيها
دعائم قدر الحاجة كانها صنعت لها فدعموها بها وبنيت وفيها يقول الكاتب
ابو علي بن ابراهيم رحمه الله في وصفها -

خير البلاد لمن اتاها تـوزر يا حبذا ذاك الجنب الاخضر
والنخل مثل عرائس بـجـلـوة في سندسيات اللباس تبختر
وكانما نظم الحلي لـحـرـها من لولو وزبرجد يتخـسـير
نشأت لآلي سلكها من ذاتها وتحولت كزبرجد يتطور
وترى الزبرجد عسجدا ويواقتا ذا احمر قان وهذا اصفـر
فاذا انتهت ارطابه ابصرته مترججا والارْي منه يقطـر
رطب يريك نواه وهو دوينها من دونه لشقيقه اذ يبصر
يجنيك من ثمر صنوفا جمـة لا يستقل بوصفها متفكـر
احلى من العسل المصفى طعمه ومذاقه لا يدعيه السكـر
والدوح قد لبست غلائل سندس تختال في ايدي النسيم وتخطو
حلت هواذيتها عقود ازاهـر فتبرجت عجباً لمن يتبصر
ملكـت عيون الناظرين بحسـنها فدنا اليها كل طرف ينظر
والطير قد رقيت منابر قضيبها خطباوها تشدو بالحن يسحر
والقصب يشيها النسيم فتشـي بعض يقبل بعضها ويقهر
كعقائل تبغي السرار فتلتقي لصغي الحديث وتارة تشاخر
والارض عاطرة تزف كانـما فشى نواحيها عبير ينشـر
وتارجت ارجاوها فكانهـما سلك يـضـوع خلالها او عنبر

وكان ربحان الحياة وروحها مستنشق من عرفها ومعطر
فكانما كسيث بساط زبرجد نشرت يواقيت عليه وجوهر
زهر كزاهر كوكب لالاها يزهر به ذاك البساط الاخضر
من ابيض يقق واصفر فاقع ذا ازرق زاه وهذا احمر
والماء تتبعه اليك جداول قد مدتها النهر الزلال الاكبر
نهر تقسم بالسواء ثلاثه في كل ثلث ستة لا اكثر
تلك الجداول تسعة مع مثلها كل على الحد السواء مقسور
صاف على صفة الما يجري على رمل النقا عذب قراح كوثر
وكانما حصابوها في رونق الماء الذي يجري عليه جوهر
وخلاله سمك كصنعة خنجر وكأنه من فضة متصور
ومسارح ومزارع ومبازل وفواكه من كل نوع يذكر
وجداول بناسب وازاهر كراقم هجمات لا تذعر
زرق اللطاف يدور في ارجائها زهر كزهر كواكب اذ تزهر

ومما شملته عمالة الجريد مدينة قفصة قال ابن الشباط قال البكري
رحمه الله وهي مدينة كلها على اساطين وطيقان رخام قد بني خلالها
بالصخر الجليل باحكم عمل ويذكر ان باني هذا السور غلام النمرود وذكر
اسمه قال ابن الشباط فتركته لعدم صحة تقييده قال وقد زبر عليه اسمه
وهو مقرو فيه الى اليوم وسورها كانما فرغ منه بالامس . وداخل مدينة قفصة
مينان نصاخرتان تبعا بنهرين خراوين يستقيان بسائتيها ومزروعاتها قال
وفي داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الاولين اربعين باعا
في مثلها . وقفصة اكثر بلاد الله فستقا ومنها ينتشر بافريقية ويحمل الى بلاد
لانديس وسجلاسة وبها تمر مثل بيض الحمام وهي تميز القيروان بانواع
الفواكه والتمر وحولها اكثر من مائة قصر عامرة واهله وحواليها المياه تعرف
بقصور قفصة . قال ابن الشباط اما ما ذكره من العين التي بالجامع فليس
به في عصرنا هندا عين وكذلك القصور التي ذكر انها كانت في القديم لم
يبق

يبقى لأن منها إلا القليل ، قال وفي اختصار اقتباس لانوار قصص مدينته
حصينة عليها سور حجارة وفيها عيون ماء داخل المدينة وهي مفروشة بالبلاط
وحولها عمارة كثيرة وثمار موصوفة ذكر ذلك اليعقوبي ينسب اليها جماعة
منهم ابو سعيد جميل بن طارق القفصي لافريقي يروي عن سحنون ويكنى
ابا سعيد . واما نقطة ففيها نهر كبير شديد الجري * واما تقيوس فتحتها مدن
بها بقايا قصر مبني بالصخر المنحوت وحوله نهر ويقال انه كان قصر الملك
وبعض اهلها يقول انها سميت باسم ملكها دقيوس وكانت خيله تغير على
سيطلة فبنى صاحب سيطلة مدينته قفصة وشحنها بالخيول والرجال والعدة
ليمنع غارة دقيوس ولذلك بناها بين الجبلين اللذين يسلك منهما الى نواحي
سيطلة وافريقية والله اعلم بصحة ذلك . واما الحمة فهو اواها معتدل وبها
عين عذبة يجلب منها الماء قبل للولاة بتوزر وبها دور جليلة عظيمة البناء
ولكن اليوم على حسب وقتها وعمارتها وسبحان من تنزه عن لاولية ذات
الابتداء وتعالى عن الاخرية ذات الانتهاء . والتوجه من قابس الى ناحية
غمراسن يمر بقرية تلبو على ميلين من قابس ذات مبان قليلة وعليها غابة
زيتون متسعة وكان بها قبل غابة نخيل فمحت رسومها لافتان . وبعدها
قرية مارت وهي قرية حثيرة وعليها غابة نخيل يسيرة وبعدها قرية اجاس
وهي قرية ضخمة ذات مياه كثيرة ولها غابة متسعة وبها عين خوارة عذبة
غير انها مستوابة ولكنهم احتفروا بئرا بعدها سالمة من الوباء فهم لان يشرّبون
منها ويسقون بهائمهم من ماء العين وبها مسجد يذكر اهلها ان له فضلا
مشهورا عندهم وان الدعاء مستجاب عنده وجميع اهل هذه القرية على مذهب
الخوارج وهذا المذهب هو الغالب على سائر البقاع التي بين قابس وطرابلس
وبهذه القرية كانت اقامة جعفر بن حبيب حين وجهه باديس بن المنصور
من المهدية لقتال يانس الصقلي لما اقبل من مصر مدعيا ولايته طرابلس فاقام
جعفر بن حبيب بقرية اجاس هذه متلوما عليه نحو من ثلاثة اشهر الى
ان كانت الواقعة بينهما بظاهر زنزور قرية من قرى طرابلس وذلك كله

في سنة تسعين وثلاثمائة . وبسط هذه الوقعة ان باديس بن المنصور كان واليا على افريقية وكانت طرابلس مستثناة عليها لا يليها احد من قبله بل تسعين ولاتها من مصر فاحب والي طرابلس اذ ذاك ان يرتحل عنها الى مصر فيكتب الى الحاكم يطلب ذلك منه ليكون بين يديه وان يوجه اليه من يتسلم البلد من يده فوجه اليه يانس المذكور وكان واليا على برقة فلما وصل الى طرابلس توجه واليها الى مصر ومكنه من البلد فلما علم بذلك باديس وجه الى يانس يستفهمه عن سبب وصوله ويستدعي منه سجلا ان كان بيده بالولاية ، فبعث اليه انما بعثت نائبا عن امير المؤمنين ومثلي يكبر عن ان يولى بسجل . فحينئذ وجه باديس جعفر بن حبيب المذكور لثلاثة ايام فاقام المدة المذكورة بقرب اجاس هذه متلوما عليه وبعث اليه في اثناء تلك المدة بخيرة في واحدة من ثلاث اما بعث السجل ان كان بيده واما القدوم على باديس ليقاوضه فيما وصل اليه واما المناجزة بالحرب فعاد جولجه اليه يقول فيه اما الوصول فلا سبيل اليه واما سجل الولاية فانا اكبر من ذلك اذ كنت خليفة امير المؤمنين على ما هو اعظم من طرابلس واما الثالثة فانا اكفيك الحركة الي واوايك بالحرب اليك . فتحرك جعفر ابن حبيب متوجها اليه ونزل قرب قرية زنزور وخرج اليه يانس ونزل بها ايضا من الجانب الاخر وغابته الزيتون بينهما ثم التقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل اكثر جنده واتخذ هو اسيرا فطلب ممن اسروه ان يحملوه حيا الى جعفر فابوا وقطعوا راسه ثم حملوه الى جعفر ونجا القليل من المهزمين فلجأوا الى مدينة طرابلس وامتنع اهل طرابلس من تمكين جعفر من البلد ومن اللاجئين اليها الى ان وصل اليهم فلقل بن سعيد الزناقي فمكنوه من البلد وهو اصل ملك التناثيين طرابلس ، قال التيجاني ومورنا بالعقلة وهو واه يحمل اوقات النظر فقط واذا جف لم يبق به ماء الا فيما كان مخصصا والعرب تسمي ما انجس من المياه عقلة . قال وراينا فيها شدائد من شوك البهمنى فقد منعنا النوم مما تخلل منه في ثيابنا وربما قتلت البهائم

التي تبيت بمرعها اذا تطلت اصوافها ويسمى البهمى هو الذي تسميه العرب
الصغار بفتح الصاد وتخفيف الفاء وتسمى شوكةا سفا مقصورا . قال واخبرني
ابو علي الشماخ بن ضرار يصف حمارا وانشدني -

رعى بارض الوسمي حتى كانما يرى بسفا البهمي اخلة ملهيج
البارض النبات في اول خروجه والوسمي المطر الذي يسم لارض بالنبات
والاخلة جمع خلال والمهيج الذي قد لهجت فصالة بالرضاع وكانوا يجعلون
على انف الرضيع اذا وجب الفصال خلالا يمنعه من الرضاع فيقال ان هذا
الحمار رعى بارض البهمي الى ان خف وظهر شوكة فلم يستطع رعيه اذ ذاك
فعاد كانما يرى به اخلة ملهيج كراهة له ونفورا عنه وعلى هذا البيت قول
اللاذيب ابوالحسن حازم بن محمد بن حازم في قوله من قصيدة له جنينة -

تركت مطايا الاملين لما سقت يمنة ما تسقيه اضرب زبرج

فتجم انفسنا لورد جما - بصدورها عن برد ماء الحشرج

وتصد من رعي الحميم كانما - تاقى من البهمي اخلة ملهيج

ومعنى الشعرين واحد والحشرج بحاء مهملة فشين معجمة فراء فحيم حصى
يكون في حصى * ومن القلعة المذكورة الى جبل غمراسن مرحلة كاملة . قال
التجاني ووصلنا غمراسن فوجدنا منزلا قد غضب الله على اربابه . فابتلاهم
من سكناه والاقامة بمغناه باليم عذابه . وغمراسن اسم لمسافة من الجبل المتصل
الذي اصله جبل درن بالغرب وهو الجبل الاعظم الذي قل على وجه الارض
ما يدانيه سموا وامتدادا وكثرة خصب واتصال عمارة ومبداء من البحر المحيط
في اقصى السوسن مارا مع المشرق مستقيما الى ان يصل الى موضع دمر ثم
يمتد فيسمى مسافة منه جبل نفوسة فاذا حاذى طرابلس برق وخفي وامتد
كذلك رقيقا الى ان يصل الى طرف اوثنان من ارض برقة فينقطع هتالك
وهو من مبداء الى منتهاه مخصوص بسكنى البربر وبه كل طريفة من الشمار
وغرائب الاشجار والماء ينبع فيه من مواضع معروفة . وهذه المسافة التي
تسمى منه غمراسن هي متصلة بالمسافة التي تسمى منه دمر من جهة شرقها

وقد يقال في غمراسن انه من دمر ، ومسافة غمراسن تحتوي على قلاع كثيرة
اشهرها قلعة نفق بكسر النون وتشديد الفاء وقلعة حمدون وقلعة نفق
احصنهما واليهما يلجأ جميع اهل البلاد اذا حل بهم عدو او وصل اليهم
جيش وهو جبل مرتفع في السماء قد سهلت فيه طرق هيقة لا يسلكها
السالك إلا على غرر . وقد تدرب اهلها على سلوكها فهم يتنازون فيها
تنازى العصم وكذلك غنمهم وابلهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع
الادمي سلوكها إلا بالحيطة وتؤدي تلك الطرق الى بيوت منحوتة في الجبل
بعضها فوق بعض من وسط الجبل الى اعلاه فيسمونها الغيران واكثر جهاته
هارة الجهة الشرقية وتليها في ذلك الجهة القبليّة وفي الجهة الغربيّة
ايضا مساكن قليلة إلا انها الان غير مسكونة والنسور كثيرا ما تاوي اليه
وتجتمع فتصطف عليه . وتحف بهذا الجبل مزارع فيها نخل كثير لا يرى
احسن من رطبه وبها ابار ليست بالكثيرة يستقون منها بالغرايز واكثر
مزرعهم الذرة التي يسمونها القصب وسبب قلته ابارهم ما يعانون في
حفرها من شدة الارض وصلابتها حتى ان الرجل ليكث في حفر البئر العام
والعامين بحسب كبر البئر وصغرها وقوة اعتمادهم في ري الارض انما هو على
ما ينحدر من سيول تلك الجبال في وقت الامطار فانها تجتمع في ابطح ذي
حصباء متناسبة وتربة بيضاء كافورية تحدد بمزارعهم احداق السود
والسوار وتخترقها مذائب متسربة منه اليها وليس في تلك البقاع ما يرتاح
اليه الخاطر سوى هذا الابطح وبموضع منه احساء عذبة ترد عليه نعمهم
وعلى هذه الاحساء نخل كثير يتغالون في اثمائه اذا تباعوه بينهم . واهل
غمراسن قوم من البربر ورغميون وفيهم راحلة مع العرب المحاميد والعداوة
متأكدة بينهما وبين اهل قربعة قرية قريبة منهم يعرفون بالمقدمين لا
تزال الحرب قائمة بينهم ، ومن سيرة هؤلاء المقدمين انهم لا يدفنون موتاهم
إلا على هيئة المجالس في كهوف متسعة يحفرونها لهم ويتأكد عندهم الدفن
على هذه الصفة في سن توفي وترك ولدا فانهم يقولون ان عز الولد لا ينقطع

ما دام ابوه جالسا هذه عقيدتهم . قال التجاني وليس لاهل غمراسن ولا
لاكثر ساكني هذا الجبل في الحقيقة من الاسلام الا لاسم فقط ولا تجد منهم
من يعرف للصلاة اسما فضلا عن ان يقيم لها رسما وكذلك جميع الشرائع
قال واقمنا ما اقمنا معهم فلم نسمع عندهم اذانا ولا طرق صوتيه لنا اذانا
وان كنت قد رايت في اعلى قلعتهم موضعا سموه مسجدا وليس يصلي فيه
الا رجل غريب من اهل زاوة سكن عندهم وهم ينتحلون مذهب النكارة من
البربر ولا يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم ولا يورثون البنت شيئا من مال
ابيهما وعيشهم من الغارة على الغرب تخرج غازية منهم فتكمن في بعض
المكامن لمن يمر بها من العرب وخصوصا الجواري . والمخالفة بينهم وبين
المحاميد لان ابناء جبارة كانت اعداء المحاميد وورغمة منهم ولا ينالون في
الغارة على الجواري باصطلاح المحاميد معهم ولا باحترابهم ولهم ايضا حقد على
النفاتين وبينهم دماء وهم اغبر خلق الله على ضعيف واكرمهم له فاذا حل
الغريب لديهم واستند اليهم جعلوه من اراسهم وانزلوه فوق رؤوسهم وتحكم
في انفسهم ولديهم الامن الذي لم يسمع بمثله في بقعة من بقاع الارض .
قال التجاني وحسبك انا اقمنا ما اقمنا معهم فلم يضع لاحد منا شيء
مع اني كنت ارى الثياب والامتعة واواني الصفر وغير ذلك ملقاة بين
الاخبية لا يتعرض احد منهم لشيء من ذلك . ومن احكامهم ان الرجل
منهم اذا ظهر عليه سرقة او خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلمونه الا فيما
لا بد منه ولا يخرجونه من بلدهم اذا كان منهم فان كان من غير بلدهم
قتلوه . قال واخبرني جماعة منهم ان رجلا ضاعت له دنانير ووجدها
رجل اخر منهم فتركها في المسجد الذي في قلعتهم فبقيت في ذلك المسجد
لا تمتد اليها يد الى ان دخل صاحب الامانة بنفسه واخذها . قال
التجاني ووصل الي باقامتي هنالك كتاب من الفقيه الاجل ابي زيد بن
نزار جوابا عن كتاب كنت بعثته اليه وكان في آخر التسليم عليه بخط
الفقيه ابي ابراهيم بن الحسينة فوصل كتاب الفقيه ابي زيد يتضمن

مخاطبنا معا وكان على عنوانه -

للسيد ابن اخ ونجل بسارح
لا زال لكل منهما متعلبا
وفي داخل الكتاب -

حيى العاقل والرمان مجتمعا
سكنوا الرمان وسكنوه فما لهم
من اجل تن حل الحمى اموى الحمى
مولى كبدى والنجوم صحابه
حلوا بانفاق العلاء كواكبها
وكذا الثوابت نورها يسعى لها
تكلم من المولى جلالة قدرة
ولذا المحدثى حكمة نبوية
وحوى البراعة والبلاغة ما نسي
فاله يسعدنا بهم ويومهم
وعليهم منى السلام مقبلا
قال وكنت كتبت لابن عمي الفقيه
ابي علي التجاني كتابا مصدرا بهذه الابيات -

اذا الله حيى معشرا بتحييت
يقصر عنها المسك في الطيب والنس
فحيتى بني عمي الذين فخارهم
فخاري ويجدي حين اسمولهم مجد
وتخصص منهم تن تخصص فيهم
باوصاف فضل ليس يحصرها العد
ابا زكرياء الرضى الارفع الذي
له منى الشوق المجدد والسود
اجتنا مل يجمع الدهر بيننا
فقد طال هذا الناي وانصل البعد
يذكرونكم وقت انس لنا مضى
وعهد ائتلاف حبذا ذلك العهد
فيبدو قليل من فراق الحبسى
وفي القلب للاشواق اضعاف ما يبدو
لقد بلغت منى النوى كل مبلغ
ففي ادمعي ودق وفي اضلعي وقصد
فهل

فهل تقرب اللقا وتنصرم النوى وينجز للأمال من قربكم وعسى
لئن جمعت أيدي التفرق بيننا فقد تمت النعمة وقد كمل السعد
قال التجاني وورد على مخدمونا الخبر من برقة عن جذب سبتها وعظيم
فتتها ووصل إليه رسم بشهادة عدول طرابلس وخطاب قاضيها بما مضمونه
ان ركبا فيه ما ينيف على مبعائة نفس لم يبق منهم إلا نحو مائة وان
سبب ذلك انهم لا يجدون هنالك ما يقتاتون به إلا لحوم الحياة فعدا عليهم
سمها بالكلمة ايلعا واخبر الذين نجوا انهم كانوا يعرفون في كثير من ارضها
والحيام بها مصروبة وجميع سن بداخلها موقى من رجال ونساء واطفال الى
غير ذلك حتى بلغ الامر ان اكلوا لحوم بعضهم ونظم في ذلك الفقيه ابو
ابراهيم بن حسينة قصيدة مطولة يحض فيها المخدم على الثاني بالحج
في تلك السنة لانه كان قاصدا الحج فيها وكان اول القصيدة —

مرج يا صاحي على الطلل واسكب أجفانك في الحلال

قال التجاني ولا يخصرني لان كمالها * وقد عارضتها —

طلعت كالبدر المكتمل فتاوى البدر من النجمل

وعمال الحظ تماثلها عن غصن البان المعتسل

حوراء يحار الصب بهيا ويخلي السلوة كل حسلي

حكمت هواها في فليس يعسدل في لامرة حين ولي

فابحت النفس لما احكمت وحيث السمع عن العسل

جمعت اشبات الحسن فعد زادت بالحسن على المشعل

كايي يحيى تلقى منسى اشبات الفصل لدى رجل

مولى زهت الايام بسى وتحلت من بعد العطس

يحيى ابو العباس الى حسب في مرقى المجد علي

مروى بالارث تملكى فتنقل احسن منتقل

باس كاللار اذا اضطرمت وندى كالغيث المنهمل

قد القى الله بحكمى بيديه مقبلا يد الدول

يمضي لأراء سـددة في قول انفذ او عـلـ
مولاي قصيدة متـدح وافاك بشعر مرتـجـل
طلبت ايضاح فضائلكم فحكمت منها بعض الجمـل
فاذا احسنت فذاك لكم واذا قصرت فسـذلك لي
وافت عليك معارضـة عرج يا صاح على الطلـل
مع ان قصيدة اولنـسـا فانت سبـقا شـار لاوـل
وارجع لمحل حال بهـا يشكو لفراقك من علـل
فاقم للدين تجـسـدده في عز باق متـصـل
واخلع اثواب السقم بهـا تكسى للصحة من حلـل
فشروط الحج قد ارتفعت لزوال القدرة والسبـل
مهدي بعبيدك فيه وقـد مدوا يد ذاع مبتهـل
يرجون ايباك عن كشـب ودنو لثـيك عن عـجـل
كانوا من عهدك في ظلـل فغدوا من بعدك في خلـل
فانلهم منك مرادهـم وادفع بالقرب صدى العـلـل
واجمع شملا بالاهل فقـد ماتوا شوقا قبل لاـجـل
واسعد واصعد وتسـام وزد وترق ونل اقـصـى لاـمـل
والله يوفق رايبـك في حل ازمت ومرتـجـل
فابى إلا سلوكا لنهـج وقصد ان لا يرجع الى تونس إلا بعد تحصيل هـجـه قال
وكان المخدم وجه لوالدي كتابا بخطه يعرفه فيه بحالي معه ويصفني
فيه بما يليق بذاته الشريفة ومرتبته المنيفة فوجه اليه والدي عن
ذلك كتابا نصه --

يا نسمة الفجر ولازهار قد رويت مما ادار عليها الوابل الساقـي
والروض قد مسك لاسماء منه ثرى نمت عليه به انفاس احبـاق
ولا قرارة إلا قررت خـبـرا بان دارين منا راى احـدـاق
لو انه نشر طيب للتجارة قـسـد سبقت لطائمه منه باوـسـاق
والنور

والنور تحوي اليها من حماسه انفس ند ولكن هه احرار
 بالله هي على ناد تبسوا من للندى في يديه سحب اوراق
 فان طفرت بقرب منه فلتصفسي بالسن الورق في لا اوراق اشواق
 ولتسالي لي وعدا باللقاء عسي وعسد التلاقي يجلي ما انا لاني
 وقبلي يا نجيم لافق راحتهم عني فبين الدراري قدرها الراني
 يا راحلين وقلبي راحل معهم عني وان كان لي جسم هنا بساقي
 لولا رجاء التداني لم اعش زمنا فردا ولا وصفت بالصبر اخلاقي
 صي الليالي التي بالبعد قد حكمت يجلي دجاها من اللقا بشواق
 لله رفعة مولى قد علقت بمسا اولت من النعمة العظمى باعلاقي
 تضمنت ذكر مملوك والسهده من ملك لهما بالفضل سباق
 فالامن واليمن ولاقبال ما بقيت دنياهما لهما من اجله بساقي
 واتصل بهذا النظم من الشر -- يا ايها الملاء اني القي الي كتاب كريم -
 ويا شاكري لا يادي اني لا ابرح عن شكر هذه اليد ولا اريم . وسن لي ان
 اقوم بواجب حتها . او استطيع السلوك في لاحب طرقها . وهي يد خطتها
 يد اعلى الله قدرها . فما يقدر احد ان يقدرها قدرها . تصول بالقلم والجسم .
 وتصرف على الايام كصرف الغمام بالنعم الجسم . ولما وصلت العبد احرف
 مولاه . واولاه واولى ولده سن لا والد ولا ولد له من التشريف بذكرهما فيها
 ما اولاه . لم يجد لها كفا . ولا عملا مرضيا . الا تضروا الى سن تمد اليه ايدي
 الرغبة . وتستمد من فضله المنح الجزيلة من الهبات . فقلت اللهم يا
 ارحم الراحمين . اجعلني على السلام على تلك العزة واستسلام تلك اليمين
 الكرة بعد الكرة من المراحمين . ثم رفعت البراءة المباركة على راسي اكليل .
 واوسعتها شوقا لليد التي خطتها لثما وتقبيلا . ولم ازل اتنعم بمطاعتها بكرة
 واصيلا . ثم وصلت الدعاء بان قلت اللهم ان يكن في علمك الخير التام في
 بلوغ ما ام له وامله فهوون عليه كل صعب . وروه من نصير لطفك بكل
 عذب . واسعد فيته . وسيرة على اتم وجوه السلامة واعم انواع الكرامة ومجل

أوتيتهم . وأنتم خير وأفرا جليلا . وإلا فائن عزمه عما أمه وردة الى وطنه
 ردا جميلا . وأنتم له اجله حتى يستشنى ذلك له في الوقت الذي ثومن
 فيه الغوائل . وتتساوى في تهوين صعوبته وتسهيل حزنونه كلا واخر
 والاوائل والبكر والاصائل . فانت ياربنا تعلم ما للاسلام . ولامة سيدنا محمد
 نبيك عليه افضل الصلاة والسلام . في نظره السديد المبارك السعيد من
 الخير التام والصالح العام . وناهيك به من دعاء تنزهه به عن السمعة والرياء .
 ورفعت به لايدي الى رافع السماء . وختم بالحمد لله رب العالمين .
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين * قال التجاني
 وحضرنا بغمراسن عيد الاضحى ونحن بحالة قد غاب عنها السرور بأسره .
 فقطعناه ولا اعياد بن عباد في أسره . واستهل بعده شهر المحرم من عام سبعة
 وسبعمائه قال وفي اوائل هذا الشهر وصل الينا الخبر بقتل ملك المغرب ابي
 يعقوب المريني على يد احد فتيانه ثم قتل ولده ابو سالم ثم قتل اخوه ابو
 يحيى واستقر الملك لحفيده ابي ثابت عامر بن عبد الله وكان قتل ابي
 يعقوب على ما تحقق من الكتب الواصلة من هنالك في تاسع قعدة من
 عام ستة وسبعمائه وقتل ابنه ابو سالم بعده بايام يسيرة وكذلك اخوه ابو
 يحيى وانتقل ابو ثابت الى مدينة فاس بعد ان سلم مدينة تلمسان
 الجديدة لابي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان المحصور بتلمسان
 القديمة في اكثر ولاية ابي يعقوب . قال التجاني وفي هذا الشهر كتب
 الى شقيق ابو العباس احمد التجاني بهذه القصيدة الفريدة من نظمته -
 لامل الحمى اصبو وان جد لائتم واني على ورد به الدهر حائتم
 وما القلب خال من هوى ساكن النوى وان افقرت منهم واقوت معالم
 علي اثم جفن من الدمع متزع وقلب على حكم الصبابة هائتم
 حمى الله قلبي كم يحن الى الحمى ويطرب عهدا للولا المقتسام
 يحن اشتياقا او يشن صبابته اذا لاح ضحاك من البرق باسم
 وان غردت ورقاء في غسق الدجى يميل بها فغن من لايك ناعسم
 تذكرو

تذكر عهدا قد تقاضى نعيمه
 الا في ضمان الله قلبي فقد غدا
 وبالنفس افدي جيرة قد تحملوا
 نارا فتنى صبر المتيم اثرهم
 سروا يقطعون البید والليل عما كف
 على كل فتلاء الذراعين جيرة
 قباري عليها القفر جدا كانما
 جدلية لابناء موثوقة القسوى
 ويا قاتل الله المطي وانما
 لقد خلفوا من بعدهم ذا صبا بنة
 اذا ما جرى ذكر العقيق جرت له
 فيا جيرة الوادي قراء متيم
 اعندكم اني على العهد ثابته
 واني على رعي الذمام محافظ
 ويا تن مع الترحال تحمل كورة
 لك الله عون والنجاح مرافق
 تحمل رعاك الله مني تحية
 تضرع في وسط النداء كانما
 وان سرت مجتازا باربع دسر
 فخرع بهما عني شقيقي واني
 وصف ما الاقي بعده من تشوق
 تمثل الاشواق لي فمكانهم
 وما طبياض اضرم الغيط لدغهم
 اذا لاح برق في غمان سحابته
 رات نطفة زرقاء في قلب صخرة
 كان لياليه المواضي مواسم
 يشب عليه من لظى الشوق جاحم
 فلا القلب مرتاح ولا الحفن نائم
 واني اصطببار بعد حب يلازم
 كانهم فيه نجوم عوانهم
 سواك لديها سهلها والمخاضام
 قوائمها عند النجاء قسوام
 سليمة ما فيطت اليه القوائم
 ذات باحباء المطي الراسم
 يروح ويغدو وهو باق وحائهم
 دموع حكمت لون العقيق سواجم
 تعدى عليه الدهر والدهر حاكم
 اذا ضيع العهد القديم مصارم
 واني على حفظ الوداد مسدوم
 على بعد ما ينوى قلاص سواهم
 وبلغت في دنياك ما انت رائهم
 كما انشق عن زهر الرياض كرائم
 تنشق مسكا من شذاها العرائم
 ولاحت بهم للعين منك المعين الم
 بحكم النوى والبعد فيه لراغهم
 ووجد غدت تبتد منه الحيسان
 وان كان ناء بين عيني قسائم
 فمن على ورد الشراب حوائهم
 فمن لما يلناح منه شوائهم
 منعت قد غادرتها الحماهم

يغني عنها الظل كل مشية
 باعظم من شوقي لرويتهم السقي
 لقد طال هذا البعد واشتطت النوى
 اذا ما تذكرت الليالي التي مضت
 احن لمصرى البرق من نحو ارضكم
 وكم هيجت شوقي سواجع ايكسة
 اطارحها رجع الحسين صبابة
 فيا ليت شعري هل يعود بقر بكم
 ويا حبذا دهر قضى باجتماعنا
 بحيث قطعنا العيش وهو مهننا
 وكم قد ادركنا اكوس المن والسنى
 فهل مبلغ ذاك السرور الذي مضى
 اذا حملته عطر الجو عرفكم
 سقى الله صوب المزن اعلام دمر
 ولا زال مطور الشرا مخصب الذرا
 اذا السحب اذرى فوقه الدمع اصبحت
 وما طلبي سقيا الا رعايته
 ومن اجل من حل الحمى يذكر الحمى
 فيا نائبا عني ومثواه في الحشا
 الى م نوى لا يستطيع احتمالهم
 الا زورة تهدي الشفاء على النوى
 ومن لي باللقيا ودون مناهلهم
 اروح واغدو والصبا متنسهم
 وكم لي على بعد النوى من تحية
 فيما ليتني طارت بكوري على النوى

وتسترها اغصان دوح نواعسهم
 بها املي يدنو وسعدي يلاتهم
 وجار علينا الدهر والدهر ظالمهم
 تخيلت اني في ادكاري حالهم
 اذا ما سرى والليل اسود مساجمهم
 يجاوبها الف لها ويناغهم
 واعرب عن وجدي وهن اعاجمهم
 زمان نعمنا فيه والشمل ناطمهم
 كريم وايام تولت كراشمهم
 ونلنا لآمانني والزمان يسالمهم
 علينا وما غير السرور منادمهم
 سلاما توديه الرياح النواسمهم
 كما عطرت يوما عليك اللطائمهم
 وروى رباه العارض المتراكمهم
 تردد فيه اللحن ورق حمائمهم
 تضاحك للازهار فيه مباسمهم
 لمن حله والدهر معط وحاسمهم
 والا فما تجري الدموع الطواسمهم
 ومن اعجب لاشياء نساء ملازمهم
 وحتى م بعد هولم متفاحمهم
 ويهدي لنا منها المسرة قسامهم
 فياني تحامى جويهن المناسمهم
 عسى خبر ياتي به منك ناسمهم
 تحملها عني البروق النواسمهم
 خواف شديداات القوى وقوامهم

لاحظني بحظ من رويك مقنع
 احن اذا ما مر ذكرك خاطرا
 عسى الله ان يدني اياك عاجلا
 ومما يسلي النفس انك مودع
 وسن يك بالمولى العماد اعتلاقه
 همام توقاه لاسود مهابة
 صامد بني الدنيا ومولاهم الذي
 من آل بني حفص الذي قد غدا به
 حمى حوزة لاسلام قدما بعزمه
 لقد شمت تلك الربوع بمساجد
 يقاسمه في ماله كل جتسد
 كريم اذا ما السحب صنت بقطرها
 يرى البخل عصيانا اذا سال سائل
 يذكر يوم الجود والروع حاتمها
 حوى قصب العلياء والغاية التي
 فمن كابي يحيى ندى وشجاعة
 هو الجود حتى لو تخلف جتسد
 لقد غاب عن ترشيش اذ غاب انسها
 تغير منها كل حسن واصبحت
 حياة ابي يحيى حياة بني الدنيا
 فلا زال في عز وسعد جتسد
 ودام على مر الليالي وكروها

قال التجاني وما انشده في مخدمونا الفقيه ابو ابراهيم ابن حسينة —
 سخي بنفسي عن ايثار صحبتكم يوم الوداع وما لي منكم خلف
 إلا فوادا خطيرا حل لي شرك ودعة مثل منهل الحياة تكف

أكفها عن مجاريها فيبعثها حاد من حرها الاضلاع تنقص
خلالها زفرة تشتد طالعته تكاد من حرها الاضلاع تنقص
علم اليقين بانني ان صحبتكم اردى وشيكا ولم يمهلي التلف
فقلت ما صحبة دان تصرمها بعدي بفرقة وقت ما له طرف
وفي رجوعي رجاء لا بقاء له ارجو حصول التلاقي حين تنصرف
فاختار عبدك بعدا بعده صلت على اتصال ببعد الدهر يكتنف
فانظر بعين اعتبار ما اتيت به يقيم لي العذر في عيبك والنصف
واترك مقالة اقوام ذوي غرض يردم قصدهم عن بعض ما عرفوا
قال التجاني ومما كاتبي به صاحبنا الفقيه المتصوف الفاضل ابو عبد
الله محمد بن عبد الله المعروف بالهوارى -

ومن السعادة وصل خل صالح عن كل فعل سيء ينهاني
من لي بخل كان يونس وحشي ويومني بالبشر اذ يلقساني
صاحبتهم في الله احسن صحبة فشكرت منهم كل ما اولاني
ورأيت منهم توددا ومحبة وفضائل زادت على الحسبان
لا غرو ان حاز الكمال فانما وقف الكمال على بني تجان
كم زهرة في روضته سمحت به فرايت بستانا لدى بستان
فوداده عندي نظير دائرهم وثناؤه غص بكل اوان
امقدم الالباء دون منازع وسلالة الحساء والاعيان
واجل خبر قد سما في عصرنا بالعلم والاداب والاتقان
قد جاءني منكم كتاب سرني بالبشر والترحيب اذ حياني
اني لاحيى اذ سمعت بذكركم فيميتني شوقي اذا حياني
ولربما ادمى جفوني ذكركم فاخال قلبي فاض من اجفاني
قاله يجمع شملنا باقائكم ويزيدكم بالعفو والغفران
وعليكم مني سلام دائرهم متعطر ما اهتز غصن البستان
قال وكان تحت هذه القصيدة اسطر في مخاطبتي بخط صاحبنا
الفقيه

الفقيه ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن ابي زكرياء البلوي تخلص
تجديد الوداد وتأكيد الاعتقاد فكتبت اليهما في الجواب وجمعهما معاً في
الخطاب —

ان لم تقص بدمائها اجفساني لفراق من اهوى فما اجلساني
او لم اوصل ذكر اخواني فقد اصبحت معدوداً من الخسوان
من مبلغ غني السلو بسان لي في الحب قلباً عند ذي سلوان
مندي لاحكام الوداد شريعتي اضحى القصي بحكمها كالداني
لا ارتضي إلا الوفاء طريقتي ما الغدر من خلقي ولا من شاني
واتن نسيت فلست انسى صاحباً يصل التذكر لي ولا ينساني
خلي الذي عزت به هـوارة عزى بصحبته على اخسداني
من قد صرفت اليه وجه مودتي وصرفت لحظي عن فل وفلان
ذا المنزع لاحلي الذي اجرى به في الناس حالته على ميزاني
ذات قد اختصت بكل فضيلة فاخصها بالشكر كل لسان
يسدي تفصله الى اخوانه ويعد فيه الفضل للاخوان
كم خصني من نصحه بفوائده اهدى الي حليها فهـداني
ولكم ابان لي الحقائق فكرة فاقام صورتها مقام عيـداني
ولقد اتاني من لدنه على النوى كتب اتاني الانس حين اتاني
قد وقيت فيه البلاغة حقها ما بين الفاظ وبين معاني
جمع الصنعة والصناعة مازجا تبين احسان بحسن بيان
ورأت في اقصى الصحيفة اسطرا ألفن بين الحسن والاحسان
من ماجد اسدى الى اياديها ما لي بواجب شكرهن يـدان
جاءت تقرر من كريم وداده ما حل من قلبي اجل مكان
لما قرأت خطايا ففهمتها ناديت والسراء ملء جناني
قد الحفني بالوداد بنو ابـسي ابراد فخر يا بني تجـسان
قال ولما وصلتـها قيـصدي المذكورة راجعني الهواري بقوله من نظم —

كتابكم اهدى من الوجد ما اهدى فلا تحسبوا اني نقصت لكم عهدا
 سري لي بسر منه عرف معروف افاد بمسراه الصباية والوجددا
 حباني بحب سيد فيه ما جسد به شرف الله السيادة والمجسدا
 نسيم الصبا بالله سر بتحيسته فصصت بها من شكره المسك والندا
 وحي بها عبد الاله على النوى وادرج له اثناءها الشكر والحمددا
 كاني به لما جرى البين بيننا ومد حجاب البعد ما بيننا مدا
 يقول جفا او مل او مال او سلى وحال عن لاخلاص او نسي الودا
 غرامي غرامي بالحبيب وان ناي وحي له حي دنالي او صصدا
 واني لمشتاق اليك وصصاير اذا لم اجد معا اكابده بسدا
 اذا خطر ذكره يوما بخاطري وجدت لحر الشوق في اثرها بردا
 الا نفتح منكم تبرد باطني فان لقلبي من اليم النوى وقدا
 الا موعده منكم يعلل مهمجتي فارتاح للقياء واستنجز الوعددا
 لئن جاءني يوما بشير بقر بكم وهبت له نفسي واهون بها نقدا
 واني لاستجدي وداك انسه اجل نفيس والافاضل تستجددا
 واني لاستهدي سلامك جالبدا بفغناه انسي والاكارم تستهددا
 واني لاستدعي جوابك راغبدا ليفتح باب القرب من بعد ما سدا
 لقد صيغ لاصحاب عهدي ولا نوى وانت بظاهر الغيب تحفظ لي الودا
 ساشكركم شكر الرياض لسحبها وانظم فيكم من حلى مجدكم عقدا
 واجهد في شكري تهجدكم عسى بفضلكم ان تقبلوا مني الجهددا
 ومن المدن التي تاهت في الاسلام وكانت مقر الاحكام مدينة المهديّة
 قال التجاني دخلتها فاذا هي مدينة جليل قدرها شهر في قواعد الاسلام
 ذكرها وهي من بناء عبید الله المهدي اول خلفاء العبيديين واليه تنسب
 وكان ابتداء بنائه لها سنة ثلاث وثلاثمائة ولما اكمل بناءها امن بزعمه على
 الفاطميات . قال ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم بن الرقيق في كتابه
 خرج عبید الله المهدي بنفسه في سنة ثلاثمائة الى مدينة تونس فاجتاز
 على

على قرطاجنة وغيرها ومر على جميع السواحل يرتاد موصعا على ساحل البحر
يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده وقصد كان عنده علم
حدثاني بقيام قائم على ذريته فاقام يلتمس ذلك مدة فلم يجد موصعا
احسن ولا احصن من موضع المهدي فبناها هنالك وجعلها دار مملكته قال
وكان اول ما ابني منها سورها الغربي الذي فيه ابوابها وعند ما وضع اول
حجر منه وهو حاضر امر ناشبا كان بين يديه ان يوتر سهمها ويقف على
ذلك الحجر ويرمي ففعل الرامي ذلك فانتهى السهم الى المصلى ووقع قائما
على نصله فقال المهدي الى ذلك الموضع ينتهي صاحب الحجار يعني ابا
يزيد فقدر ان وصل ابو يزيد الى ذلك الموضع ولم يتجاوزة . فقال معلم
الفتيان في تاريخه وامر المهدي بقياس المسافة التي سقط عنها السهم فكانت
مائتي ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا فقال المهدي هذا منتهى ما تقيم المهديته
في ايدينا من السنين . قال ولما تم بناء السور هناء اولياؤه بذلك فقال
لهم ان جميع ما ترون انما عمل لساعة واحدة يعني ساعة وصول ابي يزيد
الى المهديته . قال وكان يقف على فرسه فيامر الصناع بما يصنعون قال
وامر بباب الحديد للمدينة فجعل صفائح مصمتة ثم اثبت فيها المسامير
فبقيت تثقل فقال للصناع ما عندكم في هذا فقالوا لا ندري فامرهم بتسميرها
ثم امر بايقاد النار تحت الباب حتى التهب واتصلت المسامير بالصفائح
فعدت كلها قطعة واحدة فكان ذلك مما عد من معارف المهدي وهذا
تعصب ممن نقله وادنى معرفة الصناع ان يعرفوا هذا القدر ولما تم الباب
على هذه الصفة احب اختبار وزنه فاجمعوا على انه لا سبيل الى ذلك
لا فرط ثقله فامرهم ان يضعوا احد مصراعيه على ظهر سفينة ففعلوا
ذلك ونظر الى منتهى غوص السفينة في الماء ثم انزل وشحنت السفينة
بالرمل والحجارة الى ان وصل الماء منتهى ما وصل اولا واستخرج الرمل
منها ووزن على كرات فكان زنة كل مصراع منهما مائة قنطار وفي كثير من
نسخ المورخين الف قنطار وكذا حكى ابو عبيد في المسالك . ولما علموا قدرة

وحاولوا تركيبه صعب عليهم فتحه واغلقه فلم تكن المائة من الرجال تحركه فامر المهدي ان يكون مداره على الزجاج فهان امره وعاد الرجل الواحد يتولى منه ما كانت المائة تعجز عنه فعجب كل الناس من فطنة المهدي وغوص فكرته. وامر المهدي بحفر مرسى المدينة وكان حجرا صلدا فنقر نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية واقام على قم هذا المرسى سلسلة يرفع احد طرفيها عند مرور السفن ثم تعاد كما كانت تحصينا للمرسى من طروق مراكب الروم وابتنى دار الصناعة وهي من عجائب الدنيا ثم شرع في حفر الاهراء بداخل المدينة وبناء الجباب والمصانع واخترن الاهراء بالطعام وملا الجباب بالماء ثم امر بحفظها ولم تفتح إلا في ايام ابي يزيد ولولا ذلك لما اطاقوا المحصار وكان اتساع المهديّة في اول بنائها من الجوف الى القبلة قدر غلوة سهم فاستصغرها المهدي عند ذلك فردم من البحر مقدارها وادخله في المدينة فانتسعت . والجامع الاعظم لان والدار المعروفة في القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردم من البحر . واخذ عبيد الله في بناء قصوره بها فبنى قصرة الكبير المعروف به الذي كان به طيقان الذهب وبنى ابنه ابو القاسم بازائه قصرة المعروف به ايضا وفيها فسحة وبشرق قصر عبيد الله حيث كان هي دار الصناعة لان ولما كمل سور المهديّة وقصورها اراد عبيد الله الانتقال اليها فثقل ذلك على اوليائه وجنده وصعب عليهم استبدالهم بالموضع الذي استوطنوه فقال لهم ان صعب ذلك عليكم فكن نتقل ونترككم هاهنا ونجري عليكم الارزاق والصلوات وعما قليل ستنتقلون الينا مسارعين . قال المورخون فلم يكن بعد ذلك إلا رسن يسير حتى ارسل الله السماء بامطار غزيرة اخرجت مساكن رقادة وهدمت دورها واهلكت خلقا عظيما من اهلها فخرج الناس في الاخبية وكتبوا الى المهدي يسألونه الانتقال الى المهديّة فاجابهم الى ذلك فانتقلوا اليها وتمت عمارتها وانزل المهدي جنده وخاصته فيها وابتنى لعامة الناس المدينة الاخرى المسماة بزويلته وهي احدى المهديتين وبينهما قدر غلوة سهم وجعل الاسواق والفنادق بها وادار

وإدار بها خنادق متسعة تجتمع بها مياه الأمطار فكانت كالربض لمدينة المهديّة . وقد كان المعز بن باديس جعل عليها سورا عند دخول العرب الى ارض افرقيّة سنة اربع واربعين واربعمائة وقد خربت هذه المدينة لأن فلم يبق لها اثر وكان بخارجها الحمى المعروف بحمى زويلة وكان كله جنات وبساتين بسائر الثمار وانواع الفواكه فافسدته العرب . واقام المهدي ساكنا بالمهدية مدة حياته ثم مات بها سنة اثنيتين وعشرين وثلاثمائة فكان جلته اقامته بها تسع عشرة سنة وتولى ابنه ابو القاسم القائم وفي آخر دولته ثار عليه ابو يزيد مخلد بن كيداد النكاري وسياتي ان شاء الله في الفصل الثاني من الباب السادس في دولة العبيديين الفاطميين ايضاح نسبه وتاريخ بناء المهديّة مع طرف من خلاف بين هذا الذي نقلته من التجاني وبين ما ياتي وكل عهدهم على سن نقل عنه وقد تقدم طرف من حروبه معهم . فما زال يفتتح المدن ويخرب البلاد الى ان افتتح القيروان وهزم جيش القائم الاعظم واقبل يريد حصار المهديّة وكتب الى اهل البلاد الداخلين تحت طاعته يستنفرهم لحصار المهديّة وذلك سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . فعلم القائم بذلك فامر بحفر خندق حول ارباض المهديّة وزويلة ووصل ابو يزيد في جيوشه فاحاط بالمهديّة وكان عسكره بموضع بخربة جميل على اميال قريبة منها فكانت خيلهم تصل الى ارباضها فتقتل وتنهب فاجبا جميع الناس الى المهديّة واخلو ارباضها . وابصر القائم ذات يوم غرة من ابي يزيد لتفرق جيشه للنهب فاخرج طائفة من جنده الكتاميّين وغيرهم فقصدوا ابا يزيد وسبق الخبر بذلك الى ابي يزيد فوافق وصول ابنه فضل اليه بجمع عظيم من ضريسه فامرهم بلقائهم وان يكف عن قتالهم ما كفوا عنه فان ابوا الا قتاله وجه اليه من يعلمه بذلك فالتقوا بالموضع المعروف بسوق الاحد وهو فيما بين المهديّة ومعسكر ابي يزيد وسطا فابى الكتاميون الا قتال فضل فوجه الى ابيه يعلمه بذلك فركب ابو يزيد من حينه بجميع سن معه فوافاهم وهم يقتتلون وقد هزم ابنه فضل وقتل

جماعة من اصحابه فلما رءاه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهديّة فدخلوا اليها ووصل ابو يزيد في اثرهم الى ان اشرف على المهديّة فاحب نقل اخبيته الى موضعه ذلك فاشار عليه اصحابه بالرجوع الى معسكرة وان تكون اقامته به الى ان يستقصي الامور فرجع اليه واقام هنالك اياما ثم انتقل منه وزحف الى المهديّة فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم وجيوش القائم هنالك متقهقرة عنه ووصل ابو يزيد بنفسه في تلك الخطرة الى مصلى المهديّة فلم يبق بينه وبين المهديّة الا رمية سهم حسبما انذر به المهدي عند بناء سورها . فلما رأى الناس ذلك لم يشكوا في تغلبه على المهديّة فاجتمعوا الى القائم وعظموا عليه الامر وسالوه الخروج الى ابي يزيد فقال لهم انه قد بلغ اقصى غايته ولن يتجاوزها ولنجزن الله وعده ثم قال لبعض ممن بين يديه اصعد الى السور فاذا رايت ابا يزيد انتقل عن مكانه من المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما امر به ولما اشار لهم قال لهم القائم ابشروا فلن يعود ابو يزيد الى مكانه ذلك ابدا وانتقل ابو يزيد الى الموضع المعروف بترنوط وهو على خمسة اميال من المهديّة فعسكر هنالك واتصل حصاره لها فقتل بين الفريقين في ذلك على حوالي الايام امم لا تحصي اكثرها من جيوش القائم . وذكر البكري ان في كتاب الحدثان - اذا ربط الخارجي خيله بترنوط لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط - اهل السواد اهل الساحل . قال وفيه ايضا - ويل لاهل السواد من محلة ابن كيداد - ويقال من مخذل ابن كيداد . ولما طال على براز ابي يزيد المقام وستموا التغرب عن بلادهم وتحققوا تحصن المهديّة وامتناعها عنهم انفصلوا عن ابي يزيد باجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هواره وزناتة فحينئذ اقلع عن المهديّة وذلك في صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة . ومات القائم في اواخر هذه السنة وابو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذلك قبل هذا فوالي بعده ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور فبادر بانفاذ جيش بوي وجيش بحري الى ابي يزيد بعد

ان احب النهوض بنفسه فمعه اولياؤه منه فتوجهت جيوشه الى سوسة
وكان ما تجمع لابي يزيد من الجند لحصار المدينة حسبما قدمنا قبل هذا
مائة الف خص يسكن في الخص الواحد من الثلاثة اشخاص فصاعدا
وكان جيش المنصور البري اربعمائة فارس لا يزيد على ذلك فهجموا على
عسكر ابي يزيد في يوم كثير الغيم واطلقوا النار في مجتمع حطب كان هنالك
فتطاير شررة الى اخصاص ابي يزيد فاطلم الجو وتخاذل البربر فانهزموا
واسلخوا ابا يزيد فقتل من اتباعه ام كثيرة وتوجه ابو يزيد منهزما الى
القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من اصحابه فهرب عنهم وخرج المنصور من
المهدية في طلبه بشجاعة نوه بها المورخون فلم يزل يهزمه ويقتفي اثره
الى ان اخذه جريحا في جبل كتامة وذلك في المحرم من سنة ست
وثلاثين وثلاثمائة فسلخ جلده وجعل فيه ما ملأه حتى صار صورة هائلة
وطيف به من جبال صنهاجة بالمغرب الاوسط الى المهدية ثم صلب بها
الى ان مزقته الرياح بعد ان مزق شمل العالم في البلاد وكان يبيع دم
المسلمين ويستحل الفروج ويفعل في الراحة اشد مما يفعل في دار الحرب .
ولما تم للمنصور امرة ولم يبق له سن ينازعه احب الانتقال من المهدية
الى مدينة صبرة وهي ملاصقة للقيروان قال ابن الشباط لم يكن بافريقية
مدينة اعظم من صبرة قال ذكر بعض المورخين ان عمرو بن العاصي
رحمه الله غزا طرابلس بعد ان افتتح برقة وانه لما علم سن بها من الروم
قدومه استغاثوا بقبائل من البربر يقال لهم نفوسة وكانوا قد دخلوا في دين
النصارى فاقام عليهم عمرو حتى افتتحها ثم وجه عبد الله ابن الزبير الى صبرة
فبالغ في حصار اهلها وقتل كثيرا من ابطالها فلما راوا ذلك لجأوا الى مراكزهم
وشحنوها بما عندهم وقصدوا صقلية وتركوا المدينة خالية فجمع لها عبد
الله سن معه من المسلمين واحرقوها قال ابن الشباط وعلى هذا فصفتها التي
كانت عليها قد تغيرت . وقد ذكرها الطبري رحمه الله حين ذكر الطريق
من طرابلس الى قابس قال فمن طرابلس الى صبرة وهو بلد معمور تسكنه

زواغة فهذا ما ذكره في صفتها وصبرة هذه غير صبرة التي بالقيروان فانها محدثة بناها بنو عبيد وكانت تسمى بالمنصورة . قال ثم انصرف فوجههم عمرو الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فامرهم برد الجيش وقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول افريقية مفرقة لاهلها غير مجمعة ماوها قبايس لا يشربه احد الا افترقت كلتهم فامر عمرو العسكر بالرجوع الى مصر . قال فلما استشهد عمر رضي الله تعالى عنه واستخلف عثمان رضي الله عنه ولي عبد الله بن ابي سرح مصر وعزل عنها عمرو بن العاصي وكانت ولاية عبد الله سنة ست وعشرين وكان المسلمون يغيرون على اطراف افريقية فيغنمون وكتب عبد الله الى عثمان رضي الله عنه يعلم بذلك فجمع عثمان رضي الله عنه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم اجمعين واستشارهم في ذلك فاشاروا عليه بغزوها فندب الناس لذلك فتسارعوا . وخرج المهاجرون الاولون وخرج عبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمر ومروان بن الحكم ومن سائر قبائل العرب واجمع المسلمون على المسير وذلك في سنة سبع وعشرين . فجمع عثمان رضي الله عنه الناس وخطبهم وقال في خطبته بعد ان حمد الله عز وجل واثنى عليه اما بعد فاني قد عهدت الى عبد الله بن سعد ان يحسن الى محسنكم ويتجاوز عن مسيئكم وان يرفق بكم ولا قوة الا بالله وقد استعملت عليكم الحارث بن عبد الحكم حتى تقدموا الى عبد الله . فلما قدموا عليه خرج بمن كان معه وبمن قدم عليه فكانوا عشرين الفا فسار يقدم الطلائع امامه حتى بلغ طرابلس وقد اجتمع سن بها من الروم فمكرة عبد الله ان يشتغل بها عما قصد اليه من امر افريقية فامر الناس بالرحيل واقبلت مراكب حتى ارست بالساحل فشد عليها المسلمون ففر كل من كان فيها الى الماء فاخذ المسلمون جميع سن كان في الفن فكانت اول غنيمة بافريقية . وقد كان المنصور بنى سور صبرة وجعل فيها قصرا لنفسه فكان انتقاله اليها سنة سبع وثلاثين وثلثمائة وذلك اصل تسمية صبرة بالمنصورية ولم تزل صبرة

صبرة دار ملكهم الى ان انتقلوا الى مصر بتغلب المعز ابنه عليها سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فصيروا ولاية افريقية الى زيري بن مناد الصنهاجي فسكنها هو وبنوه الى ان خالف المعز بن باديس على بني عبيد وصرح على المناهر بلعنهم وذلك سنة اربع واربعين واربعمئة فجهز اليه وزيرهم المعروف بالبازوري الاعراب الذين غلبوه على امره واخذوا اكثر بلاده من يده . فلما رأى المعز اختلال الاحوال وتغلب الاعراب على البلاد وان صبرة لا تحصنه منهم بنى على الانتقال الى المهدية فولى ابنه تميما عليها وذلك في سنة خمس واربعين واربعمئة وجعل ينقل اليها اهله وذخائره شيئا فشيئا وقد كان رجاله وخاصته حذروا من تولية ابنه تميم وخوفوه من ان يستبد بنفسه ويمتنع بالمهدية على ابيه المعز فلم يسمع منهم ، ووصل تميم الى المهدية فوجد بها عبيدا لابيهم كانوا هنالك لضبطها وقد قويت شوكتهم وبين عبيده وبينهم فتنة وخنازعة فبينما هم في ذلك اذ دخل عليه شاعره محمد بن حبيب القلانسي فانشده قصيدة منها —

السيف يسبق قبل الحادث العذلا لا تعتمد السيف حتى تعتمد السفلا
نقل عدائك من دنيا لا خسارة فكلهم ظن هذا الملك منتقلا
فحركه لآبادة اولئك العبيد فاطلق عليهم ايدي العامة فقتلوا اكثرهم وفرس
بقي منهم الى المعز بصبرة فاتبعهم تميم طائفة من الاعراب لحقوهم قبل
وصولهم الى صبرة فقتلوهم اجمعين وبلغ المعز ذلك فقوي في نفسه ما كان
يذكر له عن تميم من الاستبداد والاستيثار بما حصل لديه من الذخائر
ولكنه لم يجد بدا من مداراته والاغتناء له عن فعلته هذه . فلما كانت
سنة تسع واربعين واربعمئة توجه المعز الى المهدية في خفارة رجلين من
العرب قد كان صاهرهما ببنتيه يعرف احدهما بالفضل بن ابي علي وهو
مرداسي ويعرف الاخر بفارس بن ابي الغيث توجهها اليه فاستخرجاه من
صبرة سرا واحس باقي الاعراب بخروجهم فاحتقوا في اثناء الطريق فواقفهم
فارس بن ابي الغيث في جماعة من قومه وجعل ينيبهم على الاستخفاف

بمخفارتهم فقالوا له انك قد انظمت التحامل علينا في خفارة مثل المعز وتركنا
له عظيم والفائدة في اخذه كبيرة فلا تمنعنا منه فلم يزل يوافقهم ويراجعهم
الى ان خلاص المعز وصاحبه الفضل ابن ابي علي ودخل المهديّة . ويقال
انه كان قد اخرج بعض قطعه البحرية وسيرها في البحر محاذية له خوفا
مما عساه ان يعرض له في طريقه فلما لحقه الاعراب كما قدمنا ناده
ارباب المركب البحري بالبدار اليهم ليلتحق بهم ويعتصم بالبحر من اولئك
الاعراب فلحق في السير وابى من الدخول اليهم انفة منه وجلدا الى ان خلاص
وحصل بالمهديّة ودخلها وهو خائف من ولده تميم ان يقتض عليه . فخرج
تميم للقاءه وترجل وقبل الارض بين يديه ومشى امامه ولم يزل في خدمته
وبرة الى ان مات المعز سنة اربع وخمسين فحينئذ استبد تميم بالملك . وغلبه
الاعراب على امره فلم يكن له الا حمايته لاسوار بلاده سوى انه كان في
بعض الاحايين يخالف فريقا من الاعراب فيجد السيل بذلك الى الخروج
لقتال سن يقصده وحصار سن يشور عليه ببلد من بلاده . وقد قدمنا ان حمو
ابن مليل البرغواطى ثار عليه بصفاقس واستبد بها واراد الوصول الى المهديّة
لمحاصرته فخرج تميم للقاءه فالتقيا بظاهر المهديّة فهزمه تميم وعاد حمو
الى صفاقس خائبا فاتبعه تميم ابنه يحيى فحاصره بصفاقس واستوفينا ذلك
عند ذكرنا صفاقس . ولما كانت سنة ست وسبعين واربعمئة وصل الحصاره
ابراهيم بن محمد الثائر بقابس ومعه جمع عظيم من الاعراب اميرهم ملك بن
علوي الصخري فنزلوا على المهديّة فارسل تميم الى احلافه من الاعراب
اموالا فهجموا على عسكر ابراهيم وخرج تميم بمن معه من جنده فهجم عليه
من الجهة الاخرى فانهزم ابراهيم هزيمة فاحشة ورجع ابراهيم الى قابس
وفر ابن علوي الى القيروان فتوجه اليه تميم وسن معه من الاعراب فحاصروه
بها الى ان خرج منها تحت الليل هاربا ثم عاد تميم الى المهديّة . فلما
كانت سنة ثمانين واربعمئة وقع ما وقع من نزول اهل بيس وجنوة من
النصارى على المهديّة فاستولوا عليها وعلى زويلته وسبوا اهلها وقتلوا سن

شاعوا منهم واحرقوا بالنار وكانت عدة المراكب التي وردت النصارى فيها ثلاثمائة قطعة تشتمل على ثلاثين الف مقاتل . قال ابو الصلت وكسفت الشمس في هذا العام بيرج لاسد وهو طالع تخطيط المهديّة كسوفاً كلياً فجرى بها هذا الواقع باثر ذلك . قال وكان من اعظم الاسباب فيه مع قضاء الله الذي لا يرد ومشيئته التي لا تدفع غيبة عسكر السلطان عن المهديّة ومفاجاة الروم دون استعداد لهم واخذ اهبة للغائهم وخلو كافة الناس من الاسلحة والعدد وقصر الاسوار وتهديمها وتكذيب تميم مع ذلك بما يرد عليه من اخبار النصارى وسوء رأي فلان متولي تدبير البلد اذ ذاك في المنع من الخروج اليهم ولقائهم في الماء فتركوا الى ان نزلوا في البر فكان من تغلبهم على المهديتين وعيّنهم فيهما ما هو مشهور معلوم . قال ولما تميم الى القصر المعروف بقصر المهدي وهو قصر حصين فاقام به الى ان وقع الصلح بينه وبينهم على مائة الف دينار تدفع لهم ويقبلون بما حصل في ايديهم من المسلمين فدفعت لهم واقلعوا باموال المسلمين ونسائهم وابنائهم قسّال ولقد استوفى وصف ذلك ابو الحسن بن محمد الحداد في قصيدة طويلة اولها -

انى يلم الخيال او يقف وبين اجفاننا نوى قذى

ويقول فيها -

غزا حمانا العدو في عدد هم الربا كثرة او النغف

عشرون الفا ونصفها انتلفوا من كل اوب لبسما انتلفوا

جاءوا على غرة الى نفسر قد جهلوا في الحرب ما عرفوا

وهم من العيش في بلهيسة وليس للدهر عين طرف

فايقظوا من سنات غفلتهم لهم عيوننا اجفانها وطف

في سفن كالجمال ليس لها إلا من السمر والظبا شغف

هبت رخاء رياحها فجرت كما اشتها وهي عندنا عصف

فان ونث في الهبوب حركها مجاذى كالصلال تلتقف

واقام تميم بعد ذلك بالمهديّة الى ان مات بها سنة احدى وخمسمائة .

فقلت ان الذي مات في هذا التاريخ هو تميم ، فولي ابنه يحيى فكان مما حدث في ايامه من الاسباب المؤدية الى تغلب النصارى على المهديّة التغلب الثاني الذي ادى الى انقراض دولة منهاجته منها ان نصرانيا اسمه جرجير بن فلان الانطاكي كان قد هاجر من المشرق الى تميم وكان قد عرف لسان العرب وبرع في الحساب وتهذب بالشام بانطاكية وغيرها فحكمه تميم في دخله وخرجه وجعل مصاريق الاموال لنظرة فصارت اموال المسلمين كلها في يده ويد اقاربه وكان للاتساع فيه من الاموال ، فلما مات تميم خاف هذا النصراني من يحيى فخطب روجار صاحب صقلية واعلمه انه يحب الانتقال اليه فوجه روجار اليه قطعة اظهرت انها وصلت في رسالة فخرج هذا النصراني واقاربه في جمعة عند اجتماع الناس للصلاة وتزيوا بزي البحرين فطلعوا اليها وتم لهم امرهم فلم يفتن الناس لهم الا وقد اقلعوا ولما وصلوا الى صقلية حكمهم عبد الرحمن النصراني صاحب اشغالها في الجبايات فنصحوا وظهروا ، واحتاج روجار ان يوجه رسولا الى مصر فاشار عليه عبد الرحمن بجرجير هذا فارسله فنصح واقبل بذخائر ملوكية حظي بها عند روجار ، ثم مات يحيى بن تميم بالمهديّة سنة تسع وخمسمائة وولي بعده ابنه علي بن يحيى ف وقعت الوحشة بينه وبين روجار بسبب سفينة انشأها رافع بن مكن بن كامل بقابس حيث منع منها علي فاستنصر رافع بروجار ف وقعت المقاتلة بين اسطول علي واسطوله بسببها وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى عند ذكرنا لقابس ، ووصل بائر ذلك رسول روجار الى علي يقتضي اموالا كانت تثقفت له بالمهديّة وكان علي عند تلك الوحشة قد امسك وكلاءه فسرحهم له علي ووجههم اليه بامواله فلما وصلت اليه وجه رسولا ثانيا بمكانبة فيها اغلاط وتهديد وتقصير على العادة واساءة في الادب فانضب ذلك عليا وصرف رسوله دون جواب ، وبلغ عليا ان النصراني يتهدده ويوعده فامر باستجداد الاساطيل والاستعداد لقتاله فانشا اسطولا قويث انفس الناس به ومدحتهم الشعراء بسببه فقال محمد بن بشير من قصيدة له -
واهددت

وأعددت للأعداء كل مصمص يسير اليهم قاصدا وهو أهوج
 كمثل الرواسي منعة غير انها على ثبج ادماء تردى وتولج
 كان القنا والنبل في جنباتها سبال باكتاف الهضاب وعوسج
 يعيد مضي الجواقتم حالكسا دخان لظى من نساها يتوهج
 اذا نضضت من السن لهيئة بمارج نار يستقل ويعسرج
 رايت صلالا اخرجت من جهنم تحرق اكباد العداة وتنضج
 ثم ولي بعده ابنه الحسن فكاتب امير المثلثين بالمغرب علي بن يوسف
 ابن تاشفين واتفق باثر ذلك ان وصل اسطول علي بن يوسف مع قائده
 علي بن ميمون الى بلاد روجار فاستفتح منها حصونا وسبى منها سبايا كثيرة .
 فلم يشك النصراني ان الباعث لعلي بن يوسف انما هو الحسن فاستجاش
 من قبله وحشد اجنادة ومقاتليه وبالغ في كتم امره بمنع السفر الى سواحل
 المهلين ولم يخف عن الحسن مقصده وخشي ان يطرق بلاده دون ناهب
 له فامر باتخاذ الاسلحة وتشبيد الاسوار واستقدام القبائل من العرب
 وغيرهم للجهاد فوصلت الحشود اليه من كل جهة ونزلت الكعراب بظاهر
 المهديّة . فلما كان يوم السبت لخمس بقين من جمادى الاولى سنة تسع
 عشرة وخمسمائة وصل اسطول روجار الى المهديّة فارصى بالجزيرة المعروفة
 هنالك بجزيرة الاحاسي وهي على عشرة اميال من المهديّة ونزل قائده
 عبد الرحمن وجهير الى الجزيرة وضربت لهما ولقدهمى الافرنج مضارب
 هنالك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق
 كثير وانبطوا حتى بعدوا عن البحر امينالا ثم عادوا الى الجزيرة ووصل
 القائدان في اليوم الثاني في البحر في بعض قطعهما الى المهديّة فطافا بها
 وانتهيا الى ساحل زويلة فهالهما ما رايا بالاسوار والسواحل من الناس
 وانصرفا عائدين الى الجزيرة فوجدا طائفة من العرب ومن الاجناد قد دخلوا
 اليها وكشفوا عن كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا بعض
 اسلحتهم . فلما كان في اليوم الثالث تمكن النصارى من القصر المعروف

بقصر الديماس وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض العرب لهم على ذلك لما مناهم به عبد الرحمن وصاحبه وقد كان روجار اسرهما بذلك من النزول بجزيرة الاحاسي والتحيل في اخذ قصر الديماس بتطميع العرب ثم يكون الزحف من هنالك في البر بالرجال والتحيل الى المهديّة . فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا تكبيرة راعت سن في الجزيرة فظنوا انهم داخلون اليهم فانهمزموا الى مراكزهم وقتلوا بايديهم كثيرا من خيلهم ودخل المسلمون الجزيرة وليس بها احد منهم فوجدوا فيها خيلا وآلات واسلحة اعجلهم العرب عن حملها واحاطوا اغاثة بقصر الديماس يقاتلونهم والاسطول في البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة سن في القصر لكثرة ما اجتمع في البر من عساكر المسلمين . فلما علموا انهم غير قادرين على استنقاذ سن في القصر اقلعوا عائدين الى صقلية واقام المسلمون يقاتلون سن حصل بقصر الديماس منهم الى ان اشتد عليهم الحصار وفنى ماؤهم وطعامهم فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الاخرى فخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم . وهي الحسن بهذا الفتح ولم يدر ما تحت طيه من المحنة التي خصت وعمت المسلمين بسميه . وكتبت عنه في ذلك كتابا الى سائر الجهات منها كتاب يقول في بعض فصوله - وان صاحب صقلية ليج في طغيان فيه . واستمر على عدوانه وبغيه . وحمله سوء تدبيرة . وفساد تقديرة . على اعتصام جانب الاسلام . وتوهم ان ذلك سهل الملتصق قريب المرام . فاستجاش وحشد . واستغزر واستمد . ولما استتبت له في ظنه امورة وكمل تدبيرة . الذي كان فيه تدميره . سير اسطوله نحو المهديّة حماها الله في نحو من ثلاثمائة مركب حمل على ظهرها ثلاثون الف راكب وزهاء الف فارس وكان اقبلاءه في طالع مقارن للنكوس . قاض عليه باتلاف الاموال والنفوس . فمن اول ما انشاه الله فيه من صنعه الجميل . واطهره من عنائته التي لا يودى حقها بغير الشكر الجزيل . ان ارسل عليهم ريحا صيرت جميعهم الى التيار . وواصلتهم برد الماء حر النار . ونابت

ونابت في اهلاكهم مناب زرق لاسنة وبيض الشفار . وكان روجار قد رام
 اخفاء كيدته ومكره . بمنع السفن تسفر الى نواحي سواحل المسلمين وحصره .
 فستط الى الساحل مركب من جملة اسطوله يعرفنا من ركابه صورة امرة .
 وما يسر الله سبحانه وتعالى من تشيت شمله ونثره . ولم تكن قبل ذلك
 مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التاهب والاستعداد . واستضافته لاجناد
 الى لاجناد . فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب المطيفة بنا فاقبلوا افواجا
 افواجا . وجاء وهجيرة السيل يعتلج اعتلاجا . ويتدفق امواجا . وكلهم على
 نيات في الجهاد خالصة . وعزائم غير راهبة من مواقف الموت ولانا كصته .
 ووصل لاسطول المخدول بمن اسلمه السوق الى حد الحسام . وتخطاه الغرق
 فنجبا من الحمام الى الحمام . ونزلوا على عشرة اميال من المهدية بجزيرة
 هنالك ذات احساء بينها وبين البحر مجاز متداني البرين . قريب ما
 بين الشطين . هين مرامه . سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه .
 فتسرع اليهم من جندنا . وسن انصاف اليهم من العرب المنجدة لنا . طائفة
 اوسعت اعداء الله طعنا وضربا . وملا قلوبهم خوفا ورعبا . فلما عاينوا ما
 نزل بهم انزلوا عن ظهور مراكبهم . ما كان ابقاء الغرق من افراسهم . وكانوا
 نحو خمسمائة فرس وظنوا انهم ان امتطوا متونها مستسلمين . وصدموها بها
 جيوش المسلمين . امكنهم بها انتهاز فرصة فاكذب الله طعنونهم وخيب
 امالهم . وجعل الدائرة عليهم لا لهم . وخامهم من الرعب الذي نصر الله
 به المسلمين . وخمدل به المشركين . ما ولوا منه ادبارهم يرون الهزيمة
 غنيمته والهرب غلبا . وتركوا كثيرا من خيلهم واساحتهم نهبا مقتسما . وفيثا
 مغنما . واتفق في مدة مقام هذا لاسطول بالجزيرة ان رجلا من طغاة العرب
 ومردتهم دعاه فساد دينه . وضعف يقينه . ان اغتال لهم قصرا على المجاز
 المذكور شديد الاعتناء فحصل بد منهم زهاء مائة عالج . وتسربت العرب اليهم
 من كل فج . فجردنا من خيلنا سن تولى امرة . وبأشر حصره . اذ كانت العرب
 لا تبأشر عمل هذا وانما تعرف الحصر لا الحصون . ويعظم غناؤها بالسهول

لا الحزون . ثم اقلع جميع الاسطول حين علم عجزه عن استنقاذ اصحابه
ولبثوا بعدهم والقتل يمحطهم والنار تحرقهم . الى ان استاصلوا عن آخرهم
ركبهم الخفيف على جباههم ومناخرهم . وجرى امر هذا العدو المخذول من
اوله الى اخره وفاتحته الى اخره ما قاله سبحانه - يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها -
فالحمد لله الذي ايد الاسلام ونصره . واعداه واطهره . واباد الشرك ودمره .
واذله وادحره . ولما اقلع الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا غاظ روجار ذلك ثم
اتفق باثرة ان وصل اسطول الملثم من الغرب وقائده محمد بن ميمون المذكور
قبل فعث في بلاد روجار وقتل وحمل نساءها سبيا الى بلاده وكان روجار كلما
وصل اسطول من المغرب الى بلاده نسبته الى الحسن فعزم العزم المصمم على
غزو المهدية وانشا في ظاهر الامر بينه وبين الحسن صلحا وفي نفسه ما
فيها لتتم خديعته ويتمكن من مراده . وكان بين الحسن وبين ابن عمه يحيى
ابن المعز بن باديس بن المنصور بن الناصر بن علنس بن حماد صاحب
بجاية من المخالفة ما اوجب ان يبعث يحيى في هذه المدة لمحاصرته
بالمهدية اسطولا في البحر وجيشا في البر قائده مطرف بن علي بن حمدون
الفقيه فحصر المهدية برا وبحرا ونزل مطرف بن علي بجيشه بظاهر زويلة
فاستمد الحسن روجار فامده باسطوله فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهدية
مسرعا . وكان لروجار جواسيس بالمهدية فكتبوا اليه يعلمونه ان بمرساها
مراكب قد استوفت وسقها فامر جرجير قائد الاسطول المتوجه للنصرة
بالحجوم عليها واخذها ففعل ذلك غدرا وحملها الى صقلية . ثم هجم بعد
ذلك على مرسى المهدية فاخذ منه مركبا كان الحسن قد احتفل فيه وشحنه
بذخائر ملوكية ليوجه بها الى المحافظ العبيدي صاحب مصر وكان ذلك
المركب يسمى بنصف الدنيا . ولم يزل يوالي الغزو عليه باساطيله والمقدم
عليها جرجير المذكور وهو العارف بالمهدية حاضرة وبادية الى ان دخلت
سنة ثلاث وأربعين وخمس مائة فلم يشعر الحسن صباح يوم الاثنين الثاني

من صفر إلا وقد وفد عليه جرجير المذكور في ثلاثمائة مركب للأفرنج فارسي على بعد من المهدية وكانت الريح قد منعتهم من الدخول الى المرسى فارسل الى الحسن يخادعه ويذكر له انه انما وصل لطلب عسكر يستعين به على اهل قابس ليوليها ابن راشد . هذا فيما سلف من هذا التقييد وقد بينا سبب خروجه من قابس . فعلم الحسن ان هذه مخادعة الى ان تتهيأ له ريح يدخل بها وانه لم يصل إلا بعد علمه بخلاء المهدية من العسكر وقد كان الغلاء المتوالي على افريقية اضعف اكثر جند الحسن واهلك خيلهم ومع ذلك فكانت بقية العسكر في محاربة ابن خراسان صاحب تونس عضدا لمحرز بن زياد الفارعي صاحب المعلقة فعزم الحسن على تسليم المهدية للنصارى وامر في الحين بالرحيل عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن امكنه من اهله وولده وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من اهل ومال وولد وجرى عليهم في هذه الضيقة ما لم يكونوا يقدرونه . وذكر ابن شداد من كلام الحسن عند خروجه - سلامة المسلمين من القتل والاسر - خير الي من الملك والقصر - وبقي الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلاد بسبب الريح الى الساعة السابعة من حين وصوله ثم لانت الريح فدخل ووجد المهدية خالية فتسللها دون مدافع . ووجد جرجير قصر الحسن على حاله لم يحمل الحسن معه إلا ما خف له فرأى فيه من الذخائر الملوكة ما هاله وتحكم على ذلك كله . وامر ان ينادى في المهديتين فارتفع النهب منهما واخرج جميع النصارى من المهديتين فانزلهم فيما بينهما في مضاربهم واخبيتهم فكان سن بقي بالمهدية احسن حالا ممن فر منها في دنياه فان الفارين لقوا من المشقة وعدم الماء ما اهلك اكثرهم الى ان تداركهم جرجير فبعث لهم خيلا يعلمونهم بالامان فرجعوا الى بلدكم وفرق عليهم مالا وطعاما اقربهم اياه فصاحت احوالهم واغتبط الناس بالمهدية لما راوا من عدل النصارى فعمرت احسن عمارة . واما الحسن بن علي فانه سار الى عسكرة الذي قدمنا انه كان في نصرة محرز بن زياد فلقيه محرز بالبر واكرمهم

وانزلهم عنده فاقام هنالك اشهرًا وهو كاره في الاقامة لمسايرى في عيني محرز
من السمامة فاحب الانتقال الى مصر وواليها اذ ذاك المحافظ عبد المجيد بن
محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن
القائم بن الهدي وباسمه كان الحسن يخطب في بلاده . فابتاع من تونس
مركبا اعدة لسفرة . فعلم جرجير بذلك فاعد له عشرين قطعة ترقب اقلاده
فتتبعه وعلم بذلك الحسن فعدل عن السفر لمصر ونظر في التوجه الى الخليفة
عبد المومن بن علي بالمغرب وانفذ كبار ولده يحيى وتلميها وعليًا الى ابن عمه
يحيى بن العزيز صاحب بجاية وكتب له يستأذنه في الوصول الى
حضرته وان يكون توجههم الى عبد المومن من بعد اجتماعهم به . فتلقى
بنيه يمين بن حمدون وزير يحيى احسن تلقى وكتب لهم على لسان
يحيى الى الحسن بالتوجه على ما جرى عليه والتخريض على الوصول
والعدول عما خطر بباله من قصد غيره . فاعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب
اليه ابن عمه فاشار عليه بالتنكيب عنه وان يتوجه حيثما احب فهو
خير له منه فلم يطعه الحسن وتوجه الى بجاية . فلما قرب منها ندب يحيى
وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك ثم امر اخاه قائد بن العزيز بالخروج
الى لقائه مع مشيخة البلد وان يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون
مقامه بها ففعل اخوه ذلك وانزلهم هو واولاده بمدينة الجزائر في امكنة لا
تليق بهم واجرى عليهم جرايات لا تكفيهم وامر ميمونا بمراعاة احوال الحسن
ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المومن بن علي لمسا توقعه من
استعانة عبد المومن به في اخذ بجاية فبولغ في التشديد عليه في ذلك . واقام
ساكنًا بها الى ان نزل عبد المومن من المغرب الاوسط وقد تغلب على جميع
بلاد الغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك عام سبعة واربعين
وخمسمائة فتغلب على مليانة والجزائر فاجتمع به الحسن هناك وسار اليه
وهو بمدينة متيجة . فاقبل عبد المومن عليه وقربه اليه واستصحبه معه
وجعل الحسن يغريه باخذ بجاية حسدا لابن عمه ورغبة في خروج الملك

من يديه ليتساويا في ذلك فنزل عبد المومن الى بجاية والحسن معه
فاستولى عليها وعلى جميع عمالتها وذلك بعد هزيمته لعساكر صنهاجة بجبل
زبري واعان يحيى ايضا على نفسه بانهماكه في لذاته واهماله تدبير
دولته وتنقيصه للامر لغيره . فلما استولى عبد المومن على بجاية فر يحيى
ابن العزيز منها في البحر وكان مرامه التوجه الى بونة والنفوذ من ذلك الى
بغداد لعله ان الخليفة العبيدي بمصر ينقض عليهم الخلع الاول . فلما وصل
الى بونة جعل الحارث يتأفف منه ويؤنبه على اهمال الملك فخرج عنه
الى قسنطينة وبها اذ ذاك اخوه الحسن بن العزيز فاكرمه وتخلي له
عن الامر فاقام بقسنطينة يعمل رايه الى ان اناب الى الطاعة ودخل في
ايالة الموحدين ووصل الى الخليفة فاكرمه وانزله مع ابن عمه الحسن بن
علي . ثم كانت لعبد المومن على الغرب الواقعة المعروفة بوقبعة سطيف
هزم فيها طوائفهم وطلع الى الحضرة بجميع من حكم عليه ومن جعلتهم
الحسن ويحيى فاسكنا بمراكش في رفاة ورزق جار . فلما كانت سنة
ثمان واربعين وخمسائة وصل الخليفة الى سلا واستصحب يحيى معه
فاسكنه بها في بعض قصور بني عشرة واقام بسلا الى ان مات هنالك ودفن
في مقابرها الجوفية مما يلي البحر . واما الحسن فانه اقام بمراكش الى
ان عاد عبد المومن اليها فلم يزل يغريه بالحركة الى افريقية ويحضره على
استنقاذ المهدية من ايدي النصارى الى ان تحرك اليها سنة اربع
 وخمسين وخمسائة فافتتح تونس واذهب دولة بني خراسان منها . وقد كان
عند وصوله الى باجة عرض عسكرة فكانت الخيل ازيد من مائة الف فارس
واما الرجال فما يحصون كثرة . فاقام بها ووجه الى اهل تونس بالتأمين
والعفو فلم يزدادوا الا عصيانا وكانوا قد قاتلوا ولده عبد الله قبل ذلك ومزقوا
جيشه وفعالوا فيه لافاعيل لما وصل الى محاصرته سنة اثنتين وخمسين
 وخمسائة وانفصل عنهم اسوء انفصال . فارتحل عبد المومن من باجة ونزل
على طبرية واعاد عليهم الترغيب والترهيب فلم يتبلوا فارتحل الى تونس وكان

نزوله عليها يوم السبت العاشر من جمادى الاولى من السنة المذكورة
 واتصلت لآخية من الحنايا الى حلق الوادي وعابن اهل تونس امرا عظيما
 وايقنوا بالهلاك واقام العسكر ثلاثة ايام لا يقاتلون فنزل الى عبد المومن اشياخ
 السلام من اهل تونس منهم بنو عبد السيد عمر ومعاوية وعبد السيد ومنهم ابنا
 منصور اسماعيل وابن عمه عتيق ومنهم الخارجي محمد وحمزة بن حمزة وعبد
 العزيز القمودي وغيرهم وكانوا اثني عشر رجلا فوصلوا الى عبد المومن وطلبوا
 العفو فاسعفوا به بعد مكابدة شديدة وامتناع عظيم من عبد المومن . ولما عفا
 عن اهل تونس اشترط مسالمتهم في انفسهم ومشاطرتهم في رباعهم واموالهم كلها
 للمخزن ما عدا ملبوس رقابهم وغير اهل تونس من قراها وسائر بلادها يشاطرون
 في اموالهم وكذلك صاحب تونس علي بن احمد بن خراسان إلا انه اشترط
 عليه الخروج من تونس والانتقال الى بجاية فوقع الشرط على ذلك وتسلم
 عبد المومن تونس واخرج ابن خراسان منها من يومه فمات في الطريق .
 واقام عبد المومن بعد الفتح ثلاثة ايام ثم ارتحل الى المهدية وخلف
 بتونس ابا محمد عبد السلام الكومي ومعه اشياخ من الموحدين لاستخلاص
 الاموال من تونس فوقع البحث عن اموالهم ودخلت دورهم فحمل جميع ما
 فيها وبيع ما امكن بيعه من رباعهم واملاكهم وخرج الامناء الى سائر بلاد
 افريقية لمشاطرة الرعية في جميع ما بايدهم حتى لم يبق من افريقية
 بقعة إلا عمها ذلك . ومن تاريخ ابن شداد قسما ان عبد المومن لما سار
 الى تونس بالجموع العظيمة كانوا يمشون بالمزارع في الطرق الضيقة فلا
 يوذون شيئا منها وكانت هذه المحلة تمتد اميالا وكلهم يصلون الصلوات
 الخمس وراء امام واحد بتكبيرة واحدة ولا يتخلف احد منهم عن الصلاة
 كائنا من كان . وكانت مقدمة هذه العساكر اثني عشر الفا قد كلفوا بحفر
 الابار واستخراج المياه فكانوا يمشون قبله بيومين فلا ياتي إلا وقد هيئت
 الفلات وملئت الحياض بالمياه ولولا هذا التدبير لم يقدر على قطع هذه
 المسافة البعيدة بهذه الجيوش العظيمة . وكان كلما مر بارض فيها عرب بادروا

اليه ويستصحب اعيانهم معه وكانت وقعت سطيف اذلتهم وكان اسطولهم في البحر سبعين مركبا قوادها محمد بن عبد العزيز بن ميعون من البيت المشهور في قيادة البحر وابن الخراط وابو الحسن الشاطبي وغير هؤلاء ممن هو مثلهم في المعرفة والشهرة . قال وعرض عبد المومن الاسلام على سن بتونس من اليهود والنصارى فمن اسلم سلم وسن امتنع قتل . ومن غير كلام ابن شداد ان عبد الله بن عبد المومن لما فعل به اهل تونس ما فعلوا حين نزل عليهم قبل هذا حلف ان يدخلها بالسيف ويقتل جميع سن تنقع عينه عليه من اهلها فامر الناس في هذه الخطرة ان يدخلوا دورهم ولا يخرج احد حتى يسمع النداء ليدخل عبد الله الى البلد فدخل وسيفه في يده فلم يلق الا شيخا قتله وانصرف وقد برت يمينه . قال ابن شداد ثم توجه عبد المومن الى المهدية فكان وصوله اليها ضحوة يوم الاربعاء الثاني عشر لرجب وبها حينئذ اولاد ملوك الافرنج وابطالهم وقد اخلوا زويلة فنزلها عبد المومن بجملته سن معه من خواصه ومن اهل الاسواق فعادت مدينته معمورة من يومها . واقبل الناس يقاتلون المهدية مع الامام فلا يؤثر ذلك فيها لمحصانيتها وصيق ماخذ القتال منها لان البحر دائر باكثرها . وكان الافرنج يخرجون منها فينتهبون اطراف العسكر فامر عبد المومن ببناء سور بين مسكرة والمدينة كي يمنعهم من الخروج . وركب عبد المومن في مركب ومعه الحسن ابن علي الذي كان اخرج منها وطاف بها من البحر فهاله امرها وعلم انها لا تفتح بقتال وليس لها الا مطاولة المحصار وتوقع الاقدار فتعادي حصارها لها ستة اشهر . وقال عبد المومن للحسن ما الذي اخرج هذا المعتقل من يدك فقال له اخرجه انقضاء الامد وعدم الثقة باحد فصدق عبد المومن واستحسن كلامه وكان الحسن فصيحاً معروفاً بذلك . ووصل من طائفة صقلية اسطول فيه مائة وخمسون مركبا غير الصغار فحضر مقدمو اسطول عبد المومن بين يديه فقالوا له ان هذا الاسطول قد اقبل وهو لا يصل الا متفرقا بحكم البرق فلما اذن لنا في الخروج اليه فسكت عبد المومن فاغتنموا

سكوتهم وبادروا الى القطع فملاوها بما احتاجوا اليه وخرجوا واصطفوا عساكر المسلمين على الساحل وعبد المؤمن يبكي ويسجد في الارض ويقول اللهم لا تضع دعائم الاسلام . ولما قرب اسطول الافرنج من دار الصناعة خرجت اليه من المهديّة قطعة لتلقاه فبادر ابن ميمون لاختذها وكان بعض اسطول الافرنج ايضا قد حط قلاعه للدخول فاعجله اسطول المسلمين عن الدخول واستولى على ثمان قطع منه فاجتمع بقيّة الاسطول وولوا منهزمين . فسجد عبد المؤمن شكرا لله تعالى وفرق في غزاة الاسطول اثني عشر الف دينار مومنيّة . ويثس اهل المهديّة من النصرة فنزل اواخر ذي الحجة عشرة من فرسانهم فوقفوا بين يدي عبد المؤمن وسالوه الامان لمن بها في الانفس والاموال وان يسمح لهم بالخروج منها وكانت قوتهم قد فنيّت . فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا لنطلب فضلك . وترددوا اليه اياما وقالوا ما عسى المهديّة وتس فيها من الافرنج الى ملكك العظيم وامرك الكبير وان انعمت علينا كنا ارقاءك في بلادنا . فرأى منهم كمالا في الاجسام وتوعدّة في الكلام فاعطاهم ما ارادوا وجهّزهم في سفن الى بلادهم وكان الفصل شتائيا فلما قربوا الى صقلية هال البحر عليهم فهلك اكثرهم . وتسلم عبد المؤمن المهديّة وعاد اليها الاسلام في يوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين وخمسمائة . ورغب الحسن الى الخليفة في ولايتها فاوّل عليها ابا عبد الله محمد بن فرج الكومي واسكن الحسن زويلة فاقام بها عشر سنين الى ان توفي عبد المؤمن وولي ابنه ابو يعقوب يوسف فوصل امره بطلوع الحسن الى المغرب فطلع باهله وولده وحاشيته وذلك في سنة ست وستين وخمسمائة فلما وصل الى الموضع المعروف بتماسنة توفي هنالك ببقعة تعرف بأبان وقبره هنالك وكانت وفاته في رجب من العام المذكور . ثم توفي ابو يعقوب وولي ابنه المنصور ابو يوسف فنار عليه بالمهديّة محمد بن عبد الكريم الرجراجي واستبد بنفسه وقبض على واليها اذ ذاك وهو الشيخ ابو علي يونس بن الشيخ ابي حفص وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة . وكان محمد بن عبد

الكريم هذا ممن نشأ بها وكان أبوه من جندها الساكنين بها المتوطنين فيها وهو من قبيل كومية وكانت لمحمد هذا شجاعة وبسالة ظهرت له في مواطن كثيرة مع الاعراب وغيرهم وكان قد جمع لنفسه خيلا ورجالا من الرعايا يضرب بهم على الاعراب المفسدة فيكف ضررهم واعتداءهم وعلم غناؤه واقدامه فقدمه الوالي على ذلك واطلق له يده فيمن عنده منهم في جميع الامور فكان يقبض ويقتل ولا يطلق من حبسه منهم إلا بعد قبض الاموال الكثيرة منه واعطائه العهود والمواثيق على الكف عن العناد وعن الفساد فكانت العرب تهابه ولا تنتجع ارضا من ارضه إلا باذنه فبعد صيته بذلك وسما قدره وحصل الامن به في تلك الجهات وكان يدعى له في المساجد في عقب الصلوات . وانتفق ان قدم الشيخ ابو سعيد ابن الشيخ ابي حفص على افريقية من قبل المنصور فولى ابو سعيد على المهديّة اخاه ابا علي يونس بن ابي حفص . فلما وصل اليها واطلع على حال ابن عبد الكريم بها طالبه باسهامه فيما يغنمه من اموال العرب المفسدين فامتنع ابن عبد الكريم من ذلك وطلب من الشيخ ابي علي ان يجريه على ما اجراه عليه الولاة من قبله . فقبض الشيخ ابو علي عليه واهانه فبعث ابن عبد الكريم الى اخيه الشيخ ابي سعيد يستشفع فيه فاعرض الشيخ ابو سعيد عنه . وعظم بعد ذلك فساد العرب بالساحل وكثر التشكي منهم فالح الناس على الشيخ ابي علي في اطلاق ابن عبد الكريم وكادت تقوم بسبب ذلك فتنه فاضطر الى اطلاقه ورد اليه جنده الذين كانوا متميزين بصحبته وامره بالخروج لكف اولئك العربان عن الفساد . فاعتنم ابن عبد الكريم ذلك وخرج مبادرا وضرب اخييه بظاهر المدينة واقام هنالك يومين الى ان اجتمع اليه من شكا اليهم بما فعله الشيخ ابو علي معه وعرفهم انه عازم على الغدر به ان وقعت منهم موافقة له فاجابوه الى ذلك وصوبوا له رايه فنهض بهم في ثلث الليل لاخير الى المهديّة . فلما فتح بابها دخل اليها بمن احب من جنده وامر باغلاق الباب ثم بادر الى قصر الشيخ ابي علي وكان ابن عبد الكريم متلثما

فانكره البواب واغلاق باب القصر فحسر عن وجهه نعرفه وفتح له الباب وفر هاربا . فدخل ابن عبد الكريم وجماعته الى القصر وسمع الشيخ ابو علي اصواتهم فخرج الى رحبة القصر هاربا فقبض عليه ابن عبد الكريم واراد قتله فتشفع فيه بعض اصحابه . فاستحياء وثقفه في موضع من القصر وذلك في شعبان من سنة خمس وتسعين وخمسمائة . فلم يزل هنالك الى ان وصل فداوة من قبل اخيه ابي سعيد بن ابي حفص على يد محمد بن عبد السلام الكومي وذلك خمسمائة دينار فاطلقه ابن عبد الكريم بشفاعته ابن عبد السلام المذكور لانه صهرة . ووصل الشيخ ابو علي ل اخيه الشيخ ابي سعيد بتونس فاهله واستبد ابن عبد الكريم بالمهدية وسمى نفسه من الاسماء السلطانية بالمتوكل على الله وكذلك يكاتبونه وقوي امره . ووصل الى تونس السيد ابو زيد بن ابي حفص بن عبد المومن والبا فعزم ابن عبد الكريم على محاصرته فحشد جموعه ووصل الى تونس وذلك في المحرم سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان الشيخ ابو سعيد اذ ذاك بها معزولا فدار ابن عبد الكريم بعسكره الى جهة قرطاجنة فضرب اخيسته وخيامه عند مدخل البحر الى البحيرة وهو المكان المعروف بحلق الوادي . فامر السيد ابو زيد بن ابي حفص عند ذلك بتعبير القطع في البحر وخروج العسكر في البر وكان ابن عبد الكريم قد اكن للحجيش كميناً في بعض المواضع فلما وصل عسكر تونس ووقع القتال بينه وبين ابن عبد الكريم خرج ذلك الكمين فولى العسكر منهزماً وقتلت منه مقتلة عظيمة ولم ينج منه إلا القليل وتراعى منه جماعته في البحر فقتلوا هنالك . وانبسطت جموع ابن عبد الكريم في تلك الجهات فلخذوا من المرسى المعروف بمرسى البرج اموالا كانت للناس هنالك وامتعة وانتهبوا من تلك القرى ما قدروا عليه . وبعث السيد ابو زيد والشيخ ابو سعيد الى ابن عبد الكريم اشياخا من الموحدين يعيبون عليه فعله ويذكرونه انتماء للموحدين ويسالونه الرجوع عنهم فاجاب الى ذلك ورجع الى الهدية فاقام بها اشهر . ثم حدثه نفسه بحصار يحيى بن اسحاق الميورقي

الميورقي وهو اذ ذاك بقابس وقد حدثت بينهما وحشة فحلف على المهدية ابنه عبد الله وتوجه الى قابس فلما اشرف عليها هاله امرها وعلم ان لا طاقة له بها فارتحل عنها الى قفصة وحكم عليها وعند استقراره ورد عليه الخبر ان الميورقي خرج من قابس في اتباعه فخرج ابن عبد الكريم بجيوشه ونزل بقصور لالا ووصل اليه الميورقي ، فالتقيا هنالك وكانت الهزيمة على ابن عبد الكريم وولى هاربا لا يلوي على شيء الى ان حصل بالمهدية وتسرب الى سن سلم من جندة فحصنوا بها واحتوى يحيى على اخبيته وجميع امواله واتبعه الى المهدية فنزل عليها محاصرا له وذلك في اول سنة سبع وتسعين وخمسمائة . وكان من دهاء الميورقي ان بعث الى السيد ابي زيد بتونس يساله السلم ويطلب منه في اثناء كتابه لاعانة بقطع من البحر يتمكن بها من ابن عبد الكريم وكان السيد ابو زيد حقد على ابن عبد الكريم فاجابه الى ذلك وبعث اليه قطعتين . فلما رءاهما ابن عبد الكريم سقط ما في يده فاجمع على توجيه ابنه عبد الله الى الميورقي ليصالحه على تسليم المهدية اليه ويشترط المسالمة في نفسه واهله وامله فاجابه الى ذلك ورجع عبد الله فاخرج اباه من المهدية وتوجه ليحيى للسلام عليه فلما وقعت عينه عليهما امر بهما فصرفا الى خيمتين ثقفا بهما مفترقين وحصل يحيى بحصن المهدية واستولى على ما كان لابن عبد الكريم بها من الذخاير السنية ثم ادخله هو وولده الى المهدية فثقفهما ببعض سجونها . فلما كان بعد ايام يسيرة اخرج كلاب من السجن ميتا لا اثر به فسلم الى اهله فدفنوه بقصر قراضة وبقي ابنه عبد الله يتوقع الموت كل ساعة الى ان اخرجه يحيى واظهر نفيه الى جزيرة ميورقة ليكون هنالك تحت نظر اخيه فعمر له قطعة توجه فيها فلما حاذى به ارباب السفينة القل بمقربة من قسنطينة القوة بقيدة في البحر . فانقضى امر ابن عبد الكريم وولده وحصلت المهدية للميورقي ولم يبق له بافريقية منازع وحصلت تحت بيعته طرابلس وقابس وصفاقس وبلاد الجريد كلها والقيروان وتبسة ووصلت بيعته بوننة فبنى

على محاصرة تونس وكان نزوله على تونس في يوم السبت من الشهر المذكور فنزل بالجبل الأحمر من جهة جوفها وأقام هنالك أياما ثم انتقل منه فنزل بين بابي السويقة وقرطاجنة ونزل أخوه الغازي ابن اسحاق على الموضع المعروف بحلق الوادي حيث يصب البحر في البحيرة فردمه ردما حتى عاد ارضا يسا وقطع تصرف القوارب الداخلة اليه والخارجة عنه وترك عليه سن يحرسه وتوجه فنزل بقبلي المدينة بمقربة من باب الجزيرة وردم الخندق الذي هنالك ردما ونصب امام الباب منجنيقا وءالات من ءالات الحرب وأقام محاصرا لها كذلك أكثر من أربعة اشهر . فلما كان يوم السبت السابع من ربيع الآخر من سنة ستمائة استولى على البلد وقبض على السيد ابي زيد وولديه وجماعة من اشيخ الموحدين وثقفهم بدار بنيت لهم داخل القصبة وجعل عليهم سن يحرسهم وامن اهل تونس في انفسهم ورباعهم واغرمهم مائة ألف دينار ذكر انها هي لزمته في النفقة عليها قسطها اهل تونس على انفسهم بحسب احوالهم وسعة اموالهم وجعل قابضها ابا بكر بن عبد العزيز بن السكاك من اهلها ولحقهم في استخلاصها من العنف والشدّة على يد ابن عصفور ثقة الميورقي وكاتبه ما ادى الى قتل جماعة منهم انفسهم وراوا ذلك اروح لهم ومن جملتهم ابن عبد الرفيق وكان مقدما على مال المخزن من الناس . ولما علم الميورقي بهذا الامر رفع عنهم الطلب فيما بقي من المال قبلهم وكان الباقي خمسة عشر الف دينار ورفق بالناس ونادى فيهم بالامان . وفي اثناء ذلك بلغه عصيان اهل نفوسة وقابضهم عن ادائهم فخرج بنفسه اليهم واستصحب معه السيد ابا زيد وابنيه الى ان استوفى من اهل نفوسة مفرغهم ورجع الى اهل تونس واستقر بقصبتها . واتصل بالناصر ما دهم اهل افريقية منه ومن ابن عبد الكريم قبله فامتعض لذلك واخذ في الحركة اليها وكانت الاخبار ترد على الميورقي بحركته فيدفعها الى ان وصل رجاله فاخبروه بوصول الناصر الى بجاية فوجه حينئذ ذخائره وامواله الى المهديّة لتكون تحت نظر ابن عمه علي ابن الغازي وخرج من تونس فوصل الى القيروان

الى القيروان واقام بها اياما ثم انتقل منها الى قفصة فاجتمع بالعربان هنالك واخذ مواليقهم ورهونهم على الخدمة معه . وبلغه في خلال ذلك ايضا عن اهل طرة من بلاد نفزاوة ما اوجب ان ارتحل اليها فاطلق ايدي الجند عليها فقتلوا كثيرا من اهلها وانتهبوا اموالهم واطلقوا النار في بعض دورها . ثم انتقل الى حمة مطماطة ووصله الخبر ان الناصر نكب عن طريق تونس واخذ على طريق قفصة في اتبائه فانتقل الى جبل دمر متحصنا به . ووصل الناصر الى قفصة فاقام بها اياما ثم توجه الى قابس مستفهما عن احوال يحيى الميورقي فعرف بانتقاله الى جبل دمر . فولى على قابس بعض ولاته وتوجه الى المهدية فبرز عليها بجموعه ونصب عليها آلات الحرب . وقدم في اثناء ذلك الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص لقتال الميورقي فتوجه الشيخ ابو محمد بجيش ضخم اليه فاراد يحيى الفرار من الجبل الى الصحراء فشجعه اصحابه وحرصوه على الثبوت له فالتقيا فكانت للشيخ ابي محمد عليه الواقعة المعروفة بوقية تاجرا وقد تقدم ذكرها قبل هذا استاصل فيها كثير اجناد يحيى واجلت الحرب عن قتل اخيه جبارة وكاتبه علي بن اللطفي وعامل له يقال له الفتح بن محمد . وفر يحيى في شرذمة قليلة وكان قد قدم عياله واهله على قدر خمسة فراسخ من المعركة فلما فر اخذهم بين يديه ولولا ذلك لسبواهم . واستنقذ الشيخ ابو محمد من يده السيد ابا زيد حيا بعد ان ضربه الموكل به بسيفه ضربات قصد بها قتله واستنقذ ايضا جماعة من الموحدين سواه كانوا في يده واخذ رايتهم السوداء واحاط الموحدون بجميع ما في العسكر من الاموال والابل فانهبوها . ورجع الشيخ ابو محمد بجميع ذلك الى الناصر وهو محاصر للمهدية فاركب الامين الموكل بثقاف الشيخ ابي زيد على جمل سام شهرة له ويده الراية السوداء فطيف به على المهدية . وكانت الهزيمة في الثاني عشر لشهر ربيع الاول سنة اثنتين وستمائة . ورجع حماد الملقب المشهور بالابداع في قطع الكاغذ هذين البيتين مقطوعين في الكاغذ —

راى يحيى امام الخلق ياتني ففر امام سن واغى اليه
فشبهت الشقى بواو يغزرو ولام الامر قد دخلت عليه
وكل التبريز بالغنائم على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك
مكذبون بهزيمة يحيى . والح الناصر في قتالهم وجمع المنجنقات على جهة
واحدة في السور حتى كثر الموت والجراحات فيهم وتحققوا انهزام يحيى فسقط
في ايديهم وطلبوا الامان فاسعفوا به . ونزل علي بن الغازي واتباعه وشيعته
على ان يخلي سبيلهم ويسلموا البلد ويكونوا في امان الموحدين الى ان يصلوا
الى يحيى حيث كان وكان ذلك في السابع والعشرين من جمادى الاولى
فكان بينه وبين هزيمة تاجرا اربعة وسبعون يوما . وخرج علي بن الغازي
عن المهدية بجملته وحاشيته فضرب اخبيته بقصر قراضة وبات هنالك
تحت الليلة ثم دعه نفسه الى الدخول تحت طاعة الموحدين فبعث
الى الناصر يعرفه بذلك ويقول الان اطعت بعد ان ضربت في حكم
نفسى فاستحسن الناصر ذلك منه واستدعاه واحسن اليه وانزله عنده .
ووافق ذلك وصول المملوك ناصح صاحب ديوان سبتة بالهدايا العظيمة
التي جمعها في المدة الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بانواع الجواهر
وجعلت فيهما اعلام من اليواقيت والاجار النفيسة فامر الناصر بحمل جميع
المهدية الى علي بن الغازي فمات ناصح على اثر ذلك كمدا وترك بنين
كالبدور قال فيهم ابو الحسن بن جحدر الاشيلي --

ناصر قد كان عبدا ناصحا في جميع الامر حتى في البنين
لم يلد الا هلالا ناصحا فانا حيث بدا للناظرين
واقام علي بن الغازي مع الناصر الى ان توجه الى تونس فتوجه صحبه
ثم طلع معه الى مراكش وتحرك الموحدون للغزو بجزيرة لاندلس فاستشهد
بها مع سن استشهد من الموحدين ورحمهم الله تعالى . وعفا الناصر عن جميع
سن كان بالمهدية من المقاتلين وغيرهم وار برم سورها وترتيب امورها ثم ترك
الشيخ ابا عبد الله محمد بن يغمور الهشائي واليا عليها من قبله . وكان انتقاله
عنها

عنها في الموفى عشرين لجمادى الاخرى سنة ثنتين وستمائة وانفذت كتب
الفتح الى المغرب والاندلس من منزل ابي نصر في الثاني والعشرين من
الشهر المذكور واستقر بتونس في رجب فاقام بها بقية السنة المذكورة والكثير
من التي تليها وهي سنة ثلاث وستمائة . ولما كان شهر رمضان منها اشاع
الحركة الى المغرب وتحدث مع اشياخه ومدبريه في دولته في سن يترك
بافريقية فاجمعوا على الشيخ ابي محمد ابن الشيخ ابي حفص ولم يختلف
في ذلك اثنان وكانهم ارادوا بعده عن الخلافة ليجدوا السبيل الى اغراضهم .
فامر الناصر بعض خدامه في الحديث معه في ذلك استحياء من مواجهته
به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة وطنه ففاوضه الناصر في ذلك بنفسه
فاعتذر له ببعد الشقة عن خلفه بمراكش من اهل وولد وبما يستلزم ذلك
من مفارقة الخليفة والبعد عنه ونظر الناصر فلم يجد عوضا عنه ولم يرد اكرامه
على المقام . فحكى نبيل مملوك الشيخ ابي محمد رحمه الله تعالى قال بينما
انا جالس على خباء الشيخ ليلة اذا بضوء قد خرج من مضارب الخليفة
فاذا بشرذمة من الخدم والفتيان قد قصدوا نحو خباء الشيخ قال فعرفته
بذلك فقال اذا وصلوا فافتح لهم فلما وصلوا فتحت لهم فدخل ولد الخليفة
الناصر ومعه ولد الشيخ ابي محمد من ابنته المنصور وهو المعروف بالسيد
ابي الحسن وكان الناصر خاله قد رباه مع ولده يوسف المتصور ولي عهده
واختصه كولده فوجه مع ولده ليقرر انه بمنزلة الولد ومعهما سالم الفتى
مربي الناصر وفتيان آخرون سواء فقام الشيخ ابو محمد لولد الناصر واجلسه
معه وقال له ما حاجتك ايها الطالب ولو كان عندي غير نعمتكم لقابلتك
بها فقال له الفتيان كرامته قضاء حاجته فقال نعم حاجته مقضية فقال
له الولد وسيدنا يخلصك بالسلام ويقول لك هذه البلاد هي من اول هذا
الامر العزيز مع هؤلاء الثوار في امر عظيم وتحت ليل بهيم وقد وصل اليها
سيدنا عبد المومن وسيدنا ابو يعقوب وسيدنا المنصور وما منهم الا سن انفق
عليها اموالا وافنى في الحركة اليها رجالا والمسقة شديدة والشقة بعيدة وما عاد

واحد منهم الى حضرته إلا وعاد له الويل واطلم ذلك الليل وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها كذلك يجب عليك وقد طلبنا في جميع اخوانك واعيان هذا الجمع سن ينوب عنا في هذه البلاد فلم نجد عندك معدلا فانحصر الامر الينا واليك فاما ان تطلع الى حصرة مراکش فتقوم هنالك مقامنا ونقيم نحن بهذه البلاد او نطلع نحن الى حضرتنا فقال الشيخ يا بني اما القسم الاول فهو مما لا يمكن واما القسم الثاني فاجبت اليه على شروط فسر الولد بذلك وقبل يده وقبل الشيخ ابو محمد راسه وانفصلوا وكانما كان عندهم تلك الليلة ففتح جديد بالسروور الذي عندهم والطمانيسته مما كان اهمهم ثم خلا الناصر به مستفهما عن شروطه فاشترط ان لا يتولى افريقيته إلا بقدر ما تصلح احوالها وينقطع طمع الميورقي عنها ويتحرى الناصر في رجاله سن يوجهه عوضا عنه وجعل النهاية في ذلك ثلاث سنين وانه يعرض عليه الجيش فيبقى معه من يقع اختياره عليه وانه ان فعل فعلا كائنا ما كان لا يسأل عنه ولا يعاتب فيه وان سن بقى بعد انفصال الناصر واليا على بلد من بلاد افريقية فهو فيه بخير النظرين ان شاء ابقاه وان شاء عزله الى غير هذه الشروط والناصر مقبل عليه قابل لشروطه . وبعد تقرر ذلك خرج الناصر متوجها الى المغرب وذلك في السابع من شوال وصحبه الشيخ ابو محمد ثلاثة ايام رحل معه فيها الى باجة . وكان اهل تونس عند خروج الناصر قد وقفوا ورفعوا اصواتهم بين يديه مشفقين من الميورقي وخائفين ان يصل اليهم بعد انفصال الخليفة عنهم فاستدعى الناصر وجوهرهم وقربهم منه وكلمهم بنفسه فقال انا قد اخترنا لكم سن يقوم مقامنا فيكم واثرائناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو الشيخ ابو محمد فتباشر الناس بولايته . وكان الشيخ ابو محمد اذا ركب لا يكاد يسمع له كلام إلا اذا نزل حتى انهم كانوا يلقبونه بالصامت ورجع الشيخ ابو محمد من باجة الى تونس واليا على جميع بلاد افريقية وكان اول جلوسه للناس في التصبة يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة . وبقي ابن يغمور حافطاً بالمهدية الى ان نزل عنها

بعد ذلك وتولت عليها حفاظ من الموحدين . وولى الامير ابو زكرياء رحمه الله عليها باخوة ابن عمه ابا علي عمر بن عيسى ابن الشيخ ابي حفص وذلك في رجب من سنة ثمان وثلاثين فبقي واليا عليها الى ان توفي بها في الثاني عشر من صفر الخير من سنة ست واربعين وكان ابو علي هذا واليا على بسطة فلما دعى ابو العلاء لنفسه وكتب الى ولاية البلاد بالدخول تحت طاعته امتنع ابو علي من ذلك وقال لا ابائع حتى ارى ما يكون من الامام بمراكش وكتب لابي العلاء في جوابه عن كتابه قوله سبحانه وتعالى - قل يا ايها الكافرون - الى آخر السورة . فلما ثبت عنده موت عبد الواحد المخلوع بايع ابا العلاء وتوجه اليه الى اشيلية فدخل عليه وقبل يده وكان ابو زيد ابن يوجان حاضرا فجعل يثني وكان من جملة ما اثنى عليه به ان قال وهو حافظ للقرآن . ففهمها العادل وقال واطنه لسور المفصل اعظم منه لغيرها . ولم يصره ذلك عنده بل ولاية جيان . ولما عزم ابو العلاء على تسليم جيان للنصارى وكتب بذلك لابي علي تورع ابو علي ان يفعل ذلك وجمع اهل البلد فقال لهم شانكم وبلدكم فاني لا اخرجكم من يدكم لاحد من اعداء الملة ولا من اعدائكم . فاخبروه ان ارادتهم مبايعة ابن هود فبايعه معهم ثم ارتحل اليه بنفسه فاعظم قدره ولم يزل عنده تحت بر واکرام الى ان ركب البحر الى افريقية فولاه لامير ابو زكرياء على بجاية ثم نقله منها الى بوننة ثم الى المهدية كما تقدم . وهو شاعر مجيد وقفت على ديوان شعره في مجلدين ومنه قوله وبعثه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم من اشيلية -

اليك القي بعذر تحتشم	مرتحل القلب ساكن القدم
اصبح من قصده على اسل	ومن لطي شوقه على السم
يتبع ركب الهدى اليك اسي	ما شاء من حسرة ومن ندم
يروح به شوق اليك فما	ينفك ما لم يزرک في ضم
الوى به عن بلوغ نيته	حكم زمان عليه محتكم
فعرمة تلشري على عتق	وحمة ترتني الى امم

يا خير سن قفل المطي لم عذري في اللبث غير متهم
عبدك لو يستطيع جاب اليك القفر في غيب من الظلم
يمسح ما بين حمص منه الى يشرب برا بوجهه وفهم
ولي ذنوب عقنني ثقلا لولا اذى ثقلهن لم اقم
يرجوك يا شافع البرية ان تشفع فيه لباري النسم
عسى قبول لديك يا حقتني بقبرك المستنير والحسرم
وصاحبك اللذين خصهما بنعمة القرب منك ذو النعم
فقد توسلت بالذي لك عند الله من رفعة ومن عظم
صلى عليك الاله ما اتصفت اوصافكم بالجلال والكسرم

قال ابن الابار في الحلية السيرة وكتب الي مع تمر اهداه —

انتك خليقات بحسن الخلاق بها غنية عن كل ما في المحدثات
سليات جيان حكي وسط درجة خوافق بالمران بين الفياق
ووقع له في قصيدة مدح بها ابن عمه الامير ابا زكرياء —

وان من اقبح شئ يرى عقيلة يملكها وغنى
او حلة تلبسها غداة وجيبها في صدرها لبس

فكان الامير ابو زكرياء وشعراوه يتضحكون بهذا . وينسب كثير من الناس
له هذين البيتين —

يكفيك يا معتقل السميري ما نالنا من طرفك لاحور
ان كنت من جندك في قلعة فانت من لحظك في عسكر

وانها لاختيه عبد الرحمن بن عيسى . وقد ذكره ابو عبد الله محمد التجاني في
كتابه الدر النظيم باتم من هذا . وفضلاء المهديّة وشعراوها كثيرون ولو اخذنا
في استقصائهم لطال الكتاب بهم . قال التجاني وفي النموذج ابن رشيق منهم
سن له البدائع كعبد الله بن ابراهيم بن مثنى وعلي بن عبد الكريم بن ابي
غالب ومحمد ابن حبيب . ولابن رشيق كتاب الروضة الموشية في شعراء المهديّة
ذكر فيها منهم من يطول تعدادهم . ولعثمان بن ابي القاسم بن عبد الرحمن بن

حشرون المهدوي كتاب المختار فيما انتقاه لاهل عصره من الاشعار . وفي
كتاب خريدة القصر لعماد الدين ايضا جماعة من اهل المهدية وتتبعهم
يطول . قال التجاني ولا بأس بذكر من امكن منهم ممن ادركنا بعصرنا
وادركه شيوخنا . وكفى المهدية فخرا عالماها وصالحاها ابو القاسم بن علي
ابن عبد العزيز بن عبد البر التنوخي وابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم
ابن الحجاز اللواتي . اما ابو القاسم منهما فكان مولده بها في حدود الثمانين
والخمسمائة وكان رحمه الله احد العلماء الاعلام الحفاظ المشاركين في انواع
العلوم وكان في اول امره زاهدا في الدنيا وابنائها معرضا عن ملوكها وامرائها
ثم جرت امور اوجبت مراجعته ما كان معرضا عنه من الدنيا فحين اقبل
عليها اقبلت عليه . وانتهت اليه بالحضرة رئاسة العلم ورئاسة القرب من
السلطان وكانت وفاته بها يوم الخميس العاشر من شوال من سنة سبع
وسبعين وقد كان ارتحل الى المشرق سنة اثنتين وعشرين فسمع بالحرمين
الشريفيين وبالقاهرة ومصر واسكندرية من جماعة يطول تعدادهم وقد ذكروهم
في جزء خاص بهم قال التجاني ولم اقف له على شعر إلا على قوله
وقد ضربت اجزاء الدنانير العشارية والخماسية في عام ثلاث وسبعين --
بدا الذهب الابريز من كف ماجد سما بالمعالي والكبير كبير
امام ترى الاملاك يصغر قدرها اذا ذكرته والصغير صغير
وتحتقر الدنيا باجمعها لدى ندى راحته والحقير حقير
لقد جل قدرا ملكه واعتلاله فليس يضاهي والخطير خطير
واما ابو عبد الله فكان من اجل اهل زمانه دينا وعلميا وفضلا واد بالمهدية
سنة ستمائة وثفقه بها على ابي زكرياء البوني وارتحل الى المشرق فاخذ
به عن جماعة يطول تعدادهم ورجع وتوجه الى بغداد فقرا بها الحاصل على
مولفه تاج الدين ابي عبد الله محمد بن الحسين الارموي وعاد الى حمته
بعلم جم فدرس وافق ثم نقل الى الحضرة فتلذذ قضاء الجماعة بها سنة
ستين وستمائة ثم صرف عنه في شهر رمضان سنة اثنين وستين ثم رد له

في السابع عشر من ذي القعدة سنة سبع وستين وستمائة وكانت وفاته رحمه الله ببلده في السابع والعشرين من جمادى الاخرى سنة ثلاث وثمانين وستمائة وكان ولده ابو القاسم طيب النفس عالي الهممة حسن الاخلاق وكان بيده تخطيط العلامة الصغرى بتونس قال التجاني وله شعر ضعيف انشدني منه لنفسه يتغزل -

تبدت فقال القوم قد طلع البدر مهابة بقتل العاشقين لها خبر
سرت فاسرت في فواد محبها سرائر وجد يستبين بها السر
واحيتها اذ حيث ومنت بامنهما لنفس كئيب كاد يتلفه الهجر
لها الله من فتانة الحسن طرفها تنقصر عنه النبل والبيض والسمر
اذا ما بدت طاشت عقول ذوي النهى فيقتحم البلوى ويستعذب المر
فكم سلبت لبا وكم وجهت ظمما وكم فعلت بالعقل ما تفعل الخمر
وكم نقصت عهدا وكم عقدت جفيا وكم وعدت لكن شيمتها الفسدر
ومهما شكوت الحب قالت هو الهوى فاوله قرب وءاخرة قسبر
ومن شعراء المهديّة وعلاماتها الذين حدث اجلت العلماء عنهم ومنهم مشايخ
ابي عبد الله محمد التجاني ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتي
المعروف بالحنفي ولد بها وهو من اعيانها وارتحل الى المشرق فدرس بدمشق
مدة ثم انتقل الى الموصل فانتحل مذهب ابي حنيفة واشتغل به حتى صار
اماما فيه واشتهر بالنسبة اليه فلا يعرف في افريقية الا بذلك ولم يكن
في تلك الاصر كلها يبالد افريقية غيره ولما عاد من المشرق لزم سكنى المنستير
المتعبد المشهور بالفضل تحت جراية من الامير ابي زكرياء رحمه الله وكان
له به حسن ملاقة قال التجاني وحدث عنه اشياخنا الفقيه ابو يحيى
ابن عبد الكريم العوفي وابو عبد الله محمد بن ابي القاسم القيسي الازدي
قال وانشدنا ابو عبد الله محمد الازدي المذكور قال انشدني الحنفي
نفسه ينم بلده ويصف اهلها بالبخل الابيات المشهورة --

اذا حل بالمهديّة الضيف نازلا يروم القرى زفت اليه الكوامل

إذا خسروا عنها المناديل انشدت وما السيف إلا غمده والحمائل
قال البيت الذي اضرب عن ذكره قوله —

صحاف حكمت عن أم موسى فوادها يغالط فيها حسه ويبساطل
قال وإنما اضرب عن ذكره رحمه الله لما عجزفه بالتشبيه بالصديفة أم
موسى عليهما السلام وخطل الجذ بالهزل . قل التجاني وبين هذين البيتين
بيت اضربت عنه . وكان بالمهدية قاص ذبح قردا لاذايته فثال فيه ابن
أبي الحواجب المهدوي وهو أحد شعرائها بفاه الأمير أبو زكرياء رحمه الله
منها إلى المشرق —

غرائب الدهر قد كثرت ولا أغرب من حكم ذابح القردة
أحل ذبح الغرود محتسبا وحرّم الفضل بشئ ما اعتدته
فقال الحنفي —

داب عليه في صنعه نقر وما درى الجاهلون ما قصده
يذبح سن كان مثل صورته لكي ترى في الوجود منفردة
وكانت وفاة الحنفي في الثالث عشر من صفر سنة خمس
وخمسين وستمائة * ومن بلغاء المهديّة اسماعيل بن علي بن يوسف أبو
طاهر الحميري من المغرب من المهديّة هكذا ذكره صاحب الوافي بالوفيات
في الواحد والعشرين قال سكن مصر وقرا بها لأدب وحصل طرفا صالحا
وقدم بغداد قال محب الدين بن النجار وسمع من شيوخنا وكان شابا
وذكر أنه من أولاد المعز بن باديس أمير المغرب علفا عنه في المذاكرة شيئا
من شعرة وشعر غيره وكان فاعلا حسن الاخلاق قال واجتمعت به في مصر
أيضا وأورد له في جارية صور على وجهها صورة حية بغالية —

تبدت لنا من جانب السجف غادة لها الشمس وجه والكواكب خال
فقلت وقد لاح الهلال بوجهها متى طلعت شمس الضحى وهلال
الهلال لأول من أسماء الحية والثاني أحد النيرين قال الصفدي قلت ولعل هذه
الجارية هي التي نظم فيها الشعراء بمصر ومنهم الأسعد بن مهاني فانه قال —

نقشت حية على روض خد مزخرف
فبدت آية الكليم على وجه يوسف

وقال ابن مماتي ايضا -

قتيلك ما اذكى الهوى جل ناره الى ان تجلى الخد في جنبه
راى حية في وجنتيك وعقربا نسعم جنة مخفوفة بالمكارة
وللاسعد بن مماتي في هذا المعنى عدة مقاطيع وتوفي ابو طاهر الحميري
سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بالقرافة . ومن شعرائها وروسائها
المنسوبين الى بعض منازلها الكاتب الاديب ابو العباس احمد بن ابراهيم
القيسي اللياني وهو منسوب الى قرية من قرى المهديّة تعرف بليانة
بضم اللام الاولى وكسر الثانية قال هكذا تعرف وكان ابوه مشغلا باعمال
المهديّة ونشا ابو العباس نشأة طلب وادب فتفقه بالمهديّة على البرقي
وتادب ثم نهض الى الحضرة فولّي بها لاعمال الجليّة وساعدته الدنيا فبلغ
من الرئاسة فيها الغاية القصوى وكان يحدث نفسه بامور كثيرة يدل
عليها قوله -

في ام راسي حديث لسامع لا يبصر
فان تطاول عمري وساعد الجد يظهر
ارى جموعا صحاحا ومذهبي ان تكسر

وشاع من كلام العامة - ويل للامة - من سبع حمة - فلما كان المحرم من
سنة تسع وخمسين دخل ابو العباس احمد بن ابراهيم الغساني على الخليفة
المستنصر وكان ذلك اليوم يوم مطر فتعال السلطان مستدعيا للاجازه - اليوم
يوم المطر - اجز يا احمد . فقال - واليوم رفع الضرر . فتنبه السلطان لما سمع
وقال ايه فما بعدها فقال

والعام عام تسعة كمثل عام الجوهري

وكان القبض على الجوهري في يوم مطر وقتله في عام تسعة وثلاثين فكانت
هذه الاجازة سببا في القبض على اللياني وطلب بدفع الاموال وكان يدفعها

شيئا فشيئا فلما استخلص ما عنده عذب الى ان مات وذلك كله في المحرم
من العام المذكور . ومن شعر اللياني قوله —

هذا العذيب وهذه نجرد اين الذي يقضى به الوجد
ما هكذا حال المحب اذا اعسلام ربع حبيبته تدو
مرح دموع العين مبتدرو واذكر مواضي عهدهم فاشد
والثم على شغل موافقهم ان عاقى عن مقصودك البعد
لم انس يوم وداعهم سحرا والدمع اسام درة العقد
هز الصبا اغصان بانهم فتعانقت وتواجد الرنيد
هذا العذيب بدت له عذب في ظلها قد خيم المجد
لا يخفق المسعى اذا خفقت اعلامها بل ينجح القصد
فمضى اللغاء يكون مقترنا ان انجذت كلفا بها نجرد
واعل ما نرجو تجود به كف الزمان ويسعد المجد

وقوله —

خلياني يا صاحبي ونجدا هجتما باللام شوقا ووجدا
فلتجدا بين الجوانح ودا مستجدا ما دام ربعا لسعدا
لا تقولوا مرام سعدا بعيد رب سعد اتى فقرب بعدا
اهل ودي ما خلت عن حفظ عهدي وهواكم ما غير الناي عهدا
كيف انسى عهدا قريبا وانسا بزال من خالص الود شهيدا
ارشفاني ما شفني وشفاني من برود احبب بذلك بردا
خير عيش مصقول تلك الليالى حبذا من طيب عيش مفيدا

اذ يعاطيني الدامة بسر يخجل البدر نوره ان تبسدي
ان ديني ومذهبي في التصابي لا ارى غيره مدى الدهر رشدا
فاغتتم رابحها مسرة يسوم ولتبادر سير الزمان مجيدا

وقوله —

شادن في القلب مرتعه حظه في الحسن ابدعه

لامني فيه اخو سفسه بلام لست اسمعه
رد لي قلبي لتعذلسه فهو في كفيه اجمعه
هل يرى دهري يجود به بعد ما قد كان يمنع
وشقيق النفس يتخفني بحديث قد جل موقعه
لفظه در يساقطسه ونطاق السمع يجمعه

وكتب اليه ابو العباس بن ابراهيم الغساني المتقدم الذكر عن نفسه وعن
حضر مجلسه من اخوانه —

يا سابق الناس الى غايته في ذيلها عشر صوب الغمام
اخوانك الكتاب يرجون ان يلقى بكم شملهم ذا انتظام
فاطلع على السرب فهم انجم يرتقبون منك بدر التمام
وسرهم منك بسر النساء وزرهم عند اختلاط الظلام
فبعث اللياني اليهم دنا وشمعا وكتب مع ذلك من نظمه —

قد دام للاخوان نيل النساء في خفض عيش وحميد انتظام
وقرب الدهر لهم كل ما راموه من انس بغير انصرام
في لذة معسولة المجتني وغبطة موصولة بالديموم
ما اشوق الصب الى انسكم واشغف اللب بذاك المقام
لاكنه عاق الفتى عذرة فالشيخ منه عوض والسلام
فراجع الغساني بقوله —

قد اقبل الشيخ بعذر الفتى مفتي المعالي والرئيس الهمام
وامطرتنا من سماء النداء يد له بيضاء تجلو الظلام
لا زال يهدي لادائه سنا الايادي واجل النظام

ومن شعراء المهديّة وفضلائها الفقيه القاضي ابو عمرو عثمان بن
عتيق بن عثمان القيسي المعروف بابن عربيه احد العلماء الاعلام كان حافظا
للحديث مقدما في علوم الادب فحلا من فحول الشعراء وله تصانيف
مفيدة منها كتاب جوامع الكلم النبوية على صاحبها الصلاة والسلام على
طريقته

طريقة الشهاب . وكتاب الزهرة في مستند العشرة . وكتاب آثار الصحابة في شعراء الصحابة . وكتاب سنن القوم في آداب الليلة واليوم . وكتاب المستوفى في رفع احاديث المستوفى . وديوان نظم المسمى بقصائد المدح ومصائد المنح . وغير ذلك من التأليف . وكان لأمير أبو زكرياء رحمه الله استدعاء مع جماعة من خواصه وشعرائه لنزهة في رياض المسمى بابي فهر فنظموا في وصفه قصائد ورفعوها الى الأمير أبي زكرياء فاجابهم عنها بابيات تتضمن تفضيل شعر أبي عمرو هذا على شعر جميع من حضرها وفيهم ابن الأبار وغيره ونص ابيات الأمير أبي زكرياء رحمه الله --

الا ان مضمار القريض لمتد به شعراء السبق اربعة لد
فاما المجلي فهو شاعر حمته اتي اولاً والناس كلهم بعد
واما المصلي فهو حبر قضاة بأدابه تزهو الامارة والمجد
واما المسلي فالمعاوي اسمه اتي ثالثاً لكن يلين ويشدد
وبعدهم الكومي اقبل ثالثاً وكم جاء سباقاً مسومه النهدي
هم علماء الناس ما عنهم غنى وهم شعراء الملك ما منهم بد
حبر قضاة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار
والمعاوي هو الفقيه الخطيب أبو القاسم بن محمد بن معاوية اليحصبي كنيته
اسمه ويكنى ايضاً أبا الفضل . والكومي أبو زكرياء يحيى بن محمد بن
الغليظ . واصل اتصال أبي عمرو بالأمير أبي زكرياء ان بعض الصالحاء
من اهل القيروان وكان معلوماً بالصدق والامانة في ذلك الاوان رفع الى
الأمير انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وامره ان يبلغ اليه
ان يستوصي خيراً لخمس القصيدة الشقراطية فبحث الأمير أبو زكرياء
عن خمسها من ادباء ذلك الوقت فلم يجد غير أبي عمرو وسأل عن صاحب
الرويا فشهد الكثير بصلاحه وصدقه فاستدعى أبا عمرو واكرمه وامر له
بمركوب وصلته سنية وقال لا تشكر احداً ولا تجعل لغير رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليك يدا . قال التجاني وهذه القصيدة تشبه قصيدة صفوان

ابن ادريس في الرويا التي رثت له ، ومولد ابي عمرو ببلد المهديّة في
سنة ست مائة قال التجاني ورايت ذلك بخطه ، وتوفي بتبرسق وهو متول
القضاء بها في الثامن والعشرين للحرم من سنة تسع وخمسين وست مائة
ودفن بجبل الرحمة هنالك وشعرة مدون مشهور وهو القائل يذكر المهديّة
ويتشوق اليها وإلى سن خلف بها من اهلها وذلك بعد انتقاله منها الى
حصرة تونس —

اقول لركب قافل عن معرس بجمّة تردّي بالحمول مشاجم
لك الله امتعنا عن البلد الذي اكبره اسلافنا وابالجم
وعن وطن لولا العنى وطلابها لغز على مثواي اني خارج
وعن رسم ايوان تداعت عراصم ودكت حناياه وخرت معارج
وما صنع القصر العبيدي والحمى وسور المصلى والكثيب وعالج
وشاطئه اني تنوع حسنه وخضرمه اني تدفع مائج
سلام على المهديتين ففيهمسا اب بئث عنه قاصر المخطو عارجه
وله في ذلك من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويطلب توليته قضاء
بلده —

ذكرت جمّة والذكرى تهيج لي واين جمّة مني والمستشير
وما مناي ليايها التي سلفت وما مناي محانيها المعاطشير
لكن بها رحم مجفوة ينست من ان تقربني منها المقادير
فان راى سن ادام الله نعمته عليه لي خطّة فيها فمـاجور
وانشد عبد الرحمن بن ابراهيم الاصولي في كتابه المسمى بتبكيك الناقد
قبال انشدني لنفسه —

نسيم الصبا حدث عن البان والحمى وعن ساكني حزوى من الحرد الدمى
ومن معهد اقوى من العفر والسهى وعن ركب جيران الغضا اين يـمما
ايـم ذات البان ام بطن رامت ام الجزع ام بالاجرع الفرد خيـمما
الا فرعى الله الحمى ونسيمـ وان جل ما القاه من ساكني الحمى
ايـمكم

ايمنكم يا اهل نجد فـانـني اراكم تلومون المشوق المتيسـنا
 اما ولمى لعس الدمى لو لحظتم طلاب الحمى طلت لواحظه دما
 وذياكم الثغر الذي يستبي النهى تبسمه ما كتم لي لومـنا
 هجعتن وسن لي بالهجوم فربما الم بكم منكم خيال مسلـنا
 ايطرق جفنا لي يُبَيِّتُ ساهرا ويترك اجفانا لديكم نوـنا
 اغر شبيب ما اعذب ثغـره واحلى اليفاظ النداء وارخـنا
 هو الطي لكن لا اسميه باغمـنا اذا رشا ناغاه بل متكلـنا
 تبدى لنا والبدر ليلة تمـهم فلم ادر سن بدر الدجـة منهمـنا
 هو البهـج لاصوى الذي استكمل السنـا ام الغنج الاحوى الذي راق مبـنا
 ولما استطار البرق قلت لصاحبي اقلبي ففى ام ثغـره قد تبسمـنا
 اعار وميض البرق حسن ابتسامـه وما ذا عليه لو اعار له اللـمى
 او البرد العذب الذي لن تذيبـه حرارة انفاس امرء قبل الفمـنا
 تعلم منه خلب البرق خلفـه فمن ايما برق تراه تعـلـنا
 تجنى فجئنا خضعا لجمـاله عسى عطفة نحظى بها ولعلـنا
 فهز الصبا والدل معطفـه كـما تهز الصبا الغصن الرطيب المنعمـنا
 فابنا وخلفنا طيور قلـر بنـنا على ثغـره العذب المقبل حومـنا
 وكان لابي عمرو ولد يسمى عتيقا ويكنى ابا يحيى برع في الطلب
 وتقدم في حفظ مسائل الفقه وتوجه الى المشرق فتخطط هنالك وله
 شعر حسن منه قوله —

يا واحد الحسن انت السمع والبصر عطفاك ان فتكت عيناك لي وزر
 ابعد ما كان ليلى كله سحـرا صيرته بالسجني ما له سحر
 قد رقى لي في الهوى كل لانا مـ سوى سن حاز رقي وما لي عنه مصطبـر
 فان شكوت له يفتـر مبتسمـنا عن عشرة قد حواها ثغـره العطر
 طلع اقاح صباح جومـر بـرد در حباب الجين بارق زهـر
 واسا قضى فريضة الحج واقام بجاورا بكـة كتب الى اهله بشونس —

حججت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبي الهدى ذا المجد والجلد والفضل
ومرغت خدي في مواطي نعلمه وقابلت ذاك العزمي بالسذل
ومتعت المحاطي برويته سيد سري كريم طاهر الذات ولاصل
وبوات نفسي من معاهد مكنته مكانا عن الدنيا باجمعها يسلي
اقام بها قوم ينجون ربهم وقد نبذوا كل العلائق والشغل
فدعوتهم مقبولة وصلاتهم بالف كما قد جاء عن سيد الرسل
وممنهم الفقيه الاديب الصالح ابو يعقوب يوسف بن علي بن عبد
الملك بن السباط البكري المهدوي واخوه هو الشيخ الصالح ابو علي يونس
الكبير القدر العالي الدرجة في الصلاح والفضل وكان ابو يعقوب هذا قد قصر
شعره على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يوجد له في غير ذلك شعر
إلا التافه النزر مما قاله في صباه . ويذكر ان اخاه الشيخ ابا علي رحمه الله
اخبره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسأله عن حال اخيه
وكسائه حلة وهو عالي الطبقة في الشعر جدا وشعره مدون مشهور . قال
التجاني وقد اخبرني بجميعه الشيخ الفقيه ابو محمد بن علي بن فائد الكلاعي
بقراءتي عليه قال سمعته يقرأ على ناظمه رحمه الله تعالى . وكانت وفاته رحمه
الله بالمهدية في العشر الاوسط من شعبان سنة تسعين وستمائة ومولده بها
سنة ثلاث عشرة وثمانية وعنوان شعره قوله من قصائد ربما اختصرنا من
كل واحدة منها بعض ابیات منها قوله —

سريت وطرفي من كرى النوم ما هبا وطرف انتباهي في مدى الحزم ما خبا
وثرتم طلاب العز من دون ناصر قصاراه ذيل الذل يسحبه سحب
واخليتم هالاتكم من بدورها فما عوضت إلا الغياهب والسحبا
وعاني هواكم لا معين له سوى صدى صوته في الربع ما ردد الندبا
وما كان ندبا يستلذ وانما يلذ سماع الندب من فارق الندبا
ولي مهجة تغني لتذكاركم اسي وجفن يراعي في مراكزها الشهب
يعلني مسرى صباكم عليله فيا لعليل منه التمس الطببا

رحلتم وغادرتم غريبا عزوبكم
وخلقتم داء التواني محـالفي
ومحجتم هوج الغرام فانتجست
فسارت وحاديها احتدام زفيرها
وسيقت وما قاست كلالا ولا وجـا
وما ادلجت تثني الى العشب ليـتها
فهم جيرة اخلق براهي جوارهم
منيف على السبع الطباقي علاهم
دعوني ولم يرضوا سماعي دعاءهم
وسن كان حفظ العهد سيماه اقبلوا
وسن كلفت عين العناية رعيهم
وسن عاقه نيل المقادير لم تطـق
على انني لا انزل الياس سـاحتي
وقد جاء ان المرء مع من احبـه
فحسبي رجاء ان يمنوا بعطفهم
ولم لا ونيران النداء في ذراهم
ولا غرو ان يلقي الطفيلي ماجـد
وان هم جفوني سوف اهـدي اليهم
وسن صد عنه الحب فليفش مدهـم
وما القصد والمعني بالرمز والكـنى
وسن شاهدت عيناه من ملك ربهم
فسبحان سن اعطى النبي محمـدا
فيا غوث من غال الحمام حميمهم
احاشيك يا كل المني ان تذودني
ورب كريم غص عن رد واغـل

لنقصرت خطوي اليكم خطيتي وذبتني لاوزار عن بابكم ذبسا
فمن شيمته العبد الفرار لرئيسه ومن شيم السادات ان يغفروا الذنبا
ومن ذلك قوله —

وهي الحقوق كما علمت حقيق والصبر عن وادي العقيق عقيق
ولا هل ذياك الحمى بقلوبنا شغف يسوق نفوسنا ويشوق
ولذكرهم برد على طي الحشا تشفى به مرضاهم وتفيق
واذا ثنى عطف الشريب صبوحه فلنا صبوح باسمهم وغبسوق
قوم بهم طاب النسيم بطيبته حتى انثنى كالمسك وهو فتيق
وغدا ثراها للشفاه مراشفنا وبقاعها كل البقاع تفوق
ومزارها اشهى الى عشاقنا من شاطئ ياوي اليه غريق
شغفا باشرف مرسل واعز سن شرفت به فيثته وعز فرييق
هو صفوة الله الشفييع وسن له خلق بكل المكرمات خليق
سند العصاة اذ الصحائف افصححت وفيها اب واخ وفر رفيق
هو احمد ومحمد والمصطفى والمجتبي والصادق المصدوق
ومن ابيات هذه القصيدة —

كم ذا اومل ان ازور ضريحهم والحظ يكبو والقضاء يعوق
ويد الشيب تناولت حل الصبا فاخلولقت وفشا بها التمزيق
لاكنه ذخري لموقف فساقتي ومضاجعاه الصهر والفساروق
صلى عليه الله ثم عليهمنا ما زان جيد حمامة تطويق
وارت تباشير الصباح تبسمنا وانقاد غصن للنسيم ورييق
وقوله —

لعل نسيمات الضحى والاصائل تودي الى مغنى الحبيب رسائي
وتهدي اذا مرت سحيرا بسرعة سلامي الى بدر بطيئة اافل
علي لدى لاهلى لذلك اصبححت منازلهم تغلو فخر المنسائل
وكل لاماني في غدو رواسم الى رسمه اوفى رواح رواحل

اذا يسم الحادي بها حضرة العلا
 والقت الى كف السرى مقود الكرى
 وان مال ذو وجد الى شعبه هوى
 وما سوقها بل شوقها يستحثها
 ومن عجب هوجا تهيج لها الصبا
 وتهوى بروقا بالعقيق تالقت
 حيننا لمن في كفه سبح الحمصى
 وكم آية دلت على صدقه فما
 وكم قاصد اقصى مدى معجزاته
 رسول اتى والغى وارت غيومه
 ووافى ودين الكفر قامت دعائه
 فلما بدت آياته وهباته
 وضاق الفضا ضيق اللحد عليهم
 تلقى كتابا شرع ذي العرش شرعه
 تولى امين الوحي جبريل حملة
 حوى وعد وهاب وانفاذ قاهر
 ووعظا باهوال المعاد مخوفنا
 ودينا الى دار المقامة مديننا
 وزجرا بما يلقاه سن زاغ من لظى
 وفي كل ما يتلو الرسول دلالة
 هو المصطفى من قبل تكوين ءادم
 حبيب وحبات القلوب كناسه
 له غابة من صحبه هو ليشها
 صدور اذا حلوا بنساده وفي الوشى
 اشداء والهيحاء حام وطيسها
 ارتك انسياب الفلك تحت المحامل
 كما لطوى طابث مطي الراحسل
 تجدها لذاك الشعب اول مائل
 حيث اخي لاملاق يدعى لنائل
 صباية عذري لطيف الشمائل
 كما جردت يرض بايدي الصياقل
 وانسى خطاب النصب سحبان وائل
 الب لها الانكار في لب صاقل
 تلقاه بحر لا يحده بساحل
 نجوم الهدى والرشد عن كل عاقل
 باطل تحقيق وتحقيق باطل
 بدا النقص فيما ابرموا في المحافل
 فلا بال إلا وهو رهق البلابل
 وحد التناجي فيه حد التكامل
 فاکرم بمحمول اليه وحامل
 وتنزيم قدوس واحكام عاقل
 علما بانباء القرون لاوائسل
 وبشرى بكل السعي من كل عاقل
 اذا قيد قوم نحوها بالسلاسل
 على صدقه من واضحات الدلائل
 على الخلق من ءابائهم والمحلائل
 اذا بُوئى المحبوب خير المنازل
 لديهم غدير الموت عذب المناهل
 صدورهم تلقى صدور العوامل
 ذوو رحمة بالبائسات الارامل

فكم من عديم صار فيهم كمسترب
كذا فليكن حسن الثناء لسادة
على سن به ساد الورى وعليهم
فحتى متى اشتاقهم وتغزني
ومسا المرء إلا طاعن مترحـل
واسفار صبح الشيب عن ليل لمـتي
ولما تقصت في التواني شيبـتي
ولم يبق لي إلا التفاتي بادمـع
وكل يرى ان المديح وسيلـة
مدحت الشفيـع المصطفى غير قائـم
وما المدح ممن يحسن المدح باسمه
ولاكنه جهد المقل لقـصاصـر
الم يك قول الله في رفع ذكره
وقسوله —

اعند الحديث فليس بالملول
واملا سامعنا بطيب حديثه
واداب عليه مصليا ومسلـا
واخص بترداد السلام ضريحه
واذا رايت العيس تحـدو نحـوه
واشفع بمن خـلـت من اكوارها
واصحبهم بالقصد ان ونـت الخـطـى
فعسى ينالك من زكاة زكائهم
وسن اقتدى بالصدق في انجائهم
وسن اشرب الى لقاء حبيبهم
واماط سوف وسج ريقه رقبـه
عن خير مبعوث وخير رسول
فهو الشفاء لحر كل غليـل
فكذا اتى في محكم التنزيل
في كل شارقة وكل اصيـل
فاختر مواظمتهم للتقبيـل
من حامل لغرامه محـسـول
ورايث بساع الطول غير طويـل
ما قرر القرءان لابن سبيـل
قاداته عزيمته بغير دليـل
جذب المقادة من يد التعليـل
بلهى العزيمة من قم التاميل
حتى

حتى يرى البیداء وثبتة خائف
 ذاك الجمال متى اراك تزوره
 فرحا بمغناك المقدس رتبته
 مترنحا طربا ترنح موسر
 فهناك اظفر بالاماني والمني
 وتهزني من طيب طيبة نفحة
 واذا اسات تادبا بحماكم
 من ذا يرى حرم الحبيب فيهتدي
 قمر له هضبات مكة مطلع
 جاءت نعوت كماله منصوصة
 وبه تشفع ادم لاله
 واتى بمبعثه المسيح مبشرا
 وبليلة الاسراء كمل فضله
 واليه نالجا في المعاد لاننا
 ما زال في الاصلا ب ينقل نوره
 من نبعته للجد روض نبتها
 صيد تحل من الاكابر هامها
 فانجاب غيم الغي عند ظهوره
 واذل سن بالكفر حواصل عزة
 الف الجميل فما يقابل سائلا
 لا يعدم السارون ان نزلوا به
 سمح يشاكل حسنه احسانه
 يلقي الارامل واليتامى ان ناس
 ويبجهم من حبه وحبائمه
 هذا الفخار وسن يكن ذا وصفه
 والميل من قصر دوين الميسل
 متبوءا بذراة خير مقيسل
 فرح المحب مبشرا بقبول
 هزت معاطفه شمال شموسول
 وعلى الوجود اصول حيسن وصولي
 فيطيب لي مرحي وجر ذيولي
 صفوا فاني غبت عن معقولي
 لتمييز المعلوم والمجهول
 والروضة الفحاء افق افول
 في الذكر والتوراة والانجيل
 لما احسن بحالة التحويل
 يوصي به للجميل بعد الجيل
 ناهيك من فضل ومن تكميل
 ناوي لطل للنجاة ظليل
 حتى تبلج في اعز قبيل
 وفروع مجد بسارع واصول
 ويحل منها مفرق الاكليل
 كالشمس في جو تلوح صقيل
 واعز بالايمان كل ذليل
 الا بوجه كالسراج جميل
 ربا لصاد او قرى لنزيل
 لا تغتريه ملالة المسؤل
 عنهم عشيرتهم بكف كفيل
 ما يحمل المشري على التطفيل
 فالمدح فيه كقطرة في النيل

وعلى اولي الالباب طرا ان يسروا بذل النفوس له اقل قليل
فعليه من ذي العرش كل تحية وعلى صحابته ذوي التفصيل
ما افرع الروض الحيا وتصدعت ويا نسيم في الغدو عليل
وقوله وذكر شهر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم -

اعلمت انك يارب يسع الاول تاج على هام الزمان مكلل
مستعذب الامام مرتب اللقا كل الفضائل حين تقبل تقبل
ما عدت إلا كنت عيدا ثالثا بل انت احلى في القلوب واجمل
شرفا بمولد مصطفى لما بسدا اخفى لاهلة نورة المتهلل
وحويت مذ أصبحت ظرف زمانه ظرفا به في برد حسنك ترفل
وملكت انفسنا بلطف شمائل بنسيمها نفس العليل تغلل
واذا شدا الشادي بمنزلة الحمى فالقصد سكان الحمى لا المنزل
فصل الشهور علا وفاخرها فسان شمخت باطولها فانت لا طول
واستثن منها ليلة القدر التي ثباتها نزل الكتاب المنزل
واصنع لقول الله فيها انهها من الف شهر في الانابة افضل
واستكمل البشري بانك لم تنزل لك في القلوب مكانة لا تجهل
لم لا وعشرك وائنتاك اريتما قمرا به شمس الصبح لا تعدل
ومن العجائب بدر تم يستوي لنعام عشر واثنين ويكمل
ويفوت اعمار السماء لانهها للنقص من بعد الزيادة تنقل
وكمال هذا البدر لا يعزى الى نقص ولا عن حاله يتحول
بل نوره يزداد ضعفا كلما طفق المحاق سنا البدور يبدل
ويقي عثار الغي واضح رشده ويبين من سبل الهدى ما يشكل
وتراع افئدة العداة له كما يرتاع من شاكي السلاح لا عزل
فمتى تحيط بوصف بدر نبوءة وافي وليل الكفر داج اليل
فجلا من الافاق غيبتها كما يجلو صدا العصب الحسام الصيقل
وهدى الى كف النجاة براحة فهدى المحق به وصل المطبل
وتطافرت

وتظافرت ايدي الرفاق فصيرت شيع النفاق وضعفهن يسذلل
 وشدت بالسن حالها لاكوان من طرب به هذا النبي المرسل
 هذا الذي هو للمناصي علقسم ولما حض الود الرقيق السلسل
 وعلى العصاة من الخلائق ان جنوا يبدو على الصفحات ستر مسبل
 وهو الشفيع المستجار بجاهه وكلام عن ارضعته تذهل
 قسما بمرسله اليينا رحمة انى عليه معولي ومعسول
 لا ادعي علما ولا عملا ولكني بجاه محمد اتوسل
 فلربما صد الكريم حياوه ان كان في ندمائه يتطفسل
 صلى عليه الله ما هب الصبسا ليلا وما نفحت سحيرا شمال
 وعلى صحابته وصفوة اله ما لاح برق او ترنم بلسل
 ورايست للنجاني في ختام رحلته قصيدة خدم بها جناب سيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم وهي قوله -

كم انت في اللذات ذو استغراق ونذير شيبك مودن بفراق
 ولقلها يجدي المتاب اذا اتى داعي الحمام وقيل هل من راق
 يا صاح دعوة ناصح لك مشفق والنصح يقبل من ذوي الاشفاق
 بادر الى التقوى بدار مسارع وانهض الى الطاعات نهض سباق
 واغنم من الايام مهلة ساعة قبل التفات الساق منك بساق
 حدثت نفسك بالبقاء ولم يكن في هذه الدنيا ليبقى باقي
 كل بها فان ومنقوض ولا بقيا لغير الواحد الخلاق
 واترك اناسا اثروا لذاتهم واستمتعوا من دهرهم بخلاق
 ملقت نفوسهم بنزر عاجل واستبدلوه بانفس لاعسلاق
 عوض كلا عوض وبيع كلمة غبن وسعي ظاهر لاخفاق
 يا ايها الانسان انك كادح كدحا وانت لما كدحت ملاقي
 والمرء مجزي بما هو فاعل وجزاؤه جار على استحقاق
 فنعيم ذي الطاعات غير مكيف وعذاب ذي العصيان غير مطاق

لله اقوام اطاعوا ربهم
 عظمت لهم همم وعزة انفس
 قوم لو اطلع الملوك عليهم
 من كل بدر افقه بحرابه
 يسمو اذا قام لانام لورده
 خطبوا النعيم ببذلهم لنفوسهم
 لم تحصل لاخرى لهم الا وقد
 ان لم اكن بالفعل ملتحقا بهم
 يا رب بالهادي الذي ارسلته
 هاد اتى والجهل قد عم الورى
 فجلى لهم سبل الهدى وانالهم
 ولقد حباه الله كل فضيلة
 ينزول طست فيه نور قلبه
 وكفى له شرفا بان الله قد
 يتر لنا في ما به كلفتنا
 وامن علينا بالوصول لقبره
 يا ليت شعري هل اراني ساعيا
 فلکم توخر عزمي لاقدار مع
 قسا بعزته ورفعة قسدره
 لكن سيء ما جنيت اقربي
 لائم انا لائمون بجاههم
 صلى عليه الله ما حب الصبا
 وتسرنت ورق على اوراق

ومن مشاهير بلاد افريقية بلد باجة وهي مناخ لاوقات في كل
 لاوقات وهي بلدة كثيرة البر والعسل والبقر اذا كثر خيرها عم الرخاء بافريقية
 اذ هي صديتها في هذا الامر . وقال ابو عبد الله محمد البغدادي في رحلته
 ما نصه

ما نصه : ومدينة باجة ، ملحة اجاجة ، قد حكته لايدي العادية .
 وفكت فيها الخطوب المتمادية ، حتى صارت وهي حاضرة بادية ، فخشوعها
 لائح وضاعتها بادية ، قال وقد حدثت بها ان اهلها لا يفارقون السور
 خوفا من العربان ، وانهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب
 والطعان ، قال ولم نقم بها إلا ظل نهار ، فلم نختبر بذلك حالها حقيقة
 لا اختبار ، قال وما رايت بها من له الى العلم انتماء او لهمة نحو
 المعارف ارتقاء سوى لاديب النحوي ابي علي حسين بن محمد الطيلي
 بالطاء وبالباء الساكنة بواحدة وهو رجل له مقول نقاد ، وذهن مشتعل
 وقاد ، حسن الخلق مقبول الصورة ، وسر همته فيما رايت على علم العربية
 مقصورة ، وقد جمع اكثر مولفاتها ، واحتفل في تحصيل مصنفاتها ، فاجتمع
 له في ذلك ما دل على نبلة ، واعانه على تسديد نبلة ، قال سألته
 من نسبه المتقدمة فقال لي هو لقب جرى علينا قديما واشتهرنا به ، قال
 وقد قرأت عليه بعض كتاب المقرب في النحو وانه حدثني بجميع قراءته
 على مولفه الشيخ الاستاذ النحوي ابي الحسن علي بن مومن بن محمد بن
 علي بن احمد بن محمد بن احمد بن عمر بن عبد الله بن منصور بن صفور
 الحضرمي الاشبيلي وقال قيد لي هذا النسب بخطه وذكر لي ان ابن
 صفور املاه عليه وان مولده عام السيل باشبيلية سنة سبع وتسعين
 وخمسائة وتوفي بتونس كلاهما الله يوم السبت الرابع والعشرين من ذي
 القعدة سنة تسع وستين وستمائة ، قال العبدري وحدثني عنه بكتابه
 الكبير في شرح الجمل اجازة ، قال وحدثني به وبغيره من تأليفه اجازة
 عنه شيخنا الفقيه المحصل الراوية ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الاسيدي
 بالقيروان ، قال وافادني ابو علي المذكور حكاية عن ابي محمد الحريري لم
 يذكر لها سنداً وهي ان رجلاً طلب منه اعارة كتاب كان يمسكه كثيراً
 للمطالعة فانشدته ارتجالاً —

سمير فوادي منذ عشرين حجة وصيقل ذهني والفرج عن همي

قبيح على مثلي اعارة مثلهم وءاليتهم ان لا يفارقهم صمي
قال وقد ذكرتني هذه الحكاية حكاية اخرى عن الحريري حكاها لي الفقيه
القاضي الحاج ابو مية الدلاعي رايت تقييدها بهذا الموضع والحديث
شجون وهي ان الحريري كان دميما قبيح المنظر فجاءه شخص غريب يزوره
وياخذ عنه شيئا فلما رآه استزرى شكله ففهم الحريري ذلك منه فلما التمس
منه ان يملي عليه قال له اكتب —

ما انت اول سار غرة القمصر ورائد اعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري اني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني
فنجعل الرجل منه وانصرف . فان قلت خفف الدال من المعيدي وهو
الاشهر والاصل فيه التثييل وانما خفف الدال لكثرة الاستعمال قال ابو
عبيد وكان الكسائي يرى التشديد في الدال وقال انما هو تصغير رجل
منسوب الى معد . قال ولم اسمع هذا من غيره . والمثل - ان تسمع بالمعدي
خير من ان تراه . قال ابو عبيد والعامية لا تذكر ان ثم ذكر الاختلاف
في سن قاله وفي سن قيل فيه . اه . ومن علمائها عبد الله بن عبد السلام
الباجي اخذ عن عيسى الغبريني ونقل عنه ابن ناجي في شرح المدونة .
انتهى من سيدي احمد بن بابا . ومنهم عبد الله الغرياني وقال ابن بابا
قال ابن ناجي صاحبنا الفقيه الحاج ابو محمد اخذ عن عيسى الغبريني *
قال جامعنا عنما الله عنه وقول العبدري في ما تقدم وما رايت بها
من له الى العلم انتماؤ او لهمة نحو المعارف ارتقاء وربما وافق ذلك
ما اوجبه من كثرة ترادف الهموم عليها حسبما ذكره قبل ولكننا لان وزمانا
الهازل الذي لم يات بما انت به الاوائل قد اجتمعنا بفحول من مدلهم
غايها . وابطال تفتن على حادي ركاياها . منهم العالم العلامة والفاضل الفهامة
المتسلع من موائد الفوائد ومن ثدي اللطائف راوي . الشيخ سيدي
صالح المغراوي . تطلع بسراج فكرة على اصول الاصول . فحصل منها
اعظم محصول . وجمع من ثمار فروعها اي مجموع . فبلغ منتهى
المجموع

الجموع . الزمه امير الوقت دام علاه الى قضاء المحطة . وصمر بانوار
معارفه محله . سنة (بياض) وظهرت احكامه خفي خباياه . واعلنت
تحريراته باظهار مزاياه . كان لطيف الخلوات والجسم . طويل الذات
والعلم . واسع الخلق والحلم . عظيم الهمة والحكم . مليا من التقوى والورع .
خليا من الرشا والطمع . حليا بالصدقة والعهد . جليا بالامانة في علومه
ووفاء العهود . توفي في وكثيرا ما رايته مجتمعاً بشيخنا ابي عبد
الله محمد الصغير داود وبايديهما ابو السعود . ولسان الحال يقول قد حل
شمس ابي السعود منازل السعود . وتدور بينهما سلافة التذكار فتبدو منهما
تحت جناح كل فصل . طواهر مضمرات وصل . ما احق لحاقها بالاصل .
ولو رصعت بطرر الحواشي . لا عجز حملها الحواشي . وتولى مكانه بقضاء
المحلة الشيخ ابو العباس احمد بن نور الدين خبير باحكامه على الاوضاع .
يدرك بلطيف ذوقه مطاعم لذيذ السماع . لطيف الخلوات ورع متباعد
عما في يد الناس ذو همة عالية . ومرتبته سامية . حسن المرافاة . رقيق
المذاقات . تزايد بياجة ونشأ بها * ومنها الفاضل ابو عبد الله الشيخ محمد
المغراوي بلغت الروايات عنه حد التواتر في انه بمقام الشيخ صالح المغراوي
وزبما فاقه وما حصل لي به اجتماع اصلا * ومنها ابو الحسن علي
شعيب ذو شدة في تصرف احكامه في القضاء كان تولى قضاء باجة سنة
..... ثم نقله لامير دام علاه الى المحضرة التونسية واطلق يده في
الشهادة بها ثم اولاه قضاء محكمته بديار باردو لا يبالي في سن يتصرف
اذا جاء الحق . ولا يعتبر من عظم او دق . ذو فكرة وقادة . وتفريعات
نقادة . وكثيرا ما كان يبلغني عنه روايات تصرفاته ويصفونها بالشدة
المفرطة حتى تنفضل الرب واجتمعت به فوجدت حكيما جرد النفس عن
الهوى . ويضع لكل داء مناسب الدوا . له قوة فكر يغوص بها الى استخراج
ما اعجز اولي النهي . كانت بوار افكاره لغيره المنتهى * ومنها الامام
الهمام وعلم الاعلام . ابو المحاسن الشيخ يوسف الامام . امام الخمس بالمحضرة

الحسينية والدولة الاحسنية . ولما تفرس الامير دام علاه في سيرته . واطلع
بمروءة الفراسة على خالص سريره . وجده ذهباً مصفى وعليه طابع
الاخلاص . ادناه وجذبه بانامل الخصوصية والاستخلاص . واتاه بالاعزة
اولاده . وقطعة اكباده وثمره فواده . وسلم له فيهم الامر . وذلك غاية شرف
القدر . فبذل جهده . ووفى عهده . وارضعهم ثدي علوم اتخذ الاماجد
ثمرتها حلي . وساسهم بلطف النباهة الى ذروة هي متهى العلا . وصقل
اذهانهم فاعتهم عن صقيل المروءة . وكان لهم في عزيز خدمتهم بذب الابوة
وراف الامهات . فما من فن الا وكرعوا من جداول زلاله علا بعد نهل .
وهم اسعدهم الله لكل مشوبة اشرفية اهل . وما ازداد في رعايته ذمام لاعزة
ابنائهم وبث شكر انعامه الا وضاعف له في رفعة حظه وسن يذاكر امه
فاصبح يشدو كالورقاء شكر نعمائه واتخذ وردة في ترداد ثنائه —

كالبحر تمطره السماء وما له فضل عليه لانه من مائه

تدرع دروع الحمول . وبها الى الله نعم الوصول . بليغ ان نشر تنظم الدرر .
او نظم اخجل الغرر . او وشى الحواشي فاق الطرر . او ذب عن نجل ولي
نعمته يرمي بشرر . له تاليف على اجاد فيه وافاد . وادار منه
على سامعيه مذاق سلاقة مستجاد . واعد على بساط افادته نعم المستفاد .
ولما كان في فنه الجمع المفرد . وصفه القلم بمفرد . فقـال —

ما عيب الا ان لطف صنيعه ارنى فلم يات الزمان بمثله

ومنها الشيخ سيدي حميدة بن المفتي وهو كنز علومها . والمفتي في
معضلات حكومتها بين خصومها . تضلع من الفقه فحاز بلاغة . واقتدت به
ايمته البلاغة . وتمكن من عرى العربية . وتسربل بالانوار الصوفية . له
حسن ملاقاته وسمت يشعر بنور باطنه . عدا من لم نعرفه ولم نتشرف
بملاقاته . وعلى كل حال فاللطف موجود على كل حال * وقـال في صلته
السمط ما نصه : امسا مدينته باجة فقال في اختصار اقتباس الانوار باجة
بافريقية وباجة بالاندلس . قال ورايت في بعض التواريخ ان تفسير باجة
في لغة

في لغة العجم السلم . وباجة افريقية بينها وبين القيروان ثلاث مراحل .
 قال اليعقوبي مدينة باجة كبيرة عليها سور حجارة قديم وبها قوم من جند بني
 هاشم وقوم من العجم . وقال البكري رحمه الله ومدينة باجة مدينة كبيرة
 كثيرة الانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان فيها
 عيون الماء العذب ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس وهي تحت
 سور المدينة والباب هناك ينسب اليها ولها ابواب غير هذا . وفي داخل
 الحصن عين اخرى عذبة غزيرة . وحصنها اولي مبني بالصخر الجليل اتقن
 بناء يقال انه من عهد عيسى عليه السلام . ولها ربض كبير في شرقي
 الحصن وسور الحصن مما يلي الربض مهديم . وبها جامع متقن البناء قبائمه
 سور المدينة . وفيها خمسة حمامات ماوها من العيون . وفنادقها كثيرة وبها
 ثلاث رحاب لبيع الاطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة . ولها نهر من
 جهة المشرق جار من الجوف الى القبلة على ثلاثة اميال منها . وحولها
 بساين عظيمة تطرد فيها المياه وارضها سوداء متشققة يجود فيها جميع البزور
 وبها حمص وفول قلما يرى مثله . وتسمى هري افريقية لريع زرعها وكثرة
 رباعها وهي خصبة لينت الاسعار امحلت البلاد او اخصبت واذا كانت
 اسعار القيروان نازرة لم يكن للحنطة بها قيمة . ويردها كل يوم من الدواب
 والابل العدد العظيم لالف واكثر لنقل القمح فلا يؤثر ذلك في سعرها لكثرة
 خيرها . اه . وفي اختصار اقتباس الانوار ويقال ان من باجة القيروان ابا محمد
 عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة بن رفاعة بن حصن بن سماعة
 اللخمي الباجي يقال اصله من باجة القيروان سكن اشبيلية وهو فقيه
 محدث مكنى جليل سمع من ابن لبابة ومحمد بن قاسم واحمد بن خالد
 وعبد الله الزبيدي صاحب ابي عبد الله محمد بن علي بن الجارود وابي سعيد
 عثمان بن جرير صاحب محمد بن سحنون وغيرهم روى عنه ابنه احمد
 واحمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور وخلف بن سعيد بن احمد المعروف
 بابن المنفوخ الفقيه وابو عثمان سعيد بن نصر واسماعيل بن اسحاق واحمد

ابن محمد الخراز الاشبيلي الزاهد ومحمد بن حسن الزبيدي وعبد الله بن ابراهيم لاصيلي وغيرهم كان مولده ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان سنة احدى وتسعين ومائتين وتوفي يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ودفن يوم الخميس بعد العصر وصلى عليه ابنه الفقيه ابو عمرو رحمة الله على جميعهم . وقال العيني باجة بتخفيف الجيم وهي على البحر مسيرة يوم . وفي المشترك باجة خمسة مواضع الاول كورة ببلاد لاندلس تتصل ببلاد ماردة الثاني باجة القمح بافريقية لكثرة قمحها الثالث باجة الزيت بافريقية الرابع باجة من قرى اصبهان الخامس باجة في ارض مصر بالفيوم والله اعلم ولو تتبعنا ذكر كل بلدة على طريق الاستقصاء لادى ذلك الى ما لا يحصى * ومن بلاد افريقية شقبنارية وهي المعبر عنها في زماننا ببلد الكاف قال ابن الشباط وهي مدينة اولية من بناء لاوانل وهي في سند جبل وبها عين ماء يتفجر من صخر وينبعث الى صهريج من صخر محكم البناء وبها اثار من بناء الاول عجيبة وباب المدينة عليه سطر مكتوب بالقلم الاول لا يدري ما هو وهذا القلم هو المكتوب به في تبسة وفي صومعة القصرين وغيرهما وهي صومعة الراهب مكتوبة من جميع جهاتها . قال ابن الشباط واخبرني بعض علماء بلدنا ان ذلك القلم كان قبل الطوفان والله اعلم وهذا القلم يخالف القلم المكتوب به على سور قفصة يتبين للناسر باول نظر انه ليس به لاختلاف اشكاله وحروفه فسبحان من لا يسيد ملكه ولا يقنى عزه لا اله الا هو . وبشقبنارية دار عظيمة مبنية بالصخر العظيم فكانما فرغ منها بالامس الا ان بعضها قد وهى وسقط وصخورها مع عظمها في غاية الاحكام والاحكام وبها مجلس على يسار الداخل اليها بحنايا واقباء عجيبة وبقرب بلب البلد مسجد بين الباب وبين العين المذكورة . واما جامعها فهو في اعلى السند يشرف على اقطارها ونواحيها . واما مدينة الاربس قال ابن الشباط قال البكري رحمه الله بينها وبين الفيروان مسيرة ثلاثة ايام وهي مدينة

مدينة مسورة لها ربض كبير وبارضها يكون اطيب الزعفران وهي اولية
وبعض اساس سورها صخر بحكم البناء من عمل لاول وبها عمد عظيمة وكان
ذلك الموضع الذي هي فيه يجلس الملك صاحب تبسة وفي تبسة مثله
إلا أن الذي في تبسة الطف واغرب واحسن واعجب . وكذلك في طبقة
بعمد ضخام ايضا كلها يجالس الملك . ولاربس كثيرة الخير وبها جامع حسن
وصومعة قديمة البناء بالصخر المحكم لا قسي لدرجها بل كلها صخر من
اصلب الصخور مرتب بعضها فوق بعض فاعنى ذلك عن القسي . وبها
اسواق حافلة وحمام لينت للاسعار في غالب الازمنة وليس بها عين ولا
واد وانما يشربون من الآبار على مسافة قريبة وبها نهر يعرف بنهر الصفا
يجري على صفا وهو في غاية الصفا وفي وصفه قال بعض ادباء العصر —

ماء ونهر على الصفا طل يجري في صفاء كالدرة البيضاء

فاصفه لما اشتهيت فحق هو نهر الصفا ونهر الصفاء

وذكر صاحب الطبقات موسى بن نصير من اهل الاربس قال وكان
ثقة سمع من عبد الله بن وهب كتابي البيعة وقد عمر بعد سحنون حتى
سمع منه شئ لم يسمع من سحنون وكان اعار كتابي البيعة لسحنون وطلبهما
منه فمأطله بهما فاتاه مرة فحلف بالطلاق أن لا يبرح إلا بهما فاخرجهما
اليه سحنون وقد سمع منه عون بن يوسف كتاب لاهوال لابن وهب .

الفصل الثالث

في سبب تسميتها بلفظ افريقية

وذلك امر مختلف فيه فقل ان افريقش بن ابرهة غزا نحو المغرب حتى
انتهى الى طنجة وهو الذي بناها فسميت افريقية باسم منشئها وقيل انما
سموا الافارقة وبلدهم افريقية لانهم من ولد فارق بن مصر وفارق يجوز
فيه على ما اصله ابو الفتح وجهان فتح الراء وكسرهما لان هذين الوزنين
موجودان في اسماء العرب وقد جاء الوجهان فيما هو على وزانه وهو لفظ
خاتم وفي الخاتم مشر لغات وقد نظمها العلامة ابن جر فقال —

خذ نظم عد لغات الخاتم انتظمت ثمانيا ما حكاه قبل نظم
 ختام خاتم ختم خاتم وختم م وختم وختم وختم وختم
 وختم مفتوح ثاء تاسع واذا شاع القياس اتم العشر خاتم
 إلا ان الكسر اشهر وارجح لانه لاكثر . وقيل انها ابريقية بالباء الموحدة من
 البريق اي انها صاحبة السماء . قال ابن الشباط واحسب اني رايت
 بخط بعض الشيوخ بفتح القاف وقوله سموا الافارقة يعني اهل افريقية في هذا
 الوقت . والاشهر في الافارقة انهم الروم الذين كانوا بافريقية قبل الاسلام .
 ومن الصحابة الذين حلوا بافريقية وسكنوا بها المنذر الافريقي رضي الله
 عنه ذكره الشيخ ابو عمر رضي الله عنه في كتابه فقال المنذر الافريقي روى
 عنه ابو عبد الرحمن الحبلي قال حدثني المنذر وكان يسكن افريقية وكان
 صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - سن قال رضيت بالله ربا
 وبالاسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فانا الزعيم له فلاخذن
 بيده فادخله الجنة - . وقوله وكان يسكن بافريقية يؤذن انه انما سمي
 الافريقي لذلك والله اعلم * وقال صاحب عقد الجمان سميت بافريقش
 ابن ابرهة ملك اليمن لانه غزاها وافتتحها . وقال ابن خلكان افريقية
 سميت باسم افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وهو الذي افتتح
 افريقية وسميت به وقتل ملكها جرجير ويومئذ سميت البربر قال لهم ما
 اكثر بربرتكم ويقال افريقش وافريقش والله اعلم . وحكى الهمداني انه
 افريقش بالشين المعجمة ثم عرب قال وحمير تقول كان اسمه قيسا فلما
 بنى افريقية قالت العجم افريقش *

الفصل الرابع

في فتح افريقية

قال السلطان المويد عماد الدين ابو الفدا اسماعيل ابن الملك الافضل
 نور الدين ابي الحسن علي ابن السلطان الملك المظفر تقي الدين ابي الفتح
 محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين ابي المعالي محمد ابن السلطان
 الملك

الملك المظفر تقي الدين ابي الخطاب عمر ابن السلطان نور الدولة
شاهان شاه ابن السلطان الملك لافضل ابي الشكر نجم الدين ايوب في
كتابه المختصر في اخبار البشر ما نصه : وفي سنة اثنتين وعشرين من
الهجرة في ايام عثمان بن عفان رضي الله عنه سار عمرو بن العاص الى بركة
فصالحه اهلها على الجزية ثم سار الى طرابلس الغرب فحاصرها وفتحها عنوة .
وفي سنة ست وعشرين عزل عثمان عمرو بن العاص وولى مكانه عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح العامري وكان اخا عثمان من الرضاة وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اهدر دم عبد الله بن سعد المذكور يوم الفتح وشفع
فيه عثمان حتى اطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار عبد الله بن
سعد بن ابي سرح الى افريقية ففتحها وبعث بالخمسة الى عثمان رضي
الله عنه فاشتره مروان بن الحكم بخسمائة الف دينار فوضعها عنه عثمان
وهذه من الامور التي انكرت عليه وفي ذلك يقول عبد الرحمن الكندي —

ساحلف بالله جهد اليمين ما نزل الله امرا سدى

ولكن خلقت لنا فتنة لكي نتلي بك او تتلى

دعوت اللعين فاديتهم خلافا لسنة من قد مضى

واعطيت مروان خمس العبا د ظلمها لهم وحميت الحمى

ولما فتحت افريقية امر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن نافع ابن الحصين
ان يسير الى جهة الاندلس فغزا تلك الجهة وعاد عبد الله بن نافع الى
افريقية فاقام بها من جهة عثمان ورجع عبد الله بن سعد الى مصر . وفي
سنة خمسين بنيت القيروان وقد منا ذكرها فيما سبق في فضل افريقية .
وفي سنة اربع وثمانين ومائة ولى الرشيد حمادا البربري اليمن ومكة
وولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى السند وولى يحيى الحرشي الجبل وولى
مهروية الرازي طبرستان وولى افريقية ابراهيم بن كلاب وتوفي ابراهيم
المذكور سنة سبع وتسعين ومائة وتولى بعده ولده ابو العباس عبد الله بن
ابراهيم وسياتي استطراد ولانها في الساب السادس مفصلا ان شاء الله

تعالى . قال ابن الشباط رحمه الله تعالى قد ذكر ابو الحكم في سياق كلامه من البلاذري ولاية عبد الملك بن مروان واستعماله اخاه عبد العزيز على مروان عبد العزيز ولى افريقية زهير بن قيس البلوي ففتح تونس كما سياتي بيانه في فتح تونس ان شاء الله تعالى . وقال غيره ثم ان زهيرا رأى افريقية ملكا عظيما فكرة لا فامة بها وقال - انما خرجت للجهاد واخاف ان اميل الى الدنيا فاملك ولست ارضى بالدنيا لاجل ملكها ورغد عيشها . وكان رحمه الله تعالى من رواسى العابدين وكبار الزاهدين فرجع قافلا الى المشرق - فلما انتهى الى برقة وكان الروم حين سمعوا برحيله الى افريقية خرجوا اليها بالمراكب فاغاروا عليها وسبوا وقتلوا ونهبوا وافق ذلك قدوم زهير قافلا من افريقية فاخبر بذلك وامر العسكر بالمسير على الطريق وسار هو على الساحل طمعا ان يدرك اسارى المسلمين فاشرف على الروم وهم في خلق عظيم فلم يقدر على الرجوع واستغاث بهم لاسارى والروم يدخلونهم المراكب فامر اصحابه بالنزول فنزلوا وقصدوا الروم والتحم القتال حتى مائق بعضهم بعضا وكثرت النصارى فقتل زهير وسن معه وادخل الروم جميع السبي مراكبهم وارتحلوا الى القسطنطينية . واما انتهى الخبر الى عبد الملك بن مروان عظم ذلك عليه وبلغ منه البلق الاعظم لفصل زهير ودينه وكانت مصيبتهم كمصيبة عقبة بن نافع رحمهما الله وغضب اشراف المسلمين وقالوا عبد الملك ان ينظر في سداد ثغر افريقية فقال - لا اجد اعظم لافريقية من حسان بن النعمان الغساني . وكان حسان بمصر في عسكر عدده اربعون الفاجدة لما يحدث فكثب اليه عبد الملك بن مروان يامره بالتوجه الى افريقية وانه اطلق يده على اموال مصر يعطي منها سن ورد عليه من الناس ما شاء فقدم حسان في عسكر عظيم لم يدخل افريقية قط مثله وذلك في سنة تسع وسبعين . قال جامع عفا الله عنه وكان قدومه في ذلك التاريخ بعز وسار حتى بلغ القيروان فقال اهل افريقية سن اعظم ملكا بها فقبل له صاحب قرطاجنة وكانت مدينة عظيمة تضرب امواج البحر سورها وهي من تونس

تونس على اثني عشر ميلا . ثم ان حسان لما استوفى فتح قرطاجنة حسبما
 ياتي بيانه بافانه ان النصارى تجمعوا للغائه وامدهم البربر فزحف اليهم
 فقاتلهم قتالا شديدا فانهزموا وهرب البربر الى ناحية برقة وقدم حسان
 مدينة القيروان فلما استراح الناس قال لهم دلوني على اعظم ملك تبقى
 بافريقية وسن اذا قتل خافت البربر والنصارى وهابت المسلمين فلا تقدم
 عليهم فقالوا ليس بافريقية اعظم من امرأة بجبل اوراس يقال لها الكاهنة
 واسمها حسبما ذكره الشهبي في مختصر الجمان في اخبار الزمان دامية بنت
 نيفا والبربر والنصارى لها مطيعون ومنها خائفون . فلما اخبر بذلك توجه
 لقتال الكاهنة وبلغ الكاهنة امره فارتحلت من جبل اوراس في عدد عظيم
 الى بلد باغاية فاخرجت منها الروم واخربت حصنها وظنت ان حسان
 انما يريد معقلا يتحصن به واقبل حسان في جيوشه حتى دنا بعضهم
 من بعض وكان ذلك آخر النهار فكرة حسان لئلاها في ذلك الوقت فبات
 الناس على سروجهم حتى اصبحت فزحف بعضهم الى بعض واقتتلوا اشد قتال
 وانهزم حسان وقتل من العرب خلق كثير واسرت من اصحاب حسان
 ثمانين رجلا منهم خالد بن يزيد العسيمي وكان رجلا شريفا واتبعت الكاهنة
 حسان حتى خرج من جبل قابس واقام ببرقة وكتب الى عبد الملك بما
 لاقى المسلمون فوافاه كتابه يامره بالمقام حيث ادركه الجواب وادركه وهو في
 عمل برقة فاقام هنالك خمسة اعمام بموضع يعرف بقصور حسان وبه
 سميت قصور حسان . ثم اعمل عبد الملك رايه في سن ينتخب لافريقية
 واستشار في ذلك فلم يجد مثل حسان فبعث اليه جيشا عظيما ومالا وسلاحا .
 وكانت الكاهنة اطلقت اصحابه الذين اسرت واحسنت اليهم الا خالد
 ابن يزيد امسكته . وكان لها ولدان فقالت لخالد اني اريد ان ارضعك
 مع ولدي فتكون اخا لهما فقال لها كيف يكون ذلك وقد ذهب منك
 الرضاع فقالت - انا جماعة البربر لنا رضاع تنوارث به اذا صنعناه . ثم عمدت
 الى دقيق الشعير فلتته بزيت ثم جعلته على ثدييها ثم امرت ولديها

ان ياكلا مع خالد من ذلك الشعير فاكلوا فقالت انتم اخوة من الرضاع . ثم
 لن حسان وردت عليه العرب فدعا رجلا فبعث معه الى خالد كتابا وكان
 واثقا بان خالدا لا يرجع عن الاسلام . فلما اتى رسول حسان خالدا وقف
 عليه في زي سائل فعلم انه رسول فاعتذر له وقال تعود لي غير هذا الوقت .
 فلما انقض المجلس اخذ الكتاب فقرأه وكتب في ظهرة - ان البربر متفوقون
 لا انضمام لهم ولا راي عندهم وانما ابتلينا بامر اراد الله عز وجل ان يكرم به
 من مضى فاطو المراحل وجد في السير فان الامر لله ولن يسلمك إلا الله ولا
 حول ولا قوة إلا بالله - وجعل الكتاب في خبزة ومضى الرسول فلم تلبث الكاهنة
 بعد ذهابه ان خرجت ناشرة شعرها تضرب صدرها وتقول ويلكم ذهب
 ملككم فيما يوكل فافترقوا يمينا وشمالا يطلبون ذلك فستره الله تعالى . فلما
 وصل الى حسان اخرج الكتاب من الخبزة فوجده قد احترق فقال له حسان
 ارجع فقال اني اخاف على نفسي فان المرأة كاهنة فكتب له كتابا
 يجعله في نقرة قربوس سرجه وغطاه بالشمع فمضى الرسول حتى اتى خالدا
 فدفع اليه الكتاب وعرفه ان الاول احرقته النار فرد جوابه واعاده في قربوس
 سرجه ومضى . فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها تضرب صدرها وتقول ذهب
 ملككم في نبات الارض واره بين لوحين . قال وكانت الكاهنة ملكة
 افريقية خمس سنين منذ انصراف حسان عنها فلما رأت ابطاء العرب عنها
 قالت للبربر ان العرب يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة
 والشجر ونحن انما نطلب منها المزارع والواشي ولا نرى لكم إلا خراب
 افريقية حتى يياسوا منها ويقل طمعهم فيها فوجهت قومها الى كل ناحية
 يقطعون الشجر والزيتون ويهدمون الحصون . ويحكى عن بعض المورخين
 عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم رحمه الله تعالى ان افريقية كانت ظلا
 واحدا وقرى متصلة عامرة فاخربت جميع ذلك ثم قال سمعت من يقول
 انه كان بافريقية مائة الف حصن ما بين قصر ومدينة وان ملكها اذا اراد
 الغزو بعث الى كل حصن فيأتيه منه فارس ودينار فيجتمع له مائة الف

فارس ومائة الف دينار ولا ينقص من بلاده شيء . ومن تأمل هذه المدن والقصور الخربة بافرقية وتداني بعضها من بعض رأى من ذلك ما يقضي الى العجب ويستدل به على كثرة عمارتها في السالف . وكذلك الشعراء التي بها اذا تأمل اشجارها وأما في مواضع على اعتدال وترتيب تنبي بانها مغروسة لا نباتية . ويقال ان ما فيها من بطم انما كان فستقا وانما استحال الى الصغر وإلى طعم آخر لطول ما اقي عليه من السنين ولا شك ان سن اكل البطم اخضر وجد طعمه كطعم الفستق . قال فلها بلغ كتاب خالد الى حسان رحمه الله تعالى خرج بالجيش فتلقاه في طريقه ثلاثمائة رجل من النصارى يستغيثون به من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب ضياعهم ووصل الى قابس فخرج اليه اهلها وطبلوا منه لآمان وكانوا قبل ذلك يتحصنون ويمتنعون من كل من مر بهم فامنهم وترك عامله عليهم وقاطعهم على مال معلوم والتفت الى طريق القيروان فمال الى قصور قفصة فنزلها واهدى اليه ملوكها وملوك قسطنطينة ونفزاوة وبعثوا اليه يستغيثون به من امر الكاهنة فسر ذلك وقال رحمه الله تعالى قال مصنف هذا الكتاب وظاهر قوله فسر - ذلك يؤذن بان هذا فتح واذا كان فتحا فهو صالح - ويحتمل ان يكون اهل هذا البلاد على عهد تقدم ولذلك اهدوا اليه . وقد بلغ الكاهنة قدومه فرحلت من جبل اوراس تريد في خلق عظيم فلما كان الليل دعت ابنها واخبرتة انها مقتولة وكانها تنظر الى راسها يركض به فارس الى ناحية المشرق وكان ترى راسها بين يدي ملك العرب الذي بعث هذا الرجل فقال لها خالد رضي الله عنه فاذا كان الامر كذلك فارحلي بنا وخلي له عن البلاد وأشار عليها اولادها بمثل ذلك فقالت كيف نفر وانا ملكة والملوك لا نفر فاورث قومي عارا فقالوا افلا تخافين على قومك فقالت اذا انا مت فلا ابقى الله منهم احدا فقال لها خالد وابناها فما نحن صانعون فقالت اما انت يا خالد فستدرك ملكا عظيما عند الملك الاعظم واما اولادي فسيدركون سلطانا عند هذا الرجل ويعقد لهم على البربر ثم امرتهم

ان يركبوا ويستامروا عليه فركبوا وتوجهوا اليه واعطاهم خالد بقولها وانها مقتولة
وبوصول ولديها فامر بحفظهما وامر خالدا على اعنة الخيل . ثم خرجت الكاهنة
ناشرة شعرها تقول انظروا ما دهاكم وانظروا لانفسكم فانها مقتولة فالتحمت
الحرب واشتد القتال واستمر القتل في الفريقين حتى ظن الناس انه الفناء .
ثم انهزمت الكاهنة وتبعها حسان حتى قتلها وقطع رأسها عند بئر تعرف ببئر
الكاهنة . قال ابن فاجي في معالم الايمان ويقال انها قتلت عند طبرقة
فتعجب الناس من خلقتهما وولى حسان الاكبر من ولدي الكاهنة على
جماعة من البربر . ثم ان البربر استامنوا حسان فلم يقبل إلا على ان يعطوا
من قبائلهم اثني عشر الفا يكونون مع العرب مجاهدين فاجابوا واسلموا على
يديهم فعقد لكل واحد من ولدي الكاهنة على ستة آلاف منهم واخرجهم
مع العرب يجاهدون في سبيل الله عز وجل بافريقية ويقتلون الكفرة من
الروم والبربر وكان ذلك في شهر رمضان من سنة اربع وثمانين . ثم وجه
مولاه ابا صالح الى قلعة زغوان فنزل بموضع فحصى ابي صالح وبعده شهر
فقاتل اهلها ثلاثة ايام فلم يقدر عليهم فحلى حسان عسكرة بطنبذة . ثم رحل
الى زغوان في خيل مجردة فافتحتها صلحا ودانت له افريقية وكتب الخراج
على سن بقي من النصاري وسن كان على دين النصرانية من البربر وغيرهم
واقام بافريقية قاطنا بالقيروان لا ينازع فيها احد الى ان عزل عنها وتولاها
موسى بن نصير كما ياتي بيانه ان شاء الله في ذكر ملوكها الذين كانوا بها
قبل آل عثمان . وعلى يد حسان بن النعمان سنة تسع وسبعين كان افتتاح
توزر صلحا حسبما ذكر ذلك التجاني في رحلته قال وذلك بعد عوده من
برقة بالمدد الذي امد به عبد الملك . ووقع في تاريخ ينسب الى الامام
المحافظ ابي طاهر السلفي ان افتتاح توزر كان على يد عقبة ابن نافع
القوشي قال وذلك غريب وكانت ولاية عقبة على افريقية سنة ست
واربعين فان صح ما قاله ابو طاهر فيكون افتتاحها في زمن معاوية بن
ابي سفيان وعلى القول الاول يكون افتتاحها في زمن عبد الملك كما تقدم
ويحتمل

ويحتمل ان تكون افتتحت ثانيا في زمن حسان . وما يدل على انها افتتحت صلاحا بقاء مواضع كنائس النصارى قال التجاني ويروى ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح لما بعثه عثمان رضي الله عنه الى افريقية لقي جرجير وكان من قتل عبد الله بن الزبير له ما كان واصاب الروم رهب كبير شديد فاجاوا الى الحصون والقلاع فاجتمع اكثرهم بحمصن الجهم وطلبوا من عبد الله بن ابي سرح ان ياخذ منهم ثلاثمائة قطار ذهب على ان يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم وقبض المال وكان من شرطه ان ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما اصابوه بعد الصلح ردوه يريد والله اعلم بعد الصلح *

الباب الرابع

في ذكر قرطاجنة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول في ذكر قرطاجنة ومن بناها

قرطاجنة وان تلاثت لان وخربت فانها كانت من اصخم ممالك افريقية واكثرها عددا واقواها عددا واتقنها بناء واغربها انباء واوسعها بجالا واشدها قتالا واحكمها صناعة وارفعها بضاعة واطيبها ثمارا واطولها اعمارا . قال ابن الشباط عند ذكر دخول موسى بن نصير ارض الاندلس افتشاحا سنة اربع وتسعين لما قفل بالغنائم العظيمة منها ومن بعض غنائمها مائدة سليمان عليه السلام . قال العيني في عقد الجمان ان الوليد لما حملت اليه المائدة من طليطلة صنع منها ميزاب الكعبة وسقفها وضرب لها منها حلية . قال الكاتب ابو اسحاق ذكر لموسى ابن نصير شيخ كبير قرطاجني فدعا به فاذا هو شيخ قد وقعت حاجابه على عينيه فقال له اخبرني كم اتي عليك من السنين قال خمسمائة سنة قال له موسى ما هذه المائدة وكانت من ذهب وفضة خليطين وهي تتلون صفرة وبياضا مطوقة بثلاثة اطواق طوق لولو وطوق ياقوت وطوق زهر فاجابته القرطاجني انها مائدة سليمان بن داود عليه السلام فقال له موسى وكيف وقعت بالاندلس قال لما ادعت

النصارى على اليهود قتل عيسى ابن مريم عليهما السلام زحف ملوكها الى بيت المقدس وحلف بطرس الملك الذي كان بالاندلس ليرد من البيت بالزبلتة فحمل عدو الله الزبل في المراكب حتى رماه بيت المقدس وتحزبت النصرانية من كل مكان وقسموا ما في بيب المقدس فصار لاهل لاندلس الدراري والمائدة وصار لاهل رومية تابوت داود عليه السلام وهو تابوت السكينة وعصا موسى عليه السلام والتوراة وحلة ادم عليه السلام وصار لاهل القسطنطينية الياقوتة قال له موسى بن نصير وما الياقوتة قال ياقوتة ذي الثنتين التي يهتدي بها في الظلمات . وكان موسى بن نصير قد اجاز ما كان عنده من الاموال والذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والذخائر النفيسة الى طنجة في المراكب ثم حملها على مائة عجلة واربع عشرة عجلة تتداول عليها للازواج في كل مرحلة . ثم قال موسى بن نصير للقرطاجني كم اقصت بقرطاجنة قال عمرت بها ثلثمائة سنة وبالاندلس مائتي سنة فقال له موسى بن نصير وكيف كان خبر قرطاجنة وسن بناها . قال القرطاجني بناها بقية من قوم عاد الذين هلك قومهم بالريح فعمروها ما شاء الله تعالى ثم بقيت بعدهم خرابا الف سنة حتى اتي النمرود ابن لاوذ بن نمرود الجبار فبناها على البناء الاول ثم احتاج الى الماء العذب فبعث الى ابيه وكان ابيه بالشام والعراق وعمره على السند والهند فارسل اليه ابوه المهندسين وهندسوا له الماء حتى اوصلوه الى المدينة . قال له موسى بن نصير فكم كان عمره قال سبعمائة سنة واتموا له جري الماء في اربعين سنة وكانوا لما حفروا اساسه وجدوا فيه حجرا مكتوبا عليه بالخط الاول - علامة خراب هذه المدينة اذا ظهر فيها الملح - فبينما نحن ذات يوم في غدير بدار الصناعة من قرطاجنة وهي التي ترسي فيها المركب اذ الملح على الحجر منعقد فرحلت الى هنا وسن كان على مثل رأيي في ذلك . وقال ابن الشباط يقال انها بنيت زمن داود عليه السلام وان بين بنائها وبناء مدينة رومية اثنتين وسبعين سنة وهي بالشاطي تلاطها الامواج وتكسيها اربعة عشر الف

عشرون ذراع والله اعلم . ونقلت من البشائر ما كان اخبره به بعض قيسي
لافرنج ان وضع اساس قرطاجنة كان لمضي ثلاثة آلاف سنة ومائة
وستين سنة من هبوط ادم عليه السلام ولما وقعت العداوة والحروب بين
صاحب قرطاجنة وصاحب رومية الكبرى وكانت ثلاث وقائع الاولى
مبتدأها من سنة اربعين وستمائة وثلاثة آلاف سنة من تاريخ العالم
دامت بينهم ثلاثين سنة والحروب سجال ووقع بينهم صلح وهدنة الى سنة
ست وثمانين وستمائة وثلاثة آلاف سنة وهي المشهورة عندهم بواقعة
الرمان وكانت الدائرة فيها على صاحب رومية وانهمز فيها اربع مرار . وكان
صاحب قرطاجنة يسمى انيبال فجهز عمارته البحرية وقطع بها الى لافرنچ
وخرب بلادهم وقتل وسي واحرق واثنى فيهم ومزقهم كل ممزق وقتل من
عسكرهم ما لا يحصى عددا . وكان من شعائر اولئك الاقوام ان اصحاب
الوظائف منهم والروساء الذين من شأنهم التصرف يمتازون عن دونهم
بخواتيم يضعونها في اصابعهم ويمتاز بعضهم عن بعض على حسب مراتبهم
بعدد الخواتيم فمن لايس خاتما واحدا ومن لايس خاتمين فاكثر على حسب
ما هو ديدنهم فبلغ امر القتل بهم حتى انهم وسقوا ثلاثة صنادل بالخواتيم التي
اخرجت من اصابع قتلى الروساء وعاد غانما الى بلاده . ثم ان صاحب رومية
اخذته الحمية الجاهلية وجهز عمارة البحر واستنجد ملوكا من الناحية الغربية
وقصد قرطاجنة وانزل عساكره البر وكان اول بلد ظفر بها تسمى اسيس
وبلد قلبية ولعلها المعروفة عندنا بقليسية وتونس وهذا دليل على ان مدينة
تونس قديمة لايجاد وكانت هذه الواقعة سنة خمس وخمسين وثلاثمائة
وثلاثة آلاف سنة من تاريخ العالم . ومن جملة من كان في نجدة صاحب
قرطاجنة ملك من ملوك الروم اسمه اخذ في هذه الواقعة اسيرا
وحمل الى رومية الكبرى وانخذل فيها انيبال صاحب قرطاجنة وواقعة
امره تناول سما ومات . ثم انفصل الامر بينهما على مال يودونه لصاحب
رومية في كل سنة ثم تجددت بينهم حرب اخرى ودامت ثلاث سنين وهي

الواقعة الثالثة وكان وزير صاحب رومية اسمه شيبليون امليانس وجهاز له سلطانه عمارة بحرية وارسله الى قرطاجنة فاستولى عليها وخربها بعد ما قتل واسر وسي وتم خرابها وعاد الى سلطانه صاحب رومية فسماه شيبليون الافريقي لاستيلائه على افريقية . ثم بعد ذلك ارسل صاحب رومية ثلاثة الاف عائلة ليعمروا مدينة قرطاجنة فعمروها وكانت تحت طاعة صاحب رومية الى ان فتحها الاسلام دام عزة . وكانت قبل الفتح تحت حكم صاحب القسطنطينية والنصراني المتولي عليها اذ ذاك اسمه جستنيانس والله اعلم * ومن تاريخ الافرنج اول من وضع مدينة قرطاجنة امرأة تسمى اليسته ديدو من بنات بعض الملوك وكانت زوجة ملك من كبار ملوك الروم الصايبية ومات زوجها ولم يكن له ولد وكان لها اخ يسمى بغماليو وكان ملكا ايضا فاراد الاستلاء على مملكة زوج اخته وما خلفه من الخزان والاموال فمأطلته حتى جمعت مهماتها من عظيم الذخائر وركبت البحر وكان معها غلمان كثيرون فطرقت جزيرة قبرص واخذت منها ثمانين بنتا وزوجت الغلمان بهن ووردت مدينة قرطاجنة فاشترت ارضها وتمرتها بذلك لاهلها الاموال واعانهم احسن اعانة وانشأت الدور والجنات والقصور ولله عاقبة الامور فكانت هي زينة الموسسة لها - والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين *

فائدة

قرطاجنة بفتح القاف وسكون الراء وبعدها طاء مهملة والفاء وجيم مفتوحة ونون مشددة بعدها هاء تانيث كذا وقع بفتح الجيم في النسخة التي طبعها خط الفقيه الحافظ ابي محمد عبد الحق من اختصار اقتباس الانوار والجارى الى الاسنة كسر الجيم . قال ابن الشباط وسمعت سن يقول ان اصله قرطاجنة بضم القاف وفتح الجيم وكانه يشير بذلك الى انها مشبهة بقرطي جنة من القرط الذي يعلق في الاذن وهو ما علق من اسفل الاذن والشف ما علق من اعلاه وهذا يسوغ وقوعه لو كانت الكلمة في العربية وامسا في لغة العجم فيبعد ذلك والله اعلم . وقال ابن بطوطة في رحلته قرطاجنة

قرطاجنة في ثلاثة مواضع احداها بالاندلس عند جبل طارق الثانية
 قرطاجنة الخلفاء بالاندلس ايضا من كرة تدمير الثالثة قرطاجنة افريقية
 وهي اعظمها واجلها واشهرها . قال المسعودي لما ذكر البيوت المعظمة
 عند اوائل الروم قال كان بيت معظم قبل ظهور دين النصرانية ببلاط
 المغرب وهو بقرطاجنة * وبين قرطاجنة وتونس عشرة اميال او نحوها
 ومرسأها واحد . وقرطاجنة من المدن المشهورة وفيها من الاثار وعجائب
 البنيان ما ليس ببلد شرقا ولا غربا ولو دخلها انسان وهو يمشي فيها عمره
 ويتأمل اثارها لراى كل يوم اعجوبة لم يرها قبل ذلك وهي لان خراب
 وكانت في وقت غزاهم المسلمون من غرائب البلاد وفيها من عجائب البناء
 وظهور القدرة في ذلك ما لم يبلغه احد * ويقال ان ملكها كان جبارا عظيم
 الشأن وكان ملك اكثر الارض فدخل بلاد الروم وقتل ماوكها واخذ بلادهم
 وبعث الى قرطاجنة من خواتيم الملوك الذين قتلهم ثلاثة امداد وقد سبق
 مكان الثلاثة امداد خواتيم ثلاثة صنادل والله اعلم . ويقال انه نازل مدينته
 رومية فلما حصرها وضيق على ملكها وافسد اقطارها ارسل ملك رومية قائدا
 من قواده فحشد سن كان ببلاطه من الروم والجيوش وامره بالوصول الى بلاد
 افريقية والنزول على قرطاجنة فلم يكن فيها سن يقاومهم فارسلوا الى ملكهم
 يعلمونه بما حل ببلاطهم من اهل رومية ويسالونه الاسراع لاغاثتهم فعجب
 من ذلك ملك قرطاجنة وقال اردت قطع تلك الدواميس من الدينا
 واطن الله السماء اراد غير ذلك ثم رجع الى بلده فزعا فزحف اليه قائد
 صاحب رومية فهزمه مرارا حتى قتل واستاصل عسكره ودخل قرطاجنة
 فهدمها وخربها . وخرّب المسلمون عند فتح افريقية بقيتها . وكان بها قصر
 من اغرب ما يكون من البناء مفرط العظم والعلو اقبارة معتودة بعضها فوق
 بعض طبقات كثيرة وهو مطل على البحر حصن عظيم يسميه الناس الطياطر
 شكل مهول في الاستدارة نحو من خمسين قوسا دائما في الهوى سعة كل قوس
 منها ازيد من ثلاثين شبرا وبين كل قوس وآخر سارية سعتها اربعة اشبار

ونصف ويقوم على كل قوس من هذه الاقواس خمسة اقواس قوس في حلق قوس صنعت واحدة وبنائها من الحجر الكدان وقد صور في الدائرة على الاقواس انواع من الصور وضروب من التماثيل العجيبة الثابتة في الصخر من صفات الناس والسباع والحيوانات والمراكب قد اتقن من ذلك بابدع صنعت وسائر البناء الاعلى املس لا شيء عليه يقال ان هذا البناء كان ملعبا وجمتمعا في فصل من السنة . ومن غريب مباني قرطاجنة الدواميس التي عددها اربعة وعشرون داموسا في سطر واحد طول كل داموس منها مائة وثمانون خطوة في عرض ستة وعشرين في اعلاها اقباء وبين كل داموسين منها خيوط يصل منها الماء الى جميعها بهندسة وحكمة وكان الماء الواصل من عين جقار التي بناحية القيروان الى قرطاجنة يفرغ في هذه الدواميس على عدة قناطير لا تحصى على وزن معتدل وكل القسي منها مبنية بالصخر فما كان منها في نشز من الارض كان قصيرا وما كان في بطون الارض واحاديدها كان طويلا في نهاية العلو . وهذه القناة المذكورة من اغرب مباني الارض وانقطع الماء عن هذه الدواميس لكسر القناة وخراب قرطاجنة ومن حينئذ لم يزل الهدم فيها واستخراج الرخام الكثير منها الى الان . قال واخبرني سن راي الواح رخام استخرجت منها ان طول الواحد اربعون شبرا في عرض سبعة اشبار والجير دائما في خزائنها لا ينقطع واخراج الرخام كذلك . قالوا ويوجد بها من اعمدة الرخام ما يكون دورة اربعين شبرا . وفي قرطاجنة اقباء معتودة على سواري رخام وعليها مثلها نحو اربع مرات قد احاطت بالدار والدار دائرة من اغرب ما يكون من البناء ولها ابواب كثيرة قد صور على كل باب منها صورة نوع من الحيوان وقد صوروا في المحيطان صور جميع ارباب الصنائع بايديهم والانتهم وفي هذه الدور من الرخام ما لو اجتمع اهل افريقية على نقله ما قدروا عليه لكثرتهم . وكان فيها قصران يعرفان بالاختين ليس فيهما حجر سوى الرخام ورخام الواحد لا يشبه رخام الثاني . ويوجد فيها لوح رخام طوله ثلاثون شبرا وعرضه خمسة عشر شبرا ويقال انه وجد فيه

ضارب بيت من لوح واحد والناس ينقلون من رخام هذين القصرين
 لحسنه على قدم الزمان وما فرغ الى الان . وبهذين القصرين ماء مجلوب
 ياتي من ناحية الجوف لا يعلم من اين منبعه وكانت عليه دواليب واجنة
 كثيرة وهي المعروفة اليوم عند اهل تونس بسكرة . وكان بها قصر عظيم يعرف
 بتدمش مطل على البحر وهو من اعجب ما فيها وهو مبني على سواري رخام
 مفرطة الكبر والعظم يجلس على راس السارية منها اثنا عشر رجلا بينهم مشقة
 طعام وهي مشطبة كاللح بياضا ولها ضياء ويكون دور السارية منها نحو
 الثلاثين شبرا في علو مفرط وعليها سواري اخر معترضة وقد بني القصر عليها
 وهي اقباة معقودة بعضها فوق بعض باغرب صناعة واغرب بناء . فكان هذا
 القصر حصنا عظيما وانما هدم على عهد قريب لانه تحصن فيه قوم من
 القطاع فكانوا يقطعون بتلك الجهات ويلجأون اليه فخرج اليهم اهل تونس
 فقتلوهم وهدموا القصر . وبقربه موضع فيه اقباة ودهاليز تحت الارض يهاب
 الدخول اليها وجثث الموتى فيها على حالها فاذا مست تلاشت لقدمها .
 وداخل مدينة قرطاجنة مبني تدخله المراكب بشراعتها وفيها مواجل كثيرة
 بعضها يسمى مواجل الحديد واخرى مواجل الشياطين بسبب ان سن يقرب
 منها يسمع فيها دوياء والناس يتنافسون في الدخول فيها فمن جسر على
 دخولها ليلا علم انه جريء القلب ثابت الجنان وهي منظر عظيم هائل سن
 تكلم فيها بكلمة سمع لها دوياء عظيمة يحكي تلك الكلمة وذلك لاحكام بنيانها
 وهي ثمانية عشر صهريجاً مقترن بعضها ببعض في ارتفاع نحو المائتي ذراع
 في عرض كثير ولاظهر انها كانت مخازن للماء الجاري من العين التي من
 فواحي زغوان المجلوب اليها على راس الحنايا العادية التي لا نظير لها وهي
 من عجائب الدنيا *

الفصل الثاني

في ذكر القناة التي بقرطاجنة

قال ابو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن احمد بن مسعود العبدوي في

رحلته من المغرب حاجا ومبداها من بلده حاحة وكان ابتداء سفره في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين وستمائة الى ان قال ما نصه :
 واما الساقية المجلوبة على زغوان فقد استأثر بها قصر السلطان وجنانه إلا رشحا يسيرا ثم سير به الى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في انابيب من رصاص ويستقي منها الغرباء وسن ليس له في داره ماء ويكثر عليها الازدحام .
 والساقية المذكورة هي من جملة غرائب الدنيا وهي قديمة من عمل الروم مجلوبة من جبال بجنوبي تونس على مسيرة يومين او نحوهما في اوعار واودية منقطعة وجبال وءالكام فاذا انتهوا بها الى جبل او تل خرقة وسربوا الماء فيه واذا انتهوا الى واد او وهاد بنوه قناطير بعضها فوق بعض حتى يستوي مع جري الساقية بصخر منحوت اتقن ما يكون من البناء واغربه وارثقه حتى ينسرب الماء منها في مستو معتدل . واتصلت هذه الساقية بهذا الاسلوب حتى دارت من وراء تونس الى الغرب وانتهت الى مدينة قرطاجنة وبينها وبين تونس نحو اثني عشر ميلا كما تقدم . ويذكر ان الروم اقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها اربعمائة سنة وهذا بعيد وخصوصا مع توفر سعتهم مالا ورجالا . واما ابو عبيد البكري فحكى ان عملها الى ان استوى فيها جري الماء في اربعين سنة وهذا يسير مع الاعتناء التام والادوات الكاملة والقوة الوافرة . والماء الجاري داخل الحنايا يقوم بخمسة ارجاء او اكثر وعرض القناة يجري مائها نحو ثمانية اشبار وارتفاعها نحو القامة ونصف هذا كله مقدار جري الماء فقط . وفي وسط المدينة صهريج عظيم حوله نحو الف وسبعمائة بالوحدة خنية سوى ما تهدم منها كان يقدم فيها الماء المجلوب المذكور ويخرج من الصهريج المذكور الى القصر . وفي بعض ارجل تلك القناطير كتابة في حجر قيل ان ترجمتها هذا من عمل اهل سمرقند . وقد كان بعض الامراء وهو المستنصر بالله احتاج الى اصلاح بعض هذه الحنايا مما يلي تونس ليوصل الماء اليها اذ كانت معطلة قبله فاقام في عملها بجتهدا باقصى ما يمكنه اعواما عديدة وما امكنه استيفاء اصلاحها على ما كانت عليه بل اقتنع

بل اقتنع بتسديده كيف ما امكن . ولله درخائمه الحكماء وبليغ العلماء
واديب الروساء ورثس الادباء وتاج البلغاء وامام الفصحاء ابو الحسن حازم
الانصاري الاندلسي في مقصوده التي مدح بها ابا عبد الله المستنصر امير
تونس ويصف جري الماء الذي اتى به الى ان قال —

مكان به قد ساح وسط تونس وصاح بالناس ردوا ماء النداء
وزار ارضا طالما زرت على لباتها اطواقه فيما خلا
وروض الارض التي روضها وجاد بالسقيا عليها وجادا
وخر فيها ساجدا مسجدا لله فوق سبع من الحصص
وخراب قرى قرطاجنة اليوم قرى رفيعة مفيدة عامرة واصناف ثمارها
متناهية في الطيب لا يكاد يرى ما يفضلها وما احقها بقول ابن عفيف —
حارت عقول الناس في ابداعها السكرها او شكرها تتساود
فيقول ارباب البطالة تنشني ويقول ارباب الحقيقة تسجد
ويظهر من سياق الشريف الغرناطي ان هذه الحنايا المذكورة ابتكرها
المستنصر ولكن الناظم رحمه الله بين ذلك بقوله —

وكفرت طاعته لمومن طاعته لكافر فيما مضى
وبقرطاجنة ملاحه عليها قصر ورباط يعرف ببرج ابي سليمان * قال
جامعه عفا الله عنه وهي اليوم بلدة عظيمة وتعرف بسليمان اسمها الاندلس
في نزولهم افريقية وتجد بها — حبا وعنبا وقصبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا
وفاكهة وابا — بها جامع معتبر في مرتبة جوامع المدن ولو اقتصرت تونس
على ثمار بلد سليمان لكفتها كثرة وطيبا . واهلها يكرمون النزير . وقد
اجتمعت مع ضابط احكامها الشرعية وهو تاجها وقاضيتها . والدرة التي وقع
بعد الاختبار اختيارها وتراضيتها . المنتخب من سلالة بني هاشم . والمرجو في
الاحكام القاضوية لتنوير ظلمة المطالم . المنخفض جنابا . والمرتفع انتسابا .
ابي الحسن علي طالما ثبت له في ميدان الاحكام حوزة السبق باطلاعه .
وتحركت دواحي الشوق الى لطيف مسامحته واجتماعه * وبحجوي قرطاجنة

جانب من قرى قرطاجنة هو اليوم المانوس المعبر عنه بالمرسى والمشهور في
 بديع النزاهة وبها البساتين المعروفة بالعبدلية ذات غياض ورياض طبقت
 الخافقين بصوع ضياعها . وفاخرت متنزهات البقاع بزاهر بقاعها . ولعت
 بها امراء تونس ولوعا بغير قصور . وشيدوا على رؤوس بساتينها اكاليل القصور
 وبها الماء العذب اللذيذ يوقى به على الراويات لدور الاكابر تمتعا *
 قال ابن الشباط وروي عن الثقة عبد الرحمن بن زياد بن انعم قال
 كنت وانا غلام مع عمي نمشي بأثار قرطاجنة ونعتبر بعجائبها فاذا بقبر مكتوب
 عليه بالحميرية - انسا عبد الله بن الاوسي رسول رسول الله صالح . وفي
 رواية بعضهم شعيب بعثني الى اهل القرية ادعوهم الى الله اتيتهم ضحى
 فقتلوني ظلما حسبيهم الله - . وقال اسحاق بن ابي عبد الملك الملشوني لم
 يثبت عندي دخول نبي لا فريقيته وقد دخلها حوارى عيسى عليه السلام .
 وبلد سليمان المذكورة هي في شرف من جزيرة شريك تنسب الى شريك
 العبسي احد عمالها في قديم الزمان وهو والد قرّة بن شريك والي مصر من
 قبل الوليد بن عبد الملك الذي يقول فيه الشاعر -

عجبا ما عجبت ممن اتانا حين امرت قرّة ابن شريك

وهذه الجزيرة لم تنزل معروفة بالخصب والبركة وهي كما قال الشريف
 حيث وصفها في كتابه طيبة مباركة ذات دارات متصلات وبركات وخيرات
 ومياه وغلات وبها الجملة ففيها خصب زائد على غيرها من الارضين . قال
 ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق في كتابه ولم تخل هذه الجزيرة من
 عابد وصالح وذكر ان عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب اراد ان يحدث على
 الناس مظالم من جملتها ان يرفع عنهم طلب العشر ويضع على كل زوج
 ثمانية دنانير اصابوا او لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس وقدم حفص بن
 حمير ومعه قوم صالحون من اهل الجزيرة وغيرها فاستاذنوا عليه وكان ابن
 الاغلب المذكور من اجمل الناس فكلّمه حفص بن حمير وقال له - اتق
 الله ايها الامير وارحم جمالك وشبابك فان النار امامك - فلم يجبه الى شيء

مما اراد واظهر الاستخفاف به وبمن معه فخرج حفص ابن حمير واصحابه
فلما صاروا ببعض الطريق قال لهم حفص انا قد ايسنا من المخلوق ولم
نياس من الخالق فلم يفتح باب الدعاء حتى فتح باب الاجابة فنزلوا واسبغوا
الوضوء وصلى بهم حفص ركعتين ودعوا على ابن الاغلب ان يمنعه الله مما
اراد من اذاية المسلمين ويكف عنهم جورة قال وبعد خمسة ايام خرجت
له قردة تحت اذنه فقتلته في اليوم السابع بدعائهم . قال وحكى المتولي
غسله قال كشفت عنه الثوب فوجدته قد عاد اسود كأنه زنجي بعد ذلك
الجمال العظيم . وذكر ايضا عن فضل ابن ابي العنبر وكان واليا على الجزيرة
قال تقدم غلماني مرة فنزلوا ببعض قصور الجزيرة التي على ساحل البحر
فادخلوا الى مسجد من مساجد القصر السبالي وادخلوا طيورا كانت معهم
وكلابا فوصل الى اسماعيل بن رباح من اهل الجزيرة وقال الا ترى ما فعل
غلمانك في بيت من بيوت الله تعالى قال فزجرتهم واخرجتهم وامرت
بإدبهم فنظر الي اسماعيل وقال حقن الله دمك قال فشهد فضل بعد
ذلك حروبا كثيرة وكان يقول والله لو سعت على لاسنة ما خرجت مني
مجمعة دم لان دعوة الرجل الصالح قد سبقت الي ومات فضل بعد ذلك
على فراشه . وبجزيرة شريك هذه اجتمع الروم عند دخول عبد الله بن سعد
ابن ابي سرح المغرب وتبادروا منها الى مدينة اقليبية وما حولها ثم ركبوا
منها الى جزيرة قوصرة وهي بين صقلية وافريقية وكانت اذ ذاك عامرة
فاقاموا بها على ما يقال الى خلافة عبد الملك بن مروان فاغزى عبد الملك
ابن مروان عبد الملك بن فطن في البحر فافتتح ما كان هناك من القصور
وقفل ظافرا * قال التيجاني وكانت جزيرة شريك هذه محتوية على بلاد
كثيرة اعظمها المنزل الكبير المعروف بمنزل باشق بالبساء المفردة والشين
المعجمة المشددة وكان بلدا كبيرا أهلا به جامع وحماسات واسواق عامرة
وبه كان قصر احمد بن عيسى القائم على بني الاغلب . وهذا المنزل الان
خراب لم يبق منه إلا مكانه . ويقال ان عمدة الجامع الذي كان به وهي

من الرخام المتحوت المحكم الصنعة نقلت في هذا الزمان القريب الى تونس فاقيم عليها جامع قصبته . وينسبون الى مدينته باشق هذه صلحاء وفضلاء منهم ابو عبد السلام مفرج بن بياضه * وفي تاريخ ابن شداد ذكر شدة ما انتهى اليه حال افريقية ايام استيلاء علي بن اسحاق الميورقي عليها فقال اخبرني ابو عبد الله بن عبد البر المهدوي وقد وصل الى دمشق في سنة اثنتين وخمسمائة قال فسالتهم عن احوال افريقية فقال هلك العباد وخربت البلاد ثم قال وساخبرك ببعض ما تستدل به على الحال - لما نزل علي ابن اسحاق على منزل باشق من الجزيرة وهو على بعض يوم من تونس ساله اهله لآمان فامنهم ودخل عسكره الى المنزل المذكور فانتهبوا جميع ما فيه وسلبوا اهله حتى ثيابهم التي تواريتهم وامتدت ايدي العبيد وجفات لآعراب الى البناء فاضطر اهله الى الفرار ففروا باجمعهم الى تونس ونزلوا بين سوريها فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فاهلكهم البرد والماء وحصر سن مات منهم بتونس فكانوا اثني عشر الفا . انتهى كلام ابن شداد على ما نقله التيجاني . قال وفي مياومة الفاضل البياسي ان الخبر وصلهم في جمادى الاخرى من سنة خمس وثمانين ان يحيى بن اسحاق الميورقي وابا زيد القرني دخلا الى جزيرة باشق بقرب من تونس واستاصلا اهلها فانتقلوا الى تونس ودخلوا حفاة عراة فمات منهم بالجوع والبرد والانقطاع نحو اثني عشر الفا . قال التيجاني هكذا ذكر الفاضل ان ذلك من فعل يحيى بن اسحاق وتقدم انه من فعل علي اخيه فيمكن ان تكون قضية واحدة وقع الغلط في نسبتها ويمكن ان تكون قضيتين وهذا هو الظاهر فان سنة اثنتين وثمانين على ما ذكر ابن شداد انما كان الامر فيها لعلي ابن اسحاق وولي اخوه يحيى والله اعلم . ومن تاريخ الفاضل المذكور ان الاجناد وصلت من الاسكندرية في سنة ثمان وثمانين وان قاراقوش الارمني عاث في جزيرة باشق وافسد نصرها ونصر صفاقس والمهدية . انتهى من التيجاني . وهذه الارض من منازل الرياحيين بني دلاج وهم فرقة من بني هوف بن سليم ولم تزل وفود لآعراب

عند وصولها من المشرق تنزع من بين يديها من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم الى ان حصلت لهم هذه الارض وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج في فعلها وعيشتها في البلاد واعلمها اشهر من ان نشير اليهم او ندل بعبارة مختصرة او طائلة عليهم . وانصف الله من الجرجاني لا قطع فهو الذي مكن العرب من الدخول الى هذه البلاد وعن مكره السيء نشأ بافريقية ما نشأ من الفساد فانهم كانوا قبل ذلك نازلين بصعيد مصر لا يحدثون انفسهم بالجواز الى هذه الارض الى ان نديهم الجرجاني الى ذلك وافرج لهم عن طريقهم فاض منهم اهل هذه البلاد بريقهم لحاجة كانت في نفسهم من افساد هذه البلاد . تعجل قضاءها ووجد الله تعالى بما فعله جزاءها . ويبقى تفصيل ذلك وسببه عند ذكر المعز بن باديس . وبحذاء جزيرة شريك في البر نحو الجنوب جبل زغوان وهو جبل منيف مشرف ويذكر انه يرى على مسيرة الايام الكثيرة والذي يعلوه يرى السحاب دونه وكثيرا ما يطر صفحه ولا يطر اعلاه . وبزغوان قرى عديدة اهلته كثيرة المياه والثمار والبساتين . قال ابن الشباط ذكر بعض المؤرخين انه كان بزغوان قوم من البربر عليهم عظيم من عظمتهم فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم . وبين زغوان وبين القيروان يوم الى الليل - فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل اسمه عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل اصحابهم وفتحها الله عز وجل على موسى فبلغ سبيهم عشرة آلاف رأس وكان ذلك اول سبي دخل القيروان في ولاية موسى . ثم وجه ابنه عبد الله الى بعض نواحيها فاتاه بمائة ألف رأس ثم وجه ابنا له يقال له مروان فاتاه بمثلها ثم توجه بنفسه فأتى بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين ألفا . وكتب موسى الى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك ويعلمه بان الخمس بلغ ثلاثين ألفا وهما من الكاتب فاستكثر ذلك عبد الملك وظنه وهما من الكاتب فراجع موسى بانه ظن الوهم من الكاتب وامره ان يكتب له بصحة الخمس دون وهم فكتب اليه موسى - بلغني كتاب الامير ابقاه الله يعلمني فيه انه استكثر

ما جاء من العدد الذي افاءه الله تعالى وانه ظن ان ذلك وهم من الكاتب
فقد كان ذلك وهما كما ظن الامير والخمس ايها الامير ستون الفا بغير وهم -
فامتلا عبد الملك سرورا *

الفصل الثالث من الباب الرابع

في فتح قرطاجنة

ولما غزا حسان بن النعمان قرطاجنة وكان بها خلق كثير وكانت دار
الملك بافريقية بعث الخيل اليها وكان البحر لم يخرق الى تونس وانما
خرق بعد ذلك وعملت دار الصناعة فالتقى الفريقان والتحمت الحروب
بينهم وضيق عليهم حسان وقتلهم قتالا شديدا فاجمع رايهم على الهرب
وكانت لهم مراكب قد اعدوها للهروب فخرجوا من باب يقال له باب
الغنى وارتحلوا باهليهم فمنهم من ذهب الى جزيرة صقلية ومنهم من ذهب
الى الاندلس . فلما انصرف حسان وعلم اهل بواديها تحصنوا بها فرجع
اليهم حسان وحاصروهم حصارا شديدا حتى دخلها بالسيف وقتلهم قتلا
ذريعا وارسل الى من حولها فامرهم بهدمها وكسر القناة التي كان ياتيهم الماء
عليها . ويقال ان حسان لما غزاها في ايام عبد الملك بن مروان وخربها
وكسر قناتها انه لما كان تحت الاسلام اذ ذاك بعيدا عنها والحالة ان
لموقعها من قلوب النصارى الموقع الاعظم لم يكن بهم غفلة عن احياء موانئها
ورجعهم لمواساتها ومهما راجعوها يضاعفون في تحصينها ويعسر فكها مرة
اخرى من ايديهم فعل بها ما فعل قطعاً لآمالهم والحالة ان وراءه فتوحات
اخرى ولا يليق به تشييت جنوده . وكانت تخلف منها قلعة تسمى المعلقة
سكنها قوم من العرب يعرفون ببني زياد لما طلع عبد المومن بن علي الى
تونس قبض على اميرهم محرز بن زياد وضرب عنقه . قال جامع عفا
الله عنه ولما وقع الفتح العثماني واخرج الله مدينة تونس من الظلمات الى
النور بسيف الاسلام المنصور حسبما ياتي تفصيله ان شاء الله تعالى في الباب
السابع مستوفى بحسب الامكان كان من راي اميرها والمتصرف في اوجه
تديرها

تدبيرها ان زاد حصنا عظيما بقلع حلق الوادي فاستعانوا بججارة الحنايا المذكورة واسسوا به قلعة يستعان بها على الذب عن بلاد الله عز وجل ولم يمكن توصلهم لهدمها إلا بالالغام لاحكام صنعها . ومما نقلته من خط استاذنا مفتي الانام ابي عبد الله محمد فتاتة رحمه الله تعالى —

نمتع من بقايا للحنايا بابدع منظر تصبو اليه
تامل صنع ارسنها البواقي وقد مر الفناء لها يديه
كسطر بعض احرفه وقوف وبعض لاح مضروبا عليه

الباب الخامس

في ذكر المحصرة التونسية وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول في فتحها

قال ابو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الشباط في كتاب صلة السمط وسمته المرط ما نصه : قال البكري رحمه الله دور مدينة تونس اربعة وعشرون الف ذراع واسمها في القديم ترشيش ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك تسمى مرساها مرسى رادس . وبشرقي مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها اربعة وعشرون ميلا في وسطها جزيرة تسمى شكلته مقدار ميلين تثبت الكلخ وبها اثار قصر خرب والمدينة في سفح جبل يعرف بجبل ابي صهر ويدور بالمدينة خندق صغير وكان لها سابقا خمسة ابواب واما في مصرنا هذا ففيها ثمانية ابواب بباب القصبته وهي مقر ملك المدينة في القديم ومجتمع جنده . ونقلت من خط استاذنا ابي عبد الله محمد فتاتة مفتي المحصرة التونسية رحمه الله ناقلا عن ابن الشباط بما ماخصه : والقصبته موضع اجتماع الاجناد وغيرهم وما كان ضيقا مستعليا مستظيلا كالصومعة وقصبته القرية وسطها وقصبه السواد مدينتها ولذلك سمي موضع الملك من المدينة قصبه وتجمع على قصاب كرقبة ورقاب . وكان بها قديما خمسة عشر حماما واما الان فما ينيف على الاربعين . وابواب دورها كلها بالرخام العجيب او الكدال وهي

مما بناه بنو أمية . ورايت في البشائر انه تلقى من كبار القسيسين ان في تاريخ تيتوليفيو احد المؤرخين الذين ارخوا بعد رفع عيسى عليه السلام ذكر مدينة تونس كلاها الله وانها كانت موجودة في اوائل الفترة . وذكر القسيس ايضا للميلي اسعده الله انه وجد في بعض التواريخ القديمة على زمن نبي الله سليمان عليه السلام ان مراكب قدمت من بيت المقدس لترشيش لاستجلاب خراجات هذه البلاد وبها متاجر منها ما جلبوه في ذلك الوقت اسنان الفيل وطيور الطاووس وان اتيانهم كان اذ ذاك من ترشيش . وقد شاع في السماع ان ترشيش من اسماء تونس . وذكر ايضا ان ترسيس بسينين مهملتين بينهما ياءٌ مثناةٌ تحتية هو اسم الذي كان اسس تونس وهو ترسيس ابن خوان ابن يافث . واستدل ايضا على قدمها بانه لما جهزت العمارة البحرية من صاحب رومية المدائن لحرب قرطاجنة وكان المقدم عليها ماركوس اتيليوس راغلوس استولى على مدينة تونس قبل قرطاجنة وكان ذلك في سنة ست عشرة وثلاثمائة وثلاثة آلاف من تاريخ العالم . وقال الشيخ ابو عبد الله محمد بن القاضي المقي أبي العباس احمد ابن الولي الصالح أبي عبد الله محمد المرجاني المتتالي شهر الشماع ما نصه : تونس مدينة اسلامية احدثت عام ثمانين من الهجرة . وذكر البكري ان حسان بن النعمان افتحها وذكر غيره ان زهير بن قيس هو الذي افتحها . قال ابو الحكم في سياق كلامه عن البلاذري : ولاية عبد الملك ابن مروان واستعماله اخاه عبد العزيز على مصر وان عبد العزيز ولي افريقية زهير بن قيس البلوي ففتح تونس ولعل فتحها كان مرتين فحصل الجمع بين الروايتين ونص البكري في سياقها ان حسان بن النعمان افتح مدينة تونس وانه قاتل النصارى بفحصها فسالم الروم ان لا يدخل عليهم وان يضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحمله واصحابه فاجابهم الى ذلك وكانت لهم سفن معدة من ناحية الباب الذي يقال له باب النساء فاحتملوا فيها اموالهم واهليهم ليلا وسلموا المدينة فدخلها حسان فحرق وخرب منها وبني فيها

مسجداً وابتقى بها طائفة من المؤمنين . وأشارت الروم من البحر على سن
كان بقي بها من المسلمين ونزلوا من المراكب وقتلوا سن فيها وسبوهم ولم يكن
للمسلمين حصن ياجأون اليه وإنما كانوا معسكرين فبلغ ذلك حسانا فرحل
الى تونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان
وكتب اليه بما نال المسلمين فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان عظم عليه
وكان معه من التابعين الجهم الغفير وصحابيان وهما انس بن مالك وزيد
ابن ثابت رضي الله عنهما فقالا للمسلمين - سن رابط يوما برادس فلم
الجنة - وقالوا لعبد الملك - ادرك هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو
ويكون لك ثوابها وأجرها فانها من البلاد المقدسة المرحوم اهلها وهي حرس
لعموده يريدون القيروان . وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق في
تاريخه ان علماء المشرق وفقهاء كتبوا الى اهل افريقية - سن رابط عنا
برادس يوما واحدا حججنا عنه حجة - كذا ذكره التيجاني في رحلته من تونس
حاجا سنة ست وسبع مائة . وفيها ايضا عند قوله انس بن مالك وزيد بن
ثابت قال هذا مما زاده ابو عبيد ولم يذكره الرقيق قال وهو كلام غير صحيح
فان زيد بن ثابت توفي في ايام مروان بن الحكم وهو الذي صلى عليه لا
خلاف في ذلك بين المؤرخين على الجملة وان اختلفوا في تعيين السنة ولم
يكن الوليد اذ ذاك خليفة على قول الرقيق ولا عبد الملك على قول ابي عبيد
بل لعل الوليد اذ ذاك لم يكن وليدا فانما تصح الرواية بذلك ان صححت
عن انس فقط فان وفاته تاخرت الى آخر ولاية الوليد . قال التيجاني
وانا اعجب من ابي عبيد على اتساع باعه وقوة حفظه للتاريخ والوفيات
كيف يتعرض لمثل هذا الخبر مع ظهور وهمه ووهيه . وروي ان بحر رادس
خرق به الخضر عليه السلام السفينة وان الملك الذي كان ياخذ كل
سفينة غصبا الجملندي ملك قرطاجنة فخرق الخضر عليه السلام السفينة
برادس وقتل الغلام بطيخ ويقال انها المحمدية . قال التيجاني في رحلته
كان هذا مخالفا لما ذكره المؤرخون من ان الانبياء عليهم السلام لم يدخل احد

منهم ارض المغرب ولكن خرج المحافظ ابو محمد بن عدي من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « فلما بلغنا مجمع بينهما » قال افرقيته . قال عبد الحق في الاحكام بعد ذكره لهذا الحديث يرويه محمد بن ابان بن صالح وكان من رووس المرجئة يتكلم فيه من اجل ذلك ومع ذلك فيكتب حديثه . قال الامام ابو الحسن بن القطان وفي سند هذا الحديث ايضا ممن لم ينسبه عليه عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو رواية عن محمد بن ابان اكثرهم يضعفه وكان احمد بن حنبل يرميه بالكذب ولم يوثقه إلا ابن معين . قال ابن القطان وخرج عبد الحق هذا الحديث موقوفا على ابن عباس وهو في كتاب ابي احمد ابن عدي الذي نقله عبد الحق منه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن القطان هكذا ذكره التيجاني قال ونحن انما وجدنا هذا الحديث فيما وقفنا عليه من نسخ الاحكام مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم لا موقوفا على ابن عباس فنقد ابن القطان هذا ساقط عنه . قال التيجاني وقول سن قال ان السفينة انما خرقت ببحر رادس وان الجدار اقيم بالمحمدية هو قول يخالفه اكثر المفسرين فعن بعضهم ان القرية التي استظعم اهلها برقة وعن بعضهم ان الجزيرة الخضراء بالاندلس وقال بعضهم انطاكية وعن بعضهم الايلة واهل الايلة معروفون بالبخل ويروى انهم اتوا الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فرغبوا اليه ان يثبت لهم في المصحف قوله سبحانه وتعالى « فابوا ان يضيفوهما » بالتاء المثناة * وامسام رادس على قرب منها الوادي المعروف بوادي مليان وعليه القنطرة الشهيرة ضخامة وارتفاعا والتونسيون يذكرون انها بنيت من مال رجل من الغرباء كان يتكفف الناس فيتصدقون عليه ولا يعلمون بحاله وسعة ماله الى ان توفي فوجد له مال ممدود فامر الامير ابو زكرياء ان يصرف في بنائها ، وقبلتها العين السخنة المعروفة في القديم بالحمة وتعرف اليوم بحمام الانف وماوها مفرط السخانة وهي موصوفة بابرء ذوي العاهات يطلبون الجلوس على مائها للتداوي . قال البكري

في المسالك وهذه الحمة جليظة في النفع تجربة . قال التيجاني وكانت قبل هذا محجورة عن الناس ببناء محقق بها ثم ابيحت بعد للناس والبناء المحقق بها باقى الى الان ومحلها انتهى الارض المعروفة بمرناق سميت باسم بعض سن ملكها من النصارى بعد افتتاح المسلمين لارض افريقية وكان ملكها لها بخديعة تمت له على حسان بن النعمان رضي الله عنه . وذلك ان مرناق هذا كان صاحب قرطاجنة فلما دخل المسلمون الى ارض افريقية وافتتح حسان رضي الله تعالى عنه مدينة تونس نهض لقتال مرناق فكان يغدو كل يوم اليه ثم يروح الى تونس وكانوا اذا غدوا للقتال قابلتهم الشمس فأذنتهم في اعينهم فكتبوا بذلك الى عثمان رضي الله عنه فامرهم بقتالهم بعد الزوال . فضاق الروم بها وكانت لهم سفن بباب النساء فحملوا فيها نساءهم واولادهم ليلا واسلموا المدينة ولم يبق بها إلا الملك المسمى بمرناق واهله وولده . فكتب الى حسان هل لك ان تعاهدني في اهلي وولدي واشترط لنفسى ما شئت من المنازل واسلم لك المدينة . ولا علم للمسلمين بفرار سن فر منها . فاجابه حسان الى ذلك فاشترط هذه الارض المسماة به لان وهي اذ ذاك قرى كثيرة ثم فتح المدينة فلم يجدوا فيها غيره فوفى له حسان بعهده واقام مرناق مالكا لهذه الارض * وكان من امر عبد الملك انه عندما سمع الحديث من الصحابييين كتب الى اخيه عبد العزيز بمصر ان يوجه الى معسكر تونس الف قبضي باهلهم وولدهم وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى تونس وكتب الى حسان بن النعمان يامره ان يبني لهم دار الصناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى آخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويغور منها على سواحل الروم فيشتغل الروم عن القيروان اعانة المسلمين وتحصينا لشانهم . فرحل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فاجرى البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجعل فيها المراكب الكثيرة وامر القبط بعمارتها . وقد تقدم ان عبيد الله بن الحبحاب بنى بها دار الصناعة فلعل سن روى ذلك يريد ان عبيد الله

جددها وزادها تحصينا . ويحكى ان عبد الملك مات بدمشق آخر سنته
ست وثمانين فتولى بعده ابنه الوليد ابن عبد الملك . ثم ان الروم اغاروا
على مرسى رادس وبلغ ذلك من المسلمين كل مبلغ . فكتب حسان الى
الوليد يعرفه بذلك وان علماء المشرق كتبوا الى اهل المغرب سن رابط عنا يوما
برادس حججنا عنه حجة وعظم قدر رادس عند العلماء وازدادت مكانتها
عندهم . ولما ورد الخبر على الوليد بعث الى عمه عبد العزيز وهو وال على
مصر وافريقية ان يوجه الف قبضي والف قبطية ويحملهم الى بلاد
افريقية وامره ان يخرق البحر الى تونس . وقيل ان الذي خرق البحر الى
تونس هو موسى بن نصير وانه لما امر بدار الصناعة وخرق البحر لتونس
عظم ذلك على الناس وقالوا هذا لا نطيقه فقام اليه رجل من مسلمي
البربر ممن حسن اسلامه فقال - ايها الامير قد اتت علي مائة وعشرون
سنة وابي حدثني ان صاحب قرطاجنة لما اراد بناء الحنايا اتاه الناس
فعظموا عليه ذلك فقال له رجل اذا وضعت يدك فيها بلغت اربك
منها فان الملوك باذن الله لا يعجزهم شيء لعزتهم فوضع يده فيها فبناها
وليس ما تريد باشد منها فضع يدك ايها الامير فان الله سيعينك على ما
نويت - . فسر بذلك موسى ووضع يده فبنى دار الصناعة فصارت ميناء
للمراكب اذا هبت الانواء والرياح . ثم امر بصناعة مائة مركب . قال
البكري ثم عزل عبد العزيز بن مروان حسان بن النعمان عن افريقية
وامره بالقدوم عليه ويقال ان الوليد اراد رده الى عمله فامتنع من ذلك
وحلف ان لا يعود . وكتب الوليد الى عمه عبد العزيز يامره ان يوجه الى
افريقية موسى بن نصير . وكان ذلك في سنة ثمان وثمانين فوجد اكثر
مدائنهم خالية لاختلاف امر البربر عليها فكان ينقل العجم من الاقاصي الى
الاداني وخرج غازيا الى جهة طنجة فوجد البربر قد هربوا الى المغرب من
العرب فتبعهم وقتلهم قتلا ذريعا وسباهم سبيا كثيرا حتى بلغ السوس الادنى لا
يدافعه احد . فلما راي البربر ما نزل بهم منهم استامنوا اليه وادوا الطاعة
فقبل

فقبل ذلك منهم وولي عليهم واليا استعمله عليهم ثم استعمل على طنجة
وبلاها طارق بن زياد مولا وتركه بها في سبعة عشر الف فارس من العرب
والبربر منهم اثنا عشر الف بربري والباقيون عرب وهذه العدة هي التي كان
جعلها عليهم حسان بن النعمان وكانوا قد دخلوا في الاسلام . فتركهم موسى بها
وانصرف بعسكر خاصة وكان في خلق عظيم وامر اعيان العرب الذين تركهم
عند طارق بن زياد ان يعلموا البربر القراءان ويفقهوهم في الدين . ثم رجع
الى افريقية فمر بطريقه بقلعة بجانة فتحصن منه صاحبها فرأى موسى
ابن نصير ان ليس عنده قدر ما يكفي من الرجال فلما نزل القيروان دعا
بشر بن ارطاط فعقد له وقدمه على اعنة الخيل وسيرة الى صاحب قلعة
بجانة والله اعلم . انتهى من ابن الشباط *

الفصل الثاني من الباب الخامس في مسجدها جامع الزيتونة وبعض ايمته ومدرسيه

جامع الزيتونة مسجد اذا بدا لك تبلج نوره اللامع . ايقنت انه الجامع
المفرد والمفرد الجامع . روض العبادة ومعبد الرياضة . بستان علوم زهر دوحاتها
الفتح وثمارها الافاضة . بحر بركات شحنت فلكها ببضائع الاسرار . وطور
عنايات يقتبس من جانبها نور المدد بالعشي والابكار . ما سرح ناظر المومن
في اثنائه . إلا امتلا علما من بادرآت ثنائه . يحكي بجماله اجمل عروس .
صيغ لها من معادن الطروس قلائد حلق الدروس . تحسب مدرسيها
اسود غياض . ودوائر تلامذتهم حياضا في رياض . تجدد النفوس فيه لانقياد
الطاعة . خير مطواعة . لا عيب فيه غير انه غدا بين اقارنه بمربنة
الصدر . واختص بان يشرح لواردية الصدر . فما ضاق صدر مهموم ودخله
إلا انفرج . وانفتحت له بلطيف عنايته ابواب الفرج . به اماكن اشتهرت
برجاء قبول الدعاء . فطوبى لمن اخلص ودعا * فمن المتواتر بين الافاضل
ان تحت الميزاب الملاصق للصومعة مكان يستجاب فيه الدعاء حدثني

كثير من الفضلاء ان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرى هنالك فاكروها
بها مزينة عظم شرفها ، وروضة علت بايدي البركات شرفها * ومنها الركن
الغربي عند الصف الاول تواتر النقل بين الفضلاء ان السيد الخضر عليه
السلام يلزمه ويعرف عند الناس بركن الخضر عليه السلام . وكثيرا ما
كنت اتمنى روياء لاستمد من عنايته حتى جلست عشية وتلوت لامية
لاستاذ شيخنا ابي عبد الله محمد فتاتته على عدد ابياتها وهي التي مطلعها —
اليك رسول الله بلغت امالى والقيت يا سولي بيا بك احمالي
ونستوفي ذكرها ان شاء الله تعالى في ترجمته . فبينما انا جالس اذا برجل
متقشف الحال عليه اطمار بيض ولحيته حمراء امتزجت شيبا قصد الركن
المذكور ووقف على قدميه حصاة طويلة ينظر الي كالمتعرف وانسى الله
من قلبي انه الخضر عليه السلام ثم التفت ورجع من حيث اتي فبعد
انفصاله انتهت كمن كان نائما . وبقيت من غفلتي هائما . ولكنني ايقنت
ان سوء اعمالي . صيرت افعالي كالافعى لي . واصبحت ثقل احمالي
بنار البعد احمى لي . واتباع ما كان اهوى لي حرك اهوالي . واوجب
بين الافاضل اعمالي . فليت وابل الدمع كان اهمى لي * ونقل ابن الشباط
عن القاضي عياض رحمه الله ما نصه — اضطرب العلماء في الخضر عليه
السلام هل هو نبي ام ولي واحتج سنن قال بنو عتبه بكونه اعلم من موسى اذ
يبعد ان يكون الولي اعلم من النبي وبقوله تعالى « وما فعلته عن امري »
لانه اذا لم يفعل عن امره فهو وحي وهذه هي النبوة واجيب بانه ليس
في الآية تعيين سنن بلغه ذلك عن الله تعالى فيحتمل ان يكون نبي غيره
امره بذلك . قال النووي حكى الماوردي فيه قولنا اننا انه ملك قال
ابو عمرو والقائلون بنبوته اختلفوا في كونه مرسلان قال فان قلت يضعف
القول بنبوته لحديث لا نبي بعدي قلت المعنى انه لا نبوة منشأة
بعدي ولا يلزم في عيسى عليه السلام حين ينزل فانه بعده ايضا . قال
النووي واما حياته فقال ابن الصلاح جمهور العلماء والصالحين على انه

حي وحكايات اجتماعهم به في مواضع الخير واخذهم عنه وسوالهم اياه
وجوابه لهم لا تحصى كثرة وبعض المحدثين انكر حكاياته . قال الشعبي
وقيل انه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القراء ان . قال الابي
حياته الطويلة جائزة وفيها حكايات لا تحصى كثرة فمنها حديث ام سلمة
من دخوله عليها وقوله صلى الله عليه وسلم لها « ذلك الخضر » . وما ذكر
في الحديث ان زوجته احدهما بيضاء والاخرى سوداء وانهما الليل
والنهار قال سمعت ابن عرفة يقول اخبرني سن اثق به انه رأى سن
رءاه قال فقلت لمخبري سل سن اخبرك انه رءاه ان يساله هل له زوجة
فقال سالت فذكر لي انه ساله فقال لي زوجتان سوداء وبيضاء ولم
يذكر الليل والنهار . وذكر ابن عرفة ايضا ان الشيخ الفقيه الصالح ابا
الحسن المنتصر رحمه الله ونفع به كان يقول يحضر كل يوم في المقصورة
الشرقية في اول قراءة السبع فاذا كثر الناس قام . وحكى ابن عرفة ايضا
ان رجلا كان يبيع التمر باسفل شرقي الجامع رطلين بدرهم فوقف عليه
انسان فساله كيف تبيع فاخبره فساله ان يزيد نصف رطل فابى فاكثر
مراجعته في ذلك فقال صاحب التمر انصرف او اخبر الناس بانك الخضر
فانصرف وتركه . وكان ابن عرفة يقول يحتمل ان الرجل من اهل الخير
فاخذ يداعيه . وقضية ابن العكة مشهورة بتونس وهي ان صبيا صغيرا
ملتوي الرجلين ظهرهما يلي الارض لعب مع الصبيان بالجامع ثم جلس
يبكي في جهة من الصحن فاتاه رجل فساله ما يبكيك فشكى له بحال
رجليه وان الصبيان استطالوا عليه فقال له ارنيهما فاراه فمسح عليهما
فبري وقام من حينه يلعب . قال ابن عرفة ولما قدم الامير ابو الحسن
ملك المغرب عام ثمانية واربعين - ولم يذكر المائتين كم هي - وملك تونس
وكان ابن عبد السلام وغيره من التونسيين وشيوخ المغرب الذين قدموا معه
يعملون له الميعاد بالقصبة فيجلس كل واحد منهم يوما اتفق ان ذكرت
قصة ابن العكة بمجلسه ذلك فامرني ان اتيه بالصبي وخصني بالامر

بذلك لاني كنت اصغر اهل المجلس فخرجت واتيت به من الربض
فساله فاخبره فاحسن اليه وصرفه . وقال ابو عبد الله محمد الشطيبي في
كتابه مختصر الجمان في اخبار الزمان ما نصه : واما الخضر عليه السلام
فكان والده من المالك واسم الخضر يامن واسم والده هلكان بن بالغ بن
عابر . وقال جمهور العلماء اسم والد الخضر عافيا بن سماجير بن اربا بن
علقم ابن عيص بن اسحاق وكان عامل ملك على الفرس وام الخضر عليه
السلام اسمها ولهته بنت فارس من ملوك فارس وكان مسيرة ما بين الفرس
وفارس ستة اشهر فلما سمع بها ملك الفرس خطبها من والدها فاعطاها له .
ثم ان الملك شغل ببعض جواريه عنها فادركها ما يدرك الناس من الغيرة
فهربت هي وحاضنتها وهي حبلى بالخضر فوضعت بالطريق والقتة في
مغارة واستودعته الله الذي لا تضيع لديه الودائع وانصرفت وتركت اربعة
احجار من الياقوت . فلامتها حاضنتها فقالت والله ما ضاع في كفالة ربي
شيء وما انصرفت عنه حتى اخضرت المغارة وما حولها بالخصب . وكان
بالقرب من المغارة راع فرأى الخضر فأتى بغنمه اليها فوجد الصبي وشاة
ترضعه فحملته والياقوت وتبناه ورباه فنشأ في اسرع وقت فادخل المكتب
فلم يسبقه احد في تعلم الخط الحسن . ثم ان اباة اراد ان يكتب صحف
ابراهيم عليه السلام فاطلق البحث عن الخطاطين فجاء الخضر عليه السلام
في جملتهم ومعه الشيخ الراعي الذي تبناه . ثم ان الملك لم ير في الكتاب
احسن منه وجها فقال للشيخ ان هذا الولد لا يشبهك في شيء فاصدقني
فيه فليس هو ابنك فقال له ايها الملك ان امتني صدقتك فامنه فاعلمه
القصة وانه وجد عنده الياقوت فعرف الياقوت وقال والله انه ولدي
وكان الملك قد كبر منه فاعطى الياقوت للشيخ الراعي واعطى المملكة لولده
الخضر . فلما ملك الله الارض كلها لذي القرنين صار له وزيرا فلما دخلوا
ارض الظلمة لطلب عين الحياة التي باكتاف الظلمة وجده الخضر فشرب
منه فهو حي الى خروج الدجال وهو الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه

الله ليفتن به من سبقث له الشقاوة وليس على وجه الارض من ولي إلا
 وله معرفته بالخضر فهو رئيس الاولياء ومقام الانتقاء . وقد عزى اهل بيت
 النبي صلى الله عليه وسلم عند موته فسمعوا صوته ولم يروا شخصه وذلك لما
 غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وكفن سمعوا قائلاً يقول من
 زاوية البيت - السلام عليكم يا اهل البيت ان في الله خلفاً من كل هالك
 وعوضاً من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا واحتسبوا -
 ثم دعى لهم وانقطع الصوت فعرف صوت الخضر علي وعمر رضي الله عن
 جميعهم وكانا قد لقياه وطلهما دعاء وذكر لهما فيه ثواباً عظيماً فسمياه دعاء
 الخضر وهو لمن قاله دبر كل صلاة مغفرة ورحمة وهو « يا من لا يشغله سمع
 عن سمع (وفي رواية شان عن شان) ولا تغلظه المسائل ولا يهرمه الحاج
 المالحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك » ذكره ابن ابي الدنيا في كتاب
 الهوائف وأنه والياس يلتقيان كل عام في الكعبة ويقولان عند افتراقهما -
 بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله بسم الله ما شاء الله كل نعمة
 فمن الله ما شاء الله توكلت على الله حسبنا ونعم الوكيل - . وأما الياس
 عليه السلام فهو يونس بن متى وكنيته ذو النون وسبب حياته أن الله تعالى
 لما كشف العذاب عن قومه متعهم الى حين فهو حي فبوحى اخبر به رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وانما الخلاف في حياة قومه وهو المشهور . قال انس
 غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة واذا بصوت
 يقول - اللهم اجعلني من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها
 المتوب عليها المستجاب لها - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا هذا
 الصوت فدخلت الجبل واذا برجل ابيض الرأس واللحية عليه ثياب بيض
 طويل جداً فلما رآني قال لي انت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قلت نعم قال لي ارجع وقل له اخوك الياس يريد لقاءك فاعلمت
 النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثنا طويلاً ثم نزل عليهما شيء من
 السماء شبه الصفرة فدعيت فاكلت معهما فاذا فيها كمأة ورمان وثرس فلما

أكلت قمت وتتحيت وجاءت سحابة فرفعتهم وأنا انظر وهي تهوي به
 قبل الشام فسالت النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم عن ذلك الطعام فقال يأتي
 به جبريل لآلياس عليه السلام كل أربعين يوما فهو يأخذ منه ما شاء
 ويتناول في كل حول ماء زمزم وقد رايتهم على زمزم * ومن المتواتر أيضا
 أن بالركن الذي يقابله من ناحية المشرق كثيرا ما يرى سيدي عبد
 القادر الجيلي وكثيرا ما تغرد الأفاضل فيه بأحياء الليل فيرون من الأسرار
 ما يبهر العقل . قال جامعهم عفا الله عنه ولقد أخبرني الشيخ حمودة
 العامري نائب الجامع المذكور الآن عن أماكن الإجابة بالبيت المبارك
 جامع الزيتونة فقال أن أبا الفضل القصار رحمه الله تعالى كان أخبره
 أنه رأى بخط بعض الفضلاء أن بالجامع المذكور أحد عشر موضعا يستجاب
 عندها الدعاء منها الخلوة التي تحت الميزاب المحاذية للصومعة . ومنها ركن
 الخضر عليه السلام . ومنها الركن الذي يقابله من جهة الشرق وينسب
 للاستاذ سيدي عبد القادر الجيلي . ومنها الدعاء بين حافتي المحراب .
 ومنها الدعاء عند سارية الممر الحمراء التي تقابل الختمة . ومنها الدعاء
 بالمحل الذي يروى به البخاري وهو المعروف بباب الشفاء ومنها سارية
 زرقاء يغلب بياضها على زرقتها من جهة الباب الشرقي وتنسب للاستاذ
 سيدي محرز وكان شيخنا أبو عبد الله محمد فتاة إذا دخل المسجد لا
 يجلس إلا عندها . ومنها في المسكبة الأولى تحت نخلة النحاس التي في
 السقف من جهة المنبر . ومنها رخامة عند باب البهور تحت البرطال بها
 صورة قربة . ومنها محل في المجنبة التي تفتح للغرب محل معلوم لذلك .
 ومنها خلوة السيد الخضر بالصومعة * وأن كان به بالزمن السابق أعيان
 فضلاء من المدرسين فإنه اليوم على أضعاف ما كانت الدروس بنحو ستة
 أو سبعة أضعاف من مدد هذا الأمير الأسعد والحاكم الارشد * وعبيد الله
 ابن الحبباب هو الذي أسسه وبناء سنة أربع عشرة ومائة . ومما اتفق
 فيه أنه مفرد جامع وتاريخه « جامع » * وقال شيخنا أبو العباس أحمد

برناز في شهبه ما نصه : وفي مخطوطي ان الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قال في بعض كتبه وجامع الزيتونة ببلاد المغرب مما يلحق بالمساجد الثلاثة * واخبرني بعض اخواني عن سيدي سعيد الشريف رحمه الله تعالى انه حدثهم ان نوحا عليه السلام لما كان في السفينة على الطوفان وقفت به يوما وسط البحر فادعى الله اليه ان تلك بقعة يقال لها جامع الزيتونة فلما دخلها الصحابة وجدوا الرهبان في صومعتها لان صومعة الجامع قديمة كانت للرهبان . ثم ان حمودة باشا ابن مراد باي زاد في طولها البناء الذي بالحجر الاحمر والاقواس التي فوقه كل ذلك حادث بعد البناء الاول . وكان قبله الصومعة محل محصن بالحجارة والشوك فسال الصحابة اولئك الرهبان عن سبب ذلك فقالوا لهم انا كل ليلة نرى نورا من ذلك المحل ساطعا لعنان السماء فوضعنا ذلك صونا له من الكلاب ان يقدروا في ذلك المحل واتفق ان كان ذلك المحل هو المحراب * ومن غريب ما اتفق في هذا الجامع انه لم يقع فيه الجمع بين الصلاتين ذكر ذلك ابن الشباط في حاشيته على مسلم ناقلا ذلك عن الابي عند قوله كان يجمع بين الصلاتين ما نصه : الجمع على المشهور من ان الجمع جائز فهل فعله ارجح من تركه وهو قول اللخمي والاكثر ان تركه ارجح وهو ظاهر ما لابن رشد لانه علل قول مالك ارجو لمن صلى في بيته لمطر او اذى بطريقة انه في سعة فان فضل الوقت اكد من الجماعة . ومما نقل من الاكثر من ان الجمع ارجح هو ما لم يجز العرف بتركه في موضع كما اتفق بالجامع الاعظم بتونس فانه لم يسمع انه جمع به قط . وقيل في علة ذلك انه لا بد فيه من الاذان للاعلام بدخول الوقت . ومن كلمة الاذان - حي على الصلاة - ولا صلاة كان ذلك كذبا . والصواب في التعليل انه لعدم جريان العرف بذلك . وقال الابي وكان الشيوخ يمنعون ان يصلى الفجر على الصحن الاعلى شرقي الجامع الاعظم بتونس الذي توضع به الاموات . ويقال ان المقصورة التي يجلس بها المحتسب انما بنيت ليصلي

فيها النجرات جاء والامام يصلي . وقال - فان قلت الصحن المذكور اجاز الشيوخ ان يمر به الجنب وان يقف به سن ينتظر الصلاة على الجنائز واذا لم يكن له حكم الجامع في ذلك فانه يجوز ان يصلي النجرات به سن جاء والامام في الصلاة - قلت لا يلزم لانهم لا يمنعون الفجر به لان له حكم المسجد بل لقربه منه القرب الذي يسمع منه قراءة الامام اذا صلى في الصحن فتناوله النهي لمحدث « اصلان معا » وقال ابو عبد الله محمد العبدري في رحلته لما وصل به الذكر الى جامع الزيتونة ما نصه : وهذا الجامع من احسن الجوامع واتقنها واكثرها اشراقا ودائر صحنه مستطاف ووسطه فضاء قد نصبت فيه اعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدار وشدت اليها حبال مهيئة في حلق من حديد مهيئة فيها وفي السقوف شدا محكما فاذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شقق الكتان المطبقة الموصولة حتى تظل جميع الفضاء - ذلك دأبهم فيها حتى ينصرم وقت الصيف . اهـ . وكان دخول العبدري سنة ثمان وثمانين وستمائة . قال جامع عفا الله عنه واما لان فقد انقطعت تلك الاعمدة والشقق المذكورة . وفي عام سنة عشر وسبعمائة امر السلطان ابو يحيى زكرياء بعمل ابواب من خشب وعوارض منه للبيت فعملت على ما هي اليوم وكان ذلك في شهر رمضان من العام المذكور وكتب تاريخ ذلك على باب البهور . ولقد اذكرني اسم جامع الزيتونة تقييد مناسبة وجدتها بخط شيخنا ابي عبد الله محمد فتااته في ما هو محلي بالتورية وهو قول الشاعر —

جمعت هوى طيبي وقد كان جامعا لزيتونة من فوق اغصانها استوى
ايا جامع الزيتونة الفاتن الورى تفضل بمعروف على جامع الهوى
وقد اختلف في حكم التحضير الذي يفعله مودنو هذا الجامع الاعظم
فقد حكى ابن عرفة عن شيخه ابن عبد السلام قال رايت امام الجامع
الاعظم وقد سالت امرأة ان يدعو لولدها الاسير وذكرت عظيم مصابه في
الاسر واتفق ان سالتهم والمودنون يحضرون فقال - الذي اصاب الناس في

هذه البدعة اشد مما اصاب ولذلك - وكان ابن عرفة يرى جواز التحضير .
وفي سنة ست عشرة وسبعمائة ولد الاستاذ العلامة ابو عبد الله محمد بن
عرفة احد ائمة الجامع المذكور وصحبه عناية العلم والتوفيق حتى استقل
بمنبر الجامع المذكور . ومن اشتهر بصحبته احمد المريض شارح عقيدة
الضرير ذكره ابن بابا . وكانت ولايته له سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة .
ومما انشده الابي رحمه الله تعالى لاستاذه الامام سيدي محمد بن عرفة
نفعنا الله بهما قولهم —

إذا لم يكن في مجلس الدرس نقطة وتقرير إيضاح لمشكل صورة
وعزو غريب النقل أو فتح مقفل أو أشكال أبدته نتيجة فكرة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد وإياك تركا فهو اقبح خـ
قال الأبي وقلت في جواب أبياتهم هذه —

يَمِينًا بَمَنْ أَوْلَاكَ أَرْفَعُ رَتَبَتَهُ وَزَانَ بِكَ الدُّنْيَا بِأَكْمَلِ زِينَتِهِ
لِمَجْلِسِكَ أَعْلَى كَفِيلٍ بِكُلِّهَا عَلَى حِينٍ مَا عَنْهَا الْمَجَالِسُ وَلِتُ
فَأَبْقَاكَ مَنَّ رَقَاكَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً وَلِلدِّينِ سَيْفًا قَاطِعًا كُلَّ فِتْنَةٍ

قَالَ وَأَنِّي لِبَارٍ فِي قِسْمِي هَذَا فَلَقَدْ كُنْتُ أَقِيدُ مِنْ زَوَائِدِ الْقَائِمِ وَفَوَائِدِ
أَبْدَائِهِ عَلَى الدُّوَلِ الْخَمْسِ الَّتِي تَقْرَأُ بِمَجْلِسِهِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالدُّوَلِ
الثَّلَاثِ الَّتِي فِي التَّهْذِيبِ نَحْوِ الْوَرَقَتَيْنِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكُتُبِ قَدَسَ
اللَّهُ تَعَالَى رُوحَهُ . وَشَهِدَ ذَلِكَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ تَوَالِيفُهُ وَنَاهِيكَ بِمَخْتَصَرِهِ فِي
الْفَقْهِ الَّذِي مَا وَضَعَ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَهُ لَصُبْطِهِ فِيهِ الْمَذْهَبُ مَعَ الزِّيَادَةِ الْمَكْمَلَةِ
وَالْتَنْبِيهِ عَلَى الْمَوَاضِعِ الْمَشْكُوتَةِ وَتَعْرِيفِ الْحَقَائِقِ الشَّرْعِيَّةِ . انْتَهَى مَا نَقَلَهُ
ابْنُ بَادِيَسٍ عَنْ أَبِي . وَذَكَرَهُ أَبُو حَاسِمٍ بْنُ ظَهِيرَةَ فِي مَعْجَمِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ
جَمِيلًا . قَالَ وَقَرَأَ بِالرُّوَايَاتِ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَسَنِ بْنِ
سَلَمَةَ وَغَيْرِهِ وَبَرَعَ فِي الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَالْبَيَانِ وَالْمَعَانِي وَالْقَرَاءَاتِ
وَالْفَرَائِضَ وَالْحِسَابَ وَسَمِعَ مِنْ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ الْهُوَارِيِّ الْمُوطَا وَالْفَقْهِ وَالْأَصُولَ
وَمِنْ الْوَادِيَّاشِيِّ الصَّحْبِيِّينَ وَكَانَ رَأْسًا فِي الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ مُلَازِمًا لِلشُّغْلِ

بالعلم رحل اليه الناس وانتفعوا به ولم يكن في المغرب من يجري بجراه في التحقيق ولا سن اجتمع له في العلوم ما اجتمع له وكانت الفتيا تاتي اليه من مسافة شهر وله مولفات مفيدة . وحكى البدر الدمايني في حاشيته على المغني قال كنت يوما بمجلس شيخنا ابن عرفة وذلك عند قدومه الى الاسكندرية في شهر رمضان المعظم من سنة اثنتين وتسعين وسبعمئة وانا اقرا عليه درسا في كتاب الحج من مختصرة وكان شخص من الطلبة الموسومين بالتمشديق والاكثر بما لا يجدي حاضرا في المجلس فمر موضع من كلام الشيخ عاد فيه ضمير على المضاف اليه فقال ذلك الشخص - كيف اعدتم الضمير على المضاف اليه والنحويون بخلافه . فاجابه الشيخ فورا - قال الله تعالى - كمثل الحمار يحمل اسفارا . قال البدر وفيه من اللطف ما لا يخفى . والحال ان النحويين يقولون ان وجد ضمير يمكن عوده الى المضاف او المضاف اليه فعوده الى المضاف اولى لانه المحدث عنه ولم يمنع احد منهم عوده الى المضاف اليه . انتهى من ابن باديس . وقال السيوطي رحمه الله تعالى في طبقات النجاة محمد بن محمد بن عرفة الوريثي التونسي المالكي امام علامة ولد بتونس وقرا بالروايات وبرع في الاصول والفروع والعربية والمعاني والبيان والفرائض والحساب وسمع من ابن عبد السلام الهواري الموطا واخذ عنه الفقه والاصول ومن الوادياشي الصحيحين وكان رأسا في العبادة والزهد والورع ولم يكن بالمغرب من يجري بجراه بالتحقيق ولا سن ادعى ولا سن اجتمع له في العلوم ما اجتمع له وكانت الفتيا تاتي اليه مسيرة شهر مات سنة ثلاث وثمانمئة ولم يخلف بعده مثله وولد سنة عشر وسبعمئة . قال ابو العباس احمد برناز واظنه قال فيه ايضا لم ير الراعون مثله ولا رأى هو مثل نفسه . قال وسمعت من شيخنا العلامة سيدي احمد بن عبد العظيم الزواوي رحمه الله تعالى انه نقل عنه انه كان يقول - مقاعد الطلبة في الدروس يقضي لهم بها عند التشاحح . وكان في زمنه رحمه الله من تلامذته الشيخ لا بي قدم التراويح ليلة قبل العشاء

العشاء ليجمع به تلك الليلة فلما انفصل عن صلاة التراويح لقيه فقال له الامام سن نوبت وكان لابي اماما بجامع الهراء فقال له قدمتها فقال له كنت اظنك اورع من هذا وكنت اظن اني اذا مت اخلق سن يوخذ عنه العلم بعدي . ونقل ابن الشباط في حاشيته على مسلم ان لابي قال ومضى عمل الشيوخ بالجامع لاعظم من تونس على قراءة سورة السجدة في صلاة الصبح من يوم الجمعة ولا اكثر من جماعته وذلك لامن التخليط لتقرر العادة بذلك حتى صار ترك قراءتها موجبا للتخليط . وقال ويحكى ان الشيخ ابن عبد السلام لا يقرأ سورة في الصلاة فيها سجدة من غير العزائم مخافة اذا لم يسجدها على المشهور يقع في مخالفة القول بالسجود فيها قال الشيخ افعله في النجم اي لا اقرا بها لذلك حتى اخبرني سن اثق به انه راي والدي في المنام وقال له قل له يقرأ بها فصرت بعد ذلك اقرا بها في الصبح . ووجد بخط الامام ابن مرزوق ونحوه في نوازل البرزلي ان الشيخ الولي الصالح الزاهد ابا عبد الله محمد الدوكالي رحمه الله كان بمدينة تونس في حدود السبعين والسبعمئة فكان لا ينتسب للخلق ولا يخالطهم ولا عامتهم ولا خاصتهم ولا يحضر الجماعة ولا الجماعات ولا يصلي مع الناس في الجوامع في جماعة فرموة بالزندقة وشنع عليه الامام الاوحد ابو عبد الله محمد بن عرفة اقبح التشنيع وصار يبحث عن امتناعه من الصلاة مع الناس لماذا فقل له انه انما امتنع لاختلاف الايمته الاجرة على الصلاة فزاد بذلك اغلاظا في القول والنشيع وتبعه العامة والخاصة في ذلك فرحل الامام ابو عبد الله الدوكالي الى المشرق فارا بنفسه فكتب الامام ابن عرفة كتابا لاهل مصر الى ان قال لهم يخبرهم بشانه —

يا اهل مصر وسن في الحكم شاركهم تنبهوا لقبيح معضل نزلا
لزوم فسقكم او فسق سن زعمت اقواله انه بالحق قد عدلا
في تركه الجمع والجمعات خلفكم وشرط ايجاب حكم الكل قد حصلا
ان كان شانكم الشقوى فغيركم قد باء بالفسق حتى عنه ما عدلا

وان يكن عكسه فالامر منعكس قولوا بحق فان الحق معتدلا
فاجتمع العلماء والفقهاء من اهل مصر وما والاها وامتنحوا القول غايته
الامتحان فاجابوه على ما كتب لهم في شانه —

ما كان من شيم الابرار ان يسموا بالفسق شيئا على الخيرات قد جبلا
لا لا ولكن اذا ما ابصروا خللا كسوة من حسن تاويلاتهم حللا
ليس قد قال في المنهاج صاحبه يسوغ ذاك لمن قد يختشي زلا
كذا الفقيه ابو عمران سوغه لمن تخيل خوفا واختشى خللا
وقال فيه ابو بكر اذا ثبت مكانة المرء فليترك وما عملا
وقد روينا عن ابن القاسم العنقي في ما اختصرنا كلاما اوضح السبلا
ما ان ترد شهادات لشاركمها ان كان بالعلم والتقوى قد احتفلا
نعم وقد كان في الاعلى منزلة سن جانب الجمع والجمعات واعتزلا
كمالك غير مبد فيه معذرة الى الممات ولم يلئم وما عذلا
هذا وان الذي ابداه متضح اخذ الايمة اجرا منعه نقلا
وهب بانك راء حله نظرا فما اجتهدك اولى بالصواب ولا

انتهى من شرح ميارة على المرشد . وذكر ابن غازي رحمه الله في سنده
بالقية ابن مالك اخبرنا ابو عبد الله الى ان ذكر في سلسله ابا عبد الله محمد
ابن عرفة رحمه الله تعالى فقال انه لما تولى الخطابة بالجامع المذكور اباه
اهل تونس لانه ليس من مدينة تونس الى ان اشترطوا شروطا فقبلها . منها
ان لا ياكل الثين لعسر الانقاء منه فقتل من فضل الله ما اكلته قط ومنها
ان لا يمشي في الارض حافيا فقال لا اتركها ولا في المسجد ويقال انه هو
الذي ابتكر مداس الحلفة يمشي به في المسجد للخروج الى الصلاة على
الجنائز الى اليوم . واول مرة رقي المنبر قال ايها الناس —

يرفع الدهر اناسا بعد ان كانوا سفاسا

من له في الغيب شيء لم يميت حتى يناله

توفي رحمه الله تعالى في الرابع والعشرين من جمادى الاخرى سنة

ثلاث وثمانمائة ودفن بجبل الجلاز تحت جبانة الشيخ الصالح ابي الحسن المنتصر . وابو الحسن هذا نقل عنه ابن الشباط في حاشيته ناقلا عن ابي قال ذكر ابن عات في الطرر عن ابن شعبان ان السمكة اذا وقعت في سفينة فهي لمن وقعت عليه وكان ابن عرفة يقول في السمكة لاظهر انها ان كانت بحيث لو لم ياخذها سن سقطت اليه لنجت بنفسها لقوة حركتها وقربها من البحر فهو كما قال ابن شعبان وإلا فهي لرب السفينة الى ان حكى عن طاهر المروزي قال قدمت في قارب من رادس من دفينه كنا بها ومعنا في القارب الشيخ الصالح ابو الحسن المنتصر فوقع في نفسي ان قلت اللهم ان كان هذا الشيخ وليك حقا فاجعل سمكة تخرج من البحر تسقط عندنا في القارب فخرجت السمكة فسقطت الينا فابتدرها غيري فقلت انا احق بها وذكرت لهم السبب وما وقع في نفسي فاخذتها . وكان عمر ابن عرفة سبعا وثمانين سنة واشهرها ولذلك قال في ابيات وخمسها في حياته فليذه الامام الرملي وهي —

علمت العلوم وعلتهم ——— ونلت الرئاسة بل حزتها
وهاك سنيني عددتهم ——— بلغت الثمانين بل جزتها
فهان على النفس صعب الحمام
فلم يبق لي في الورى رغبة ولا في العلا والنهى بغية
وكيف ارجي ولو لحظت ——— وعاهد عصري مضوا جملة
وعادوا خيالا كطيف المنام
ونادى الردى بي ولا لي مغيث وحث المطية كل الحثيث
واني لراج وحي ائيس ——— وارجو به نيل صدق الحديث
بحب اللقاء وكرة المقاسم
فيارب حقق رجاء الذليل فيحظى بدارك عما قليل
فيمسي رجاءى بموتى كفيل وكانت حياتي بلطف جميل
لسبق دءا ابي في المقاسم

وفي كتاب ذيل الديباج وحلية الابتهاج في طبقات المالكية وذكر كمالانهم
 البهية تأليف الشيخ العلامة ابي عبد الله محمد بنذر الدين بن يحيى بن
 عمر بن يونس الانصاري القرافي المالكي رحمه الله ما نصه : محمد بن
 محمد الورغمي الشهير بابن عرفة ذكره ابن فرحون ووصفه بالامام العلامة
 شيخ الاسلام وشيخ الشيوخ وبقية اهل الرسوخ وذكر عدة من مشايخه وذكر
 من مولفاته مختصرة الفقهي ومختصرة في علم الكلام ومختصرة في علم المنطق
 ومختصرة النحوي وذكر مولده سنة ست عشرة وسبعمائة ولم يذكر وفاته .
 قال القرافي ذكر ابو الطيب محمد بن احمد بن علوان في التعريف
 بمشايخه ما نصه : ومن شيوخه بتونس ايضا الشيخ الامام العلامة الصالح
 المدرس الخطيب المفتي المحقق الحاج ابو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة
 الورغمي رحمه الله ورضي عنه فاز من كل علم باوفر نصيب . وحاز في
 الاصول والفروع السهم والتعصيب . ورمى الى هدف كل مكرمة بسهم
 مصيب . واطلعت سماء افادته دراري علم غيهم وابل ومرعاهم خصيب .
 فمفنته بعد موته دائمة . وتلامذته واوقاته قائمة . اذا مات الانسان
 انقطع عمله الا من ثلاث . جمع بين طرف العلم والعمل . وشغل اوقاته
 بالخير فليس وقت منها بمهمل . وعمر ايامه بالصيام ولياليه بالركوع
 والسجود . وجاهد هجوم النوم وءاثر التهجد على الهجوع والهجوم . ونقل
 السخاوي في الضوء اللامع ان شيخ الاسلام ابن حجر وصفه بشيخ الاسلام في
 المغرب . واما ابن عمار فذكر انه اجتمع به في سنة ثلاث وتسعين
 وسبعمائة وقال واخذ عنه المصريون وهو امام حافظ وقته تفقه بمذهبه
 شرقا وغربا انتهت الرئاسة اليه بقطر المغرب اجمع في التحقيق والفنون
 والمشاورة مع خشونة جانبه وشدة عارضته وبراءته من المداهنة وحرزة من
 المحاشنة . قال القرافي وتأليفه تدل على رسوخ قدمه وتقدمه . اما مختصرة
 الفقهي فقد ضم فيه فروع المذهب موشحا بالمناقشات النفيسة لابن الحاجب
 وشرحه لشيخه ابن عبد السلام بنقول اهل المذهب مُصَدِّراً جميع الابواب
 بالحدود

بالحُدود البديعة التي تقف فحول العلماء عند دقائقها وافرد لها بالشرح
 البديع العلامة محمد الرصاع واما مختصرة المنطقي فشحنه بالاعتراضات
 على امثال ذلك الفن ومختصرة الكلامي عارض به طوابع البيضاوي . ونقل
 القرافي عن السيوطي في ترجمته ابي حامد بن ظهيرة ان صاحب الترجمة
 كان راسا في العبادة والزهد والورع ملازما للشغل بالعلم رحل اليه الناس
 وانتفعوا به ولم يكن في المغرب من يجري مجراه في التحقيق ولا من اجتمع
 له في العلوم ما اجتمع له وكانت الفتوى تاتي اليه من مسافة شهر ولم
 يخلف بعده مثله . قال السيوطي وغيره وتوفي ليلة الخميس الرابع
 والعشرين من جمادى الاخرى سنة ثلاث وثمانمئة وكانت مدة عمره
 نحو من سبعة وثمانين سنة . وفي تفسير المسيلي في سورة الاحزاب ما
 نصه : وتهذبت بين يديه طائفة من الاعيان كابي عبد الله محمد الابي
 والمشدالي والوانوفي وابن ناجي وغيرهم . قال القرافي وقد زاد على ما
 ذكره صاحب الاصل العلامة احمد بن علوان في اجازته لابن مرزوق من
 تأليف صاحب الترجمة نظم قراءة يعقوب بروايي الداني وابن شريح
 ونظم تكملة القصد لخلف ابن شريح وآخر في اصول الفقه . وزاد العلامة
 علي بن محمد الشريف التلمساني تلميذ ابن غازي في حاشيته على الشفاء
 ان له تفسير الكتاب العزيز . قال واخبرت انه بمكة بالمدرسة الشراعية
 وله نظم وسط وفي نظمه ما يدل على انه ناف على الثمانين وهو موافق
 لما ذكره السيوطي وغيره وذلك قوله على ما نقله عنه غير واحد من طلبته
 لاعيان منهم الرصاع آخر شرحه للحدود قال ما نصه : ومن احسن ما
 ختم به شعرة ذكره في آخر عمره المبارك في آخر عام ثمانية وتسعين وسبعمئة
 قال بعض تلامذته انشدنا الشيخ رحمه الله - بلغت الثمانين النخ -
 وجري بينه وبين شيخه ابن عبد السلام وحشة هجر مجلسه فيها حكاة
 البرزلي في فتاويه في مسألة دار قدامة لطيفة *

حكى ابن غازي في كتاب التعلل برسوم الاسناد عن شيخه ابي عبد الله

الصغير انه بلغه ان صاحب الترجمة كان يقعد للتدريس بمدرسته بتونس
من بعد صلاة الغداة الى الزوال وكان يقرأ فيها فتون يبتدئها بالتفسير وان
ابا عبد الله بن مرزوق اول ما دخل عليه وجده يفسر هذه الاية - وسن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له - فكان اول ما افتتحه به ان قال هل
يصح ان تكون سن هاهنا موصولة فقال ابن عرفة كيف وقد جزمت فقال
جزمت تشبيها لها بالشرطية فقال له ابن عرفة انما يقوم على هذا بنص
من امام او شاهد من كلام العرب فقال اما النص فقال ابن مالك في
التسهيل كذا واما الشاهد فقولہ -

فلا تحفرون بشئاً تريد أخاً بهــــا فانك فيها انت من دونه تقع
كذلك الذي ينبغي على الناس ظاهراً تصبه على رغم عواقب ما صنع
فقَالَ ابن عرفة فانت ابو عبد الله بن مرزوق قال نعم فرحب به .
انتهى من القرافي رحمه الله تعالى . وكان اماماً في العلوم صنف في كثير
من مهماتها والغالب على كلامه الاختصار واعتنى في آخر عمره بالفقهاء
وكان معنياً بالمدونة غاية ملازمة لنظرها محتجاً بها قرا الفراءان العظيم في
صغره على ابن سلامة من طريق الداني وابن شريح وعلي ابن يزال من
طريق الداني وقرا اصول الفقه على ابن غلبون واصول الدين على ابن
سلامة وابن عبد السلام وقرا النحو على ابن نفيس والمجدل على ابن الحباب
والفقه على ابن عبد السلام وقرا المعقول على الشيخ الابلي وكان يشني عليه
كثيراً هو والشريف التلمساني وكان يحبا في الامور الدينية والدنيوية وابتدا
تصنيف المختصر عام اثنين وسبعين وسبعمائة وكمله عام ستة وثمانين
وسبعمائة وجم عام اثنين وتسعين وسبعمائة واستخلف على امامة جامع
الزيتونة والفتيا قاضي الجماعة تلميذه الشيخ ابا مهدي عيسى الغبريني وعلى
الخطابة بالجامع المذكور الفقيه المقرئ ابا عبد الله محمد البطرني وعاد
من الحج في جمادى عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة وقال ابو العباس احمد
ابن بابا بن احمد بن احمد بن عمر بن محمد التنبكي رحمه الله في كتابه

كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج محمد بن عرفة الورغمي التونسي
 امام المغرب وشيخ الاسلام العلامة المحقق القدوة النظار العالم المبعوث على
 راس المائة الثامنة حسبا ذكر السيوطي في نظمهم رحمه الله واثى عليه في
 الديباج قال الرصاع هو شيخ الاسلام الامام الاعلم القدوة الصالح الفهامة
 البركة الحاج الانزه الاكمل كان والده خيرا صالحا متعبدا جاور بالمدينة
 الشريفة على ساكنها الصلاة والسلام ولازمها حتى توفي وكان يدعو اواخر الليل
 لولده بعد تهجده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول - يا نبي الله
 محمد بن عرفة في حماك - يقوله كل ليلة فصحبه اللطف الجميل في حياته
 وظهرت عليه اثار البركة بعده وكان ابوه صاحب جد وولاية ينال عصا
 الخطيب لولي الله خليل المكي فاذا ناوله يقول - يا سيدي ادع الله
 لمحمد ولدي فكانت له بذلك الكرامات قال الشيخ رحمه الله وكان في
 صغره مشهورا بالجد والاجتهاد والمطالعة والمذاكرة ملازما اجلة الشيوخ كابن
 عبد السلام لازمه كثيرا فاخذ عنه الفقه والحديث والقراءات العشر وعلما
 غزيرا وعلى السطي الفرائض وعلى ابن اندراس العلوم العقلية وعلى ابن
 الحباب النحو والمنطق والمجدل وعلى الابلي الحساب وسائر المعقول وكان
 يثنى عليه وقرا بالسبع على ابن سلامة والفقه على ابن قدام وابن هرون
 واحمد اللطفي وهو ابن حاتم السطي نزيل القاهرة اخذ بتهلسان عن العلامة
 محمد بن احمد بن قاسم العقباني ومحمد بن الجلاب وبتونس عن ابراهيم
 الاخضري وبطرابلس عن جلولو المغراوي وابراهيم الباجي ولد في جمادى
 الثانية سنة احدى وخمسين وثمانمائة هكذا نقله سيدي احمد بن بابا عن
 السخاوي . واما محمد بن سلامة قال في كفاية المحتاج محمد بن سلامة
 الانصاري تونسي فقيه عابد صالح اخذ عنه الامام المقرئ وابن عرفة قال
 بعض اصحابنا توفي سنة ست واربعين وسبعمائة . هكذا ذكره ابن بابا .
 رجع لابن عرفة . قال ابن بابا واما جده واجتهاده في صلاة وصيام
 وصدقة فيقال انه بلغ درجة كثير من التابعين وحكاية حاله في ذلك

تحتاج الى تاليف ولم تاليف عديدة عجيبه كمختصر الفقه الذي لم يسبق اليه في تهذيبه وجمعه وحدوده ودقيق ابحاثه ومختصر المنطق وفيه من القواعد ما يعجز عنه الفحول وتاليفه في الاصلين واماليه الحديثية والقرآنية والحكم الشرعية وكان وليا صالحا زكيا قدوة سنيا عارفا بحققا نهائية في المعقول والمنقول بقيمة الراسخين ءاخر المتعبدين ذا سعادة تواتر هديه مع غزارة علمه وقوة فهمه ومع ما له من المحبة والقبول شيخ كثير من شيوخنا يقفون عند حده معظمين له ومسلمين لفهمه تلقينا عنهم كراماته وحسن دينه وطريقته وكتبه جامعة مانعة مبرز الفقهاء سن يفك رموزه ويفهمها يتفخرون بذلك خلفا عن سلف مسعودا في دنياه مرضيا في اخراه مع طول عمره هابته الملوك وقاموا بحقه ومن سعاداته انه لم يبطل بتولية القضاء مع قدرته على تحصيله حفظا من الله تعالى له تولى امامة الجامع الاعظم سنة خمسين وسبعمائة وخطابته كما تقدم سنة اثنتين وسبعين وتولى الفتيا سنة ثلاث وسبعين . ونقل ابن الشباط عن الابي ان ابن سهل قال وانفس الخطط واشرفها القضاء لاسيما اذا انضاف اليها امامة الصلاة وظاهر كلامه هذا ان اجتماعهما حسن راجح وذكر ابن عرفة ان العرف بتونس في القديم والحديث منع قاضي الجماعة والانكحة للامامة بجامعها الاعظم قال وسمعت سن يعلله بانه مظنة ان لا يرضى به المخصوص فيودي الى امامة سن هو كاره له . وفي الترمذي ثلاث لا تجاوز صلاتهم ءاذانهم العبد الا بقى حتى يرجع - وامارة بائت وزوجها عليها ساخط - واسام ام قوما وهم له كارهون . ولم يقع له عذر في صلاة اعلا إلا وقت مرضه وخروجه في مصالح المسلمين . قال ابن الازرق وقفت في مكتوب له وفيه انه قرا على ابن الحباب جملة من كتاب سيبويه قراءة بحث وتحقيق وجملة من التسهيل على بعض شيوخه وسمع التفسير من ابن عبد السلام لجميع القراء ان وما يجب من تحقيق احكام الاعتقاد والفقه وقواعد العربية والاصول والبيان وغيرها مما تتوقف هذه المذكورات عليه مع بحث ومراجعة وقرا عليه جميع

صحيح مسلم إلا يسيرا سمعه بقراءة غيره وبعض البخاري والموطا وقرا عليه جملة من التهذيب وسمع عليه سائره ازيد من ختمه قراءة بحث وفقه ونقل فروع الامهات واحاديث الاحكام مع التنبيه عليها تصحيحا وتحسينا وتضعيفا وغيرها مما قرا عليه مع افادة آداب الاشتغال بالتعليم خصوصا توجيهه للاستئلة والبحث . وحاله في بلوغ اقصى مراتب الغاية العلمية لا ينكر ومقامه في مجاهدة العمل اشهر مما يذكر . وذكر الفقيه القاضي لاجل ابو عبد الله الزنديوي نزيل تونس قال كان ابن عرفة في العلوم كما دلت عليه تآليفه وفي العبادة بمزية اعلى قال سمعت شيخنا الامام ابا مهدي عيسى الغبريني يقول لم ير ولم يسمع بمثل سيدي ابن عرفة في ثلاثة - الصيام والقيام وتلاوة القرآن - ما هو إلا ما يذكر عن رجال رسالته القشيري فلا تراه ابدا إلا صائما ويقرا عشرين حزبا في ساعة وقيامه معلوم يقوم في جامع الزيتونة العشر الاواخر من شهر رمضان في كل عام حتى عجز قرب وفاته . قال الزنديوي واول ما لقيته عام ثلاثة وتسعين وله سبع وسبعون سنة وسمعت عليه صحيح البخاري بقراءة شيخنا ابي مهدي وحضرة جميع اعلام تونس وطلبتها كبارا وصغارا وكان ذلك في شهر رمضان عام واحد وثمانمائة وكان متبحرا في دنياه موسعا عليه فيها مالا وجاها وتقوذ كلمته . وقال ابن الشباط في حاشيته على مسلم كان الشيخ امام الجامع الاعظم بتونس اذا احس بالمطر خفف رفقا بمن يصلي بالصحن . قال جامع عفا الله عنه وتبعته كثيرا اطلاقه لفظ الشيخ فوجدته مرادا به ابن عرفة . ومنها ايضا قال الابي وقد احتج الى الاستسقاء بتونس مرارا وامام جامعها ابن عرفة ولم يصلها بالناس وقال خفت ان صليتها ان يشتد امر الطعام ويقوى الهرج والغلاء . وقال الابي عند بحث شراء الحجات لمن تعذر عليه الوصول ان هذا الذي يفعله اليوم كثير من شراء الحجات ويقولون انه على مذهب المخالف هو انه انما يفعله والله اعلم في حق من تعذر عليه الوصول وقد فعله شيخنا الامام ابن عرفة عام حج فذكر انه

أشترى للمخليفة سلطان إفريقية الأمير أبي العباس حجة . وقال ابن الشباط في الحاشية المذكورة قال لي يوما شيخنا ابن عرفة لولا خوف الحاجة في الكبر ما بث وعندي عشرة دنائير فلما كان قريبا من آخر حياته حبس من الربع ما يفرق من أكرنته في كل شهر نحو العشرين دينارا ذهباً كبيرة ولا ذخار لا ينافي التوكل . قال الأبى وكان ابن زيتون من متأخري التونسيين يرى ادخار عامين بتونس لا ينافي التوكل لفساد أعرابها وعدم أمن المطر بها . وذكر عياض في المدارك أن القاضي أبا بكر الأبهري أخرج في آخر حياته ألف مثقال وكتب أسماء تلامذته وكانوا جماعة وافرة وكان من جملتهم أبو بكر الباقلاني وفرقها عليهم وعائز ابن الباقلاني فاعطاه منها مائة مثقال فقل له لما ادخرتها إلى اليوم وعلا فرقها قبل فقال عهدي بابي بكر الصيرفي وقد طلب لقضاء بغداد فامتنع فلما كثرت بناته رآته يكتب الرقاع يستعطي أصحابه فادخرتها خوف الوقوع في مثل ذلك وأما اليوم فلا حاجة لي بها * وفي حدود سنة ثمان وأربعين وستمائة بنى السقاية التي هي شرقي الجامع أبو عبد الله محمد المستنصر ابن الأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص * وفي شهر رمضان من سنة ست وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الصالح العالم المفتي إمام جامع الزيتونة وخطيبه أبو موسى هارون الجديري وكان استخلف في مرضه ابن عبد السلام خطيباً فبلغ ذلك قاضي الجماعة حينئذ ابن عبد الرقيق فقدم الشيخ أبا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الستار وآخر ابن عبد السلام عن الخطبة فقال له ابجرحته هذا فقال لا ولكن أهل تونس ما يولون جامعهم إلا سن هو من بلدهم * وقال ابن الشباط في حاشيته على مسلم ناقلاً عن الأبى عند نقله حديث كان لا يدع قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً - إلى أن قال وكان عمر بن عبد الرقيق قاضي الجماعة بتونس خطيباً بجامعها الأعظم لا يقرأ بها في الخطبة لعذر يمنعه من طول الوقوف ويقرأ عشراً غيرها فنقم عليه بعض سن يتبعه عند حاجب الخلافة

الخليفة القائم بامرهما ابي محمد عبد الله بن تافراجين وكانت بين الحاجب والقاضي منافسة فارسل الى القاضي ان تقرأ بها في خطبتك او يقدم غيرك فالتزم قراءتها بعد وكان الشيخ يقول لما جرى العرف بقراءتها صارت كالشرط المدخول عليه فلا ينبغي ترك قراءتها . ومما اتفق ان السنة التي جدد بها سقف جامع الزيتونة وخطيبه اذ ذاك ابو اسحاق بن عبد الرافع غطيت المجنبية الاولى التي تحتها المنبر بالحصر فخطب فقام الشيخ الفقيه المشتهر بالصلاح ابو علي القروي فانكر عليه واغلظ القاضي عليه في الرد وافضت الحال الى ان امر القاضي بسجن ابي علي وكان الشيخ ابن عرفة يقول الصواب مع الشيخ ابي اسحاق ولا ينتهي الحال الى ان تمنع الجمعة لانه لو خطب دون تغطية بحصر جاز لانه ليس من شرط الخطبة ان تكون تحت سقف اذ لو خطب بالصحن جاز اذ ليس من شرط الجامع ان يكون كله مستقفا وانظر ما يتفق في بعض القرى ان يكون الجامع غير متصل البناء ببيوت القرية فكان الشيخ ابن عبد السلام والشيخ ابو الحسن المنتصر يتفق ان يكون احدهما يوم الجمعة بقرية صايغ وجامعها يبعد من دورها بنحو ثلاثمائة ذراع فكانا لا يصليان بها الجمعة ويذهبان الى غيرها فيصليان لكن لا ينهيان اهلها عن صلاة الجمعة . ولما مات ابو موسى استبد ابن عبد السلام بذلك وتولى القضاء بتونس . وابن عبد السلام هذا ذكره سيدي احمد بن بابا في كتابة كفاية المحتاج فقال ما نصه : محمد بن عبد السلام الهواري التونسي علامتها وقاضي الجماعة بها شيخ الاسلام الامام المحقق المشهور ذكره في الديباج وذكره الشيخ خالد البلوي في رحلته فقال البحر المتلاطم الامواج . والمنهل الذي تروى بعذبه بقاع الوهاد وتلاع الشجاج . المجموع الذي نزلت بساحته مفترقات العلوم نزول الماء الشجاج . قاضي القضاة . وامام الفقهاء والنحاة . ورب العقل الوافر وبحر الصلات . الشيخ العالم العلامة قطب الشورى وعماد الفتيا قدوة علماء الاسلام . ابو عبد الله بن عبد السلام . رجل نشأ في العفة والصيانة . وبني ذروة الطهارة

والديانة . وصعد من هضبة التقى على اعلى مكانة . فلم يعرف له قط صبوة . ولا حلت له الى غير الطاعة حبوة . على ان المسهب في اوصافه الكريمة . سكيت وقاصر - وهيئات يضرب في حديد بارد - صرف همته العلية وفكرته الوقادة الزكية في انتحال فنون العلم واقتراح المعلوم منها والمختوم فملك اغنتها وقاد ازمتها واوضح اشكالها وحل اقفالها . وتلقى بالسهل والصعب انثيالها عليه واقبالها . فكان وحيد الاوان . وعلامته الزمان . والمشار اليه بالبنان في البيان . ما قرن به فاضل من العلماء إلا رجحه . ولا القي اليه بمبهم من العلوم إلا كشفه واوضحه . عدلا في احكامه . جزلا في اقدامه . مراقبا لله في فعله وكلامه . له صادقات عزائم . لا تأخذه في الله معها لومة لائم . له نزاهة عن الدنيا . وهمة نيطة بالشرياء وبهجة فيها ترقق ماء البشر فاحيا وحيا —

يقابلني له خلق وضوي . يصدق بشرة خلق رضي
 قال حضرت مغتنما وملتزما تدريسه الذي هو صالة الناشي الناشد .
 وبغية القاصي القاصد . وحديقة الراعي الرائد . وحقيقة الفوائد الفرائد .
 فسمعت وانتفعت واخذت عنه شرحه لكتاب ابن المحاجب الفروي فقرات
 وكتب واجاز لي غير ما مرة وكتب لي بخطه ومولده سنة ست وسبعين
 وستمائة قال وسمعت عليه بمنزله من تونس جميع كتاب موطا لالامام
 مالك بن انس رضي الله عنه في مجالس كثيرة اخرها ضحوة يوم الجمعة
 الثالث عشر لصف من عام سبعة واربعين وسبعمائة واذن لي في روايته
 عنه انه قرأه اجمع بلفظه على الاستاذ المقرئ ابي العباس المشتهر بالبطنري
 المتقدم الذكر بسنده فيه وقرأه كذلك ايضا على الشيخ المحدث الراوية
 المعمر ابي محمد عبد الله بن محمد بن هارون وحديثه به عن القاضي ابي
 القاسم احمد بن يزيد بن عبد الرحمن ابن بقي قراءة لبعضهم وسماعا لسائره
 بمدينة خرطبة اعادها الله دار اسلام عن ابي عبد الله محمد بن عبد الحق
 الخزرجي قراءة عليه عن ابي عبد الله محمد بن فرج الفقيه مولى الطالب
 سماعا

سماعا عليه قال وقال سمعته عن القاضي ابي الوليد يونس بن عبد الله
ابن يحيى عن عمه عن ابيه عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن
يحيى عن مالك بن انس رضي الله تعالى عنهم ورحمهم اجمعين . قال
وهذا السند لا يوجد بالمغرب مثله علوا واتصالا بالقراءة والسماع . قال
وقرائته ايضا عام ثلاثين وسبعمائة على والذي واخبرني انه قرا منه جميع
كتاب الصلاة عرضا عن ظاهر القلب عن والده قال واخذه والده جدي عن
جماعة اجلته منهم والده الخطيب الصالح ابو اسحاق وغيره قال وقرائته
بالمسجد الجامع من مدينة مالقة المحروسة عام ثلثة وعشرين وسبعمائة على
الشيخ الخطيب الزاهد الولي لله تعالى ابي عبد الله محمد بن احمد الهاشمي
الطنجالي بسنده فيه قال وقد قرأته وسمعته بالاندلس وبقرت العدو على
سن ذكرته رضي الله عنهم اجمعين . وتوفي ابن عبد السلام المذكور سنة
تسع واربعين وسبعمائة . اه . قلت كان المورخ ذا مدد وان شئت قلت في
تاريخه « نعوا محمد بن عبد السلام » . قال ابن الشباط في حاشيته على
مسلم واتفق ان طالبا يدعى بابن عمرين قال لا يزداد في الصلاة لفظ سيدنا
لانه لم يرد وانما يقال على محمد فنقمها عليه الطلبة وبلغ الامر الى القاضي
ابن عبد السلام فارسل وراعه الاعوان فاخفى مدة ولم يخرج حتى شفع فيه
صاحب الخليفة فحينئذ خلى عنه وكانه رأى ان اختفاء تلك المدة هو
عقوبته . قال الابي وما يستعمل من لفظ السيد والمولى حسن وان لم يرد
المستند فيه لما صح من قوله عليه الصلاة والسلام « انا سيد ولد آدم » .
واتفق في قضاء ابن عبد السلام ان نزلت بتونس قضية وهي ان عشر
بيهودي يسرق صغار المسلمين ويبيعهم للحربيين فاستشار الامير ابو
يحيى قاضي الجماعة ابن قداح وقاضي الانكحة ابن عبد السلام فقال ابن
قداح يقتل بالسيف وقال ابن عبد السلام يصلب ويقتل واحتج بصلب
عبد الملك بن مروان الحارثي الذي تنبأ قال في المدونة وطعن به بحربة
بيده ففعل بالذمي ذلك . وكان ابن عرفة يقول في احتجاج ابن عبد السلام

نظر لان قضية الحارثي اقرب الى الحرابة من فعل هذا الذمي لعظم مشدته
وانما حكم القاضيان فيه بالقتل وان كان انما في سرقة الصبيان القطع لانه
بفعله ذلك ناقض للعهد مع عظم مفسدة فعله بما ينشأ عنه من تملك الحر
وتنصرة . وقد وقع ابن عبد السلام في ضيقه حين كان الامير ابو يحيى
سلطان افريقية عهد لولده احمد بقفصة ثم توفي الامير ابو يحيى وكان
حاجبه عبد الله بن تافراجين فلما حضر قاضي الجماعة ابو عبد الله بن
عبد السلام وقاضي الانكحة الاجمي امرهما ان يبايعا عمر ولد الامير ابي
يحيى المذكور فاعتذرا وقالوا كيف نبايعه ونحن شهدنا في بيعته اخيه
احمد والتزمناها وكان الحاجب المذكور نبيلًا فقال للقاضيين حين رآى
امتناعهما ادخلا دار السلطان واشتغلا بغسله وتكفينه فلما دخلا موضع غسله
احضر الحاجب المذكور الناس واهل الحبل والعقد وامرهم ان يبايعوا عمر
فبايعوه فلما خرج القاضيان وجدا البيعة قد حصلت فبايعا حينئذ وكان
ابن عرفة يستصوب فطنة الحاجب المذكور ونبله في فعله ذلك لانه
جار على ما ذكره القاضي ويستصوب ايضا امتناع القاضيين اولما ذكره
من سبق التزامهما وبيعتهما بعد لان عقاد البيعة بغيرهما . اهـ * ومسح
اجل مدرسي الجامع المذكور محمد بن هارون الكناني التونسي ذكره سيدي
احمد بن بابا فقال الامام العلامة الحافظ وصفه ابن عرفة ببلوغ درجة
الاجتهاد المذهبي وقع له مع ابن عبد السلام نزاع في مسائل تولى القضاء
بغير تونس واخذ عنه الايمة كالمقري والخطيب ابن مرزوق وابن عوفية
وخالد البلوي وذكره في رحلته وبالف في ثنائه فقال الشيخ الفقيه الامام
ابو عبد الله محمد بن هارون ابقى الله بركاته امام في الفقه واصوله . وعلم
الكلام وفصوله . متوصل بالكد والمجد الى حصوله . علم من اعلام المعارف . وعلم
الاعلام الحلال الدينية والمطارف . نفع بما وعى من العلم الاصيلي المغرق .
وشفع ما استفاده من علماء تونس بما حصله من علماء المشرق . واطفرت
رحلته بمبرزى العلماء . والمدرسين القدماء . وعاب من رحلته وقد قضى

عنه فرصة . واشتاق الى ارضه . وكل فضل . واشتعل على الكمال
 لانساني عقله ونقله . فانبط في العلم بنباعته . وانقبض عن العالم بنزاهته .
 ولزم مطالعة دواوينه . وصدق الى متونها حدقة فهمه ودينه . فنفع الله
 بعلمه بشرا كثيرا . وادع له في قلوب عباده من القبول حظا كبيرا . ولولا
 ما رزق من الزهد والقناعة . لاعلق به قضاء الجماعة . فنيط به احسن
 تلك المدارس . وغبطت منه بالفارس واي فارس . فقام العباد بحقه .
 وصدقوا فيه الخبر النبوي فلم يماروا في صدقه . وعلموا انه السابق في هذا
 المضمار الذي لا يترشح احد لسبقه . فازدحم لافادته افواج من الناس .
 واقتبسوا من علمه وهو النور الذي لا ينقص بكثرة الاقتباس . حتى اقرت له
 السادات بالسويد . واحيا الله به سنة الاجتهاد حين وقف ثيرة على سنن
 التقليد . فبرز في ميدان تدريسه بما برز . واحرز من قصب السبق ما
 احرز . مع جلالة قدر . وسعة صدر . وحسن خلق . واعتدال خلق .
 وسهولة العبارة . وصناعة صياغة الكلام للبدواة والمحاضرة . وقمع الباحث
 الملد . ومزج الهزل بالمجد . كامتزاج الماء والنار في الخد . الف تأليف قد
 اختص فيها بفصاحة اليراعة . واقتفى لها اوضح طرق البراعة . فاحكم
 اصولها . واتقن فصولها . وركب على عواملها المثقفة حصولها . واحسن
 فيها ترتيب الايراد والاعتراض . والقصد الى توفية الاغراض . هذا مع الاختصار
 والايجاز . والماخذ الذي يكاد ينسب الى الاعجاز . يستوفي الابداع في ذلك
 كله مع ملاحظة الغايات البعيدة والقريبة . ببديهة الادراك واللمحة السريعة
 الغريبة . في حسن القاء . وملاحة اشارة وايماء . ونبل تنبيه . ولطف
 توجيه . واصابة تنظير . واجادة تنقيير . قلما رات العين او سمعت الاذن
 باصل في الاصول . وافرع للفروع والفصول . وابرع في نقد الكلام وسبكه .
 واعرف بحل المشكلات لابن الحاجب وحنكه . قال وقرأت عليه نصف
 مختصري ابن الحاجب الاصيل والفرعي قراءة تفقه وبحت وسمعت عليه
 كثيرا من البهذيب وغيره من كتب الفقه والاصول والعربية . ومن تأليفه

شرح مختصري ابن الحاجب وشرح العالم الفقيه ومختصر التهذيب
 وشرح التهذيب في اسفار عديدة وشرح الحاصل وغيرها ولد سنة ثمانين
 وستمائة . اهـ . وله مختصر الميضية في قدر ثلثيها استقط وثانيتها وتكرارها
 وتوفي رحمه الله في الوباء العام سنة خمس وسبعمائة ذكره ابن الخطيب
 والعجب من صاحب الديباج حيث لم يذكره اصلا مع كثرة نقله عنه في
 تبصيرته وشرحه * ومنهم الشيخ الفقيه العالم الصالح العابد ابو عبد الله
 محمد بن محمد بن سلامة الانصاري تونسي اخذ عنه كلام المقري والشيخ
 ابن عرفة وغيرهما قال ابن بابا قال بعض اصحابنا توفي سنة ست
 واربعين وسبعمائة رحمه الله عليه * ومن اجل مدرسي الجامع المذكور
 سن برز في ميدان التسجيل . وتميز بين عتاق تلك الحلبة بالغة والتسجيل .
 واحوز بنصل السبق الموجب للتعظيم والتبجيل . الشيخ العالم المتصوف
 ابو عبد الله محمد بن عمر ارضاه الله تعالى . علم الجماعة . وقلم التأييد
 والاستطاعة . ورب الفكرة الطواعة . والامرة المطاعة . وسن له في النظم والنثر
 القلم الاعلى . والقدم الاولى . واللفظ الاجلى . والمورد الاحلى . والقدح المعلى .
 والبدائع التي تستفاد وتستعلى او تستهلى . وله في الطريقة الصوفية مقام
 عال . واشتات مقال . وخاطر يجول في اوسع مجال . فيبرز نفائس لآل .
 وعرائس جمال . ويأتي بسحر حلال . وبحر زلال . بين بديهة وارتجال .
 ووحد وارقال . واحتراز واستعجال .

مكارم مثل المحصى كثيرة وخاطر يغرف من بحر

رحل الى المغرب والمشرق فعلت رواياته . وعظمت آياته . وكثرت
 مبالاته بالعلم وعناياته . فبدا في سماء المعارف شمسا تتجلى بزهر هدايته
 مشكلاتها . ولاح في جيد العوارف سلكا يتحلى بدر كفايته لباتها . واقام
 مشغولا بالعلم سنين . وانعقد النكاح بينه وبين عتائل الاداب بالرفاء
 والبنين . فيلد من مخدرات فكرة خرائد تنهياها الملوك . وفرائد تزدان
 بها الشيجان والسلوك . تحلت به المحصرة التونسية . كما تحلت بازاهيرة

الرياض الانسية . فهو لان متولي ديوان انشائها . ومدلي اشطان رثائها .
 قد استقر عند سن عرف شانه . وعافى بعده وشانه . واقتنى عقد نظمه
 وزانه . وادخر مرجان نظمه وجمانه . قال دخلت الحضرة التونسية
 على حين اخذ مني البين اخذته . وفلذ من فوادي فلذته . فشرست
 في ادبه الرائق . ومذهبه الواضح الطرائق . ان جنابه العالي مطمح
 لنفسي ومشرح انسي . ومصلح ما قضى من لبسي وانضي من عنسي .
 فكانت فراسته لاح صدقها . واومض برقها . وسبح سحابها وهمل ودقها .
 ولما عجت اليه . وقصدت منزله للسلام عليه . انشدت بيتين اثنين
 استاذن بهما وهما —

ببايك يامولى الكتابة كاتب اناك بثلب من اسى الين مفجوع
 وحاجته تقبيل يمانك انها تومن من خوف وتسمن من جوع
 فارتاح اليهما ارتياح الصادي لليل القبول . ومد بهما يمين الين والقبول .
 ودارت بيني وبينه المخاطبات نظما ونثرا . وتكررت بيننا المراسلات
 والمراجعات قلا وكثرا . ولم ازل مدة اقامتي بتلك الحضرة تحت ظله
 الوارف . وفصله المحمود المطارف . خرج مستريحنا في بعض لازمة
 الطيبة الى بعض جناته التي هي منى النواظر . وملعب القصور النواضر .
 ومهف لانفاس العواطر . وراحة لابدان والخواطر . وجلال الحلال التي
 توشىها ايدي الغمام الماطر . قال فما الم بها حتى وجه الي مع بعض
 خدمه مركوبا من شاق الخيل . جامعا لضياء الصباح وعشق الليل .
 نقلني اليه . واحلني لديه . فوافيت والربيع قد اهدى نوافحه . واشدى
 لراقحه . وارسل لوافحه . واسدل ملاحفه . واسبل مطارفه . والآن
 معاطفه . وافاض معارفه . وامد بروده . وامال قدوده . واخجل خدوده .
 وحشد جنوده . وحشر بيضه وسوده . ونشر الويته وبنوده . وملائهاته
 وجنوده . ونظم جواهره ونقرده . ورقم صحائفه وعقوده . واعطى موائده وعهوده .
 والغمام قد بكى على ميت الارض فاحيا نوره . واضمحلت ثغره . وحديق

احداقم . وارخي اوراقه . واصفى ملبسه . ووشى سندسه . والنسيم قد
جرى على بساط البسيط ذيوله . واجال بملعبه خيوله . واستنطق اطياره .
وشق ازواره . وافشى اسراره . واذاع شجوه وصراره . وقصص اسواره .
وذهب ازهاره . ونثر درهمه وديناره . وحيا ورده وبهاره . وصافح اسره
وجلناره . واطاب ثناءه واخباره . والمذانب تسل السيوف . وتري لنفسها
على لانهار الشفوف . وتخترق من مكلالات الثمار الصفوف . وتدور على
سوق الغصون كالحلخل . وتلتوي بها التواء النسان المجادل . وتلك السواقى
تحن كحنيين الحوار . وتضرم في القلب المشوق حر الاوار . وتهيج لوعته
الصب المغترب النازح الدار . وتفجر من بين اضلاع امثال الشفار .
وفيها يقول الرئيس ابو عبد الله بن ابي الحسين —

وحنية للاضلاع تحنو على الثرى وتسقي بنات الترب در الترائب
تعد من الافلاك ان مياهاها نجوم لرجم المحل ذات الذوانب
واطرافها رقص الغصون ذوابلا فدارت بامثال السيوف القواضب
وما خلتها تشكو بتحنانها الصدى ومن بين متنيها اطواد المذانب
فخذ من مجاريها ودهمة لونها بياض العطايا في سواد المطالب
فحللت منها شرفا . وتبوات غرنا . واجتنيبت تحفا وطربا . واقمنا بها
ليالي واياما امنين . تغازلنا عين النرجس وتقابلنا حدود الورد وتضافحنا
اكف الياسمين —

في رياض من الشقائق اصحت يتهادى بها نسيم الرياح
زرتها والغمام ياخذ منها زهرات تفوق لون الرياح
قلت ما ذنبها فقال مجيبا سرقت حمرة الحدود المسلح
قال الشيخ خالد ومما انشدني هنالك لنفسه —

حسن المريّة ریح جرى عليها فعم
فكل وجه تراه تراه بدرا اتسم
ولقد ذكرني قوله في الياسمين ما وصفه به بدر الدين الحلبي رحمه الله
حيث

حيث قل - يأسمين يجلو البصر . كأنه اقراط من الدرر . يحفظ الذمام .
ولا يمل من طول القيام . ثغورة ضاحكة . وحسنه غامن من المشاركة .
والطرق الحمر في جوانبه كخند عذراء مسه عص

وقال خالد البلوي وانشدني ابو عبد الله بن عمر قال وانشدني صاحبنا
الحاج الفاضل ابو زكرياء بن واش الفاسي وقال انشدني بعض الشيوخ
المجاورين البغداديين وقد مر به بحرم مكة شرفها الله تعالى الفقيه ابو
جعفر ابن شيخنا الامام رضي الدين الطبري وهو اذ ذاك فتي فقال له
الشيخ ما الذي تقرأ وبما تشغل من الكتب فقال له الفتى بالتنبيه
فانشد الشيخ بديها -

ومنهف لا طواف ساج طرفه يغدو على الفقهاء للتعليم
شغلوه بالتنبيه جهلا منهم لو انصفوا شغلوه بالتنويم
قال وقال لي دخل الاديب الشهير ابو بكر بن قزمان رحمه الله تعالى
بعض البلاد فاعطى نعله ليصلح له وهو مستغرق قد نفذ جميع ما عنده
فخطب في الحال بعض الناس من ذلك البلد بقوله -

دفعت قرقي للفرار يصلحهم وقد تعذر قيراط من الشـ
فامن على شاعر خفت ثوبنته قدر السؤال بحسب الناس والزمن
قال خالد البلوي وانشدني لبعضهم -

خبت نار العلا بعد اشتعال ونادى الجود هي على الزوال
فقدت الجود إلا في حديث وإلا في الدفاتر والامـالي
ولو اني ملكت الامر يومئذ لما حاربت إلا بالسؤال
لان الناس ينهزمون منهم وقد ثبتوا لاطراف العوالي
وقال وقرأت عليه جميع صحيح الامام مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى
فكمل لي جميعه عليه ما بين قراءة وسماع بنحو قراءته لجميعه بالحرم
الشريف تجاه الكعبة المعظمة سنة ثلاث عشرة وسبع مائة على الشيخ امم
مقام الخليل عليه السلام رضي الدين ابني احمد بن مقيم بن محمد الطبري

المكي الشافعي قال وقال قرائه اجمع بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة سنة خمس وسبعين وستمائة على الشيخ الاوحد شمس الدين ابي عبد الله محمد بن النعمان بنحو قراءته له على الشيخ ابي الفضل محمد بن المعالي ابن الجياب بن السعدي عن الشيخ الشريف ابي المفاخر سعيد بن الحسين المامري عن الشيخ ابي عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي عن الشيخ ابي الحسن عبد الغفار بن محمد الفارسي عن الشيخ ابي احمد بن عيسى الجاعدي عن ابي اسحاق ابراهيم بن محمد سفيان النيسابوري عن الامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري . وقال الشيخ خالد البلوي وكانت وفاة الشيخ عبد الله بن عمر في غرة المحرم مفتتح عام اربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى . قال قال رضي الدين الطبري واخبرني به اعلی من هذا الشيخ المحدث امين الدين بن عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي قراءة عليه وانا اسمع بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة سنة تسع وخمسين وستمائة . اهـ . وفي التاسع والعشرين لجمادى الاخرى سنة سبع وثلاثين وسبعمائة توفي بتونس الفقيه المورخ ابو محمد عبد الله بن محمد بن ابي القاسم بن علي بن عبد البر النخعي امام جامع الزيتونة وخطيب جامع القصبة عدلا ذا سمع حسن له عناية بالتاريخ والرواية اختصر ذيل السمعي وتاريخ الغرناطي والفرات تاريخا على طريقة الطبري مرتبا على السنين من سنة البعثة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية الى زمنه وقد اجاد فيه وتجزئه في ستة اسفار . وكان يجلس لرواية مقامات الحريري بدويرة جامع الزيتونة وبه استدلل الشيخ ابن عرفة على فعل مثل ذلك في مختصر الفقه وجعله حجة مع ما في المقامات من المثالب . قال ابن الشباط في حاشيته على مسلم وكان ابن عبد البر امام الجامع الاعظم بتونس لا يرويهما إلا بالدويرة منه اذ ليس للدويرة حكم الجامع . اهـ . وابن عبد البر المترجم له رحمه الله ذكره الشيخ خالد البلوي في رحلته ووصفه بالشيخ الفقيه الخطيب ابي محمد

عبد الله ابن الشيخ الفقيه الجليل ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه القاضي العالم المصنف ابي القاسم بن علي بن عبد البر التنبوخي - هذا بيت غذي بالعلم والآداب . وبني على المجد والمحب . ورتقي في االى الخطط واسمى الرتب . فاليهم ينتهى في حسن النقائب . وبفواضلهم تنطق السنة الحقائق -

قطفوا ثمار المجد من غرس العلا باكفهم فلنعم غرس الفسارس فهم لباب المجد عزة انفس وذكاء الباب وطيب مفسارس ما منهم الا عالم اوجد . لا ينعت ولا يحد . ولهم بالدولة الحفصية سبق يذكر . وحق لا ينكر . والقاضي ابو القاسم جدهم . به سفر مجدهم . وهو الذي عمر ربع الملك . وامر بالحياة والهلك . ودبح القرطاس وفوف . ودون العلم وصنف . قال البلوي وشيخنا الخطيب ابو محمد هذا بديع الاحسان . بليغ القلم واللسان . قد اتاه الله مقاليد هذا الشأن . وملك بنان فضله اعنة المعاني وازمة البيان . واقام من البراعة على منابر انامله اظهارا لمعجز البلاغة خطيبا مشقوق اللسان . فهو ذو الفضل والكرم . والسيف والقلم . والعلم الذي يخفق لشجرة العلم . تاوي وفود السعود الى حرمة . وتروي اخبار النداء عن كرمه . وتحلى السامع بما تمنحه لآي كلمه . وتنقل الى رياض الامل الظامئة ما شاهدته من دوام ديمه . فلا برحت مكارم الاخلاق واخلاق المكارم تشام من برق شيمه . واحرار المحامد ومحامد الاحرار تعد من امائه وخدمه . بمن الله تعالى وفضله وكرمه . قال البلوي رحمه الله تعالى لقيته بمنزله المبارك من حضرة تونس فقرات وسمعت عليه به وبالجوامع الاعظم المشهور بجامع الزيتونة تصانيف واجزاء فانه لما خيرته المحاسن في انفسها . فاخص بانفعها وانفسها . وحكمته السيادة في معاليها . فحكم من الاوامر والامور اعاليها . كان مما اقام به من الدين متونه . اقامة الفرائض المكتوبة اماما بجامع الزيتونة . الى غير ذلك من الخطابة بالحضرة العلية . والمراتب السامية

السنية . قال البلوي فكننت كثيرا ما اقرا عليه بالدويرية التي يخرج منها الخطيب وهي بازاء المحراب من جهة اليسار ومما قرأت بها عليه بلفظي جميع ثلاثيات الامام ابي عبد الله البخاري رضي الله تعالى عنه وحدثني بها بسنده فيها في برنامج روايتي وجميع المجالس الخمسة التي املاها الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي لاصبهاني . قال البلوي وحدثني بها عن جده ابي القاسم المذكور اجازة قال قرأت جميعها على الشيخ الامام المحدث الزاهد ابي الفضل جعفر بن ابي الحسن الهمداني بمسجده بالاسكندرية وحدثني بها سمعا على الحافظ مملها ابي طاهر السلفي المذكور . وقرأت عليه جملة من برنامج الذي جمع فيه اشياخه واسانيده وتناوله من يده المباركة واجازني جميع ما يحمله ويرويه اجازة تامة مطلقة عامة . وكتب لي بخطه وحدثني رضي الله عنه قال حدثني جدي ابو القاسم المذكور قال انشدني بالقدس الشريف عند محراب زكرياء النبي عليه السلام الشيخ الصالح ابو علي الحسن بن احمد الاوقى قال انشدنا الفقيه الامام العالم ابو الجيوش عساكر بن علي بن نصر المقرئ قال انشدني الشيخ ابو الحسن عبد الكريم التكني قال انشدني الصقلي بالاسكندرية من شعرة لنفسه —

مرزفن الصدغ يسطو لحظه عبثا بالخلق جذلان ان يشكو الهوى ضحكا
لا تعشن لورد فوق وجنتهم فانما نصبته عينه شـ — — — ركا
قال البلوي وحدثني ايضا قال وحدثني جدي المذكور عنه عن الحافظ ابي طاهر السلفي انشدهم محمد بن علي السجلماسي المجاور بمكة شرفها الله تعالى بدار العجلة قال انشدني ابراهيم النحوي بسجلماسة لنفسه —

زعموا ان سن تباعد يسـ — — — ولقد زادني التباعد وجسدا
ان وجدي بكم وان طال عهدي وجد يعقوب حين اصبحت فردا
قال البلوي وحدثني قال وحدثني جدي عن الشيخ المقرئ الصوفي الواعظ ابي عبد الله محمد بن الجنان قال كنت مع جماعة من اهل التصوف باصبهان

باصبهان في رباط هناك واجتمع اصحابنا ليلة في سماع فلما كان في اثناء ذلك بعد مضي جزء من الليل والوقت قد طاب اذ ضرب الباب ضارب فخرج اليه سن سمع ذلك فوجد شيخا طويل القامة عظيم الهامة على راسه كرزيتة وعليه فرجية وبيده ابريق وعكازة فقال ما هذا قلنا سماع اجتمع فيه الاصحاب فقال ندخل قلنا له ادخل فدخل فوجد القائل يقول -

خليلي لا والله ما القلب سالم وان ظهرت مني شمائل صاحبي
والا فما بالي ولم اشهد الوغي ابيت كاني مشخن بجسراح
فرمى للمنشد ما كان على راسه ثم قال له قل فقال -

يا نساء الجزع لولا رنة الحادي لما تنقلت من واد الى وادي
ولا سلكت بنعمان الاراك ولا شربت ماء به يا نهلة الصادي

وقال -

كرر علي حديثهم يا حادي فحديثهم يطفي لهيب فوادي
كرر علي حديثهم فلربما لان الحديد لصربة الحداد

فزع الشيخ فرجيتهم وبقي عريانا وقال قل فقال -

غرام ووجد واشتياق ولومست وما ذاق انسان من الحب ما ذقت
نحلت فلو علقت في جفن ذرة لطارت ولم تشعر بانني علقست
ولو نمت في جفن الذباب معرضا من السقم لم تشعر بانني قد نمت
ولو نفس من انفها قد اصابني من الشوق او من حر انفاسها ذبت
قال الشيخ ابو عبد الله بن الجنان فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشذق
شهقة قوية وخرجت روحه رحمة الله عليه ولما اصبح الصباح وطلع النهار
غسلناه وجهزناه الى حفرة . وتركناه في عظيم تربته . قال الشيخ احمد
البلوي وحدثني قال وحدثني جدي عن الشيخ ابي الفضل الهمداني
عن الشيخ الشريف القاضي ابي محمد العثماني قال انشدني الشيخ ابو
بكر المبارك بن كامل بمكة حرسها الله تعالى قال انشدني احمد بن
عبد السلام المدني قال انشدني ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري

قال انشدنا ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلي —

قف بالديار فهذه آثارهم تبهكي لاجبة حسرة وتشوقا
كم ذا وقفت بها أسائل مخبرا عن أهلها أو صادقا أو مشفقاً
فاجابني داعي الهوى في رسمها فارقت سن تهوى فعز الملتقى

ومن اصحاب ابن عرفة الشيخ احمد بن العباس المعروف بالمريض
شارح رجز الضرير في العقائد ذكره سيدي احمد بن بابا رحمه الله قال
ولم اقف له على ترجمة * ومن اخذ عن ابن عرفة الشيخ احمد بن محمد
المهتافي ابو العباس شهر الشماع قاضي محلة السلطان ابي فارس له نزاع
مع البرزلي في مسألة العقوبة بالمال رد فيها على البرزلي وشنع عليه غاية
في قوله بجوازها والى فيها تأليفا في كراريس سماه مطالع التمام ومنجاة
الخواص والعوام في رد القول باباحته غرم ذوي الاجرام وذكر فيه انه تواتر
عنده عن شيخه ابن عرفة انه كان يقول في سجوده « اللهم احفظ دين محمد
صلى الله عليه وسلم من البرزلي » . وكان في السابق اذا اراد الامام
امر المؤذن باقامة الصلاة تضرب نقارة بين يديه في الدويرية فتقام
الصلاة . قال الشيخ ابو محمد عبد الواحد الغرياني لما ولي شيخنا
القاضي عيسى الغبريني امامة جامع الزيتونة بعد شيخنا ابن عرفة سألني
هل عندك علم في مستند النقارة التي تنقر بدويرية الجامع اعلاما باقامة
الصلاة فاخبرته ان ابي حدثني عن شيخه عبد الله بن عبد البر انه كان
اذا اتى للجامع اكثر ما يجلس على اصطبل بازاء باب الجنائز فاذا رآه
المؤذن هناك اقام الصلاة وقليل جلوسه في الدويرية إلا لعذر او لرواية
كتاب فربما لا يعرف المؤذن هل هو هناك ام لا فتجد خدمة الجامع يهزون
تلك النقارة اعلاما بحضوره على وجه الندرة لا على وجه الكثرة فاستحسن
اخباري لم بهذا والنزم طرح نقرها وقال اني لم ادرك وجهها للخلاص في
فعلها وبقي كذلك الى ان مات . قال ولي بعده الشيخ ابو القاسم
البرزلي امامة الجامع اعاد النقارة اقتداءً بشيخه ابن عرفة الى ان مات

رحمه الله تعالى . قال ومن بعده من لا يمتن سن لم يستعملها قط كالشيخ
 ابي الحسن بن محمد اللحياني وبعضهم سن استعملها . قال جامع عفا الله
 عنه وهذا والحمد لله لم اراه في هذا العصر وان صدر عن اجلته فان النفس
 تاتى نفس استماعه * وفي سنة تسع وخمسين وسبعمائة توفي امام جامع
 الزيتونة الشيخ ابو اسحاق البسيلي * وفي عام ثلاثة عشر وثمانمائة توفي
 الشيخ قاضي الجماعة بتونس وخطيب جامع الزيتونة وامامه ومدرسه ابو
 مهدي عيسى الغبريني ودفن بالجلاز قال القرافي في ذيل الديباج وحليته
 لا ابتهاج في طبقات المالكية وذكر كمالاتهم البهية فمن ذلك ما ذكر في
 وصف الامام المذكور قال هو ابو مهدي عيسى بن يحيى بن احمد
 الغبريني قاضي الجماعة حافظ المذهب . قال السخاوي في الضوء اللامع
 قاضي تونس وعالمها ومن اخذ عنه احمد بن محمد القلشاني وغيره كالعجيسي
 بل نقل عنه البرزلي في فتاويه ووصفه بصاحبنا مات سنة عشر وثمانمائة
 ثم قال القرافي ايضا ومن اخذ عنه ابن ناجي واثني عليه بحفظ المذهب
 دون مطالعة حكي ذلك في شرحه لتهذيب البراذي في كتاب الظهار عند
 قولها وجائز ان ينظر الى شعر المرأة ووجهها بعد ان حكي عن المغربي يريد
 ابا الحسن الصغير قولين بالجواز والمنع في نظر المرأة بغير لذة من غير عذر فقل
 ما نصه : والقول بالمنع لا ادره وقد سالت عن ذلك سن يظن به حفظ
 المذهب دون مطالعة فكل لم يعرفه كشيخنا ابي مهدي عيسى الغبريني
 رحمه الله تعالى . انتهى من القرافي . وزاد سيدي احمد بن بابا قال هو
 عيسى بن احمد بن محمد الغبريني ابو مهدي التونسي عالمها وصالحها وقاضي
 الجماعة بها . قال ابو زيد الشعالبي شيخنا اوحد زمانه علما ودينا . وقال
 ابن ناجي ممن يظن به حفظ المذهب بلا مطالعة ما رايت اصح منه نقلا
 ولا احسن ذهننا ولا انصف منه مع كمال الرئاسة سجد بين يديه يوما بعض
 جهلة المودعين مشتكا بشخص فصاح عليه وانتهرة وهرب منه وغضب
 لمخالفة السنة وحلف لا يسمع منه لان كلمة واحدة . وقال تلميذه الامير

ابو عبد الله محمد المدعو حسينا ابن السلطان ابي العباس الحنفي كان شيخنا ابن عرفة وشيخنا الغبريني ممن يجتهد في المذهب ولا يحتاج الى دليل اذ العيان شاهد بذلك . ونقل عنه معاصره البرزلي في ديوانه مواضع . قال السخاوي هو قاضي تونس وعالمها اخذ عنه احمد القلشاني والشريف العجيسي وغيرهما مات سنة ست عشرة وثمانمائة . قال سيدي احمد ابن بابا قلت بل اخذ عنه غالب متأخري اصحاب ابن عرفة وغيرهم كالبيسلي وابي يحيى بن عتيبة وابي القاسم القسنطيني وابن ناجي وعمر القلشاني وابي الحسن بن عصفور والزنديوي في خلق كثير وولاه ابن عرفة امامة جامع الزيتونة وهو حينئذ قاضي الجماعة ثم استقل بعده بالامامة حتى توفي ليلة السبت السابع والعشرين من ربيع الاول عام خمسة عشر وثمانمائة قاله احمد القلشاني . وقدم في محله ابو يوسف يعقوب بن يحيى للقضاء خاصة وقدم في خطط الامامة والخطبة والفتيا بالجامع المذكور الشيخ الفقيه المحافظ ابو القاسم البرزلي * وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة احدى واربعين وثمانمائة توفي الشيخ الفقيه امام جامع الزيتونة وخطيبه ومفتيه ابو القاسم البرزلي ودفن بجبل الجلاز وتولى امامة الجامع وخطابته والفتيا به قاضي الجماعة اذ ذاك الفقيه ابو القاسم القسنطيني وتولى بعده التدريس بمدرسة ابن تافراجين الفقيه ابو البركات محمد بن محمد بن عصفور وولي الخطابة بجامع التوفيق والفتيا بعد قاضي الجماعة قاضي الانكحة الشيخ ابو حفص عمر القلشاني * وفي سنة ست واربعين وثمانمائة ضرب قاضي الجماعة الامام المذكور بالجامع المذكور ابو القاسم القسنطيني بمغروس عند سلامه من صلاة الصبح وهو جالس على سجاده عند باب البهور فقتل صاربه في الحين تحت الصومعة والتي خارج المسجد ورفع القاضي الى داره وكتب وصيته ومات من الليلة القابلة وصلي عليه من الغد ودفن بالجلاز وقدم لقضاء الجماعة والخطبة بجامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة الشيخ القاضي ابو حفص عمر القلشاني

وقدم للإمامة بالجامع المذكور الفقيه أبو عبد الله محمد بن عمر المبراني
خطيب القسبة وقدم للخطابة والفتيا بجامع التوفيق بعد صلاة الجمعة
الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عقاب وقدم لقضاء الأناحية والتدريس
بمدرسة الشمامسة الفقيه أبو عبد الله محمد البكري * ومن أفاضل إفريقية
سن ذكره سيدي ابن بابا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف عرف
بالعشاب الغساني الأندلسي نزيل درة كان من أهل العلم يعتني بجمع
الكتب قيد بيده كثيرا مع حسن خطه ورحل وحج ولقي أعلاما وأجازوه
كأبن عرفة وسعيد العثماني وابن خلدون والمعز بن جماعة وكتبوا خطوطهم
له ألف تحفة الناسك في علم المناسك وآخر سماه المقنع في مناسك المتمتع
قال كذا كتبه لي صاحبنا محمد بن يعقوب الأديب المورخ رحمه الله . اه *
ومن علماء إفريقية وأفاضلها محمد بن محمد بن الصباغ الخزرجي المكناسي
قال ابن بابا قال ابن خلدون كان مبرزاً في المنقول والمعتقول عارفاً
بالحديث ورجاله إماماً في معرفة كتاب الموطأ وأقراؤه أخذ العلوم عن
مسيخة مكناسة ولقي شيخنا أبا عبد الله الأبلبي ولازمه وأخذ عنه العلوم
العقلية واستنقذ بقية طلبه عليه فبرز آخراً واستدعاه السلطان أبو الحسن
المريني وكان معه حتى غرق في الأسطول قال يعني آخر سنة خمسين
وسبعمائة كما تقدم . قال الشيخ ابن غازي في الروض الهمداني في مكناسة
الزيتون كان ابن الصباغ فقيهاً شهيراً عالماً علامة حاز قصب السبق في
المعتقول والمنقول ذكره ابن مرزوق الجد في كتابه في مناقب أبي الحسن
وابن الخطيب السلمي في بعض فهارسه وابن خلدون وكان من كبار
العلماء الذين استعجبهم السلطان أبو الحسن المريني في حركة إفريقية
 واجتمع هناك بالإيكة ابن عبد السلام وابن هارون وأبي زيد وأبي موسى
ابني الإمام وأخذ معهم في العلم وأعطى . قال ابن بابا وحدثني شيخنا
أبو الحسن بن منون الحسيني أنه بلغه أنه أُملي في مجلس درسه بمكناسة
على حديث « يا أبا عمير ما فعل الغير » أربع مائة فائدة وكان ذلك

آخر ما اقرا بها فلم ينشب ان استدعاه السلطان ابو الحسن لصحبته في
وجهته لا فريقتة فلم يكن له مندوحة عن الذهاب وكان احد سن غرق
من العلماء بسبحر تدلس . وذكر بعض الاعيان انه بلغه عنه انه سَمِعَ
بمّة صورة تلمسان ينشد كالمعائب لنفسه —

يا قلب كيف وقعت في اشراكهم ولقد عهدتك تحذر الاشراكا
ارضى بذل في هوى وصبا بة هذا لعمر الله قد اشقاكا
ومات في ذلك الاسطول خير واحد من العلماء . وله نظم في علاقات المجا
قال الامام الغوري لم نزل نسمع من شيخنا محمد بن جابر حكاية طريفة
وقعت لابن عبد السلام التونسي مع الفقيه ابن الصباغ وهي ان ابن
الصباغ اعترض على ابن عبد السلام في اربع عشرة مسألة لم ينفصل عن
واحدة منها بل اقر بالخطا فيها « اذ ليس ينبغي اتصاف بالكمال . إلا لربي
الكبير المتعال » وممن تشرفت به افريقية حسبما ذكره ابن بابا
محمد بن ابراهيم بن احمد العبدري التلمساني عرف بالابلي الامام العلامة
المجمع على امامته العالم العامل بفنون المعقول قال تلميذه المقرئ كان
اماما نسيج وحده ورحلته وقته قائما على جل العلوم الثقلية والفنون العقلية
وادراكه وصحة نظره مثل قال ابن خلدون اصله من ابلت من جوفي
الاندلس انتقل منها ابوه وعمه فخدموا يغمرا سن صاحب تلمسان وتزوج
ابوه بنت القاضي محمد بن غلبون فولدت له شيخنا هذا ونشا في كفالة
جده القاضي بتلمسان فانتحل العلم فسبق لذهنه محبة التعاليم فبرع فيها
وعكف الناس عليه في تعلمها فلما اخذ يوسف بن يعقوب تلمسان استخذه
فكرة ذلك وسار الى الحج قال فلما ركبت البحر من تونس للاسكندرية
اشتدت علي الغلظة في البحر واستحييت من كثرة الغسل فاشير علي
بشرب الكافور فشربت منه غرفة فاختلطت فقدمت مصر وبها ابن
دقيق العيد وابن الرفعة والصفى الهندي والتبريزي وغيرهم من فرسان
المعقول فكان قصاري تمييز اشخاصهم فحججت ورجعت لتلمسان وقد
افقت

افقت من اختلاطي فقرات المنطق والاصلين على ابي موسى بن الامام .
 قال ابن خلدون ثم اراد ابو حمو صاحب تلمسان اكرامه على العمل
 ففر لفاس واختفى هناك عند خلوف اليهودي شيخ التعاليم فاخذ عنه
 فنونها وحذق . ثم دخل مراكش في حدود العشر والسبعمئة ونزل على
 شيخ المنقول والمعقول المبرز في التصوف علما وحالا الامام ابن البناء فلما
 وتصلع عليه في المعقول والتعاليم والحكمة ثم صعد الى الجبل عند علي بن
 محمد شيخ الهساكرة فقرأ عليه واجتمعت عليه الطلبة فكثرت افادته
 واستفادته ثم رجع لفاس فانتال عليه طلبة العلم من كل ناحية فانتشر
 علمه واشتهر ذكره . ولما لقي السلطان ابو الحسن المريني عند فتح تلمسان
 ابا موسى بن الامام اثنى عليه ووصفه بتقدمه في العلوم وكان السلطان
 يعتني بجمع العلماء لجلسه فاستدعاه من فاس فنظمه في طبقة العلماء
 فعكف على التدريس والتعليم مع ملازمته للسلطان وحضر معه وقعة
 طريف والقيروان . قال ابن خلدون لازمه واخذت عنه فنونا .
 ثم طلبه ابو عنان من صاحب تلمسان فاسلمه ونزل بجاية شهرا فقرأ
 عليه طلبتها اصول ابن الحاجب ثم قدم عليه فنظمه في طبقة اشياخه وكان
 يقرأ عليه حتى توفي بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمئة واخبرني ان مولده
 سنة احدى وثمانين وستمئة . قال تليذه المقرئ اخذ بتلمسان عن
 ابي الحسن التنسي وابن الامام ورحل في اخر المائة السابعة للمشرق
 فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ثم رجع لتلمسان ثم للغرب فاخذ عن
 ابن البناء وسأله كثيرا من علمائه . قال لي قلت لابي الحسن الصغير
 ما قولك في المهدي قال - عالم سلطان - ولقيته بعد فتح تلمسان واخذت
 عنه . ولما قدم شيخنا ابن المسفر الباهلي رسولا لفاس عن صاحب بجاية
 زارة الطلبة فحدثهم انهم كانوا في زمن ناصر الدين يستشكلون ما وقع في
 تفسير الفخر في سورة الفاتحة ويستشكله الشيخ معهم ونصه « ثبت في
 بعض العلوم العقلية ان المركب مثل البسيط في الجنس والبسيط مثل المركب

في الفصل وان الجنس اقوى من الفصل » فلما رجعوا الى الشيخ الابلبي اخبروه بذلك فاستشككه ثم ثامله فقال - فهمته وهو كلام مصحف واصله ان المركب قبل البسيط في الحس والبسيط قبل المركب في العقل وان الحس اقوى من العقل - فرجعوا الى ابن المسقر فاخبروه فلج فقال لهم الشيخ اطلبوا النسخ فوجدوا في بعضهما كذا قال الشيخ . قال المقرئ وسمعتهم يقول ما في الامة المحمدية اشعر من ابن الفارض . وقال له طالب يوما مفهوم اللقب صحيح فقال له الشيخ قل زيد موجود فقال له الشيخ اما انا فلا اقول شيئا فعرف الطالب ما وقع فيه فنجل . قال وسمعتهم يقول انما افسد العلم كثرة التأليف واذهبه بنیان المدارس فكان يستنصف من المؤلفين والبنائين وانه لكما قال بيد ان في شرحه طولا وذلك ان التأليف نسخ الرحلة التي هي اصل جمع العلم فينفق الرجل فيها مالا كثيرا وقد لا يحصل له من العلم إلا نزر يسير لان عنايته على قدر مشقته في طلبه ثم يشتري اكبر ديوان بابخس ثمن فلا يتنفع منه اكثر من موقع غرضه فلم يزل الامر كذلك حتى نسي الاول بالآخر وافتنى الامر الى ما يسخر منه الساخر واما البناء فلجذب به الطلبة بما فيه من مرتب الجرايات فيقبل بهم على سن يعينهم اهل الرئاسة للاجراء والاقراء منهم او سن يرضى لنفسه دخوله في حكمهم ويصرفهم عن اهل العلم حقيقة الذين لا يدعون الى ذلك وان دعوا لا يجيبون وان اجابوا لا يفنون لهم بما يطلبون من غيرهم . اه . قال ابن بابا واعمرى لقد صدق في ذلك وبر فلتد ادى ذلك الى ذهاب العلم بهذه المدن الغربية التي هي من بلاد العلم من قديم الزمان حتى صار العلم والخطط بها بالتوارث ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال المقرئ ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغربية اربابها ونسبوا ظواهر ما فيها لامهاتها وقد نبه عبد الحق في التعقيب على منع ذلك لو كان سن يسمع وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله اجمع ثم كثروا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال فصارت الفتاوى تنقل من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها لعدم تصحيحها وقلته

الكشف . وكان اهل المائة السادسة وصدر المائة السابعة لا يسوغون
الفتيا من تبصرة السخمي لعدم تصحيحها على مولفها ولان اكثر ما يعتمد
هذا النمط ثم انضاف الى ذلك عدم اعتبار الناقلين فصار يوخذ من كتب
المسحوطين كالاخذ من المرضى بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين
بخلاف من قبلنا حتى تركوا كتب البراذي على نبلها ولم يستعمل منها
على كره من كثير منهم غير التهذيب وهو المدونة اليوم لشهرة مسائله
وموافقتها في اكثر ما خالف فيه المدونة لابن محمد ثم كل اهل هذه المائة
عن حال من قبلهم من حفظ المختصرات وشق الشروح وكبار الاصول
فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه ونزر حظهم فافنوا اعمالهم في حل لغوزة
وفهم رموزة ولم يصلوا لرد ما فيه لاصولهم بالتصحيح فضلا عن معرفة الضعيف
والصحيح بل حل مقفل وفهم مجمل ومطالعة تقييدات زعموا انها تستنهض
النفوس فبينما نستكبر العدول عن كتب الايمة الى كتب الشيوخ اتبعت
لنا تقييدات لاجهلة بل مسودات المسوخ فاننا لله وانا اليه راجعون فهذه
جملة تجذبك الى اصل العلم وتريك ما غفل الناس عنه . قال المقرئ
وسمعت العلامة الابلي ايضا يقول لولا انقطاع الوحي لنزل فينا اكثر مما
نزل في بني اسرائيل لانا اوتينا اكثر مما اوتوا يشير الى افتراق هذه الامة
على اكثر مما افترقت عليه بنو اسرائيل واشتهار باسمهم بينهم الى يوم القيامة
حتى ضعفوا بذلك عن عدوهم وتعدد ملوكهم لاتساع اقطارهم واختلاف انسابهم
وعوائدهم حتى غلبوا بذلك على الخلافة فنزعت من ايديهم وساروا في الملك
سير من قبلهم مع غلبة الهوى واندراس معالم التقوى . لكننا اخر الامم
اطلعا الله من غيرنا على اقل مما ستر منا وهو المرجو ان يتم نعمته علينا ولا
يرفع جميل سترة عنا . ومن اشد ذلك اتلافا لعرضنا تحريف الكلم عن مواضعه
الصحيحة اذ ذلك لم يكن بتبديل اللفظ اذ لا يمكن ذلك في مشهورات كتب
العلماء المستعملة فكيف في الكتب الالهية فضلا عن القراءان وانما هو بالشاويل
كما قال ابن عباس وغيره وانت ترى ما اشتملت عليه كتب التفسير من

الخلافا وما حملت الآي والاخبار من ضعاف التاويلات . قيل لما لك لم
 اختلف الناس في تفسير القرآن فقال قالوا بأرائهم فاختلفوا . اين هذا
 من قول الصديق « اي سماء تظلني واي ارض تثقلني اذا قلت في كتابه
 عز وجل برايي » كيف وبعض ذلك انحرف عن سبيل العدل الى بعض
 الميل واقرب ما يحمل عليه معظم خلافتهم كون بعضهم علم فقصد الى تحقيق
 نزول الاية بسبب او حكم او غيرهما وبعضهم لم يعلموا ذلك تعيينا فلما طال
 بحثهم وظنوا عجزهم صوروا المسألة بما يسكن النفوس الى فهمها في الجملة
 ليخرجوا عن حد الابهام المطلق فذكروا ما ذكروه على وجه التمثيل لا القطع
 بالتعيين بل منه ما لا يعلم انه اريد لا عموما ولا خصوصا لكنه يجوز ان
 يكون المراد وقريبا منه وما يعلم انه مراد بحسب الشركة والخصوصية ثم
 اختلط الامران . والحق ان تفسير القرآن من اصعب الامور فالاقدام عليه
 جرة . وقد قال الحسن لابن سيرين - تعبر الرويا كانك من آل يعقوب
 فقال له - تفسر القرآن كانك شهدت التنزيل - وصح انه عليه الصلاة
 والسلام لم يفسر من القرآن إلا آيات معدودة وكذا الصحابة والتابعون
 بعدهم . وتكلم اهل النقل في صحة ما نسب لابن عباس من التفسير الى
 غير ذلك ولا رخصة في تعيين الاسباب والناسخ والمنسوخ إلا بتوقيف
 صحيح او برهان صريح وانما تفهيم ما تعرفه العرب من لغة واعراب وبلاغة
 لبيان اعجاز ونحوها . قال ابن بابا قلت واخذ عن صاحب الترجمة
 من لا يعد كثرة من الائمة كالشريف التلمساني وابن الصباغ المكناسي
 والشرف الرهوني وابن مرزوق الجدي وابو عثمان العقباني وابن عرفة والولي
 ابن عباد وابن خلدون في خلق اجلاء * وممن اعيان تونس محمد
 ابن حيدرة قال ابن بابا محمد بن حيدرة ابو عبد الله التونسي قال
 ابن خلدون في رحلته امام المعارف وفرع الاصل العزيز . المعترف له في
 البلاغة والبراعة والفصاحة بالسبق والتبريز . برع في الادب والتصوف
 ونبع في المعقول والمنقول مع نفس عصامية وفكرة ايمانية انقبض في
 منزله

منزله بعد وفاة اصحابه على العبادة . إلا عن طالبي مجلسه للاستفادة . فتزاحم الخلق عليه حتى عُدّا مجلسه بتونس مجتمع اصناف اهل العلم اولي التقوى والفهم فهو اليوم كعبة العلوم حبيب الله للانفس مع صدق مصاحبة وحسن مداعبة وكثرة خشية ومراقبة الى قريحة وقادة وفطنة نقادة وخوض في العلوم الشرعية والطبيعية والمشارب الذوقية والعطايا الحاثية والزهد في الدنيا واجابة الدعوة والخلو من الزهو والنخوة لازمتها لما رايت من نجاح دعواته وقلت له يوما سيدي علم الله اني احبك فقال لي ابشر فاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي « يا محمد رزقك الله التقوى وحبك الى خلقه وجعل من يحبك من عبادة المومنين قال فمن علمت انه احبني علمت انه من المومنين » مولده ثاني عشر ربيع الثاني عام اثنين وثمانين وستمائة . اه * ومن فضلاء مدينة تونس محمد بن محمد البدوي الكاندلسي قال ابن بابا هو خطيب بلش قال في الاحاطة كان ذا قدم في الفقه عارفا بالاصلين شاعرا مجيدا فصيحاً بليغ الخطبة حسن الوعظ سريع الدمعة حج ولقي اجلة واقرا ببلده بلش وانتفع به ولقي شدايد من الحساد قرا على ابي جعفر بن الزبير وابن الكماد ولازم ابا عمر بن منظور في الاصلين والعربية وانتفع به واخذ الفقه عن ابن عبد السلام بتونس ومن شعرة في التشبيب —

خال على خديك ام عنبسر ولولو تغرك ام جوهسر
اضربت نار الحب وسط الحشا فصارت النار به تسعر
لو جدت لي منك برشف الهمما لقلت خمر عسل سكر
دعني في الحب اذب حسرة سفك دم العاشق لا ينكر
توفي سنة خمسين وسبعمائة * ومنهم محمد بن عبد الرزاق الجزولي قال
ابن بابا قال ابن خلدون شيخنا شيخ وقته جلالة ونزاهة وتربية وعلمها
وخبرة اخذ عن شيوخ فاس وتفقه بتونس عن ابن عبد الرقيق وابي عبد
الله النفراوي وطبقتهما ولازم الاكابر ولي قضاء فاس ثم عزل عنها اخيرا .

وقال غيره كان فقيها قاضيا معمرًا راوية من الفضلاء روى عنه الخطيب ابن مرزوق توفي سنة ثمان وخمسين وسبعمائة بفاس * وفي أوائل عام سبعة وأربعين وثمانمائة مرض قاضي الجماعة خطيب جامع الزيتونة ومفتيه الفقيه أبو حفص عمر القلشاني وطال مرضه واتصل إلى أن توفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل الجلاز بآزاء قبر والده وكانت ولادته ببجاية ليلة السبت الثانية من شوال عام ثلثة وسبعين وسبعمائة فكان عمره أربعة وخمسين عامًا غير سبعة أيام . وقدم بعده لقضاء الجماعة والفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة به والخطابة بجامع القصبة الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عقاب وتولى التدريس بمدرسة عنق الجمل ولده الشيخ أبو عبد الله محمد وتولى الخطابة بجامع الزيتونة الشيخ أبو عبد الله محمد المسراقي وقدم للخطابة بجامع التوفيق والفتيا بعد صلاة الجمعة الفقيه القاضي أبو العباس أحمد القلشاني * وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال عام ثمانية وأربعين وثمانمائة توفي إمام جامع الزيتونة وخطيبه الشيخ أبو عبد الله محمد المسراقي ودفن من الغد بالجلاز . وقدم بعده للإمامة والخطابة قاضي الجماعة إذ ذاك الفقيه أبو عبد الله محمد بن عقاب وتولى التدريس بعده بمدرسة التوفيق أخوه الفقيه أبو العباس أحمد وتولى أيضًا الخطابة بجامع القصبة * وفي ليلة الاثنين سابع عشر جمادى كذا وجدته بغير تقييد كونه الأولى أو الأخرى عام أحد وخمسين وثمانمائة توفي قاضي الجماعة بتونس أبو عبد الله محمد بن عقاب بعد صلاة العشاء وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل المرسى ببجاية الشيخ أبي سعيد الباجي . وولي بعده قضاء الجماعة والتدريس بمدرسة سوق الفلقة الشيخ القاضي أحمد القلشاني وقدم حفيده أحمد ابن شقيقه عبد الله لقضاء الجزيرة والتدريس بالمدرسة المجاورة لسيدي محرز . وقدم الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الوائشيسي للإمامة والخطابة بجامع الزيتونة

الزيتونة في ثالث المحرم فاتح عام اثنين وخمسين وثمانمائة . وقدم الشيخ
 الفقيه قاضي الانكحة بتونس ابو عبد الله محمد البحيري للفتيا بجامع الزيتونة
 بعد صلاة الجمعة في الثاني من المحرم المذكور فكان يخطب بجامع ابي محمد
 بربض باب السويقة ويأتي للفتيا بجامع الزيتونة * وفي عصر يوم الاربعاء
 خامس ربيع الثاني من عام ثلاث و خمسين وثمانمائة توفي امام جامع
 الزيتونة وخطيبه الشيخ ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الوانشرسي ودفن من
 الغد بالجلاز وقدم بعده خطيبا الشيخ ابو عبد الله محمد البحيري في يوم
 الجمعة سابع الشهر المذكور . وقدم اماما الفقيه ابو الحسن اللحاني وخطيبا
 بجامع ابي محمد * وفي عشية يوم الاثنين خامس ذي القعدة من عام ثمانية
 وخمسين وثمانمائة توفي بتونس الفقيه القاضي خطيب جامع الزيتونة
 الشيخ ابو عبد الله البحيري ودفن من الغد بالجلاز * وفي يوم السبت الخامس
 عشر من رجب العام المذكور بعث السلطان ام ولده لقاضي الجماعة بتونس
 ابي العباس احمد القلشاني يخبره ان يتولى خطابة جامع الزيتونة والفتيا
 به بعد صلاة الجمعة عوض الشيخ البحيري مع القضاء او يترك القضاء ويبقى
 على خطبته خاصة فاستخار الله في ذلك وكتب براءة بخطه في ذلك في
 سابع رجب باختيار الخطبة والفتيا واستعفائه عن قضاء الجماعة فاعفاه وكتب
 له بذلك اوائل شعبان و اضاف له ايضا مدرسته الشماعين بعد ان بقي
 يحكم بين الناس في تونس في قضاء الانكحة مع قضاء الجماعة الى وقت
 استعفائه وكانت مدة نحو ثمانية اشهر * وفي الثاني عشر من المحرم سنة
 احدى وستين وثمانمائة توفي الشيخ ابو الحسن اللحاني امام جامع الزيتونة
 وقدم عوضه اماما الفقيه احمد المسراقي في اوائل صفر من العام المذكور
 وقدم عوضه خطيبا بجامع ابي محمد ومفتيا به قاضي الانكحة ابو العباس
 احمد القسنطيني * وفي يوم الاحد عند غروب الشمس منه ثامن شعبان سنة
 ثلاث وستين وثمانمائة توفي بتونس الشيخ الفقيه المفتي خطيب جامع
 الزيتونة ابو العباس احمد القلشاني وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة

بعد صلاة الظهر ودفن بجبل الجلاز وحضر لدفنه المولى السلطان ابو عمرو عثمان
 ووجوه اهل دولته وكان عمره اربعا وثمانين سنة * وفي تاسع عشر شعبان
 من السنة المذكورة خرج السلطان بمحلاته ونزل الزيتونة وامر ليلة حلوله
 بالمكان بشقيف الفقيه احمد القسطيني وعزله عن جميع خططه من قضاء
 لانكحة ومن الخطابة بجامع الزيتونة والفتيا به والدعاء عقب ختم البخاري
 بالاضرب السعيد على عادة قضاة لانكحة وفي صبيحة تلك الليلة قدم
 الفقيه احمد المسراقي خطيبا بجامع الزيتونة وقدم قاضي الجماعة الفقيه
 محمد القلشاني خطيبا بجامع القصة ومفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة *
 وفي اوائل ذي الحجة من السنة المذكورة ورد الامر من المحلة لقاضي
 لانكحة برجوعه لقضاء لانكحة والخطابة بجامع الزيتونة والفتيا به
 والدعاء عقب ختم البخاري وبقي في خططه الى ان توفي ثاني عشر شوال
 سنة اربع وستين وثمانمائة وبلغ من السن اربعين سنة وقدم بعده لقضاء
 لانكحة الشيخ ابو عبد الله محمد الزواوي وقدم بعده خطيبا في جامع ابي
 محمد من ربض باب السويقة ومفتيا به بعد صلاة الجمعة ومدرسا بالمتنصرية
 وصاحب الاحباس الفقيه ابو عبد الله البيدموري * وفي شعبان سنة ثمان
 وستين وثمانمائة وردت الختم العظيمة الشأن هدية من الاندلس للجامع
 الاعظم جامع الزيتونة وهي التي يقرأ فيها اليوم عند التواييت قبل صلاة
 الصبح وقبل صلاة العصر وكنت سالت عنها الشيخ ابا عبد الله محمد حمودة
 العامري نائب الجامع اليوم بالخمس والخطبة فقال ليست هذه التي
 بكرسي وقتنا وقال اني وجدتها في بيت الحرم ملقاة تحت الحرم بالبكرية
 وعدت عليها لارض فهللك من قصار المفصل الى فاطر ودفنت السفر اليمنى
 وباقيها طيب الى الان ولكن ما وقعت عين الناظر على مثلها ضخامة جرم
 وحسن خط وبذل ذهب واحكام سفر وصحة رسم واتقان حروف * وفي
 لواخر ذي القعدة من سنة ثمان وستين وثمانمائة امر الامير ابو عمرو عثمان
 بصنع القلاع على جامع الزيتونة يوم الجمعة ليقى الناس من حر الشمس

زمن المصيف * وفي اول سنة تسع وستين وثمانمائة امر الامير المذكور
 بالقراءة بجامع الزيتونة قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر وصلاة العصر
 بالختمة العظيمة المهداة المذكورة ورتب لها اربعة من القراء اصواتهم
 حسنة * ومن الخطباء الاجلة بمنبر جامع الزيتونة الشيخ ابن عبد الستار
 وقد ذكره الشيخ خالد البلوي في رحلته من لاندلس الى المشرق والحرمين
 الشريفين وقال الفاضل في الولاية . والعلم المتسع والدراية . الشيخ العالم
 العامل خطيب الجامع الاعظم . والراقي بقدم الصدق ذروة منبره المعظم .
 ابو عبد الله بن عبد الستار نفعنا الله به وامين امام من ايمته الفروع
 والتفسير . وسراج يهتدى به في ظلمة الدياجير . انتهى من الفضل الى
 اقصى امد . وكرع في بحره لا في ثمده . وحل منزلة منيعة من علم اللسان .
 ونظرت به عين التمييز كالانسان . اضاءت بانوار معارفه البلاد . وتواف
 على محله العلي العلمي الفصاد . وعلا سنده وسناه . وبلغ من وعي المعارف
 الدينية والاحاديث الكريمة النبوية قصده ومناه . له جلالة السبق .
 ومهابة الولاية والصدق . ومكانة القبول عند الخالق والخلق . ذو زهد في
 الدنيا واعراض عن زهراتها . وعزوف عن طلابها . كان يدرس العلوم في
 مدرسة الكتبيين التي استوطنتها فسمعت عليه كثيرا من التفسير والحديث
 والفروع والاصول وغير ذلك ولازمته وانتفعت به وشاهدت له كرامات
 ومقامات لا تصدر إلا من مثله او من الولي الذي من قبله . قلت يعني
 به الشيخ المنتصر وهو المدفون غربي الامام ابن عرفة . قال رحل الى حج
 بيت الله الحرام . وزيارة قبر النبي عليه افضل الصلاة وازكى السلام . ففاز
 من ذلك بغاية سوله . ونهاية مطلبه ومامله . وتواتر عنه انه لما رجع
 الى وطنه اعاد جميع صلواته التي كان صلاحها في سفره . اذ لم ترتضها عبادته
 النزيهة ومعالي سيرة . وهما هو قد نطح في السنين . ونيف على التسعين .
 فما ضعفت له قط مواد العبادة . ولا تعطلت منه تلك المدرسة عن الدول
 المعتادة . قال ومما نقلت منها ان الواقدي رفع الى المامون قصته يشكو

فيها غلبة الدين وقلته الصبر فوقه عليها - انت رجل فيك خلتان السخاء
والحياء فاما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي
بلغ بك ما انت عليه وقد امرنا لك بمائتي الف درهم فان كنا اصبنا
ارادتك فازدد في بسط يدك . وان كنا لم نصبها فجننايتك على نفسك .
فانت كنت حدثتني وانت على قضاء الرشيد - ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للزبير « يا زبير ان مفاتيح الارزاق بازاء العرش ينزل الله
للعباد ارزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قل قل له » قال
الواقدي وكنت نسيت هذا الحديث فكانت مذاكرته اياي به اعجب
الي من صلته . وممن تشرفت بانسه تونس حسبما عرف به ابن
بابا فقال ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي وبه عرف
الجزائري الشيخ الامام العالم العامل الورع الزاهد الصالح الناصح ولي الله
العارف به من الاولياء المعرضين عن الدنيا ومن خيار الصالحين قال
السخاوي كان اماما علامة مصنف اختصر تفسير ابن عطية في جزئين وشرح
فرعي ابن الحاجب في جزئين ايضا وعمل في الوعظ والدقائق وغيرها . وقال
الشيخ احمد زروق شيخنا الفقيه الصالح ديانته اغلب عليه من العلم كان
يتحرى في النقل اتم التحري ولا يستوفيه في بعض المواضع . وقال ابن
سلامة كان رجلا صالحا زاهدا عالما عارفا وليا من اكابر العلماء له تأليف
جملة اعطاني نسخة من تفسير الجواهر لا تشتري بشئ ولا تعوض عاوضه
الله عنها بالجنة . وقال غيره وسيلتنا لرئيسنا الولي الصالح العارف بالله .
قال ابن بابا قلت وهو ممن اتفق الناس على صلاحه وامامته اثني
عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدين والصلاح كالامام الابي والولي العراقي
والامام ابن مرزوق رحل من جهة الجزائر اخر الثامنة ودخل بجاية عام
اثنين وثمانمائة فلقى بها الايمة المقتدى بهم علما ودينا وورعا اصحاب
احمد بن ادريس واصحاب عبد الرحمن الوثليسي متوافرين يومئذ اصحاب
ورع ووقوف مع الجهد لا يعرفون لامراء ولا يخالطونهم وسلك اتباعهم مسلكهم
كشيخنا

كشيوخنا الامام الحافظ علي بن عثمان المكلاتي والفقير الولي سليمان بن الحسن وعلي بن محمد البليتي وعلي بن موسى والامام ابي العباس النقاسي واخذ عنهم واعتمد على الاولين ثم دخل تونس عام تسعة او عشرة فاخذ عن اصحاب ابن عرفة كعيسى الغبريني وعالم المعتول والمنقول الابي وعليه عمدته والبرزلي ويعقوب الزغبى وغيرهم ثم رحل للمشرق فسمع بعض البخاري على الملاي وكثيرا من اختصار الاحياء له وحضر عند الشمس البساطي واخذ علوما جملة على الولي العراقي منها علم الحديث واجازة وفتح له فتحا عظيما ثم رجع لتونس فاذا ابو عبد الله القلشاني خلفه الغبريني في موضعه عند موته قال فلزمته واخذت عنه البخاري الا يسيرا عن البرزلي ولم يكن بتونس يومئذ سن يفوتني في علم الحديث اذا تكلمت انصتوا وقبلوا ما ارويهم تواضعا منهم وانصافا واعترافا بالحق ودمضت ايضا شيخنا الابي واجازني ثم قدم تونس شيخنا ابن مرزوق عام تسعة عشر فاقام بها نحو سنة فاخذت عنه كثيرا وسمعت عليه الموطا بقراءة الفقير ابي حفص عمر القلشاني ابن شيخنا ابي عبد الله واجازني واذن لي هو والابي في الاقراء واخذت عن غيرهم . قال ابن بابا ومن شيوخه الشيخ المحدث عبد الواحد الغرياني والحافظ ابو القاسم العبدوسي وابن قريشة الف كثيرا كفسيرة الجواهر الحسان فيه زبدة ابن عطية مع فوائد وزوائد كثيرة وروضة الانوار ونزهة الاخيار وهو قدر المدونة فيه لباب نحو من ستين من امهات الدواوين المعتمدة بقي في جمعه سنين كثيرة وهو خزنة كتب لمن حصله وكتاب الانوار في معجزات النبي المختار صلى الله عليه وسلم والانوار المضيئة الجامع بين الشريعة والحقيقة في جزء ورياض الصالحين جزء وكتاب التقاط الدرر وكتاب الدرر الفائقة في الاذكار والدعوات والعلوم الفاخرة في امور الآخرة مجلد ضخيم وشرح ابن الحاجب الفرعي في سفرين جمع فيه نخب كلام ابن راشد وابن عبد السلام وابن هارون و خليل و غرر ابن عرفة مع جواهر المدونة وعيون مسائلها في سفرين وفي آخره جامع كبير نحو عشر كواريس

من القالب الكبير فيه فوائد وإرشاد السالك جزء صغير ولا ربعون حديثاً مختارة والمختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع وكتاب جمع الفوائد وكتاب جامع لامهات في احكام العبادات وكتاب النصايح وكتاب تحفة الاخوان في اعراب بعض اعي القراءان والذهب لابريز في غريب القراءان العزيز وكتاب الارشاد في مصالح العباد ذكر جميعها في فهرسته ولد عام سنة او سبعة وثمانين وسبعمائة وتوفي كما ذكره الشيخ زروق عن حفيده سنة خمس وسبعين وثمانمائة عن نحو تسعين سنة كما ذكره السخاوي اخذ عنه جماعة كالعالم الشيخ محمد بن مرزوق الكفيف والامام السنوسي واخيه لامه علي التالوقي والامام محمد بن عبد الكريم المغيلي . ومن فوائده ما ذكره في كثير من كتبه قال ومما جر بته من الخواص ان من اراد ان يستيقظ اي وقت شاء من الليل فليقرأ عند الرقاد حين يغلبه النعاس بحيث لا يتجدد عقبها خاطر آية « افحسب الذين كفروا » الى آخر السورة فانه يستيقظ في الوقت الذي نواه بلا شك وهو من العجائب المقطوع بها . قال وفي الصحيح ان في الليل ساعة لا يوافقها مسلم ويسأل الله شيئا الا اعطاه الله اياه فاذا اردت معرفة هذه الساعة فاقرا عند نومك « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم » الى آخر السورة فانك تستيقظ في الساعة بفضل الله تعالى وربما تكرر تيقظك لامر اراده الله وهذا مما الهمت وما كتبه الا بعد استخارة واياك ان تدعو فيه على مسلم وان طالما والا فאלله حسبيك وبين يديه انا خصيمك وهي فائدة عظيمة . اه . قلت وذكر ابن بابا بعض كراماته نفعا الله تعالى به * ومنهم العالم العلم قدوة لايمه واستاذ اساتيد لامة ابو عبد الله محمد بن بدال ابقى الله بركته قال الشيخ خالد البلوي رجل اتاه الله كتابه . وفتح عليه فيه ابوابه . ووفقه في ادابه الى الصواب فاصابه . فاجتمع الناس اليه . وتنافس المجودون من اهل القراءان في التلقف منه وانثالوا عليه . فقامت له سوق المحامد بمضائع تجيله . وسيقت الى اعتاب اكرامه وتفضيله . قال وكان هذا

الشيخ قد اوتي من حسن اللفظ بالقراءة ما لم يوتّه احد من بقي على الارض في هذا الوقت باجماع ، حضرت قيامه في ليالي شهر رمضان بالاشفاع . وانتدب الناس الى سماعه من النواحي والبقاع . فما قرع سمعي ولا وقع في اذن قلبي احسن منه صوتا ولا احلى تلاوة ولا اعذب ايرادا ولا اطيب مساقا ولا اعجب احكاما ولا اغرب ترتيبا ولا اجمل جملة وتفصيلا . قال ولقد كنت حين قراءة علي عليه قساوة قلبي وغبابة لبي اتعاشى واتلاشى ويصبح جامع الزيتونة باهله ويغص بجمعه فينبك وداع وغاش وخاشع وساقط من القيام وعادم وجوده في ذلك المقام كلهم يفعل فيهم صدقه ويستكثرون نطقه ويسكرهم ذوقه . قال قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع جمعا في ختمه واحدة وبالدغام الكبير في رواية ابي عمرو بن العلاء وترك الهمزة من طريق اهل الرقة بطريق الامام ابي عمرو الداني رحمه الله قال وهو آخر سن قرأت عليه السبع من الائمة المقرئين الاساتيد المبرزين وعددهم اثنا عشر شيخا ما منهم الا سن قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع افرادا وجمعا او افرادا او جمعا اولهم الاب المرحوم ناجلي الكفيل بتربيتي في نشأتي . وناحلي اول موهبة من تدبيري في بدايتي . والذي عيسى رضي الله عنه قاضي بلد قلورية وخطيبها ووالى كافة امورها مدة ازيد من اربعين سنة قرأت عليه بالقراءات السبع على مود بعد بدء جمعا بعد افراد وقرا هو بالقراءات السبع على والده جدي الاستاذ الخطيب الحاج الزهيد ابي جعفر وقرا والده جدي الاستاذ القراءات السبع على جماعة منهم والده الخطيب الصالح ابو اسحاق ابراهيم وقرا والده جد والذي بالقراءات السبع كذلك على جماعة منهم والده الخطيب ابو جعفر احمد بن علي بن خالد رحمة الله على جميعهم وهكذا تشمل هذه السلسلة بالقراءات السبع الى سابع جد والحمد لله تعالى على ذلك وحدثني شيعي هذا انه قرا بالقراءات السبع افرادا مع الدغام الكبير في رواية ابي عمرو بن العلاء وترك الهمزة من طريق اهل الرقة ثم جمع السبع في ختمه كاملة وقرا قراءة ابي محمد يعقوب

الحضرمي على الشيخ الفقيه المقرئ الصالح الراوية ابي العباس احمد بن موسى بن عيسى بن ابي الفتح الانصاري المشتهر بالبطرني وحدثه انه قرا بالسبع على الشيخ الفقيه المقرئ الخطيب القاضي ابي محمد عبد الله بن يوسف بن ابي بكر بن عبد الاعلى المعافري الشبارقي بقراءة نافع افرادا وجمعا وباقي السبع ختمه جمعا لكل امام ثم جمع عليه السبع في ختمه كاملة مع الادغام الكبير وقال قرأت على خاتمة المقرئين بشرق الاندلس ابي جعفر احمد بن يحيى بن عون الله الحصار بقراءة نافع افرادا وجمعا قال وجمعت عليه السبع بختمه كاملة قال وقرأت السبع افرادا وجمعا مع الادغام الكبير فيهما على الشيخ الفقيه الزاهد ابي الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي قال قرأت جميع ذلك على الشيخ الفقيه المقرئ ابي داود سليمان بن نجاح الاموي قال قرأت جميع ذلك على الامام المحافظ ابي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني بسنده في كتاب التيسير . قال البلوي وكل ذلك قرأته عليه مع القصيدة اللامية المسماة بحوز الاماني التي من نظم الامام ابي القاسم بن فيره الشاطبي رحمه الله تعالى قراءة تشبث وتبيين لمعانيها واعراب لمشكلاتها وايضاح لاسرارها واستخراج لغوامضها وجميع عقيدة اتراب القصاصد من نظم الشاطبي ايضا . قال وحدثني بجميع ذلك عن شيخه ابي العباس البطرني المذكور . قال ولشيخني هذا اسانيد غير هذه وسماع وتبثل وانقطاع ومواصلة للقرءان واعتناء بذلك الشأن فجمع بين علو الاسناد والسلسلة الذهبية وتوسع كثيرا في اللغة والعربية وتتبع من هذه الطريقة لادنية يعمر بها مجالسه ويفيد منها مجالسه قال انشدني لبعض الشعراء —

اني غريب بدار لا كرام بهسا كغربة الشعرة السوداء في الشمط
لا اطلق العين في شيء اسر به ولا انال الرضى الا على سخط

قال وانشدني لبعضهم —

تمتع بالزقاة على الشمال فسوف يطول نومك باليمين

ومنع

ومتع سن يحبك باجتماع فانك من الفراق على يقين
قال وانشدني لبعضهم —

ان الليالي للانام منساع تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار
قال وكان رضي الله عنه رقيق لاشارة مليح العبارة حلو الحكايات عالي
الروايات مع مروعة ظاهرة وتعام خلقة وهدي وسمت ووقار لا كفاء له
الى حسن البيان وعذوبة اللسان —

ملح كالرياض غازلت الشمس من ربها واقر عنها الربيع
فهني العين منظر موق الحس من وفي النفس سودد مجسموع
قال ذكر لي انه دخل بعض الملوك على جارية له وقد دهن شعره
بدهن بيض به فقال يخاطبها —

ان البياض مليس لا شيء في الحسن بعده
فاجابته الجارية في الحين —

اهواه من كل شيء الا من الشيب وحده
فاستحسن جوابها واحسن ثوابها . قال واخبرني ان بعض الشعراء دخل
على بعض الاكابر مادحا له بشعر قاله فيه فوجد عنده حلاقا قد قصر من
شعره واجزل له في العطاء ولم يعط الشاعر شيئا فقال مرتجلا —

ارى من جاء بالموسى موسى وراحة ذي القريض تروح صفرا
فهذا منجح ان قص شعرا وهذا مخفق ان نص شعرا
قال واخبرني انه مدح ابا الحسن بن الفضل احد الوزراء بمراكش
كان اقرع فلم يشبه فقال —

اهدت مدحا للوزير الذي عاتبه المجد فلم يسمع
فحامل الشعر اليه كمن يهدي به مشطا الى اقرع
قال واخبرني ان سالم بن قاسم من بني مهنا الحسينيين اهدى لصالح
الدين بن ايوب مروحة بيضاء وفيها مكتوب بالاحمر —

انا من نخلة لتجاور قسرا ساد سن فيه سافر الخلق طرا
 شملتني سعادة القبر حسني صرت في راحة ابن ايوب اقرا
 وقد كان الرسول بها قال اصلاح الدين خذ هذه فما اهدي لك ولا لابيك
 مثاها فعضب السلطان من هذا الكلام فقال الرسول لا تعجل وانظر ما فيها
 من الكلام فلما نظرها وقرا البيتين قبلها ووضعها على راسه وقال صدق
 الشريف ما وصلني قط هدية مثل هذه . فقال وقرات عليه من كتب
 القراءات والحديث وغيرها تصانيف كثيرة استوفيتها باسانيدها في برنامج
 روايتي الشيخ واجازني اجازة تامة مطلقة عامة وكتب لي بخطه ومولده
 عام ثمانية وستين وستمائة * ومنهم احمد بن محمد بن عثمان الازدي ابو
 العباس المراكشي عرف بابن البناء لحرفته ابيه من ائمة العلم حتى قال
 الحافظ بن راشد ما رايت عالما بالمغرب الا رجلا ابن البناء بمراكش وابن
 الشاط بسبته وقال غيره كان اماما معظما عند الملوك له حظ وافر في علوم
 الشريعة مع الغاية القصوى في العلوم القديمة فقال تليذه البجاعي كان
 وقورا حسن السيرة قوي العقل فاضلا مهذبا حسن الهيئة معتدلا القدر رفيع
 الثياب طيب المآكل يسلم على سن لقيه ينصرف عنه سن كلمه راضيا محبا
 عند العلماء والصالحاء ذا اجادة مع قلته الكلام جدا لا يهذر ولا يتكلم بغير علم
 يسكت جميع الناس لكلامه محققا قليل الخطا قال ابن شاكر له حظ وافر في
 علوم الهيئة والنجوم لازم الولي ابا زيد الهزميري فاعطاه ذكرا دخل به الخلة
 نحو سنة ودعا له وقال له ممكنك الله من علوم السماء كما ممكنك من علوم
 الارض واطلعه ليلة على دائرة الفلك حتى شاهدها وعابن مجرى الشمس
 فهاله ذلك فسمع الشيخ ابا زيد يقول له اثبت حتى تستوفى ثم قال له
 قد فتح عليك في ما رايت فوصل من وقته الغاية في الهيئة والنجوم وكان
 يداوم الصوم والخلة لتصحيح امر الفلك حتى راي مرة وهو مصل بين يديه
 قبة فحاس محبوسة في الهواء لا مثل لها وفي وسطها شخص متعبد فهاله
 ما راي ولم يثبت لذلك وسمع اصواتا هائلة تناديه « اَنْ اَذُنْ منا يا ابن
 البناء »